مَتْنُ القَصِيدَةِ النُّونِيَّةِ

ويليها

شَرْحُ القَصِيدَةِ الميميَّة

للإمام العلاّمة

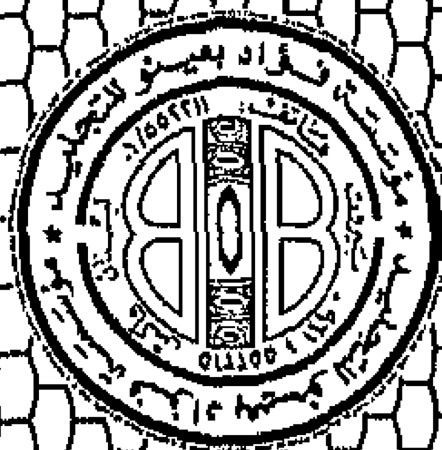
شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر

ابن قيّم الجوزية رحمه الله

٦٩١-٧٥١ هـ

دار ابن حزم

المكتب الإسلامي


فؤاد بعينو للتجليد



مَتْنُ القَصِيدَةِ النُّونِيَّةِ

ويليها

شرحُ القَصِيدَةِ الميميَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

مَتْنُ القَصِيدَةِ النُّونِيَّةِ

ويليها

شرحُ القَصِيدَةِ الميميَّة

للإمام العلاّمة

شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أبي بكر

ابن قَيِّم الجوزية رحمه الله

٦٩١-٧٥١ هـ

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب : ١٤/٦٣٦٦ - تلفون : ٧٠١٩٧٤



تَرْجَمةُ الإمَام ابنِ القَيِّم[1]

١ ـ اسمه ونسبه:

العلامة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزُّرعي، ثم الدمشقي، الفقيه الحنبلي.

٢ ـ ولادته:

ولد في دمشق سنة إحدى وتسعين وست مئة للهجرة.

٣ ـ كنيته:

اشتهر بلقبه (**ابن القيم**) أو (**ابن قيم الجوزية**)، أو (**إمام الجوزية**).

(١) انظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير: ٢٤٦/١٤، والدرر الكامنة لابن حجر: ٤٠٠/٣، وشذرات الذهب لابن رجب الحنبلي: ١٦٨/٦، والبدر الطالع للشوكاني: ١٤٣/٢، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة: ١٠٦/٩، وجلاء العينين للآلوسي: ص٤٤، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: ٤٤٧/٤، والأعلام للزركلي ٥٦/٦.

وللمزيد انظر: الوافي بالوفيات للصفدي، وبغية الوعاة للسيوطي، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، وهدية العارفين للبغدادي، والزيارات للعدوي، وكشف الظنون لحاجي خليفة، وإيضاح المكنون للبغدادي، والمجددون في الإسلام للصعيدي، وابن قيم الجوزية لعبدالعظيم عبدالسلام، وفهرس مخطوطات الظاهرية ليوسف العش، وفهرس الخديوي، والتيمورية، وآداب اللغة، والمنهج الأحمد، ومعجم المطبوعات.

ونسبته إلى الجوزية ترجع إلى أن والده كان قيّماً على تلك المدرسة.

والقيّم: الذي يقيم الأمر ويصلحه ويرعاه ويجعله مستقيماً. فأبو الإمام كان يدير شؤون المدرسة التي اسمها الجوزية؛ فنسب إليها بابن قيم الجوزية.

المدرسة الجوزية:

يقول الحافظ ابن كثير: إن محيي الدين يوسف بن عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، هو الذي ابتنى هذه المدرسة بالنشابين بدمشق وأوقف لها[١].

أوقف لها يعني: خصص بعض العقارات وغيرها مما يدرّ من الأموال، لكي ينتفع القائمون عليها، ولإصلاح شأن المدرسة وتأمين حوائجها.

٤ ـ شيوخه:

نشأ ابن القيم، رحمه الله تعالى، في زمن يزخر بالعلماء البارزين. ونشأ كذلك في بيت علم، فقد كان أبوه من فقهاء الحنابلة المشهورين، وكان له في الفرائض يداً، فأخذها عنه.

وسمع على التقي سليمان، وأبي بكر بن عبدالدائم، والمطعِّم، وابن الشيرازي، وإسماعيل بن مكتوم.

وقرأ العربية على ابن أبي الفتح، والمجد التونسي.

وقرأ الفقه على المجد الحراني، وابن تيمية. وقرأ في الأصول على الصفي الهندي[٢]، وسمع من الشهاب النابلسي وغيره[٣].

ولما عاد الشيخ ابن تيمية من الديار المصرية في سنة ٧١٢هـ لازمه إلى أن مات الشيخ رحمه الله، فأخذ عنه علماً جماً[٤]، وسمع من فاطمة بنت جوهر[٥].

---

(١) البداية والنهاية: ٣٣/١٣.
(٢) الدرر الكامنة: ٤٤٠/٣ ـ ٤٠١.
(٣) شذرات الذهب: ١٦٨/٦.
(٤) البداية والنهاية: ٢٤٦/١٤.
(٥) ذيل طبقات الحنابلة: ٤٤٧/٢.

٥ ـ علمه:

قال ابن كثير: برع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث، ولازم ابن تيمية إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علماً جماً ـ مع ما سلف له من الاشتغال ـ فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً وكثرة الابتهال[(١)].

قال ابن رجب: شيخنا الفقيه الأصولي المفسر النحوي العارف، تفقه في المذهب وبرع وأفتى. وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه وبأصول الدين ـ وإليه فيهما المنتهى ـ والحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه ـ لا يُلحق في ذلك ـ وبالفقه وأصوله، وبالعربية ـ وله فيها اليد الطولى ـ وعلم الكلام والنحو وغير ذلك.

وكان عالماً بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم؛ له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى.

قال القاضي برهان الدين الزرعي: ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه[(٢)].

وقال ابن كثير: وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله[(٣)].

قال ابن رجب: ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرَفَ بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم؛ ولكن لم أرَ في معناه مثله[(٤)].

٦ ـ خلقه:

قال ابن كثير: كان حسن القراءة، والخلق، كثير التودد، لا يَحسُدُ أحداً ولا يؤذيه ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد. وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه[(٥)].

---

(١) البداية والنهاية: ٢٤٦/١٤.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة: ٤٤٨/٢ ـ ٤٤٩.
(٣) البداية والنهاية: ٢٤٦/١٤.
(٤) ذيل طبقات الحنابلة: ٤٤٨/٢.
(٥) البداية والنهاية: ٢٤٦/١٤.

وكان الفضلاء يعظمونه[١]، وكان محبوباً عند الناس[٢].

قال الذهبي في المختصر: ولكنه معجب برأيه جريء.

قلت (أي الشوكاني): بل كان متقيداً بالأدلة الصحيحة معجباً بالعمل بها غير معول على الرأي، صادعاً بالحق لا يحابي فيه أحداً ونعمت الجرأة[٣].

٧ ـ عبادته:

قال ابن رجب: وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته؛ لم أشاهد مثله في ذلك. وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن ـ بالتدبر والتفكر ـ ففتح عليه من ذلك خير كثير[٤].

قال ابن كثير: كان كثير الابتهال، وذكر كلاماً، ثم قال: ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه. وكانت له طريقة في الصلاة؛ يطيلها جداً ويمد ركوعها وسجودها. ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك، رحمه الله[٥].

قال الحافظ: وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقول هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي.

وكان يقول: بالصبر والفقر ينال الإمامة في الدين.

وكان يقول: لا بد للسالك من همّة تسيّره وترقّيه، وعلم يبصّره ويهديه[٦].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٤٤٩.
(٢) الأعلام للزركلي: ٦/٥٦.
(٣) البدر الطالع: ٢/١٤٣.
(٤) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٤٤٨.
(٥) البداية والنهاية: ١٤/٢٤٦.
(٦) الدرر الكامنة: ٣/٤٠١.

وقال ابن رجب: وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه(١).

٨ ـ محنته:

ليس غريباً أن يتعرض ابن القيم ـ رحمه الله ـ إلى بعض الإهانات من السفهاء، أو السجن أو الضرب أو غير ذلك من الابتلاءات؛ فهذا هو حال كل داعية حق، وهذا هو سبيل الأنبياء والمصلحين.

فأي إنسان يقوم ليحمل أعباء الدعوة إلى الله سبحانه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوقوف في وجه عادات الناس المخالفة للإسلام؛ لا بد وأن يضع في حسابه أنه سوف يأتيه ما لا يحب. وهذا ما حدث للإمام ـ رحمه الله ـ فقد كان يصدع بما يرى أنه الحق؛ فيُهان أو يسجن، ويفتي بما يرى أنه الحق؛ فيضرب تارة أو يسجن أخرى.

قال الذهبي في المختصر: وقد حبس مدة لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل، قلت (يعني ابن رجب): وقد امتحن وأوذي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفرداً عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ(٢).

قال الحافظ: اعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروباً بالدرة، فلما مات ابن تيمية أفرج عنه. وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية(٣).

قال ابن كثير: وقد كان متصدياً للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره(٤).

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٤٤٨.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/٤٤٨.
(٣) البدر الطالع: ٣/٤٠١.
(٤) البداية والنهاية: ١٤/٢٤٦ ـ ٢٤٧.

والمقصود بمسألة الطلاق: أن الذي يطلق زوجته ثلاث تطليقات بلفظ واحد؛ هل يحسب عليه طلقة واحدة أم ثلاث؟

الذي يذهب إليه ابن تيمية ـ وكذلك تلميذه ابن القيم ـ أنها تقع طلقة واحدة؛ اتباعاً للنص الوارد في هذه المسألة، وقد سبقهم إليها جمع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وعمدتهم ما روى مسلم: **١٤٧٢**، عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة.

وانظر مزيداً من البسط في (مجموع الفتاوى)، وانظر (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للآلوسي): ص**٢٦٨** وما بعدها.

٩ ـ مؤلفاته:

قال ابن كثير: له من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف[١].

قال ابن رجب: وصنف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلم. وكان شديد المحبة للعلم، وكتابته، ومطالعته وتصنيفه، واقتناء الكتب[٢].

قال الحافظ ابن حجر: وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف. وهو طويل النفس فيها، يتعانى الإيضاح جهده؛ فيسهب جداً. وكان مغرى بجمع الكتب؛ فحصل منها ما لا يحصر، حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً، سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم[٣].

١٠ ـ من تصانيفه:

ـ **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**. (مطبوع).

---

(١) البداية والنهاية: **٢٤٦/١٤**.
(٢) ذيل طبقات الحنابلة: **٤٤٩/٢**.
(٣) الدرر الكامنة: **٤٠٢/٣**.

- **زاد المعاد في هدي خير العباد.** (مطبوع بتحقيق شعيب أرناؤوط في ٥ أجزاء).

- **إعلام الموقعين عن رب العالمين.** (مطبوع في ٤ أجزاء).

- **تهذيب سنن أبي داود.** (مطبوع مع مختصر الحافظ المنذري وشرح معالم السنن للخطابي).

- **اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية** (مطبوع بتحقيق الدكتور عواد عبدالله المتق).

- **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية** (ويسمى الفراسة وقد طبع مراراً ويقوم الشيخ مشهور حسن بتحقيقه).

- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.** (مطبوع).

- **كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء.** (طبع باسم الكلام على مسألة السماع بتحقيق راشد عبدالعزيز).

أحكام أهل الذمة. (مطبوع في مجلدين بتحقيق د. صبحي الصالح رحمه الله).

- **شرح الشروط العمرية.**

- **تحفة المودود بأحكام المولود.** (مطبوع).

- **مفتاح دار السعادة.** (مطبوع مراراً وحققه قريباً الشيخ علي حسن الحلبي).

- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.**

- **الكافية الشافية.** (وتسمى القصيدة النونية طبعت مراراً ولها شروح عدة).

- **مدارج السالكين.** (طبع بتحقيق محمد حامد الفقي في ثلاث مجلدات).

- **رسالة في اختيارات تقي الدين ابن تيمية.** (هذه لابنه وهي رسالة صغيرة مطبوعة).

- **الفروسية.** (طبعت مراراً وأجودها ما حققه الشيخ مشهور حسن آل سلمان).

ـ **طب القلوب**. (ادعى لويس معلوف أنه في برلين مخطوط على ما نقله الزركلي في الأعلام).

ـ **الوابل الصيب من الكلم الطيب**. (طبع مراراً وبعدة تحقيقات).

ـ **الروح**. (مطبوع بتحقيق الدكتور بسام علي سلامة).

ـ **الفوائد**. (مطبوع وأجودها ما طبعته دار النفائس).

ـ **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**. (مطبوع بتحقيق عبداللطيف آل محمد الفواغير).

ـ **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**. (مطبوع بتحقيق محمد عفيفي).

ـ **الجواب الكافي**. (مطبوع بتحقيق محمد عبدالرزاق الرعود).

ـ **التبيان في أقسام القرآن**. (مطبوع بتحقيق نبيل بن منصور بصارة).

ـ **طريق الهجرتين** و(طريق السعادتين) أو (سفر الهجرتين وباب السعادتين). (مطبوع بتحقيق عمر محمود).

ـ **عدة الصابرين**. (مطبوع).

ـ **هداية الحيارى**. (مطبوع).

تفسير المعوذتين. (هذا جزء من كتاب بدائع الفوائد طبع مستقلاً).

ـ **التفسير القيم**. (جمعه الشيخ محمد أويس الندوي من مؤلفات الإمام المطبوعة).

ـ **بدائع الفوائد**. (مطبوع).

ـ **جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام**. (مطبوع بتحقيق شعيب أرناؤوط).

ـ **رفع اليدين في الصلاة**. (يوجد مخطوط في مكتبة السعودية بالرياض مخروم الأول في ١٦١ ورقة).

ـ **عقد محكم الأحقاء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء**.

- **شرح أسماء الكتاب العزيز.**

- **زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء.**

- **بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل.**

- **نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول.** (طبع الكتاب بهذا الاسم وباسم المنار المنيف بتحقيق عبدالفتاح أبو غدة).

- **نكاح المحرم.**

- **تفضيل مكة على المدينة.**

- **فضل العلم.**

- **حكم تارك الصلاة.** (طبع باسم الصلاة وحكم تاركها).

- **نور المؤمن وحياته.**

- **حكم إغمام هلال رمضان.**

- **التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير.**

- **إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان.** (طبع بتحقيق العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله).

- **جوابات عابدي الصلبان وأن ما هم عليه دين الشيطان.**

- **بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً.**

- **الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه.**

- **الفتح القدسي والتحفة المكية.**

- **أمثال القرآن.** (طبع كرسالة وهو جزء من كتاب أعلام المؤمنين).

- **شرح الأسماء الحسنى.**

- **أقسام القرآن.** (أيمان القرآن).

- **المسائل الطرابلسية.**

- **الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم.**

- الطاعون.
- الكبائر.
- الرسالة التبوكية (مطبوعة).
- رسالة إلى أحد إخوانه. (مطبوع عدة مرات).



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القصيدة النونية

حُكْمُ المَحَبَّةِ ثَابِتُ الأركانِ … مَا لِلصُّدُود بِفَسْخِ ذَاكَ يَدانِ

أنَّى وقاضي الحُسنِ نفَّذ حُكمَها … فَلِذَا أقرَّ بذلك الخَصْمانِ

وأَتَت شهودُ الوصلِ تشهدُ أنه … حقٌّ جَرَى في مَجْلسِ الإحسَانِ

فتأكَّد الحكمُ العزيزُ فلم يجدْ … فسخُ الوشاة إليه مِنْ سُلطانِ

ولأجلِ ذا حُكْمُ الْعَذولِ تَداعتِ الْـ … أرْكَانُ مِنْهُ فَخَرَّ لِلأَذْقَانِ

وأتى الوشاةُ فصادفوا الحكمَ الذي … حكموا به مُتيقَّنَ البطلان

ما صادف الحكمُ المحلَّ ولا هُوَ اسْـ … تَوْفَى الشروطَ فصارَ ذا بُطلان

فلذاك قَاضِي الحسنِ أثبت مَحْضَراً … بِفسَادِ حُكم الهَجْر والسُّلوان

وحَكَى لك الحُكْمَ المحالَ ونقضَه … فاسمعْ إذاً يا من لهُ أذنان

حُكْمُ الْوشَاةِ بغير ما برهانِ … إنَّ المحبَّة والصُّدودَ لِدَانِ

واللَّهِ ما هذا بِحُكْمٍ مُقْسِطٍ … أين الغرامُ وصدُّ ذي هِجرَان

شَتَّان بين الحالتين فإن تُرد … جمعاً فما الضدَّانِ يَجْتَمعَانِ

يَا وَالِهاً هانتْ عليه نفسُه … إذ بَاعَها غَبْناً بِكلِّ هَوَان

أتبيعُ مَنْ تَهواهُ نَفْسُك طائعاً … بالصدِّ والتعذيبِ والهِجْران

أجَهِلْتَ أوصافَ المبيعِ وقدرَه … أم كنتَ ذا جَهلٍ بِذِي الأثمان

واهاً لقلبٍ لا يفارقُ طيرُه الْـ … أغْصَانَ قائمةً على الكُثبان

ويَظلُّ يسْجَعُ فَوقَهَا ولغيرِه … منهَا الثِّمارُ وكلُّ قِطْفٍ دَانِ

ويبيتُ يبكِي والمواصِلُ ضَاحِكٌ ... وَيَظَلُّ يشكُو وهو ذُو شُكْرانِ
هَذا ولو أن الجَمَال معلَّقٌ ... بالنجم همَّ إليهِ بالطَّيرانِ
لِلَّهِ زَائِرةٌ بليلٍ لَمْ تَخَفْ ... عَسَسَ الأميرِ ومَرْصَدَ السَّجَّانِ
قَطعتْ بِلادَ الشامِ ثم تيممت ... من أرضِ طيبةَ مطلعَ الإيمان
وأتتْ على وادي العقيقِ فجاوزتْ ... مِيقَاتَهُ حِلاًّ بِلاَ نُكرانِ
وأَتَتْ عَلى وَادي الأَرَاكِ ولَمْ يَكنْ ... قَصْداً لَهَا فَألاً بأنْ سَتَرانِي
وأتتْ على عَرفاتِ ثم مُحسِّرِ ... ومِنىً فكم نَحَرَتْه من قُربَان
وأتتْ على الجمراتِ ثُم تيممتْ ... ذاتَ السُّتور وربَّةَ الأركان
هذا وما طافَت ولا استلمتْ ولا ... رمتِ الجمارَ ولا سَعتْ لِقِرَان
ورَقَتْ إلى أعلَى الصَّفَا فَتيمَّمتْ ... داراً هنَالِك للمحِبِّ العَاني
أَتَرى الدليلَ أعارَها أثوابَهُ ... والريح أعطتْها مِنَ الخَفَقَان
وَاللَّهِ لو أنَّ الدليلَ مكانَها ... ما كانَ ذلِك منه في إمكان
هذا ولو سارت مسيرَ الريح ما ... وصلتْ بِه ليلاً إلى نُعْمانِ
سَارَتْ وكان دليلَها في سيرِها ... سعدُ السعودِ وليس بالدَّبْرانِ
وردت جفارَ الدمع وهي غزيرةٌ ... فلِذَاك مَا احتَاجت ورودَ الضَّان
وَعَلَتْ عَلَى مَيْنِ الهَوَى وتزودَتْ ... ذكْرَ الحَبيبِ ووصْلَهُ المتدَانِي
وَعدتْ بزورَتِهَا فأوفتْ بالذي ... وعدَتْ وكانَ بملتَقَى الأجْفَانِ
لم يَفْجَأِ المشتاقَ إلا وهي دا ... خِلة الستورِ بغير ما اسْتِئذان
قَالتْ وقدْ كَشَفتْ نِقابَ الْحُسْنِ ما ... بالصبرِ لي عن أن أرَاكَ يَدانِ
وتحدثت عندِي حديثاً خِلْتُه ... صِدْقاً وقد كذَبت به العَينَانِ
فعجبتُ منه وقلتُ من فَرحِي به ... طَمَعاً ولكنَّ المنامَ دهَانِي
إن كنتِ كاذبةَ الذي حَدَّثْتِنِي ... فعليكِ إثمُ الكاذِبِ الفتَّان
جَهْمُ بنُ صفوانٍ وشيعتُهُ الأُلى ... جَحدُوا صفاتِ الخالِق الديَّان
بَلْ عطَّلوا منهُ السَّمٰواتِ العُلَى ... والعرشَ أخلَوهُ من الرَّحْمٰنِ
ونَفَوْا كَلامَ الرَّبِّ جلَّ جلالُهُ ... وقَضَوْا له بالخلقِ والحِدْثانِ

قَالوا ولَيسَ لربِّنَا سَمْعٌ وَلاَ ... بصرٌ وَلاَ وجهٌ فكيفَ يَدانِ
وكذاك ليسَ لربِّنا مِنْ قدرةٍ ... وإرادةٍ أو رحْمَةٍ وحنانِ
كلاً ولا وصفٌ يقومُ به سِوَى ... ذاتٍ مُجرَّدَةٍ بغيرِ مَعَانِ
وحياتُهُ هِيَ نفسُه وكلامُه ... هوَ غيرُه فاعجبْ لِذا البهتَانِ
وَكَذاكَ قَالوا ما لهُ من خَلْقِه ... أحدٌ يَكون خليلَه النفسانِي
وخليلهُ المحتاجُ عندَهُمُ وفِي ... ذَا الوصْفِ يدخلُ عابدُ الأوثانِ
فالكلُّ مفتقرٌ إليه لذاتِه ... فِي أسرِ قَبضتِهِ ذليلٌ عانِ
ولأجلِ ذا ضحَّى بجعْدٍ خالِدُ الـ ... قَسْرِيُّ يومَ ذَبائِحِ القُرْبَانِ
إذْ قَالَ إبْرَاهيمُ لَيْسَ خَليلَه ... كَلاً وَلاَ مُوسى الكَليمَ الدَّانِي
شكَرَ الضحيَّةَ كلُّ صَاحِبِ سنةٍ ... للَّهِ دَرُّكَ مِنْ أخِي قُرْبَانِ



فصلٌ

وَالعَبْدُ عندَهُمُ فَلَيسَ بفاعلٍ ... بَلْ فِعْلُه كتحرُّكِ الرَّجَفَانِ
وهبوبِ ريحٍ أو تحرُّكِ نائمٍ ... وتحرُّكِ الأشجارِ للمَيَلانِ
وَاللَّهُ يُصْليهِ على ما لَيس مِنْ ... أفْعَالِهِ حرَّ الحَميمِ الآن
لكن يعاقِبُهُ على أفعَالِهِ ... فِيهِ تعالَى اللَّهُ ذو الإحسَانِ
وَالظلمُ عندَهُمُ المحالُ لذاتِهِ ... أنَّى يُنزَّهُ عنهُ ذو السُّلطانِ
وَيكونُ مدحاً ذَلِكَ التنزيهُ مَا ... هَذا بِمَعْقولٍ لِذِي الأذْهَانِ



فصلٌ

وَكَذاكَ قالُوا ما لهُ مِنْ حِكْمَةٍ ... هِي غَايةٌ لِلأَمْرِ والإتْقَانِ
مَا ثَمَّ غَيْرُ مشيئةٍ قَدْ رجَّحَتْ ... مَثَلاً على مَثَلٍ بِلاَ رُجْحَانِ
هَذا وما تلكَ المشيئةُ وصفُهُ ... بَلْ ذَاتُهُ أو فِعلُه قَوْلاَنِ

وَكَـلامُـهُ مـذْ كـانَ غـيـراً كَـانَ مَـخْـ ... لُـوقـاً لَـه مـنْ جُـمْـلَـةِ الأكْـوَانِ
قَـالُـوا وإقـرارُ الـعِـبـادِ بـأنَّـه ... خـلاَّقُـهـمْ هُـو مُـنْـتـهَـى الإيْـمَـانِ
وَالـنَّـاسُ فِـي الإيـمَـانِ شـيءٌ وَاحـدٌ ... كَـالـمـشـطِ عـنْـدَ تـمـاثـلُ الأسْـنـانِ
فَـاسْـألْ أبَـا جَـهْـلٍ وَشـيـعَـتَـهُ وَمـنْ ... وَالاهُـمُ مِـنْ عَـابِـدي الأوْثَـانِ
وسَـلِ الـيـهُـودَ وكـلَّ أقـلـفَ مشـركٍ ... عَـبَـدَ الـمـسـيـحَ مـقـبِّـلَ الـصـلـبَـانِ
واسـألْ ثـمـودَ وعـادَ بـل سَـلْ قـبـلَـهـمْ ... أعـداءَ نـوحٍ أمـةَ الـطُّـوفـانِ
واسـأل أبَـا الـجـنِّ الـلـعـيـنَ أتـعـرفُ الـ ... خـلاَّقَ أم أصـبـحـتَ ذا نُـكْـرانِ
واسـألْ شِـرارَ الـخـلـقِ أَغـلَـى أمـةٍ ... لُـوطِـيَّـةٍ هُـم نـاكِـحُـو الـذكْـرَان
واسـألْ كـذاكَ إمـامَ كـلِّ مُـعـطِّـلٍ ... فـرعـونَ مَـعْ قَـارُونَ مَـعْ هَـامَـانِ
هـل كـانَ فـيـهِـمْ مـنـكـرٌ لـلـخـالِـقِ الـرْ ... رَبِّ الـعـظـيـمِ مـكـوِّن الأكْـوانِ
فَـلْـيُـبْـشِـرُوا مـا فـيـهِـمُ مِـنْ كـافِـرٍ ... هـمْ عـنـدَ جَـهـمٍ كَـامِـلـو الإيـمـانِ



فصلٌ

وَقَـضَـى بـأنَّ الـلَّـهَ كـان مُـعـطَّـلاً ... والـفـعـلُ مُـمـتـنِـعٌ بِـلاَ إمْـكَـانِ
ثُـمَّ اسـتـحَـالَ وصَـارَ مـقـدوراً لَـهُ ... مـن غَـيْـرِ أمـرٍ قَـامَ بـالـدَّيـانِ
بـل حَـالُـهُ سُـبْـحَـانَـهُ فـي ذَاتِـه ... قـبْـلَ الـحُـدوثِ وبـعـدَهَـا سِـيَّـانِ
وَقَـضَـى بـأن الـنَّـارَ لـم تُـخـلـقْ ولا ... جـنـاتُ عـدنٍ بـلْ هُـمـا عَـدَمَـانِ
فـإذا هُـمَـا خُـلِـقَـا لـيـومِ مـعـادِنَـا ... فَـهُـمَـا عـلـى الأوقـاتِ فـانِـيـتَـانِ
وَتَـلـطَّـفَ الـعـلافُ مـن أتـبـاعِـهِ ... فـأتـى بـضِـحْـكـةِ جـاهـلٍ مَـجَّـانِ
قَـالَ الـفـنـاءُ يَـكـونُ فـي الـحـركـاتِ لاَ ... فـي الـذاتِ واعـجَـبـاً لِـذا الـهـذَيَـانِ
أيـصـيـرُ أهـلُ الـخـلـدِ فـي جـنَّـاتـهـمْ ... وجـحـيـمِـهِـمْ كـحـجـارةِ الـبُـنـيـانِ
مَـا حَـالُ مـنْ قَـدْ كَـانَ يَـغْـشَـى أهْـلَـهُ ... عـنـدَ انـقِـضَـاءِ تـحـرُّك الـحَـيَـوانِ
وَكَـذاكَ مَـا حَـالُ الَّـذي رفـعَـتْ يَـدَا ... هُ أكْـلَـةً مِـنْ صَـفْـحـةٍ وخِـوانِ
فَـتَـنَـاهـتِ الـحـركـاتُ قـبـلَ وصُـولـهـا ... لـلـفـمِّ عـنـدَ تـفـتُّـح الأسْـنَـانِ

وكـذاكَ مـا حـالُ الـذِي امـتـدت يَـدٌ مـنـهُ إلـى قـنـوٍ مـن الـقِـنْـوانِ
فتناهَتِ الحركاتُ قبلَ الأخْذ هلْ يـبـقَـى كـذلِـك سـائـرَ الأزْمَـانِ
تَـبّـاً لـهـاتِـيـكَ الـعـقـولِ فـإنـهـا والـلّـهِ قـد مُـسِـخَـتْ عـلـى الأبْدانِ
تبّاً لـمَـنْ أضْحَى يـقـدِّمُـهَـا عـلى الـ آثـارِ والأخـبَـار والـقُـرآنِ

* * *



فصلٌ

وَقَـضَـى بـأنَّ الـلَّـهَ يـجـعـل خـلـقَـهُ عَـدَمـاً ويـقْـلِـبُـه وُجُـوداً ثـانِ
الـعـرشُ والـكـرسِـيُّ والأرواحُ والْـ أمْـلاكُ والأفْـلاكُ والـقَـمـرَانِ
والأرضُ والبحرُ المحيطُ وسائرُ الْـ أكْـوانِ مـنْ عَـرَضٍ ومـنْ جُـثْـمَـانِ
كـلٌّ سَـيُـفْـنِـيهِ الـفـنَـاءَ الـمـحـضَ لاَ يَـبْـقَـى لـه أثـرٌ كَـظِـلٍّ فَـانِ
ويُـعِـيـدُ ذا الـمـعـدومَ أيـضـاً ثـانـيـاً مـحـضَ الـوجـودِ إعـادةً بـزمـانِ
هَـذَا الـمـعَـادُ وَذَلـكَ الـمـبـدَا لَـدَى جَـهْـمٍ وقـدْ نـسَـبُـوه لـلـقـرآن
هـذا الـذي قـادَ ابـنَ سِـيـنَـا والأُلَـى قـالـواْ مـقـالَـتَـه إلـى الـكُـفْـرانِ
لـم تَـقـبـلِ الأذهـانُ ذَا وتـوَهَّـمُـوا أنَّ الـرَّسُـولَ عَـنَـاهُ بـالإيـمـان
هَـذَا كِـتَـابُ الـلَّـهِ أنَّـى قَـالَ ذَا أوْ عـبـدُه الـمـبـعـوثُ بـالـبُـرْهَـانِ
أوْ صَـحـبُـه مـن بـعْـدِه أو تـابـعٌ لـهُـمُ عَـلـى الإيـمـانِ والإحْـسَـانِ
بَـلْ صـرّح الـوحْـيُ الـمـبـيـنُ بـأنّـهُ حـقّـاً مـغَـيِّـرُ هَـذِه الأكْـوانِ
فـيُـبَـدِّلُ الـلَّـهُ الـسَّـمَـٰواتِ الـعُـلَـى والأرضُ أيْـضـاً ذَاتُ تَـبْـدِيـلانِ
وهـمَا كتبْديل الجلود لساكِني النْـ نِـيـرانِ عـنـدَ الـنـضـجِ مـن نِـيـرَانِ
وكَـذَاكَ يـقـبـضُ أرضَـهُ وَسَـمَـاءَهُ بِـيـدَيْـهِ مـا الـعـدَمـانِ مَـقْـبُـوضَـانِ
وتُـحـدِّث الأرضُ الـتـي كُـنَّـا بـهـا أخـبـارَهـا فـي الـحـشْـرِ لـلـرحْـمٰـنِ
وتـظـلُّ تـشـهـدُ وهْـي عـدلٌ بـالـذي مـن فـوقِـهَـا قـد أحـدَث الـثّـقَـلانِ
أفَـيَـشْـهَـدُ الـعـدمُ الـذي هُـو كـاسْـمِـه لاَ شـيءَ هَـذَا لـيْـسَ فـي الإمـكـانِ
لَـكِـنْ تُـسَـوَّى ثـم تُـبْـسَـطُ ثـم تُـشْـ هَـدُ ثـم تُـبْـدَلُ وهْـي ذاتُ كَـيَـانِ

وتُـمـدُّ أيـضـاً مـثـلَ مـدِّ أدِيـمِـنَـا ... مِـن غـيـرِ أوْدِيَـةٍ ولا كُـثْـبَـانِ
وتَـقِـيءُ يَـومَ الـعـرضِ مـن أكْـبَـادِهَـا ... كـالأسْـطـوَانِ نـفـائـسَ الأثـمَـانِ
كـلٌّ يَـرَاهُ بِـعَـيْـنِـهِ وعِـيَـانِـهِ ... مَـا لامْـرِىءٍ بـالأخْـذِ مـنْـه يَـدانِ
وَكَـذَا الـجِـبَـالُ تُـفَـتُّ فـتّـاً مُـحْـكَـمـاً ... فَـتَـعـودُ مِـثْـلَ الـرمـلِ ذِي الـكُـثْـبـانِ
وتَـكُـونُ كَـالـعِـهْـنِ الَّـذِي أَلْـوَانُـهُ ... وَصِـبَـاغُـهُ مِـنْ سَـائِـرِ الألْـوَانِ
وتُـبَـسُّ بَـسّـاً مِـثْـلَ ذَاكَ فَـتَـنْـثَـنِـي ... مِـثْـلَ الـهَـبَـاءِ لِـنَـاظِـرِ الإنـسَـانِ
وَكَـذَا الـبِـحَـارُ فـإنَّـهـا مـسْـجُـورَةٌ ... قَـدْ فُـجِّـرتْ تَـفْـجِـيـر ذِي سُـلْـطـانِ
وَكَـذَلِـك الـقَـمَـرانِ يـأذَنُ ربُّـنَـا ... لـهُـمَـا فـيـجْـتَـمِـعَـانِ يـلـتَـقِـيَـانِ
هَـذِي مـكـوَّرَةٌ وَهَـذَا خَـاسِـفٌ ... وَكِـلاَهُـمَـا فِـي الـنَّـار مَـطْـروحَـانِ
وَكَـوَاكِـبُ الأفْـلاَكِ تُـنـثَـر كُـلُّـهَـا ... كَـلآلِـىءٍ نُـثِـرَتْ عَـلَـى مَـيْـدانِ
وكَـذا الـسَّـمَـاءُ تُـشَـقُّ شَـقّـاً ظَـاهِـراً ... وَتَـمُـورُ أَيْـضـاً أَيَّـمَـا مَـوَرَانِ
وتـصـيرُ بـعـدَ الإنـشِـقَـاقِ كـمـثْـلِ هـا ... ذَا الـمـهْـلِ أو تَـكُ وردةً كَـدِهَـانِ
والـعـرشُ والـكُـرسـيُّ لا يُـفْـنِـيـهِـمَـا ... أيْـضـاً وإنَّـهُـمـا لـمـخـلـوقَـانِ
والـحـورُ لا تَـفْـنَـى كَـذلِـكَ جَـنَّـةُ الْـ ... ـمـأوَى ومـا فِـيـهَـا مِـنَ الـولْـدَانِ
ولأَجْـلِ هَـذَا قَـالَ جَـهْـمٌ إنَّـهَـا ... عَـدَمٌ ولـمْ تُـخْـلَـقْ إلـى ذَا الآنِ
والأنـبـيـاءُ فـإنَّـهُـمْ تَـحْـتَ الـثَّـرَى ... أجْـسَـامُـهُـمْ حُـفِـظَـتْ مـنَ الـدِّيـدَانِ
مـا لِـلـبِـلَـى بِـلُـحُـومِـهِـمْ وجُـسُـومِـهِـمْ ... أبَـداً وَهُـمْ تَـحْـتَ الـتُّـرَابِ يَـدَانِ
وَكَـذاكَ عُـجْـبُ الـظَّـهْـرِ لاَ يَـبـلـى بَـلَـى ... مِـنْـهُ تـركَّـبُ خِـلْـقَـةُ الإنـسـانِ
وكَـذَلِـكَ الأرْوَاحُ لاَ تَـبْـلَـى كَـمَـا ... تَـبْـلَـى الـجُـسُـومُ ولاَ بِـلَـى الـلُّـحْـمَـانِ
ولأجْـل ذَلِـكَ لـم يـقـرّ الـجَـهْـمُ مَـا الْـ ... أرْوَاحُ خَـارِجَـةٌ عـنِ الأبْـدَانِ
لـكـنَّـهـا مِـنْ بَـعْـضِ أعـراضٍ بِـهَـا ... قَـامَـتْ وَذا فـي غَـايَـةِ الـبُـطْـلاَنِ
فـالـشَّـأنُ لـلأرواحِ بـعـدَ فِـراقِـهـا ... أبـدانَـهـا والـلَّـهِ أعـظـمُ شَـانِ
إمَّـا عَـذابٌ أوْ نَـعِـيـمٌ دَائِـمٌ ... قَـدْ نُـعِّـمـتْ بـالـرَّوحِ والـرَّيْـحَـانِ
وتـصـيـرُ طَـيْـراً سَـارِحـاً مـعْ شـكْـلِـهَـا ... تَـجْـنِـي الـثِّـمَـارَ بِـجَـنَّـةِ الـحَـيَـوانِ
وتَـظَـلُّ واردةً لأنْـهَـارٍ بِـهَـا ... حَـتَّـى تَـعُـودَ لِـذَلِـك الـجُـثْـمَـانِ

لَـكـنَّ أرْوَاحَ الَّـذِيـنَ اسْـتُـشْـهِـدُوا ... فِـي جَـوْفِ طَـيْـرٍ أَخْـضَـرٍ رَيَّـانِ
فَـلـهـم بـذَاكَ مـزيَّـةٌ فـي عَـيْـشِـهِـمْ ... وَنَـعِـيـمُـهـمْ لـلـرُّوحِ والأَبْـدانِ
بَـذَلُـوا الـجُـسُـومَ لـربِّـهـم فـأَعَـاضَـهُـمْ ... أجـسـامَ تـلـكَ الـطـيـرِ بـالإِحـسَـانِ
وَلـهَـا قَـنـاديـلٌ إِلَـيْـهَـا تَـنْـتَـهِـي ... مَـأْوىً لَـهَـا كـمـسَـاكِـنِ الإِنْـسَـانِ
فـالـرُّوحُ بـعـدَ الـمـوتِ أكـمـلُ حـالـةً ... مـنـهَـا بـهَـذِي الـدَّارِ فـي جُـثْـمَـانِ
وَعَـذَابُ أشـقَـاهَـا أشَـدُّ مـن الَّـذِي ... قَـدْ عـايَـنـتْ أبـصَـارُنَـا بـعِـيَـانِ
والـقـائـلُـونَ بـأنـهـا عَـرَضٌ أبَـوْا ... ذَا كـلَّـه تـبّـاً لِـذِي نُـكْـرانِ
وإذا أرَادَ الـلَّـهُ إخْـرَاجَ الـوَرَى ... بَـعْـدَ الْـمَـمَـات إِلَـى الـمـعـادِ الـثَّـانِـي
أَلـقَـى عـلـى الأرْضِ الـتـي هُـمْ تَـحـتَـهـا ... وَالـلَّـهُ مـقـتَـدِرٌ وذُو سُـلـطـانِ
مـطـراً غـلـيـظـاً أبـيـضـاً مـتـتـابـعـاً ... عَـشْـراً وعـشـراً بـعـدَهـا عَـشْـرَانِ
فـتـظـلُّ تَـنـبُـتُ مـنـهُ أجـسـامُ الـوَرَى ... وَلـحُـومـهُـمْ كـمـنـابِـتِ الـرَّيـحـانِ
حَـتَّـى إذَا مَـا الأمُّ حَـانَ وِلاَدُهَـا ... وتـمـخَّـضَـتْ فَـنِـفَـاسُـهَـا مُـتَـدَانِ
أَوْحَـى لـهـا ربُّ الـسَّـمـا فـتـشـقَّـقـتْ ... فَـبـدَا الـجَـنـيـنُ كـأكـمـلِ الـشُّـبَّـانِ
وتـخـلَّـتِ الأمُّ الـوَلـودُ وأخـرَجَـتْ ... أثـقَـالـهَـا أُنـثَـى ومِـنْ ذُكْـرَانِ
والـلَّـهُ يـنـشِـىءُ خَـلْـقَـهُ فِـي نَـشْـأةٍ ... أخْـرَى كَـمَـا قَـدْ قَـالَ فـي الـقُـرْآنِ
هَـذَا الَّـذِي جَـاءَ الـكـتـابُ وَسـنـةُ الـ ... ـهَـادِي بـهِ فـاحـرِصْ عَـلَـى الإِيـمَـانِ
مَـا قَـالَ إنَّ الـلَّـهَ يَـعْـدِمُ خَـلْـقَـهُ ... طـرّاً كَـقَـولِ الـجَـاهـلِ الـحـيـرانِ

❋ ❋ ❋



وَقَـضَـى بـأنَّ الـلَّـهَ لَـيْـسَ بـفَـاعـلٍ ... فـعْـلاً يَـقُـومُ بِـهِ بَـلا بُـرهَـانِ
بَـلْ فِـعْـلُـه الـمـفـعُـولُ خـارجُ ذاتِـهِ ... كَـالْـوَصْـفِ غير الـذَّاتِ في الـحُـسْـبانِ
وَالـجَـبْـرُ مَـذْهَـبُـهُ الَّـذِي قَـرَّتْ بـهِ ... عَـيْـنُ الـعُـصَـاةِ وشـيـعـةُ الـشَّـيـطـانِ
كـانُـوا عـلـى وَجَـلٍ مـن الـعِـصْـيـانِ ذا ... هـوَ فـعـلـهُـم والـذَّنـبُ لـلإِنـسَـان
والـلَّـوم لا يـعـدُوه إذ هـو فـاعِـلٌ ... بـإرادةٍ وَبـقُـدْرةِ الـحَـيَـوَانِ

فأراحَهُمْ جهمٌ وشيعتُهُ من اللْـ ـلَومِ العنيفِ ومَا قضوْا بأمَانِ
لكنَّهمْ حَمَلوا ذُنوبَهُمْ عَلَى رَبِّ العِبَادِ بعزَّةٍ وأمَانِ
وتبرَّؤوا منها وقالُوا إنَّهَا أفْعَالُهُ مَا حِيلَةُ الإنْسَانِ
مَا كلَّفَ الجبَّارُ نفساً وسْعَها أنَّى وَقَدْ جُبِرتْ عَلَى العِصْيَانِ
وَكَذا عَلَى الطَّاعاتِ أيضاً قَدْ غدتْ مَجبُورةً فَلَهَا إذاً جَبْرَانِ
وَالعَبْدُ في التَّحقيقِ شِبْهُ نَعَامَةٍ قَدْ كُلِّفتْ بالحَمْلِ وَالطَّيرَانِ
إذْ كَانَ صُورَتَها تَدُلُّ عَلَيْهِمَا هَذَا وَلَيْسَ لَهَا بذَاكَ يَدَانِ
فلِذَاكَ قَال بأنَّ طَاعَاتِ الوَرَى وَكَذَاكَ مَا فَعَلُوهُ منْ عِصْيانِ
هِيَ عَيْنُ فِعْلِ الربِّ لاَ أفْعَالُهُمْ فيصِحُّ عَنْهُمْ عِنْدَ ذَا نَفْيانِ
نَفْيٌ لِقُدْرتِهِمْ عَلَيْهَا أوَّلاً وَصدورُهَا مِنْهُمْ بِنَفْيٍ ثَانِ
فَيقالُ مَا صَامُوا ولاَ صَلُّوْا وَلاَ زَكَّوْا ولاَ ذَبَحُوا مِنَ القُرْبَانِ
وَكَذَاكَ مَا شرِبُوا ومَا قَتَلُوا وَمَا سَرَقُوا وَلاَ فِيهِمْ غَوِيٌّ زَانِ
وَكذاكَ لم يأتُوا اخْتِياراً مِنْهُمُ بالكُفرِ والإسْلامِ والإيمَانِ
إلاَّ عَلَى وجْهِ المجازِ لأنَّهَا قَامَتْ بِهِمْ كالطَّعْمِ والألْوَانِ
جُبِرُوا عَلَى ما شَاءَهُ خَلاَّقُهمْ مَا ثَمَّ ذُو عَوْنٍ وَغَيرِ مُعَانِ
الكلُّ مَجْبُورٌ وَغَيْرُ ميَسَّرٍ كَالمَيتِ أُدرِجَ داخلَ الأكْفَانِ
وَكَذَاكَ أفْعَالُ المهَيْمنِ لَمْ تَقُمْ أيضاً بِهِ خَوْفاً مِنَ الحَدَثَانِ
فَإذَا جَمَعْتَ مَقَالَتَيْهِ أنْتَجَا كِذْباً وزُوراً واضِحَ البُهْتَانِ
إذ لَيسَتِ الأفْعَالُ فِعْلَ إلهِنَا وَالرَبُّ لَيْسَ بِفَاعِلِ العِصْيَانِ
فَإذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الإلهِ وَفعْلُهُ وَكَلاَمُهُ وفعَائِلُ الإنْسَانِ
فَهُنَاكَ لاَ خَلْقٌ وَلاَ أمْرٌ وَلاَ وَحْيٌ وَلاَ تَكْلِيفُ عَبْدٍ فَانِ
وَقَضَى عَلَى أسْمَائِه بحدوثِهَا وبِخَلْقِهَا مِنْ جُمْلَةِ الأكْوَانِ
فَانظرْ إلَى تعطِيلهِ الأوْصَافَ وَالْـ أفْعَالَ وَالأسْمَاءَ للرَّحْمٰنِ
مَاذَا الذِي في ضِمْنِ ذا التَّعطِيل مِنْ نَفْيٍ ومنْ جَحدٍ ومنْ كُفْرَانِ
لَكنَّه أبْدَى المَقَالَةَ هَكَذَا فِي قَالَبِ التَّنْزِيهِ للرَّحمٰنِ

وأتى إلى الكفرِ العَظِيمِ فصَاغَهُ ... عِجلاً ليفتِنَ أمةَ الثِّيرَانِ
وَكَسَاهُ أنوَاعَ الجواهِرِ والحِلَى ... مِنْ لؤلؤٍ صَافٍ ومِنْ عِقْيانِ
فرآه ثيرانُ الوَرَى فأصَابَهُمْ ... كَمُصَابِ إخْوَتِهِمْ قَدِيمَ زَمَانِ
عِجلاَنِ قَدْ فَتَنَا العِبَادَ بصوْتِهِ ... إحْدَاهُمَا وبحرفِهِ ذَا الثَّانِي
والنَّاسُ أكثرُهُم فأهْلُ ظَوَاهِرٍ ... تَبْدُو لَهمْ ليْسُوا بأهْلِ مَعَانِ
فهُمُ القشُورُ وبالقشورِ قِوَامُهُمْ ... وَاللُّبُّ حظُّ خُلاَصَةِ الإنْسَانِ
وَلِذَا تقسَّمَتِ الطوَائِفُ قوْلَه ... وتوارَثُوهُ إرْثَ ذِي السُّهْمَانِ
لَمْ يَنْجُ مِنْ أقوَالِه طرّاً سِوَى ... أهْلِ الحَدِيثِ وشِيعَةِ القرآنِ
فتبرَّؤوا منهَا براءة حَيْدَرٍ ... وَبَرَاءة المَوْلُود من عُثْمَانِ
مِنْ كُلِّ شِيعِيٍّ خَبِيثٍ وَصْفُهُ ... وَصْفُ اليهُودِ مُحَلِّلِي الحِيتَانِ



فصلٌ

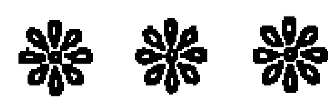
في مقدمةٍ نافعةٍ قبلَ التَّحكيمِ

يَاأيُّهَا الرَّجُلُ المريدُ نَجَاتَهُ ... إسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ مِعْوَانِ
كُنْ في أمورِك كلِّها متمسِّكاً ... بالوَحي لاَ بزخَارفِ الهَذيَانِ
وَانْصُرْ كِتَابَ اللَّهِ والسُّنَنَ الَّتي ... جَاءتْ عَنِ المبْعُوثِ بالفُرْقَانِ
واضربْ بسيفِ الوحْيِ كلَّ مُعَطِّلٍ ... ضَرْبَ المجاهِدِ فوْقَ كُلِّ بَنَانِ
واحمِلْ بعزْمِ الصِّدْقِ حملة مُخْلِصٍ ... متجرِّدٍ لِلَّه غيْرِ جَبَانِ
وَاثبتْ بصبرِكَ تَحْتَ ألوِيَة الهُدَى ... فإذَا أصبْتَ فَفِي رضَا الرَّحمٰنِ
واجْعَل كِتَابَ اللَّهِ والسُّنَنَ الَّتِي ... ثبتَتْ سِلاَحَكَ ثمَّ صِحْ بجِنَانِ
مَنْ ذَا يبارِزُ فليقدِّمْ نفسَهُ ... أوْ مَنْ يسَابِقْ يَبْدُ فِي المَيْدَانِ
واصدَعْ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ وَلاَ تَخَفْ ... مِنْ قِلَّةِ الأنْصَارِ وَالأعْوَانِ
فاللَّه نَاصرُ دينِهِ وكتَابِهِ ... واللَّهُ كَافٍ عَبْدَه بأمَانِ
لاَ تخشَ مِن كَيْدِ العدُوِّ ومكرِهِمْ ... فقتَالُهُمْ بالكذْبِ والبُهْتَانِ

فـجُـنـودُ أتْـبَـاعِ الـرَّسُـولِ مـلائِـكٌ وَجـنـودُهُـمْ فـعَـسَـاكِـرُ الـشَّـيْـطَـانِ
شَتَّانَ بَيْنَ العسْكَرينِ فَمَن يَكُنْ مُـتـحَـيِّـراً فَـلْـيـنـظـرِ الـفـئَـتَـانِ
واثبُتْ وقَاتِلْ تحتَ رَاياتِ الهُدى واصـبِـرْ فـنـصـرُ الـلَّـه ربِّـك دَانِ
وَاذْكُرْ مقاتلَهُمْ لفرسَانِ الهدَى لـلَّـه دَرُّ مـقَـاتِـلِ الـفـرسَـانِ
وادرأْ بلفظِ النَّصِّ فِي نَحرِ العِدا وارجُـمْـهُـمْ بـثَـواقِـبِ الـشُّـهْـبَـانِ
لاَ تَخشَ كَثْرَتَهُم فهمْ همجُ الورَى وذُبَـابُـهُ أتَـخَـافُ مِـنْ ذِبَّـانِ
واشْغَلْهُمْ عندَ الجِدَالِ ببعْضِهِمْ بـعـضـاً فَـذَاكَ الْـحَـزْمُ لـلْـفُـرسَـانِ
وإِذا هُمُ حَمَلُوا عَلَيْكَ فَلاَ تَكُنْ فَـزعـاً لـحَـمْـلَـتِـهِـمْ وَلاَ بـجَـبَـانِ
وَاثْبتْ وَلاَ تحمِلْ بِلاَ جنْدٍ فَما هَـذَا بـمَـحْـمُـودٍ لـدَى الـشُّـجْـعَـانِ
فـإِذَا رأيتَ عِصَابَةَ الإِسْلام قَدْ وَافَـتْ عـسَـاكِـرُهَـا مَـعَ الـسُّـلْـطَـانِ
فهنَاكَ فاخْتَرِقِ الصُّفُوفَ وَلاَ تَكُنْ بـالـعَـاجِـزِ الـوَانِـي وَلاَ الـفَـزْعَـانِ
وتعرَّ منْ ثوبَيْنِ مَنْ يلبسْهُما يَـلْـقَ الـرَّدَى بـمَـذَمَّـةٍ وهَـوَانِ
ثوبٌ من الجهْلِ المركَّب فَوْقَهُ ثَـوبُ الـتـعَـصُّـب بـئْـسَـتِ الـثـوبَـانِ
وتحلَّ بالإِنصَافِ أفْخرِ حلَّةٍ زِيـنَـتْ بـهَـا الأعـطـافُ والـكَـتِـفَـانِ
واجعَلْ شعارَكَ خشيةَ الرَّحمٰنِ مَعْ نُـصْـحِ الـرَّسُـول فـحـبَّـذا الأمْـرَانِ
وتمسَّكَنَّ بِحَبْلِهِ وَبِوَحْيِهِ وتـوكَّـلَـنَّ حَـقـيـقَـةَ الـتُّـكْـلاَنِ
فالحَقُّ وَصْفُ الربِّ وهوَ صِراطُهُ الـ هَـادِي إِلَـيْـهِ لـصَـاحِـبِ الإِيـمَـانِ
وهُوَ الصِّراطُ عَلَيْهِ رَبُّ العَرْشِ أَيْـ ـضـاً وَذَا قَـدْ جَـاءَ فِـي الْـقُـرْآنِ
والحَقُّ منْصُورٌ ومُمْتَحَنٌ فَلاَ تَـعْـجَـبْ فـهَـذِي سُـنَّـةُ الـرَّحْـمٰـنِ
وَبِذَاكَ يَظْهَرُ حِزْبُهُ مِنْ حَزْبِهِ وَلأجْـلِ ذَاكَ الـنَّـاسُ طَـائِـفَـتَـانِ
ولأجلِ ذَاكَ الحربُ بَيْنَ الرُّسْلِ وَالْـ ـكُـفَّـارِ مُـذْ قَـامَ الـوَرَى سـجْـلانِ
لكنَّما العُقْبَى لأهْلِ الحَقِّ إنْ فَـاتَـتْ هُـنَـا كَـانَـتْ لَـدَى الـدَّيَّـانِ
واجعَلْ لقلْبكَ هِجْرَتَينِ وَلاَ تَنَمْ فـهُـمَـا عَـلَـى كـلِّ امْـرِئٍ فَـرْضَـانِ
فالهِجْرةُ الأولى إِلَى الرَّحمنِ بالْـ إِخْـلاَصِ فِـي سِـرٍّ وفِـي إعْـلاَنِ
فالقصدُ وجهُ اللَّه بالأقْوَالِ والْـ أعْـمَـالِ والـطَّـاعَـاتِ والـشُّـكْـرَانِ

فبذاكَ ينجُو العبْدُ منْ إشْراكِهِ ... ويصيرُ حقّاً عَابدَ الرَّحْمٰنِ
والهجرةُ الأخْرَى إلى المبعوثِ بالـ ... حَقِّ المُبينِ وواضحِ البرْهَانِ
فيدورُ معْ قَوْلِ الرَّسُولِ وفعْلِه ... نفياً وإثباتاً بِلاَ رَوَغانِ
ويحكِّمُ الوحيَ المُبينَ عَلى الَّذِي ... قَالَ الشّيُوخُ فعنْدَهُ حُكْمَانِ
لاَ يحْكُمانِ بباطِلٍ أبداً وكلُّـ ... ـلُ العدلِ قَدْ جَاءتْ بِهِ الحُكْمانِ
وهُما كِتَابُ اللّه أعْدلُ حاكمٍ ... فِيهِ الشّفا وهدايةُ الحيْرَانِ
والحَاكِمُ الثَّانِي كَلاَمُ رسولِهِ ... مَا ثَمَّ غيْرُهُمَا لِذي إيمَانِ
فإذا دَعَوْكَ لغَيرِ حُكمِهِمَا فَلا ... سَمْعاً لِدَاعِي الكُفْرِ والعِصْيانِ
قُلْ لاَ كرامةَ لاَ وَلاَ نُعْمَى وَلاَ ... طَوْعاً لِمنْ يَدْعُو إلَى طُغْيَانِ
وإذا دُعيتَ إلَى الرَّسُولِ فَقلْ لهُمْ ... سمعاً وطوعاً لسْتُ ذَا عِصْيانِ
وإذا تكَاثرتِ الخصُومُ وصيَّحُوا ... فاثبتْ فصيْحَتُهُمْ كمثْلِ دُخَانِ
يَرْقَى إلَى الأوْجِ الرَّفِيع وَبعْدَه ... يَهوِي إلَى قَعْرِ الحَضِيضِ الدَّانِي
هَذَا وَإنَّ قِتَالَ حِزْبِ اللّه بالْـ ... أعْمَالِ لاَ بكتَائِبِ الشُّجْعَانِ
واللّهِ مَا فتَحُوا البلاَدَ بكثرةٍ ... أنَّى وأعدَاهُمْ بِلاَ حُسْبَانِ
وَكَذَاكَ مَا فَتحُوا القلوبَ بهذِهِ الْـ ... آراءِ بَلْ بالعلْمِ والإيمَانِ
وشجَاعَةُ الفرْسَانِ نفس الزُّهْدِ في ... نَفْسٍ وذَا مَحْذُورُ كلِّ جَبَانِ
وشجَاعَةُ الحُكامِ والعُلَماءِ زُهْـ ... ـدٌ فِي الثَّنَا مِنْ كلِّ ذِي بُطلاَنِ
فإذا هُما اجْتَمعَا لقلْبٍ صَادِقٍ ... شُدَّتْ ركائبُهُ إلَى الرَّحمٰنِ
واقصِد إلَى الأقْرَانِ لاَ أطْرَافِهَا ... فالعزُّ تَحْتَ مَقَاتِلِ الأقْرانِ
واسمَعْ نصيحة منْ لهُ خبرٌ بمَا ... عنْدَ الوَرَى منْ كثْرَة الجَوَلاَنِ
مَا عِنْدَهُمْ واللّهِ خَيْرٌ غيرَ مَا ... أخَذُوهُ عمَّنْ جَاءَ بالقُرآنِ
والكلُّ بعْدُ فبِدْعةٌ أو فِرْيةٌ ... أوْ بحْثُ تشكِيكٍ ورأيُ فُلاَنِ
فاصْدَع بأمرِ اللّهِ لاَ تَخْشَ الوَرَى ... فِي اللّه واخْشَاهُ تفزْ بأمَانِ
واهجُرْ وَلَوْ كُلَّ الوَرَى فِي ذاتِهِ ... لاَ فِي هَوَاك ونَخْوَةِ الشَّيْطَانِ
واصْبرْ بغيْرِ تسخُّطٍ وَشِكَايَةٍ ... واصفَحْ بغيْرِ عِتَابِ مَنْ هُوَ جَانِ

واهجُرهُمُ الهجرَ الجميلَ بِلاَ أذىً ... إنْ لَمْ يكنْ بدٌّ مِنَ الهِجْرانِ
وانظُرْ إلَى الأقدَارِ جَارِيَةً بِمَا ... قَدْ شَاءَ مِنْ غيٍّ وَمنْ إيمَانِ
واجعَلْ لقلْبِكَ مُقْلَتينِ كِلاَهُمَا ... بالحَقِّ فِي ذَا الخَلْقِ نَاظِرتَانِ
فانظُرْ بعينِ الحُكْمِ وارحَمْهُم بِهَا ... إذْ لاَ تُردُّ مشيئَةُ الدَّيَّانِ
وانظُرْ بعينِ الأمرِ واحملْهُمْ عَلَى ... أحْكَامِهِ فَهُمَا إذاً نَظَرانِ
واجْعَلْ لوجْهِكَ مُقْلَتينِ كِلاَهُمَا ... مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمٰنِ بَاكِيَتَانِ
لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ أيْضاً مِثْلَهُمْ ... فالقلْبُ بَيْنَ أصَابعِ الرَّحْمٰنِ
واحذَرْ كمائنَ نفسِكَ اللاَّتي مَتَى ... خرجتْ عَلَيْكَ كُسِرتَ كسرَ مُهَانِ
وإذَا انْتصَرْتَ لَهَا فأنْتَ كَمَنْ بَغَى ... طَفْيَ الدُّخَانِ بموقِدِ النِّيرانِ
والله أخْبَرَ وهوَ أصْدَقُ قَائِلٍ ... أنْ سَوْفَ يَنْصرُ عَبْدَهُ بأمَانِ
مَنْ يَعملِ السُّوءَى سَيُجْزَى مِثْلَهَا ... أوْ يَعْمَلِ الحسْنَى يفُزْ بجِنَانِ
هَذِي وصيةُ نَاصحٍ ولنفْسِهِ ... وَصَّى وبعْدُ سَائِرَ الإخْوَانِ



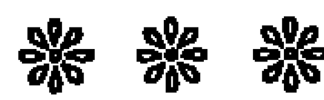
فصلٌ

وهذا أوَّلُ عقدِ مجلسِ التَّحكيمِ

فاجلِسْ إذاً فِي مجلِسِ الحَكَمَيْنِ للرَّ ... رَحمٰنِ لاَ للنَّفْسِ والشَّيْطَانِ
الأول النقلُ الصحيحُ وَبعْدَهُ الـ ... عَقْلُ الصَّريحُ وفطرةُ الرَّحمٰنِ
واحكُمْ إذاً فِي رُفْقَةٍ قَدْ سَافَرُوا ... يبغُونَ فاطِرَ هَذِهِ الأكْوَانِ
فترافَقُوا فِي سَيْرِهِمْ وتَفَارَقُوا ... عِنْدَ افتراقِ الطُّرْقِ بالحَيْرانِ
فأتَى فريقٌ ثُمَّ قَالَ وجدْتُهُ ... هَذَا الوجودُ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ
مَا ثَمَّ موجودٌ سِوَاهُ وإنَّمَا ... غَلِطَ اللِّسَانُ فقالَ موجُودَانِ
فهْوَ السَّماءُ بعينِهَا ونجُومِهَا ... وَكَذَلِكَ الأفْلاَكُ والقَمَرانِ
وَهُوَ الغَمَامُ بِعَيْنِهِ والثلجُ والْـ ... أمطَارُ مع بردٍ ومع حُسْبَانِ
وَهُوَ الْهَوَاءُ بِعَيْنِهِ وَالمَاءُ وَالتُّـ ... ـرْبُ الثَّقيلُ وَنَفْسُ ذِي النِّيرَانِ

هَذِي بسائطُه ومنه تركَّبتْ   هَذِي المظاهِرُ مَا هنا شَيْئَان
وَهْو الفَقِيرُ لَهَا لأجْلِ ظهُورِهِ   فِيهَا كفقْرِ الرُّوحِ للأبْدَانِ
وهْي الَّتي افْتَقرتْ إلَيْهِ لأنه   هُوَ ذاتُهَا ووجودُهَا الحقَّانِي
وتَظَلُّ تلبسهُ وتخلعُه وذَا الْـ   إيجادُ والإعدَامُ كلَّ أوَانِ
ويظلُّ يلبسُهَا ويَخلعُهَا وَذَا   حُكْمُ المظاهِرِ كي يَرَى بِعيَانِ
وتكثُّرُ الموجودَ كالأعضاءِ في الْـ   مَحْسُوسِ من بشرٍ ومنْ حَيَوانِ
أوْ كالقُوَى فِي النَّفْسِ ذَلِك وَاحدٌ   متكثِّرٌ قَامتْ بِهِ الأمْرَانِ
فَيَكُونُ كُلاً هَذِه أجزَاؤُه   هَذِي مقالَةُ مُدَّعي العِرْفَانِ
أوْ أنَّهَا لتكثُّر الأنواع فِي   جِنْسٍ كمَا قَالَ الفريقُ الثَّانِي
فَيكُونُ كلِّيّاً وجزئيَّاتُهُ   هَذَا الوجُودُ فهذِهِ قَوْلاَنِ
إحْدَاهُمَا نصُّ الفُصُوصِ وبَعْدَهُ   قَوْلُ ابن سَبْعِينٍ وَمَا القَوْلاَنِ
عِنْدَ العَفِيفِ التِّلمسَانِيِّ الَّذِي   هُوَ غَايةٌ فِي الكُفْرِ وَالبُهْتَانِ
إلاَّ مِن الأغْلاَطِ فِي حسٍّ وَفِي   وَهْم وَتِلْكَ طَبِيعَةُ الإنسَانِ
والكلُّ شَيءٌ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ   مَا لِلتَّعدُّدِ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِ
فَالضَّيْفُ والمأكُولُ شَيءٌ وَاحِدٌ   والوَهْمُ يُحْسَبُ هَاهُنَا شَيْئَانِ
وكَذَلِكَ الموطُوءُ عَيْنُ الوَطْءِ وَالْـ   وَهْمُ البعِيدُ يَقُولُ ذَا إثْنَانِ
ولرُبَّمَا قَالاَ مَقَالَتَهُ كَمَا   قَدْ قَالَ قَوْلَهُمَا بِلاَ فُرْقَانِ
وأبَى سِوَاهُمْ ذَا وَقَالَ مَظَاهِرٌ   تجلُوهُ ذَاتُ توحُّدٍ ومَثَانِ
فَالظَّاهِرُ المجلوُّ شَيءٌ وَاحِدٌ   لَكِنْ مَظَاهِرُهُ بِلاَ حُسْبَانِ
هَذِي عِبَارَاتٌ لَهُم مَضْمُونُهَا   مَا ثَمَّ غَيْرٌ قَطُّ فِي الأعْيَانِ
فَالقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنْ إنْسٍ وَلاَ   جِنٍّ وَلاَ شَجَرٍ وَلاَ حَيَوَانِ
كَلاَّ وَلاَ عُلْوٍ وَلاَ سُفْلٍ وَلاَ   وَادٍ وَلاَ جَبَلٍ وَلاَ كُثْبَانِ
كَلاَّ وَلاَ طَعْمٍ وَلاَ رِيحٍ وَلاَ   صَوْتٍ وَلاَ لَوْنٍ مِن الألْوَانِ
لكنَّهُ المطْعُومُ والمَلْبُوسُ وَالْـ   مَشْمُومُ وَالمَسْمُوعُ بالآذَانِ
وَكذَاكَ قَالُوا إنَّهُ المنْكُوحُ وَالْـ   مَذْبوحُ بَلْ عَيْنُ الغَوِيِّ الزَّانِي

والكُفْرُ عِنْدَهُمْ هُدىً وَلَو انَّهُ ... دِينُ المجُوسِ وعَابِدِي الأَوْثَانِ
قَالُوا وَمَا عَبَدُوا سِوَاهُ وإنَّمَا ... ضَلُّوا بِمَا خَصُّوا مِنَ الأعْيَانِ
وَلَوْ انَّهُمْ عَمُّوا وَقَالُوا كلُّهَا ... مَعْبُودَةٌ مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ
فالكُفْرُ سَتْرُ حَقِيقَةِ المَعْبُودِ بالتْـ ... ـتَخْصِيص عِنْدَ مُحَقِّقٍ رَبَّانِي
قَالُوا وَلَمْ يَكُ كافِراً فِي قَوْلِهِ ... أنا رَبُّكُم فِرْعَوْنُ ذُو الطغْيَانِ
بَلْ كَانَ حَقاً قَوْلُه إذْ كَانَ عَيْـ ... ـنَ الحَقُّ مضْطَلِعاً بِهَذَا الشَّانِ
وَلِذَا غَدَا تَطْهِيرُهُ فِي البَحْرِ تَطْـ ... ـهِيراً مِنَ الأَوْهَام والحُسْبَانِ
قَالُوا وَلَمْ يَكُ مُنْكِراً مُوسَى لِمَا ... عَبَدُوهُ مِنْ عِجْلٍ لِذِي الخَوْرَانِ
إلاَّ عَلَى مَنْ كَانَ لَيْسَ بعَابِدٍ ... مَعَهُمْ وأصْبحَ ضَيِّقَ الأعْطَانِ
وَلِذَاكَ جَرَّ بِلحْيَةِ الأخِ حَيْثُ لَمْ ... يَكُ وَاسِعاً فِي قَوْمِهِ لبِطَانِ
بَلْ فَرَّقَ الإنكَارَ مِنْهُ بَيْنَهُمْ ... لَمَّا سَرَى فِي وَهْمِهِ غَيْرَانِ
وَلَقدْ رَأى إبلِيسَ عَارِفُهُمْ فأَهْـ ... ـوَى بالسُّجُودِ هُوِيَّ ذِي خُضْعَانِ
قَالُوا لَهُ مَاذا صَنَعْتَ فَقَالَ هَلْ ... غَيْرُ الإلهِ وأنْتُمَا عِمْيَانِ
مَا ثَمَّ غيرٌ فاسْجُدُوا إنْ شِئْتُمُ ... للشَّمْسِ والأصْنَامِ والشَّيْطَانِ
فالكُلُّ عَينُ اللَّهِ عِنْدَ مُحَقِّقٍ ... والكُلُّ مَعْبُودٌ لِذِي عِرْفَانِ
هَذَا هُوَ المَعْبُودُ عِنْدَهُمُ فقُلْ ... سبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ
يا أمَّةً مَعْبودُهَا مَوطُوؤهَا ... أيْنَ الإلهُ وثُغْرَةُ الطعَّانِ
يا أمَّةً قَدْ صَارَ مِنْ كُفْرَانِهَا ... جُزْءٌ يُسَيِّرُ جُمْلَةَ الكُفْرَانِ



فصلٌ

في قدومِ ركبٍ آخرَ

وأتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ وَجَدْتُهُ ... بالذَّاتِ مَوْجُوداً بِكُلِّ مَكَانِ
هُوَ كالهَوَاءِ بِعَيْنِهِ لا عَيْنُهُ ... مَلأَ الخَلاءَ وَلاَ يُرَى بِعِيَانِ
والقَوْمُ مَا صَانُوهُ عن بِئْرٍ وَلاَ ... قَبْرٍ وَلاَ حُشٍّ وَلاَ أعْطَانِ

بَلْ مِنْهُمُ مَنْ قَدْ رَأَى تَشْبِيهَهُ ... بِالرُّوحِ دَاخِلَ هَذِهِ الأَبْدَانِ
مَا فِيهِمُ مَنْ قَالَ لَيْسَ بِدَاخِلٍ ... أَوْ خَارِجٍ عَنْ جُمْلَةِ الأَكْوَانِ
لَكِنَّهُمْ حَامُوا عَلَى هَذَا وَلَمْ ... يَتَجَاسَرُوا مِنْ عَسْكَرِ الإِيمَانِ
وَعَلَيْهِمُ رَدَّ الأَئِمَّةُ أَحْمَدٌ ... وَصِحَابُهُ مِنْ كُلِّ ذِي عِرْفَانِ
فَهُمُ الخُصُومُ لِكُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ ... وَهُمُ الخُصُومُ لِمُنْزِلِ القُرْآنِ
وَلَهُمْ مَقَالاَتٌ ذَكَرْتُ أُصُولَهَا ... لَمَّا ذَكَرْتُ الجَهْمَ فِي الأَوْزَانِ



فصلٌ
في قدومِ ركبٍ آخرَ

وَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَارَبَ وَصْفَهُ ... هَذَا وَلَكِنْ جَدَّ فِي الكُفْرَانِ
فَأَسَرَّ قَوْلَ مُعَطِّلٍ وَمُكَذِّبٍ ... فِي قَالَبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمٰنِ
إِذْ قَالَ لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلاَ ... هُوَ خَارِجٌ عَنْ جُمْلَةِ الأَكْوَانِ
بَلْ قَالَ لَيْسَ بِبَائِنٍ عَنْهَا وَلاَ ... فِيهَا وَلاَ هُوَ عَيْنُهَا بِبَيَانِ
كَلاَّ وَلاَ فَوقَ السَّمٰوَاتِ العُلَى ... والعَرْشِ مِنْ رَبٍّ وَلاَ رَحْمٰنِ
والعَرْشُ لَيْسَ عليهِ معبُودٌ سِوَى الْـ ... ـعَدَمِ الَّذِي لاَ شَيْءَ فِي الأَعْيَانِ
بَلْ حَظُّهُ مِنْ رَبِّهِ حَظُّ الثَّرَى ... مِنْهُ وحَظُّ قَوَاعِدِ البُنْيَانِ
لَوْ كَانَ فَوْقَ العَرْشِ كَانَ كَهَذِهِ الْـ ... أَجْسَامِ سُبْحَانَ العَظِيمِ الشَّانِ
وَلَقَدْ وَجَدْتُ لِفَاضِلٍ مِنْهُمْ مَقَا ... مًا قَامَهُ فِي النَّاسِ مُنْذُ زَمَانِ
قَالَ اسْمَعُوا يَا قَوْمُ إِنَّ نَبِيَّكُمْ ... قَدْ قَالَ قَوْلاً وَاضِحَ البُرْهَانِ
لاَ تُخَيِّرُوا بالفَضْلِ لِي أَصْلاً عَلَى ... ذِي النُّونِ يُونُسَ ذَلِكَ الغَضْبَانِ
هَذَا يَرُدُّ عَلَى المُجَسِّمِ قَوْلَهُ ... أَللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ والأَكْوَانِ
وَيَدُلُّ أَنَّ إِلٰهَنَا سُبْحَانَهُ ... وَبِحَمْدِهِ يُلْفَى بِكُلِّ مَكَانِ
قَالُوا لَهُ بَيِّنْ لَنَا هَذَا فَلَمْ ... يَفْعَلْ فَأَعْطَوْهُ مِنَ الأَثْمَانِ
أَلْفاً مِنَ الذَّهَبِ العَتِيقِ فَقَالَ فِي ... تِبْيَانِهِ فَاسْمَعْ لِذَا التِّبْيَانِ

قَدْ كَانَ يُونُسُ في قرارِ البَحْرِ تَحْـ   ـتَ المَاءِ فِي قَبْرٍ مِنَ الحِيتَانِ
ومحَمَّدٌ صَعِدَ السَّمَاءَ وجَاوَزَ السَّـ   ـبْعَ الطِّبَاقَ وَجَازَ كُلَّ عَنَانِ
وَكِلاَهُمَا فِي قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ   سُبْحَانَهُ إِذْ ذَاكَ مُسْتَوِيَانِ
فالعُلْوُ والسُّفْلُ اللذانِ كِلاَهُمَا   فِي بُعْدِهِ مِنْ ضِدِّه طَرَفَانِ
إنْ يُنْسَبَا لِلَّهِ نُزِّهَ عَنْهُمَا   بالإخْتِصَاصِ بَلَى هُمَا سِيَّانِ
فِي قُربِ مَنْ أضحَى مُقيماً فِيهِمَا   مِنْ رَبِّهِ فكِلاَهُمَا مِثْلاَنِ
فَلأَجْلِ هَذَا خَصَّ يُونُسَ دُونَهُمْ   بالذكْرِ تَحْقِيقاً لِهَذَا الشَّانِ
فأَتَى الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أصْحَابِهِ   مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِلاَ حُسْبَانِ
فاحْمَدْ إِلٰهَكَ أيُّهَا السُّنيُّ إِذْ   عَافَاكَ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي بُهْتَانِ
واللَّهِ مَا يَرْضَى بهَذا خَائِفٌ   مِنْ رَبِّهِ أَمْسَى عَلَى الإِيمَانِ
هَذَا هُوَ الإِلْحَادُ حقاً بَلْ هُوَ التَّـ   ـحْرِيفُ محْضاً أبردَ الهذَيَانِ
واللَّهِ مَا بُلِيَ المجسِّمُ قطُّ ذِي الْـ   ـبَلْوَى وَلاَ أَمْسَى بِذِي الخِذْلاَنِ
أمثَالُ ذَا التَّأويلِ أفْسَدَ هَذِهِ الْـ   أَدْيَانَ حِينَ سَرَى إلَى الأَدْيَانِ
واللَّهِ لَوْلاَ اللَّهُ حَافِظُ دِينِهِ   لتهدَّمتْ منْهُ قُوَى البُنْيَانِ



فصلٌ

في قدومِ ركبٍ آخرَ

وأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَارَبَ وَصْفَهُ   هَذَا وَزَادَ عَلَيْهِ فِي المِيزَانِ
قَالَ اسْمَعُوا يَا قَوْمُ لاَ تُلهِيكُمُ   هَذِي الأمَانِي هُنَّ شَرُّ أَمَانِي
أتعبْتُ رَاحِلَتِي وَكَلَّتْ مُهْجَتِي   وبذلْتُ مَجهُودِي وقدْ أعْيَانِي
فتَّشْتُ فَوْقَ وتحتَ ثُمَّ أمَامَنَا   وَوَرَاءَ ثُمَّ يَسَار مَعْ أَيْمَانِ
مَا دلَّنِي أحَدٌ عَلَيْهِ هُنَاكُمُ   كَلاَّ وَلاَ بَشَرٌ إِلَيْهِ هَدَانِي
إلاَّ طَوَائِفُ بالحَدِيث تَمسَّكَتْ   تُعزَى مذاهِبُهَا إلَى القُرْآنِ
قَالُوا الَّذِي تَبْغِيهِ فَوْقَ عِبَادِهِ   فَوقَ السَّمَاءِ وفَوقَ كُلِّ مَكَانِ

وَهو الَّذِي حَقّاً عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى لـكـنَّـهُ اسْـتَـوْلَـى عَـلَـى الأكْـوَانِ
وإلَـيْـهِ يَـصْـعَـدُ كُـلُّ قَـوْلٍ طـيِّـبٍ وإلَـيْـهِ يُـرْفَـعُ سَـعْـيُ ذِي الـشُّـكْـرَانِ
والـرُّوحُ والأمـلاَكُ مِـنْـهُ تَـنَـزَّلَـتْ وإلَـيْـهِ تَـعْـرُجُ عِـنْـدَ كُـلِّ أوَانِ
وإلَـيْـهِ أيـدِي الـسَّـائِـلِـينَ تـوجَّـهَـتْ نَـحْـوَ الـعُـلُـوِّ بـفـطْـرَةِ الـرَّحْـمٰـنِ
وإلَـيْـهِ قَـدْ عَـرجَ الـرسـولُ فـقُـدِّرَتْ مِـنْ قُـرْبِـه مِـنْ رَبِّـهِ قَـوْسَـانِ
وإلَـيْـهِ قـد رُفِـعَ الـمـسِـيـحُ حـقِـيـقَـةً ولـسَـوْفَ يَـنْـزِلُ كَـيْ يُـرَى بـعِـيَـانِ
وإلَـيْـهِ تـصْـعَـدُ روحُ كـلِّ مُـصَـدِّقٍ عِـنْـدَ الـمـمَـاتِ فـتـنْـثَـنِـي بـأمَـانِ
وإلَـيْـهِ آمَـالُ الـعِـبَـادِ تـوجَّـهَـتْ نَـحْـوَ الـعُـلُـوِّ بِـلاَ تَـواصٍ ثَـانِ
بَـلْ فِـطْـرَةَ الـلَّـهِ الَّـتـي لَـمْ يُـفْـطَـرُوا إلاَّ عَـلَـيْـهَـا الـخَـلْـقُ وَالـثَّـقَـلاَنِ
ونـظِـيـرُ هَـذَا أنَّـهُـمْ فُـطِـرُوا عَـلَـى إقْـرَارِهِـمْ لاَ شَـكَّ بـالـدَّيَّـانِ
لَكِنْ أولُو التَّعْطِيلِ مِنهُمْ أصْبَحُوا مَـرْضَـى بِـدَاءِ الـجَـهْـلِ وَالـخُـذْلاَنِ
فَـسَـأَلـت عـنْـهُـم رفـقـتـي وأحـبـتـي أصْـحـاب جَـهْـم حزبَ جِـنْـكِـزْ خَـانِ
مَـنْ هـؤلاءِ وَمَـنْ يـقَـالُ لـهـمُ فـقَـدْ جَـاؤوا بـأمْـرٍ مَـالِـىءِ الآذانِ
وَلـهـمْ عـلَـيْـنَـا صَـولـةٌ مَـا صَـالـهَـا ذُو بَـاطـلٍ بَـلْ صَـاحـبُ الـبُـرْهَـانِ
أوَ مَـا سـمـعْـتـمْ قَـوْلَـهـمْ وَكَـلامَـهُـم مـثْـلَ الـصـواعِـقِ لَـيْـسَ ذَا لِـجـبـان
جَـاؤوكُـمُ مِـنْ فـوقِـكُـمْ وأتـيـتـمـو مِـنْ تـحـتـهـمْ مَـا أنْـتـمُ سِـيَّـانِ
جَـاؤوكُـمُ بـالـوَحْـي لـكـنْ جِـئْـتـمُ بـنُـحَـاتَـةِ الأفْـكَـارِ والأذْهَـانِ
قَـالُـوا مُـشَـبِّـهَـةٌ مـجَـسِّـمَـةٌ فَـلاَ تَـسْـمَـعْ مَـقَـالَ مُـجَـسِّـمٍ حَـيَـوَانِ
والْـعَـنْـهُـمُ لَـعْـنـاً كَـبـيـراً واغْـزُهُـمْ بـعَـسَـاكِـرِ الـتَّـعْـطِـيـلِ غيـرَ جَـبَـانِ
واحْـكُـمْ بـسَـفْـكِ دِمَـائِـهِـمْ وبـحَـبْـسِـهِـمْ أوْ لاَ فَـشَـرِّدْهُـمْ عَـنِ الأوْطَـانِ
حَـذِّرْ صـحَـابَـكَ مِـنْـهُـمُ فَـهُـمُ أضَـلْـلُ مِـنَ الـيَـهُـودِ وعَـابِـدي الـصُّـلْـبَـانِ
واحـذَرْ تُـجَـادِلَـهُـمْ بـقَـالَ الـلَّـهُ أوْ قَـالَ الـرَّسُـولُ فـتـنْـثَـنِـي بـهَـوَانِ
أنَّـى وَهُـمْ أوْلَـى بِـهِ قَـدْ أنـفَـذُوا فِـيـهِ قُـوَى الأذْهَـانِ والأبْـدَانِ
فَإذَا ابتُلِيتَ بهِمْ فَغَالِطْهُمْ عَلَى التْـ ـتَـأْوِيـلِ لـلأَخْـبَـارِ وَالْـقُـرْآنِ
وَكَذَاكَ غالِطْهُمْ عَلَى التَّكذِيبِ لِلْـ آحَـادِ ذَانِ لِـصَـحْـبِـنَـا أصْـلاَنِ

أَوْصَى بِهَا أَشْيَاخُنَا أَشْيَاخُهُمْ … فَاحْفَظْهُمَا بيديكَ والأسْنَانِ
وإذَا اجْتَمعْتَ وهُمْ بمشْهَدِ مجْلِسٍ … فابْدَرْ بإيرادٍ وشُغْلِ زَمَانِ
لاَ يَمْلِكُوهُ عَلَيْكَ بالآثارِ والْـ … أَخْبَارِ والتَّفْسِيرِ للفُرْقَانِ
فتَصِيرَ إنْ وَافَقْتَ مِثْلَهُمْ وإنْ … عَارَضْتَ زِنْدِيقاً أَخَا كُفْرَانِ
وإذَا سَكَتَّ يُقَالُ هَذَا جَاهِلٌ … فَابدَرْ وَلَوْ بالفَشْرِ والهذَيَانِ
هَذَا الَّذِي واللَّهِ أوْصَانَا بِهِ … أشْيَاخُنَا فِي سالِفِ الأزْمَانِ
فرجعْتُ من سَفَري وقلتُ لصَاحِبي … ومطيَّتي قَدْ آذنتْ بحِرَانِ
عطِّلْ رِكَابَكَ واسترِحْ منْ سيْرِهَا … مَا ثَمَّ شيءٌ غَيْرُ ذِي الأكْوَانِ
لَوْ كَانَ للأكْوانِ رَبٌّ خَالِقٌ … كَانَ المجسِّمُ صَاحِبَ البُرْهَانِ
أوْ كَانَ رَبٌّ بائنٌ عَنْ ذِي الوَرَى … كَانَ المجسِّمُ صاحِبَ الإيمَانِ
ولكَانَ عِنْدَ النَّاسِ أوْلَى الخَلْقِ بالْـ … إسْلامِ والإيمَانِ والإحْسَانِ
ولكَانَ هَذَا الحزْبُ فَوْقَ رؤوسِهِمْ … لَمْ يخْتَلِفْ منهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
فدَعِ التَّكَالِيفَ الَّتي حُمِّلْتَهَا … واخلَعْ عِذَارَكَ وارْمِ بالأرْسَانِ
مَا ثَمَّ فَوْقَ العَرْشِ مِن ربٍّ ولَمْ … يتكلمِ الرَّحْمٰنُ بالقُرْآنِ
لَوْ كَانَ فَوْقَ العَرْشِ ربٌّ نَاظِرٌ … لزِمَ التحيُّزُ وافتقارُ مَكَانِ
لَوْ كَانَ ذَا القُرْآنُ عَيْنَ كَلاَمِهِ … حَرْفاً وَصوْتاً كَانَ ذَا جُثْمَانِ
فَإذَا انْتَفَى هَذَا وهَذَا مَا الَّذِي … يَبْقَى عَلَى ذَا النَّفْي مِنْ إيمَانِ
فدَعِ الحَلاَلَ مَعَ الحرَامِ لأهْلِهِ … فهُمَا السِّيَاجُ لَهُمْ عَلَى البُسْتَانِ
فاخْرِقْهُ ثُمَّ ادخُلْ تَرَى في ضِمْنِهِ … قَدْ هُيِّئَتْ لَكَ سَائِرُ الألْوَانِ
وَتَرَى بِهَا مَا لاَ يَرَاهُ محَجَّبٌ … مِنْ كلِّ مَا تَهْوَى بِهِ زَوْجَانِ
واقْطَعْ عَلائقَكَ الَّتي قَدْ قَيَّدتْ … هَذَا الوَرَى مِنْ سَالِفِ الأزْمَانِ
لِتَصِيرَ حُرّاً لَسْتَ تَحْتَ أوَامِرٍ … كَلاَّ وَلاَ نَهْيٍ وَلاَ فُرْقَانِ
لَكِنْ جَعَلتَ حِجَابَ نَفْسِكَ إذْ تَرَى … فَوْقَ السَّمَا للنَّاسِ مِنْ دَيَّانِ
لَوْ قُلْتَ مَا فَوْقَ السَّماءِ مدبِّرٌ … والعَرْشَ نُخْلِيهِ مِنَ الرَّحْمٰنِ
واللَّهُ لَيْسَ مُكلِّماً لِعِبَادِهِ … كَلاَّ وَلاَ مُتَكلِّماً بِقُرَانِ

مَا قَالَ قَطُّ وَلاَ يَقُولُ ولاَ لَهُ ... قَوْلٌ بَدَا مِنْهُ إِلَى إنسَانِ
لَحَلَلْتَ طِلَسْمَهُ وفُزْتَ بِكَنْزِهِ ... وعَلِمتَ أن النَّاسَ فِي هَذَيَانِ
لَكِنْ زَعَمْتَ بِأَنَّ رَبَّكَ بائِنٌ ... مِنْ خَلْقِهِ إذْ قُلْتَ مَوْجُودَانِ
وزَعَمْتَ أنَّ اللَّه فوقَ العَرْشِ والـ ... ـكُرْسِيُّ حقاً فوقَهُ القَدَمَانِ
وزَعَمْتَ أنَّ اللَّه يسْمَعُ خلقَهُ ... ويراهُمُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ ثَمانِ
وزعَمْتَ أنَّ كَلاَمَهُ مِنْهُ بَدَا ... وإِلَيْهِ يَرْجِعُ آخرَ الأزْمَانِ
ووصَفْتَهُ بالسمْعِ والْبصَرِ الَّذِي ... لاَ يَنْبغِي إلاَّ لِذِي الجُثْمَانِ
ووصَفْتَهُ بِإرادةٍ وبِقدْرَةٍ ... وكَرَاهَةٍ ومَحَبَّةٍ وحَنَانِ
وزعَمْتَ أنَّ اللَّه يعْلَمُ كلَّ مَا ... فِي الكَوْنِ مِنْ سِرٍّ ومِنْ إعْلاَنِ
والعِلْمُ وصْفٌ زائِدٌ عنْ ذَاتِهِ ... عَرَضٌ يَقُومُ بغَيْرِ ذِي جُثْمَانِ
وزعَمْتَ أنَّ اللَّه كلَّم عبْدَهُ ... موسَى فأسْمَعَهُ نِدَا الرَّحْمٰنِ
أفتسمَع الآذانُ غيرَ الحرْفِ والصْـ ... ـصَوت الَّذِي خُصَّتْ بِهِ الأُذُنَانِ
وكذَا النداءُ فإنَّهُ صَوْت بإجْـ ... ـماعِ النُّحَاةِ وأهْل كلِّ لِسَانِ
لَكِنَّهُ صَوْتٌ رَفِيعٌ وَهْوَ ضِدْ ... ـدُ لِلنِّجَاءِ كِلاَهُمَا صَوْتَانِ
فَزَعَمْتَ أنَّ اللَّه نَادَاه وَنَا ... جَاهُ وَفِي ذَا الزَّعْمِ مَحْذُورَانِ
قُربُ المكَانِ وبُعْدُه والصَّوتُ بَلْ ... نَوْعَاهُ مَحْذُورَانِ مُمْتَنِعَانِ
وَزعَمْتَ أنَّ محمَّداً أسْرَىٰ بِهِ ... لَيْلاً إِلَيْهِ فَهْوَ مِنْهُ دَانِ
وَزعَمْتَ أنَّ محمَّداً يَوْمَ اللِّقَا ... يُدْنِيهِ رَبُّ العَرْشِ بالرِّضْوَانِ
حَتَّى يُرَى المُخْتَارُ حقاً قاعداً ... مَعَه عَلَى العَرْش الرَّفِيعِ الشَّانِ
وَزَعَمْتَ أنَّ لِعَرْشِهِ أَطّاً بِهِ ... كالرَّحْلِ أطَّ بِراكِبٍ عَجْلاَنِ
وَزَعَمْتَ أنَّ اللَّه أبْدَى بَعْضَهُ ... لِلطُّور حَتَّى عَادَ كَالكُثْبَانِ
لمَّا تَجلَّى يَوْمَ تَكْلِيمِ الرِّضَى ... مُوسَى الكَلِيمُ مُكلِّم الرَّحْمٰنِ
وَزَعَمْتَ لِلمعْبُود وَجْهاً بَاقِياً ... ولَهُ يَمِينٌ بَلْ زعمْتَ يَدَانِ
وَزَعَمْتَ أنَّ يَدَيْهِ لِلسَّبْعِ العُلَى ... والأرْضِ يَوْمَ الحَشْرِ قابِضَتَانِ
وَزَعَمْتَ أنَّ يَمِينَه مَلأى مِن الْـ ... ـخَيْرَات مَا غَاضَتْ عَلَى الأزْمَانِ

وَزَعمْت أنَّ العَدْلَ فِي الأخْرَى بِهَا رَفْعٌ وخَفْضٌ وَهْوَ بِالمِيزَانِ
وَزَعمْتَ أنَّ الخَلْقَ طُرّاً عِنْدَهُ يهْتَزُّ فَوْقَ أصَابِعِ الرَّحْمٰنِ
وَزَعَمْتَ أيْضاً أنَّ قَلْبَ العَبْدِ مَا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ مِنْ أَصَابعِ عَانِ
وَزَعمْتَ أنَّ اللَّه يَضْحَكُ عِنْدَمَا يَتَقَابَلُ الصَّفَّانِ يَقْتَتلاَنِ
مِنْ عَبْدِه يأتِي فَيُبْدِي نَحْرَهُ لِعَدُوِّهِ طَلَباً لِنَيْلِ جِنَانِ
وَكَذَاكَ يَضْحَكُ عِنْدَمَا يَثِبُ الفَتَى مِنْ فَرْشِهِ لِتِلاَوَةِ القُرْآنِ
وَكَذَاكَ يَضْحَكُ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ إذْ أَجْدَبُوا وَالغَيْثُ مِنْهُمْ دَانِ
وَزَعَمْتَ أنَّ اللَّه يَرضَى عَنْ أُولِي الْـ حُسْنَى ويغضَبُ عنْ أُولي العِصْيَانِ
وَزَعمتَ أنَّ اللَّه يسْمعُ صَوْتَهُ يومَ المعَادِ بعيدُهُمْ والدَّانِي
لَمَّا يُنَادِيهمْ أَنَا الدَّيَّانُ لاَ ظُلْمٌ لَدَيَّ فيسْمَعَ الثَّقَلاَنِ
وزَعمْتَ أنَّ اللَّه يُشْرِقُ نُورُه فِي الأَرْضِ يومَ الفَصْلِ والميزانِ
وَزَعَمْتَ أنَّ اللَّه يكْشِفُ سَاقَهُ فَيخرُّ ذَاكَ الجمْعُ للأَذْقَانِ
وزَعَمْتَ أن يَمِينَه تَطوِي السَّمَا طيّ السِّجِلِّ عَلَى كِتَابِ بَيَانِ
وَزَعَمْتَ أنَّ اللَّه يَنْزِلُ فِي الدُّجَى فِي ثُلْثِ لَيْلٍ آخِرٍ أوْ ثَانِ
فيقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فأجِيبَهُ فأنَا القَرِيبُ أجِيبُ مَنْ نَادَانِي
وَزَعَمْتَ أنَّ لَهُ نُزُولاً ثَانِياً يومَ القِيَامَةِ لِلقَضَاءِ الثَّانِي
وَزَعَمْتَ أنَّ اللَّه يَبْدُو جَهْرَةً لِعبَادِهِ حَتَّى يُرَى بِعِيَانِ
بَلْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَهُ وَيَرَوْنَهُ فالمُقْلَتَانِ إلَيْهِ نَاظِرَتَانِ
وَزَعَمْتَ أنَّ لربِّنَا قَدَماً وأنْـ ـنَ الله واضِعُهَا عَلَى النِّيرَانِ
فَهُنَاكَ يَدْنُو بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا وتقُولُ قَطْ قَطْ حَاجَتِي وكَفَانِي
وَزَعَمْتَ أنَّ النَّاسَ يَوْمَ مَزِيدِهِمْ كُلٌّ يُحَاضِرُ رَبَّهُ ويُدَانِي
بالحَاءِ مَعْ ضَادٍ وجَامِعِ صَادِهَا وجْهَانِ فِي ذَا اللَّفْظِ محفُوظَانِ
فِي التِّرمِذِيِّ ومسْنَدٍ وسِوَاهُمَا مِنْ كُتْبِ تَجْسِيمٍ بِلاَ كِتْمَانِ
وَوصَفْتَهُ بِصفَاتِ حَيٍّ فَاعِلٍ بالإخْتِيَارِ وذَانِكَ الأَصْلاَنِ
أَصْلُ التَّفرقِ بَيْنَ هَذَا الخَلْقِ فِي الْـ بَارِي فَكُنْ فِي النَّفْيِ غَيْرَ جَبَانِ

أَوْ لاَ فَلا تَلعَبْ بدينِكَ نَاقِضاً   نَفياً بإثْبَاتٍ بِلاَ فُرقَانِ
فالنَّاسُ بَيْنَ مُعَطِّلٍ أوْ مُثبِتٍ   أوْ ثَالِثٍ مُتنَاقِضٍ صِنْفَانِ
واللَّهِ لَسْتَ برابِعٍ لَهُمُ بَلَى   إمَّا حِمَاراً أوْ مِنَ الثِّيرَانِ
فاسْمَعْ بإنْكَارِ الجَمِيعِ ولاَ تَكُنْ   مُتنَاقِضاً رَجُلاً لَهُ وَجْهَانِ
أَوْ لاَ فَفرِّقْ بينَ مَا أثبتَّهُ   ونفيتَهُ بالنصِّ وَالبُرْهَانِ
فالبَابُ بَابٌ واحدٌ فِي النَّفي والْـ   إثْبَاتِ فِي عَقْلٍ وَفِي مِيزَانِ
فمتَى أقرَّ ببعْضِ ذَلِكَ مُثْبِتٌ   لَزمَ الجَمِيعَ أَوِ ائتِ بِالفُرْقَانِ
وَمَتَى نَفَى شَيْئاً وأثْبتَ مِثْلَهُ   فمجسِّمٌ مُتَنَاقِضٌ ذيصَانِ
فذَرُوا المِرَاءَ وصَرِّحُوا بمذاهبِ الْـ   قُدَمَاءِ وانْسَلِخُوا مِنَ الإيمَانِ
أَوْ قَاتِلُوا مَعَ أَمَّةِ التَّجْسِيمِ وَالتْـ   تَشْبِيهِ تَحْتَ لِوَاءِ ذِي القُرْآنِ
أوْ لا فَلاَ تَتَلاَعَبُوا بعُقولِكُمْ   وكِتَابِكُمْ وبسَائِرِ الأدْيَانِ
فجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بصِفَاتِهِ   وكَلاَمِهِ وعُلُوِّهِ بِبَيَانِ
والنَّاسُ بَيْنَ مصَدِّقٍ أوْ جَاحِدٍ   أوْ بَيْنَ ذَلِكَ أو شَبِيهُ أتَانِ
فَاصْنَعْ مِنَ التَّنزِيهِ تُرساً مُحْكَماً   وانْفِ الجَمِيعَ بِصَنْعَةٍ وبَيَانِ
وَكَذَاكَ لَقِّبْ مَذْهَبَ الإثْبَاتِ بالتْـ   تَجْسِيمِ ثُمَّ احْمِلْ عَلَى الأقْرَانِ
فَمَتَى سَمَحْتَ لَهُمْ بِوَصْفٍ وَاحِدٍ   حَمَلُوا عَلَيْكَ بحَمْلَةِ الفُرْسَانِ
فصُرِعْتَ صَرْعَةَ مَنْ غَدَا مُتلَبِّطاً   وَسطَ العَرِينِ ممزَّقَ اللُّحْمَانِ
فَلِذَاكَ أنْكَرْنَا الْجَمِيعَ مَخَافَةَ التْـ   تَجْسِيمِ أنْ صِرْنَا إلَى الْقُرْآنِ
ولِذَا خَلَعْنَا رِبْقَةَ الأدْيَانِ مِنْ   أعْنَاقِنَا فِي سَالِفِ الأزْمَانِ
وَلَنَا مُلُوكٌ قَاوَمُوا الرُّسْلَ الألَى   جَاؤوا بإثْبَاتِ الصِّفَاتِ كَمَانِ
فِي آلِ فِرْعَونِ وهَامَانِ وقَا   رُونٍ ونُمْرُودٍ وجَنْكِزْ خَانِ
وَلَنَا الأئِمَّةُ كالفَلاَسِفَةِ الألَى   لَمْ يَعْبَؤوا أَصْلاً بِذِي الأدْيَانِ
مِنْهُمْ أَرِسْطُو ثُمَّ شِيعَتُهُ إلَى   هَذَا الأوَانِ وَعِنْدَ كُلِّ أَوَانِ
مَا فِيهِمُ مَنْ قَالَ إنَّ اللهَ فَوْ   قَ العَرْشِ خَارِجَ هَذِهِ الأكْوَانِ
كَلاًّ وَلاَ قَالُوا بِأنَّ إلَهَنَا   مُتَكَلِّمٌ بِالوَحْيِ والقُرْآنِ

ولأجْلِ هَذَا رَدَّ فِرْعَونٌ عَلَى مُوسَى وَلَمْ يقْدِرْ عَلَى الإِيمَانِ
إذْ قَالَ مُوسَى رَبُّنَا متكَلِّمٌ فَوْقَ السَّمَاءِ وأنَّهُ مُتَدَانِي
وَكَذَا ابْنُ سِينَا لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ وَلاَ أتْبَاعُهُ بَلْ صَانَعُوا بدِهَانِ
وَكَذلِكَ الطُّوسِيُّ لَمَّا أنْ غَدَا ذَا قُدْرَةٍ لَمْ يَخْشَ مِنْ سُلْطَانِ
قَتلَ الخَلِيفَةَ والقُضَاةَ وحَامِلِي الْـ قُرْآنِ والفُقَهَاءِ فِي البُلْدَانِ
إذْ هُمْ مشَبِّهَةٌ مجَسِّمَةٌ ومَا دَانُوا بدِينِ أكَابِرِ اليُونَانِ
وَلَنَا المَلاحِدَةُ الفُحُولُ أئِمَّةُ التَّـ ـعْطِيلِ والتَّشْكِيكِ آلُ سِنَانِ
وَلَنَا تَصَانِيفٌ بِهَا غَالبْتُمُ مِثْلَ الشِّفَا ورَسائِل الإخْوَانِ
وَكَذَا الإشَارَاتُ الَّتِي هِيَ عنْدكُمْ قَدْ ضُمِّنَتْ لِقَوَاطِعِ البُرْهَانِ
قَدْ صَرَّحَتْ بالضِّدِّ ممَّا جَاءَ في التَّـ ـوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ
هِيَ عِنْدَكُمْ مِثْلُ الفُصُوصِ وفوْقَهَا فِي حُجَّةٍ قَطْعِيَّةٍ وبَيَانِ
وإذَا تَحَاكَمْنَا فإنَّ إلَيْهِمُ يَقَعُ التَّحَاكُمُ لاَ إلَى القُرْآنِ
إذْ قَدْ تُسَاعِدُنَا بأنَّ نصُوصَهُ لَفظِيَّةٌ عُزِلَتْ عَنِ الإيقَانِ
فَلِذَاكَ حكَّمنَا عَلَيْهِ وأنْتُمُ قَوْلَ المعَلِّمِ أولاً والثَّانِي
يَا وَيْحَ جَهْمٍ وابْنِ دِرْهَمَ والأُلَى قَالُوا بقَوْلِهِمَا مِنَ الخُورَانِ
بَقيَتْ مِنَ التَّشْبِيهِ فِيهِ بَقيَّةٌ نَقَضَتْ قَوَاعِدَهُ مِنَ الأرْكَانِ
يَنْفِي الصِّفَاتِ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ لاَ يَلْوِي عَلَى خَبَرٍ وَلاَ قُرْآنِ
ويقُولُ إنَّ اللهَ يَسْمَعُ أوْ يَرَى وَكَذَاكَ يَعْلَمُ سِرَّ كلِّ جَنَانِ
ويقُولُ إنَّ اللهَ قَدْ شَاءَ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ مِنْ هَذِهِ الأكْوَانِ
وَيقُولُ إنَّ الفِعْلَ مَقْدُورٌ لَهُ وَالكَوْنَ يَنْسِبُهُ إلَى الحِدْثَانِ
وبِنَفْيِهِ التَّجْسِيمَ يَصْرخُ فِي الوَرَى واللَّهِ مَا هَذَانِ متَّفِقَانِ
لَكِنَّنَا قُلْنَا مُحَالٌ كُلُّ ذَا حَذَراً مِنَ التَّجْسِيمِ والإمْكَانِ

فصلٌ

في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن

وَأتـى فَـرِيـقٌ ثُـمَّ قَـالَ أَلاَ اسْـمَـعُـوا قَـدْ جِـئْـتُـكُـمْ مِـنْ مَـطْـلَـع الإيـمَـانِ
مِنْ أرْضِ طيبَةَ مِنْ مُهَاجر أحْمَدٍ بـالـحَـقِّ والـبُـرْهَـانِ والـتِّـبْـيَـانِ
سَافَرْتُ فِي طَلَب الإلٰـه فَدلَّنِي الْـ ـهَـادِي عَـلَـيْـهِ ومُـحْـكَـمُ الـقُـرْآنِ
مَـعَ فِـطْـرَةِ الـرَّحـمٰـن جَـلَّ جَـلاَلُـهُ وصـريـحِ عَـقْـلِـي فـاعْـقِـلِـي بِـبَـيَـانِ
فَتَوافَقَ الْوَحْيُ الصَّرِيحُ وَفِطْرَةُ الرَّ حْـمٰـنِ والـمـعْـقُـولُ فِـي إيـمَـانِـي
شَـهِـدُوا بِـأَنَّ الـلَّـهَ جَـلَّ جَـلاَلُـهُ مـتَـفَـرِّدٌ بِـالـمـلْـكِ والـسُّـلْـطَـانِ
وَهُـوَ الإلٰـهُ الْـحَـقُّ لاَ مَـعْـبـودَ إلْـ ـلاَ وَجْـهُـهُ الأَعْـلَـى الـعظيـمُ الـشَّـانِ
بَـلْ كُـلُّ مـعْـبُـودٍ سِـوَاهُ فـبَـاطِـلٌ مِـنْ عَـرْشِـهِ حَـتَّـى الـحضِـيضِ الـدَّانِـي
وَعِـبَـادَةُ الـرَّحْـمٰـن غَـايَـةُ حُـبِّـهِ مَـعَ ذُلِّ عَـابِـدِه هُـمَـا قُـطْـبَـانِ
وَعَـلَـيْـهِـمَـا فَـلَـكُ الـعِـبَـادَة دائـرٌ مَـا دَارَ حَـتَّـى قَـامَـتِ الـقُـطْـبَـانِ
ومَـدَارُهُ بِـالأَمْـرِ أمْـرِ رسُـولِـهِ لاَ بِـالـهَـوَى والـنـفْـسِ والـشَّـيـطَـانِ
فَـقِـيـامُ دِيـنِ الـلَّـهِ بِـالإِخْـلاصِ والْـ إِحْـسَـانِ أَنَّـهُـمَـا لَـهُ أصْـلاَنِ
لَـمْ يَـنْـجُ مِـنْ غَـضَـبِ الإلٰـه ونَـارِهِ إِلاَّ الَّـذِي قَـامَـتْ بِـهِ الأَصْـلاَنِ
والـنَّـاسُ بَـعْـدُ فـمـشْـرِكٌ بِـإِلٰـهِـهِ أوْ ذُو ابْـتِـدَاعٍ أوْ لَـهُ الـوَصْـفَـانِ
والـلَّـهُ لاَ يَـرْضَـى بِـكـثْـرَةِ فِـعْـلِـنَـا لَـكِـنْ بِـأَحْـسَـنِـهِ مَـعَ الإِيـمَـانِ
فَـالـعَـارِفُـونَ مُـرادُهُـمْ إحْـسَـانُـهُ والـجَـاهِـلُـون عَـمُـوا عَـنِ الإحْـسَـانِ
وَكَـذَاكَ قَـدْ شَـهِـدُوا بِـأَنَّ الله ذُو سَـمْـعٍ وذُو بَـصَـرٍ هُـمَـا صِـفَـتَـانِ
وَهـوَ الـعَـلِـيُّ يَـرَى وَيـسْـمَـعُ خَـلْـقَـهُ مِـنْ فَـوْقِ عَـرْشٍ فَـوْقَ سِـتٍّ ثَـمَـانِ
فَيَرى دَبِيبَ النَّمْلِ فِي غَسَقِ الدُّجَى وَيَـرَى كَـذاكَ تَـقَـلُّـبَ الأجْـفَـانِ
وَضَـجِـيـجَ أصْـوَاتِ الـعِـبَـادِ بِـسَـمْـعِـهِ وَلَـدَيْـهِ لا يَـتَـشَـابَـهُ الـصَّـوْتَـانِ
وَهْـوَ الـعَـلِـيـمُ بِـمَـا يُـوسْـوِسُ عَـبْـدُهُ فِـي نَـفْـسِـهِ مِـنْ غَـيْـر نُـطْـقِ لِـسَـانِ
بَلْ يَسْتَوِي فِي عِلْمِه الدَّانِي مَعَ الْـ ـقَـاصِـي وَذُو الإِسْـرَارِ والإِعْـلاَنِ

وَهُوَ العَلِيمُ بِمَا يَكُونُ غَداً وَمَا ... قَدْ كَانَ والمعْلُومُ فِي ذَا الآنِ
وبِكُلِّ شَيءٍ لَمْ يكنْ لَوْ كَانَ كَيْـ ... فَ يَكُونُ موجُوداً لِذي الأعْيَانِ
وَهُوَ القَدِيرُ فَكُلُّ شَيءٍ فَهْو مَقْـ ... دُورٌ لَهُ طَوْعاً بِلاَ عِصْيَانِ
وَعُمُومُ قُدْرَتِهِ تَدُلُّ بِأَنَّهُ ... هُوَ خَالِقُ الأَفْعَالِ لِلْحَيَوَانِ
هِيَ خَلْقُهُ حَقّاً وأفْعَالٌ لَهُمْ ... حَقّاً وَلاَ يَتَنَاقَضُ الأمْرَانِ
لكنَّ أهْلَ الجَبْرِ والتَّكْذِيبِ بِالْـ ... أَقْدَارِ مَا انْفَتَحَتْ لَهُمْ عَيْنَانِ
نَظَرُوا بِعَيْنَيْ أَعْوَرٍ إِذْ فَاتَهُمْ ... نَظَرُ البَصِيرِ وغَارَتِ العَيْنَانِ
فَحَقِيقَةُ القَدَرِ الَّذِي حَارَ الوَرَى ... فِي شَأْنِهِ هُوَ قُدْرَةُ الرَّحْمٰنِ
واسْتَحْسَنَ ابنُ عُقَيْلٍ ذَا مِنْ أَحْمدٍ ... لَمَّا حَكَاهُ عَنِ الرِّضَا الرَّبَّانِي
قَالَ الإِمَامُ شَفَا القُلُوبَ بِلَفْظَةٍ ... ذَاتِ اخْتِصَارٍ وَهْيَ ذَاتُ بَيَانِ



فصلٌ

وَلَهُ الحَيَاةُ كَمَالُهَا فلأَجْلِ ذَا ... مَا لِلمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
وكَذَلِكَ القَيُّومُ مِنْ أوْصَافِهِ ... مَا لِلمَنَامِ لَدَيْهِ مِنْ غَشَيَانِ
وكَذاكَ أوْصَافُ الكَمَالِ جَمِيعُهَا ... ثَبَتَتْ لهُ ومَدارُهَا الوَصْفَانِ
فمُصَحِّحُ الأَوْصَافِ والأَفْعَالِ والْـ ... أَسْمَاءِ حَقّاً ذَانِكَ الوَصْفَانِ
ولأجْلِ ذَا جَاءَ الحَدِيثُ بِأَنَّهُ ... فِي آيةِ الكُرْسِي وذِي عِمْرَانِ
إِسْمُ الإِلٰهِ الأَعْظَمُ اشتَملاَ عَلَى اسْـ ... مِ الحَيِّ والقَيُّوم مُقْتَرِنَانِ
فالكُلُّ مرجِعُهَا إِلَى الإسْمَيْنِ يَدْ ... رِي ذَاكَ ذُو بَصَرٍ بِهَذَا الشَّانِ
وَلَهُ الإِرَادَةُ والكَرَاهَةُ والرِّضَا ... وَلَهُ المحَبَّةُ وَهْوَ ذُو الإِحْسَانِ
وَلَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ العَارِي عَنِ التْـ ... تَشْبِيهِ والتَّمْثِيل بالإنْسَانِ
وَكَمَالُ مَنْ أعطَى الكَمَالَ لِنَفْسِهِ ... أوْلَى وأقدَمُ وهوَ أعظَمُ شَانِ
أيكُونُ قدْ أعْطَى الكَمَال ومَا لَهُ ... ذَاكَ الكَمَالُ أذَاكَ ذُو إمْكَانِ
أيكُونُ إنسَانٌ سَمِيعاً مُبصِراً ... متكلِّماً بمشِيئَةٍ وبَيَانِ

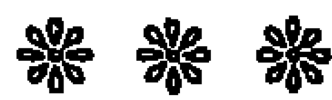
وَلَــهُ الــحَــيَــاةُ وقُــدْرَةٌ وإرَادَةٌ والــعِــلْــمُ بــالــكُــلِّــيِّ والأَعْــيَــانِ
والـلّـهُ قَـدْ أعـطَـاهُ ذَاكَ وَلـيـسَ هَـذَا وَصْـفَـهُ فـاعْـجَـبْ مِـنَ الـبُـهْـتَـانِ
بِـخـلاَفِ نَـوْمِ الـعَـبْـد ثُـمَّ جِـمَـاعِـهِ والأكْـلِ مِـنْـهُ وحَـاجَـةِ الأبْـدَانِ
إذ تِـلـكَ مـلـزومَـاتُ كَـونِ الـعَـبْـدِ مُـحْـتَـاجـاً وتِـلْـكَ لَـوَازِمُ الـنـقْـصَـانِ
وكَـذَا لَـوازِمُ كَـوْنِـهِ جَـسَـداً نَـعَـمْ وَلَـوَازِمُ الأَحْـدَاثِ والإمْـكَـانِ
يـتـقـدَّسُ الـرَّحْـمـٰنُ جَـلَّ جَـلالُـهُ عَـنْـهَـا وَعَـنْ أعْـضَـاءِ ذِي جِـسْـمَـانِ
والـلّـهُ رَبِّـي لَـمْ يَـزَلْ مـتـكـلِّـمـاً وكـلاَمُـهُ الـمـسـمُـوعُ بـالآذَانِ
صِـدْقـاً وعَـدْلاً أُحْـكِـمَـتْ كَـلِـمَـاتُـهُ طَـلَـبـاً وإخْـبَـاراً بِـلاَ نُـقْـصَـانِ
وَرَسُـولـهُ قَـدْ عَـاذَ بـالـكَـلِـمَـاتِ مِـنْ لَـدْغٍ وَمِـنْ عَـيْـنٍ ومِـنْ شَـيْـطَـانِ
أيُـعَـاذُ بـالـمـخْـلُـوقِ حَـاشَـاهُ مِـنَ الْـإشْـرَاكِ وَهْـوَ مُـعَـلِّـمُ الإيـمَـانِ
بَـلْ عَـاذَ بـالـكَـلِـمَـاتِ وَهْـيَ صِـفَـاتُـهُ سُـبْـحَـانَـهُ لَـيْـسَـتْ مِـنَ الأكْـوانِ
وَكَـذَلِـكَ الـقُـرْآنُ عَـيْـنُ كَـلامِـهِ الْـمَـسْـمُـوعِ مِـنْـهُ حـقِـيـقَـةٌ بِـبَـيَـانِ
هُـوَ قَـوْلُ رَبِّـي كـلُّـهُ لاَ بَـعْـضُـهُ لَـفْـظـاً وَمَـعْـنـىً مَـا هُـمَـا خَـلْـقَـانِ
تَـنْـزِيـلُ رَبِّ الـعَـالَـمِـيـنَ وقَـوْلُـهُ الـلَّـفْـظُ والـمَـعْـنَـى بِـلاَ رَوَغَـانِ
لَـكِـنَّ أصْـواتَ الْـعِـبَـادِ وفـعْـلَـهُـمْ كَـمِـدَادِهِـمْ والـرَّقُّ مَـخْـلُـوقَـانِ
فـالـصَّـوتُ لِـلْـقَـارِي ولَـكِـنَّ الـكَـلاَمَ كـلامُ ربِّ الـعـرْشِ ذِي الإحْـسَـانِ
هَـذا إذَا مَـا كَـانَ ثَـمَّ وَسَـاطَـةٌ كَـقِـرَاءَةِ الـمـخْـلُـوقِ لـلـقُـرْآنِ
فـإذَا انْـتـفَـتْ تِـلْـكَ الـوسَـاطَـةُ مِـثْـلَ مَـا قَـدْ كـلَّـمَ الـمـوْلـودَ مِـنْ عِـمْـرانِ
فـهُـنـالِـكَ الـمـخْـلُـوقُ نَـفْـسُ الـسَّـمْـعِ لاَ شَـيءٌ مِـنَ الـمـسْـمُـوعِ فـافْـهَـمْ ذَانِ
هَـذِي مَـقَـالَـةُ أحْـمـدٍ ومُـحَـمَّـدٍ وخُـصُـومُـهُـمْ مِـنْ بَـعْـدُ طَـائِـفَـتَـانِ
إحْـدَاهُـمَـا زَعَـمَـتْ بـأنَّ كَـلاَمَـهُ خَـلْـقٌ لَـهُ ألْـفَـاظُـهُ وَمَـعَـانِـي
والآخَـرُونَ أَبَـوْا وَقَـالُـوا شَـطْـرُهُ خَـلْـقٌ وشَـطْـرٌ قَـامَ بـالـرَّحْـمـٰـنِ
زَعَـمُـوا الـقـران عِـبَـارَةٌ وحِـكَـايَـةٌ فَـلَـنَـا كَـمَـا زَعَـمُـوهُ قُـرآنَـانِ
هَـذَا الَّـذِي نَـتْـلـوهُ مـخْـلُـوقٌ كَـمَـا قَـالَ الـوَلِـيـدُ وَبـعْـدَهُ الـفِـئَـتَـانِ
والآخَـرُ الـمـعْـنَـى الـقَـدِيـمُ فـقَـائِـمٌ بـالـنَّـفْـسِ لَـمْ يُـسْـمَـعْ مِـنَ الـدَّيَّـانِ

والأمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ واسْتِفْهَامُهُ ... هُوَ عَيْنُ إِخْبَارٍ وَذُو وِحْدَانِ
وَهُوَ الزَّبُورُ وَعَيْنُ تَوْرَاةٍ وإنْـ ... ـجِيلٍ وعَيْنِ الذِّكْرِ والفُرْقَانِ
الكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ ... لاَ يَقْبَلُ التَّبْعِيضَ فِي الأذْهَانِ
مَا إنْ لَهُ كلٌّ وَلاَ بَعْضٌ وَلاَ ... حَرْفٌ وَلاَ عَرَبي وَلاَ عِبْرَانِي
ودَلِيلُهُمْ فِي ذَاكَ بَيْتٌ قَالَهُ ... فِيمَا يُقَالُ الأَخْطَلُ النَّصْرَانِي
يَا قَوْمُ قدْ غَلطَ النَّصارَى قَبْلُ فِي ... مَعْنَى الكَلاَمِ ومَا اهْتَدَوْا لِبَيَانِ
ولأجْلِ ذَا جَعَلُوا المسِيحَ إلٰهَهُمْ ... إذ قِيلَ كِلْمَةُ خَالِقٍ رَحْمٰنِ
ولأجْلِ ذَا جَعَلُوهُ نَاسُوتاً وَلاَ ... هُوتاً قَدِيماً بَعْدُ مُتَّحِدَانِ
وَنظِيرُ هَذَا مَنْ يَقُولُ كَلاَمُهُ ... مَعْنىً قَدِيمٌ غَيْرُ ذِي حِدْثَانِ
والشَّطرُ مخْلُوقٌ وتِلْكَ حُرُوفُهُ ... نَاسُوتُهُ لَكِنْ هُمَا غَيْرَانِ
فانظُرْ إلَى ذَا الإتِّفَاقِ فإنَّهُ ... عَجَبٌ وطَالِعْ سُنَّةَ الرَّحمٰنِ
وتكَايَسَتْ أخْرَى وَقَالَتْ إنَّ ذَا ... قَوْلٌ مُحَالٌ وَهْوَ خَمْسُ مَعَانِ
تِلْكَ التِي ذُكِرتْ ومَعْنىً جَامعٌ ... لجمِيعِهَا كالأسِّ للبُنْيَانِ
فيكُونُ أنواعاً وعِنْدَ نَظِيرِهِمْ ... أوْصَافُهُ وهُمَا فمتَّفِقَانِ
إنَّ الَّذِي جَاءَ الرسُولُ بِهِ لَمخـ ... ـلُوقٌ ولَم يُسْمَعْ مِنَ الدَّيانِ
والخُلْفُ بَيْنَهُمُ فقيل مُحَمَّدٌ ... أنْشَاهُ تَعْبِيراً عَنِ القُرْآنِ
والآخَرونَ أَبَوْا وَقَالُوا إنَّمَا ... جِبْرِيلُ أنشَاهُ عَنِ المنَّانِ
وتكَايَسَتْ أخْرَى وقَالَتْ إنَّهُ ... نَقْلٌ مِنَ اللَّوحِ الرَّفِيعِ الشَّانِ
فاللوحُ مبْدَؤه وربُّ اللوحِ قَدْ ... أنشَاهُ خَلْقاً فِيه ذَا حِدْثانِ
هَذِي مقَالاَتٌ لهُمْ فانظرْ تَرَى ... فِي كُتْبِهِمْ يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ
لَكِنَّ أهْلَ الحَقِّ قَالُوا إنَّمَا ... جِبْرِيلُ بلَّغَهُ عَنِ الرَّحْمٰنِ
أَلْقَاهُ مَسْمُوعاً لَهُ مِنْ رَبِّهِ ... للصَّادِقِ المصْدُوقِ بالبُرْهَانِ

فصلٌ

في مجامعِ طُرُقِ أهلِ الأرضِ واختلافِهم في القرآنِ

وإذَا أرَدْتَ مَجَامِعَ الطُّرقِ الَّتِي ... فِيهَا افتِرَاقُ النَّاسِ فِي القُرآنِ
فمَدارُهَا أصْلاَنِ قَامَ عَلَيهِمَا ... هَذَا الخِلاَفُ هُمَا لَهُ رُكنَانِ
هَلْ قولُهُ بمشيئةٍ أمْ لاَ وَهَلْ ... فِي ذَاتِهِ أمْ خَارجٌ هَذَانِ
أصْلُ اختِلاَفِ جَمِيع أهْلِ الأرْضِ فِي الْـ ... ـقُرآنِ فَاطْلُبْ مُقْتَضَى الْبُرهَانِ
ثُمَّ الألَى قَالُوا بِغيرِ مَشِيئَةٍ ... وإرادَةٍ مِنهُ فطَائِفَتَانِ
إحْدَاهُمَا جَعَلَتْهُ مَعْنىً قَائِماً ... بالنَّفسِ أو قَالُوا بِخَمْسِ مَعَانِ
واللَّهُ أحدَثَ هَذِه الألفَاظَ كَيْ ... تبدِيهِ معقُولاً إلَى الأذهَانِ
وَكَذَاكَ قَالُوا إنَّهَا لَيسَتْ هِي الْـ ... ـقُرآنَ بَلْ دَلَّتْ عَلَى القُرآنِ
ولرُبَّما سُمِّي بِهَا القُرآنُ تَسْـ ... ـمِيَةَ المجازِ وذَاكَ وَضْعٌ ثَانِ
وكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فقيلَ حِكَايةٌ ... عَنهُ وقِيلَ عِبَارةٌ لِبَيَانِ
إذْ كَانَ ما يُحْكَى كمحكِيٍّ وهَـ ... ـذَا اللفظُ والمعنَى فمُختَلِفَانِ
ولذَا يُقَالُ حَكَى الحَدِيثَ بعَيْنِهِ ... إذْ كَانَ أوَّلُهُ نظيرَ الثَّانِي
فَلِذَاكَ قَالُوا لاَ نَقُولُ حِكَايَةٌ ... ونَقُولُ ذَاكَ عِبَارَةُ الفُرقَانِ
والآخَرُونَ يَرَوْنَ هَذَا البَحْثَ لفْـ ... ـظِيّاً ومَا فِيهِ كَبِيرُ مَعَانِ



فصلٌ

في مَذْهبِ الاقْترانِيَّةِ

والفِرْقَةُ الأخرَى فَقَالَتْ إنَّهُ ... لَفظاً ومَعنىً لَيسَ ينفَصِلاَنِ
واللَّفظُ كالمعنَى قَدِيمٌ قَائِمٌ ... بالنفسِ لَيسَ بقَابِلِ الحِدْثَانِ
فالسِّينُ عِندَ البَاءِ لاَ مسبُوقةٌ ... لكنْ هُمَا حَرفَانِ مقتَرِنانِ
والقَائلُونَ بذَا يقُولُوا إنَّمَا ... تَرتِيبُهَا بالسَّمعِ بالآذَانِ

ولَـهـا اقـتِـرَانٌ ثَـابِـتٌ لِـذَوَاتِـهَـا فـاعْـجَـبْ لِـذَا الـتَّـخْـلِـيط والـهَـذَيَـانِ
لـكِـنَّ زَاغُـونَـيَّـهُـمْ قَـدْ قَـالَ إنَّـ ـنَ ذَوَاتَـهَـا وَوُجُـودَهَـا غَـيْـرانِ
فـتـرتـبـتْ بـوجُـودِهَـا لاَ ذَاتِـهَـا يـا لـلـعُـقُـولِ وزَيْـغَـةِ الأذْهَـانِ
لَيْسَ الوُجودُ سِوى حَقِيقَتِهَا لِذِي الْـ أَذْهَـانِ بَـلْ فِـي هَـذِهِ الأعْـيَـانِ
لَـكِـنْ إذَا أَخَـذَ الـحـقـيـقَـةَ خَـارجـاً ووجـودَهَـا ذِهْـنـاً فـمـخْـتَـلِـفَـانِ
والعـكْـسُ أيضاً مِثْلُ ذَا فَإِذَا هُمَا اتْـ ـتَـحَـدَا اعـتـبَـاراً لَـمْ يَـكُـنْ شَـيْـئَـانِ
وبِـذا يـزُولُ جَـمِـيـعُ إشْـكَـالاَتِـهِـم فِـي ذَاتِـهِ ووجُـودِهِ الـرَّحْـمَـنِ



فصلٌ

في مذاهبِ القائلينَ بأنَّهُ متعلِّقٌ بالمشيئةِ والإرادةِ

وَالـقَـائِـلُـونَ بـأنَّـهُ بِـمَـشِـيـئَـةٍ وَإِرَادَةٍ أيـضـاً فَـهُـمْ صِـنْـفَـانِ
إحْـدَاهـمَـا جَـعَـلَـتْـه خـارجَ ذاتِـه كَـمـشـيـئـةٍ لِـلْـخـلـق والأكْـوَانِ
قَـالُـوا وصـارَ كَـلاَمُـهُ بـإضـافَـةِ الـتَّـ ـتَـشْـرِيـفِ مـثـلَ الـبـيـتِ ذِي الأرْكَـانِ
مَـا قَـالَ عـنـدَهُـمُ وَلاَ هُـوَ قـائِـلٌ والـقـولُ لـم يُـسْـمَـعْ مـنَ الـدَّيَّـانِ
فـالـقـولُ مـفـعُـولٌ لـديـهـم قـائِـمٌ بـالـغَـيْـر كـالأعـرَاضِ والأكْـوَانِ
هَـذِي مـقـالـةُ كـلِّ جَـهْـمِـيٍّ وهُـمْ فِـيـهَـا الـشُّـيـوخُ مـعـلـم الـصِّـبْـيـانِ
لَـكِـنَّ أَهْـلَ الإعـتِـزَالِ قَـديـمَـهُـمْ لَـمْ يـذهَـبُـوا ذَا الـمذهَـبَ الـشَّـيْـطَـانِـي
وَهُمُ الأُلَى اعتزَلوا عنِ الحسَنِ الرِّضَى الْـ بَـصْـرِيِّ ذَاكَ الـعـالـم الـربَّـانِـي
وَكَـذَاكَ أتْـبَـاعٌ عَـلَـى مِـنْـهَـاجِـهِـمْ مِـنْ قَـبْـلِ جَـهْـم صَـاحِـبِ الـجِـذْثَـانِ
لـكـنَّـمَـا مـتـأخِّـرُوهُـمْ بـعـد ذَا لـكَ وافَـقُـوا جَـهْـمـاً عَـلَـى الـكُـفْـرَانِ
فـهُـمْ بـذَا جَـهْـمِـيَّـةٌ أَهْـلُ اعـتِـزَا لِ ثَـوبُـهُـمْ أضْـحَـى لَـه عَـلَـمَـانِ
ولـقـد تـقـلَّـد كـفـرَهُـمْ خَـمْـسُـونَ فِـي عَـشْـرٍ مِـنَ الـعُـلَـمـاءِ فـي الـبُـلْـدَانِ
والـلاَّلَـكَـائِـيُّ الإمـامُ حَـكَـاهُ عَـنْـ ـهُـمْ بَـلْ حَـكَـاهُ قـبْـلـه الـطَّـبَـرانِـي



فصلٌ

في مذهب الكَرَّامِيَّةِ

والـقـائِـلـونَ بـأنَّـهُ بـمـشِـيـئَـةٍ فِـي ذَاتِـه أيـضـاً فَـهُـمْ نَـوعَـانِ
إحْـدَاهُـمَـا جَـعَـلـتْـهُ مـبـدُوءاً بِـهِ نَـوعـاً حـذَارِ تَـسَـلـسُـلِ الأعْـيَـانِ
فَـيـسُـدُّ ذَاكَ عَـلَـيْـهِـمُ فِـي زَعْـمِـهِـمْ إثْـبَـاتُ خَـالِـقِ هَـذِهِ الأكْـوَانِ
فَـلِـذَاكَ قَـالُـوا إنَّـهُ ذُو أولٍ مـا لِـلـفـنَـاءِ عـلَـيْـهِ مِـنْ سُـلْـطَـانِ
وكَـلامُـهُ كـفِـعَـالِـهِ وكـلاَهُـمَـا ذُو مـبـدإٍ بـلْ لـيـسَ يَـنـتَـهِـيَـان
قَالُوا وَلَمْ يُنْصِفْ خُصُومٌ جَعْجَعُوا وأتَـوْا بـتَـشْـنِـيـعٍ بِـلاَ بُـرْهَـانِ
قـلـنَـا كَـمَـا قَـالُـوهُ فـي أفـعَـالِـهِ بَـلْ بَـيْـنَـنَـا بَـوْنٌ مِـنَ الـفُـرْقَـانِ
بَـلْ نَـحْـنُ أسْـعَـدُ مِـنـهُـمُ بِـالـحـقِّ إذْ قـلْـنَـا هُـمَـا بـالـلَّـهِ قَـائِـمَـتَـانِ
وهُـمُ فَـقَـالُـوا لَـمْ يَـقُـمْ بـالله لاَ فِـعْـلٌ ولا قَـوْلٌ فـتَـعْـطِـيـلانِ
لـفِـعَـالِـهِ ومَـقَـالِـهِ شَـرّاً وأبـ ـطَـلُ مِـنْ حُـلُـولِ حَـوَادِثٍ بِـبَـيَـانِ
تَـعْـطِـيـلُـهُ عَـنْ فِـعْـلِـهِ وَكَـلامِـهِ شَـرٌّ مِـنَ الـتـشْـنِـيـعِ بـالـهـذَيَـانِ
هَـذِي مـقـالاتُ ابـنِ كـرَّامٍ ومَـا رَدُّوا عَـلَـيْـهِ قَـطُّ بـالـبـرهَـانِ
أنَّـى وَمَـا قَـدْ قَـالَ أقْـربُ مِـنْـهُـمُ لِـلْـعَـقْـلِ والآثـارِ والـقُـرآنِ
لَـكِـنَّـهُـمْ جَـاؤوا لَـهُ بـجـعَـاجِـعٍ وفـرَاقِـعٍ وقَـعَـاقِـعٍ بـشَـنَـانِ



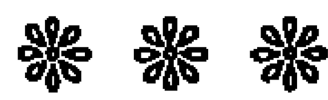
فصلٌ

في ذكرِ مذهبِ أهلِ الحديثِ

والآخَـرُونَ أُولُـو الـحـدِيـثِ كـأحْـمـدٍ ومُـحَـمَّـدٍ وأئـمـةِ الإيـمَـانِ
قَـالُـوا بـأنَّ الله حَـقّـاً لَـمْ يَـزَلْ مُـتَـكَـلِّـمـاً بـمـشـيـئَـةٍ وَبَـيَـانِ
إن الـكَـلاَمَ هُـوَ الـكَـمَـالُ فـكـيْـفَ يَـخْـ ـلُـو عَـنْـهُ فِـي أزلٍ بِـلاَ إمْـكَـانِ
وَيـصِـيـرُ فِـيـمَـا لَـمْ يَـزَلْ مُـتـكَـلِّـمـاً مَـاذَا اقْـتَـضَـاهُ لَـهُ مِـنَ الإمْـكَـانِ

وتَعَاقُبُ الكَلِمَاتِ أمرٌ ثَابِتٌ ... لِلذَّاتِ مِثْلَ تَعَاقُبِ الأزْمَانِ
واللَّهُ ربُّ العرْشِ قالَ حقِيقَةً ... «حم» مَعْ «طه» بغيرِ قِرَانِ
بَلْ أحرُفٌ مترتِّبَاتٌ مثْلَ مَا ... قَدْ رُتِّبتْ فِي مَسْمَعِ الإنسَانِ
وَقْتَانِ فِي وَقْتٍ مُحَالٌ هَكَذَا ... حَرْفَانِ أيضاً يُوجَدَا فِي آنِ
مِنْ وَاحِدٍ متكلِّم بلْ يُوجَدَا ... بالرَّسْمِ أو يتكلَّمُ الرجُلاَنِ
هَذَا هُوَ المعْقُولُ أما الإقْتِرا ... نُ فليسَ معْقُولاً لِذِي الأذهَانِ
وَكَذَا كَلامٌ مِنْ سِوى مُتكلم ... أيضاً مُحَالٌ ليسَ في إمكَانِ
إلاَّ لِمَنْ قَامَ الكَلاَمُ بِهِ فَذَا ... كَ كَلاَمُه المعقُولُ في الأذْهَانِ
أيكونُ حيّاً سامعاً أو مُبْصِراً ... من غيرِ مَا سَمْعٍ وغَيْرِ عِيَانِ
والسَّمْعُ والإبْصَارُ قَامَ بغيرِهِ ... هذا المحَالُ وواضحُ البُهْتَانِ
وكَذا مريدٌ والإرَادَةُ لَمْ تَكنْ ... وصْفَاً لهُ هذَا من الهَذَيَانِ
وَكذَا قديرٌ مالَهُ من قُدرةٍ ... قامتْ بِهِ منْ أوضحِ البُطْلاَنِ
والله جَلَّ جلالُه متكلِّمٌ ... بالنقلِ والمعقُولِ والبرْهَانِ
قد أجمعَتْ رُسُلُ الإلهِ علَيْه لَمْ ... ينكرْه من أتْبَاعِهِمْ رَجُلاَنِ
فكلامُهُ حقّاً يَقُوم بِهِ وإلْـ ... ـلا لَمْ يَكُنْ مُتكلِّماً بقُرانِ
واللَّهُ قَالَ وقَائِلٌ وكذا يقُو ... لُ الحَقَّ ليسَ كَلامُهُ بالفَانِي
ويكلِّمُ الثقلَيْنِ يومَ معَادِهِمْ ... حَقّاً فيسمعُ قولهُ الثقَلاَنِ
وكذا يكلِّمُ حِزْبَهُ فِي جنة الْـ ... ـحَيَوانِ بالتسليمِ والرِّضوانِ
وَكَذَا يكلِّمُ رسْلَهُ يومَ اللِّقَا ... حقّاً فيسألُهُمْ عنِ التِّبْيَانِ
ويراجعُ التكلِيمَ جلَّ جلاَلُه ... وقتَ الجِدَالِ لَهُ من الإنسَانِ
ويكلمُ الكُفارَ في العرصَاتِ تَوْ ... بِيخاً وتقريعاً بلا غُفرَانِ
ويكلمُ الكُفارَ أيضاً في الجَحِيْـ ... ـمِ أنِ اخْسَؤوا فِيهَا بكلِّ هَوَانِ
واللَّهُ قدْ نَادَى الكَلِيمَ وقَبْلَهُ ... سَمِعَ النِّدا في الجَنَّةِ الأبَوَانِ
وأتَى النِّدا في تِسْعِ آياتٍ لَهُ ... وَصْفاً فرَاجِعْهَا مِنَ القُرْآنِ
وكَذا يكلِّمُ جَبْرِيْلَ بِأمْرِهِ ... حتَّى ينفِّذَهُ بكلِّ مَكَانِ

واذكرْ حدِيثاً في صَحيحِ محمَّدٍ ... ذَاكَ البُخَارِيِّ العظيمِ الشَّانِ
فِيهِ نِداءُ اللَّهِ يومَ معَادِنَا ... بالصَّوتِ يبلغُ قَاصياً والدَّانِي
هَبْ أنَّ هَذَا اللفظَ لَيْسَ بثَابِتٍ ... بَلْ ذِكْرهُ مَعْ حَذْفِهِ سِيَّانِ
وَرَواهُ عِنْدَكُمُ البُخَارِيُّ المجَسْـ ... ـسِمُ بَلْ رَوَاهُ مجَسِّمٌ فوقَانِي
أيصِحُّ فِي عَقْلٍ وَفي نَقْلٍ نِدَا ... ءٌ لَيسَ مَسْمُوعاً لَنَا بأذَانِ
أَمْ أجمَعَ العلمَاءُ والعُقَلاءُ مِنْ ... أَهلِ اللِّسَانِ وأَهْلِ كُلِّ لِسَانِ
إنَّ النِّدا الصَّوتُ الرَّفِيعُ وَضِدُّهُ ... فَهوَ النِّجَاءُ كِلاَهُمَا صَوْتَانِ
واللَّهُ موْصُوفٌ بذَاكَ حقِيقَةً ... هَذَا الحَدِيثُ ومحْكَمُ القُرآنِ
وَاذْكُرْ حَديثاً لابنِ مسْعودٍ صَريـ ... ـحاً أنَّهُ ذُو أحْرُفٍ بِبَيَانِ
الحرفُ مِنْهُ فِي الجزَا عَشْرٌ مِنَ الْـ ... ـحَسَنَاتِ مَا فِيهِنَّ مِنْ نُقْصَانِ
وانظُرْ إلى السُّوَر الَّتي افْتُتِحَتْ بأحْـ ... ـرُفِهَا تَرى سرّاً عَظِيمَ الشَّانِ
لَمْ يأتِ قَطُّ بسُورةٍ إلاَّ أَتَى ... فِي إثْرِهَا خَبَرٌ عَنِ القُرْآنِ
إذْ كَانَ إخْبَاراً بِهِ عَنْهَا وَفِي ... هَذَا الشِّفَاءُ لِطَالِبِ الإيمَانِ
وَيَدُلُّ أَنَّ كَلاَمَهُ هُوَ نَفْسُهَا ... لاَ غَيرُهَا والحَقُّ ذُو تِبْيَانِ
فَانظُرْ إلَى مَبدا الكِتَابِ وَبَعْدَهَا الْـ ... أعْرَافُ ثُمَّ كَذَا إلى لُقْمَانِ
مَعَ تِلْوِهَا أَيْضاً وَمَعْ «حم» مَعْ ... «يس» وافْهَمْ مُقْتَضَى القُرْآنِ



فصلٌ

في إلزامِهم القولَ بنفي الرّسالةِ إذا انتفتْ صفة الكلام

والله عزَّ وجَلَّ مُوصٍ آمِرٌ ... نَاهٍ مُنَبٍّ مُرْسِلٌ لِبَيَانِ
وَمُخَاطِبٌ ومُحَاسِبٌ وَمُنَبِّىءٌ ... وَمُحَدِّثٌ ومُخَبِّرٌ بالشَّانِ
ومُكَلِّمٌ مُتَكَلِّمٌ بَلْ قَائِلٌ ... ومحَذِّرٌ ومبَشِّرٌ بأَمَانِ
هادٍ يَقُولُ الحقَّ يُرْشِدُ خَلْقَهُ ... بكَلاَمِهِ لِلحَقِّ والإيمَانِ
فإذا انْتَفَتْ صِفَةُ الكَلاَمِ فكُلُّ هـ ... ـذَا منْتَفٍ متحقِّقُ البُطْلاَنِ

وإذَا انتَفَتْ صِفَةُ الكَلاَمِ كَذَلِكَ الْـ إرْسَال مَنْفِيٌّ بِلاَ فُرْقَانِ
فرِسَالةُ المبعوثِ تبليغٌ كَلاَ مَ المرسِل الداعِي بِلاَ نُقْصَانِ
وحَقِيقَةُ الإرسَالِ نفسُ خطَابِهِ لِلمرْسَلِينَ وأنَّهُ نَوْعَانِ
نَوْعٌ بغَيْرِ وَسَاطَةٍ ككَلاَمِهِ مُوسَى وجبْرِيلَ القريبِ الدَّانِي
مِنهُ إلَيْهِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهِ إذْ لاَ تَراهُ هَا هُنَا العَيْنَانِ
وَالآخَرُ التَّكْلِيمُ مِنْهُ بالوَسَا طَةِ وَهْوَ أيضاً عندَهُ ضَرْبَانِ
وَحْيٌ وَإرْسَالٌ إلَيْهِ وَذَاكَ فِي الشْـ ـشُورَى أَتَى فِي أَحْسَنِ التِّبْيَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في إلزامهم التَّشبيهَ للرَّبِّ بالجمادِ الناقصِ إذا انتفتْ صفة الكلامِ

وَإذا انتَفَتْ صِفَةُ الكَلاَمِ فَضِدُّهَا خَرَسٌ وذلكَ غَايَةُ النُّقْصَانِ
فلَئِنْ زَعَمْتُمْ أنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي هُوَ قَابِلٌ مِنْ أمَّةِ الحَيَوَانِ
والرَّبُّ لَيْسَ بقَابِلٍ صِفَةَ الكَلاَ مِ فَنَفْيُهَا مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ
فيُقَالُ سَلْبُ كَلاَمِهِ وَقَبُولُهُ صِفَةَ الكَلامِ أتمُّ للنقْصَانِ
إذْ أخْرَسُ الإنسَانِ أكملُ حَالةً مِنْ ذَا الجَمَادِ بأوضَحِ البُرْهَانِ
فَجَحدْتَ أَوْصَافَ الكمَالِ مَخَافَةَ التْـ تَشْبِيهِ والتَّجْسِيمِ بالإنْسَانِ
وَوَقَعْتَ فِي تَشْبِيهِهِ بالنَّاقِصَا تِ الجَامِداتِ وذَا مِنَ الخِذْلاَنِ
الله أكبرُ هُتِّكَتْ أَسْتَارُكُمْ حَتى غَدَوْتُمْ ضُحْكَةَ الصِّبْيَانِ

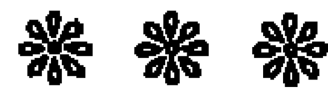
فصلٌ

في إلزامِهمْ بالقولِ بأنَّ كلامَ الخلقِ حقُّهُ وباطِلُهُ عينُ كلامِ اللَّهِ سبحانَهُ

أو لَيْسَ قَدْ قَامَ الدَّلِيلُ بأنَّ أَفْـ ـعَالَ العِبَادِ خَلِيقَةُ الرَّحْمٰنِ

مِنْ أَلْفِ وَجْهٍ أَوْ قَرِيبِ الأَلْفِ يُحْـ … ـصِيهَا الَّذِي يُعْنَى بِهَذَا الشَّانِ
فَيَكُونُ كُلُّ كَلَامِ هَذَا الخَلْقِ عَيْـ … ـنَ كَلَامِهِ سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ
إِذْ كَانَ مَنْسُوباً إِلَيْهِ كَلَامُهُ … خَلْقاً كَبَيْتِ اللَّهِ ذِي الأَرْكَانِ
هَذَا وَلَازِمُ قَوْلِكُمْ قَدْ قَالَهُ … ذُو الاتِّحَادِ مُصَرِّحاً بِبَيَانِ
حَذَرَ التَّنَاقُضِ إِذْ تَنَاقَضْتُمْ وَلَـ … ـكِنْ طَرْدُهُ فِي غَايَةِ الكُفْرَانِ
فَلَئِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ تَخْصِيصَ القُرَا … نِ كَبَيْتِهِ وَكِلَاهُمَا خَلْقَانِ
فَيُقَالُ ذَا التَّخْصِيصُ لَا يَنْفِي العُمُو … مَ كَرَبُّ ذِي الأَكْوَانِ
وَيُقَالُ رَبُّ العَرْشِ أَيْضاً هَكَذَا … تَخْصِيصُهُ لِإِضَافَةِ القُرْآنِ
لَا يَمْنَعُ التَّعْمِيمَ فِي البَاقِي وَذَا … فِي غَايَةِ الإِيضَاحِ وَالتِّبْيَانِ

***



في التَّفريقِ بين الخلقِ والأمْرِ

وَلَقَدْ أَتَى الفُرْقَانُ بَيْنَ الخَلْقِ وَالْـ … أَمْرِ الصَّرِيحِ وَذَاكَ فِي الفُرْقَانِ
وَكِلَاهُمَا عِنْدَ المُنَازِعِ وَاحِدٌ … وَالكُلُّ خَلْقٌ مَا هُنَا شَيْئَانِ
وَالعَطْفُ عِنْدَهُمُ كَعَطْفِ الفَرْدِ مِنْ … نَوْعٍ عَلَيْهِ وَذَاكَ فِي القُرْآنِ
فَيُقَالُ هَذَا ذُو امْتِنَاعٍ ظَاهِرٍ … فِي آيَةِ التَّفْرِيقِ ذُو تِبْيَانِ
فَاللهُ بَعْدَ الخَلْقِ أَخْبَرَ أَنَّهَا … قَدْ سُخِّرَتْ بِالأَمْرِ لِلْجَرَيَانِ
وَأَبَانَ عَنْ تَسْخِيرِهَا سُبْحَانَهُ … بِالأَمْرِ بَعْدَ الخَلْقِ بِالتِّبْيَانِ
وَالأَمْرُ إِمَّا مَصْدَرٌ أَوْ كَانَ مَفْـ … ـعُولاً هُمَا فِي ذَاكَ مُسْتَوِيَانِ
مَأْمُورُهُ هُوَ قَابِلٌ لِلأَمْرِ كَالْـ … ـمَصْنُوعِ قَابِلُ صَنْعَةِ الرَّحْمٰنِ
فَإِذَا انْتَفَى الأَمْرُ انْتَفَى المَأْمُورُ كَالْـ … ـمَخْلُوقِ يُنْفَى لِانْتِفَا الحِدْثَانِ
وَانْظُرْ إِلَى نَظْمِ السِّيَاقِ تَجِدْ بِهِ … سِرّاً عَجِيباً وَاضِحَ البُرْهَانِ
ذَكَرَ الخُصُوصَ وَبَعْدَهُ مُتَقَدِّماً … وَالوَصْفَ وَالتَّعْمِيمَ فِي ذَا الثَّانِي
فَأَتَى بِنَوْعَيْ خَلْقِهِ وَبِأَمْرِهِ … فِعْلاً وَوَصْفاً مُوجَزاً بِبَيَانِ

فتدبرِ القُرآنَ إنْ رُمتَ الهُدَى ... فالعِلْمُ تحتَ تَدبُّرِ القُرآنِ



فصلٌ

في التَّفريقِ بينَ مَا يضافُ إلى الرَّبِّ تعالى من الأوْصَافِ والأعْيانِ

والله أخْبَرَ فِي الكِتَابِ بأنَّهُ ... مِنْهُ وَمجْرورٌ بِهِ مِنْ نَوْعَانِ

عَيْنٌ وَوَصْفٌ قَائِمٌ بِالْعَيْنِ فَالْـ ... أعْيَانُ خَلْقُ الخَالِقِ الرَّحْمٰنِ

والوَصْفُ بالمجْرورِ قَامَ لأنَّهُ ... أوْلَى بِهِ فِي عُرفِ كلِّ لِسَانِ

ونظِيرُ ذَا أيْضاً سَوَاءٌ مَا يضَا ... فُ إلَيْهِ منْ صِفةٍ ومنْ أعْيَانِ

فإضَافَةُ الأوْصَافِ ثَابِتَةٌ لِمنْ ... قَامَتْ بِهِ كإرَادَةِ الرَّحْمٰنِ

وإضَافَةُ الأعْيَانِ ثَابِتَةٌ لَهُ ... مِلْكاً وخَلْقاً مَا هُمَا سِيَّانِ

فانظُرْ إلَى بَيتِ الإلٰهِ وعِلْمِهِ ... لمَّا أُضِيفَا كَيْفَ يَفْتَرِقَانِ

وكَلامُهُ كحَيَاتِهِ وكعِلْمِهِ ... فِي ذِي الإضَافَةِ إذْ هُمَا وَصفَانِ

لكنَّ نَاقَتَهُ وبَيْتَ إلٰهِنَا ... فكعَبْدِهِ أيضاً هُمَا ذَاتَانِ

فانظُرْ إلَى الجَهْمِيِّ لَمَّا فَاتَهُ الْـ ... حَقُّ المبِينُ وَوَاضِحُ البرْهَانِ

كَانَ الجَمِيعُ لدَيْه باباً واحداً ... والصبحُ لاَحَ لمنْ له عَيْنَانِ



فصلٌ

وأتَى ابنُ حزمٍ بَعْدَ ذَاكَ فقَالَ مَا ... لِلنَّاسِ قُرآنٌ ولاَ إثْنَانِ

بَلْ أرْبَعٌ كلٌّ يُسَمَّى بالقُرَا ... نِ وذَاكَ قَوْلٌ بَيِّنُ البُطْلاَنِ

هَذَا الَّذِي يُتْلَى وآخَرُ ثَابِتٌ ... فِي الرَّسْمِ يُدْعَى المصْحَفَ العُثْمَانِي

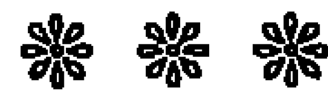
والثَّالِثُ المحفُوظُ بَيْنَ صُدُورِنَا ... هَذِي الثَّلاَثُ خَلِيقَةُ الرَّحْمٰنِ

والرابعُ المعْنَى القَدِيمُ كعِلْمِهِ ... كُلٌّ يُعَبَّرُ عَنْهُ بالقُرآنِ

وأظنُّهُ قَدْ رَامَ شيئاً لَمْ يَجِدْ ... عَنْهُ عِبَارَةَ نَاطِقٍ بِبَيَانِ
إنَّ المعَيَّنَ ذُو مَرَاتِبَ أربعٍ ... عُقلت فَلاَ تَخْفَى عَلَى إنسَانِ
فِي العَيْنِ ثمَّ الذِّهْنِ ثمَّ اللَّفظِ ثُمْـ ... ـمَ الرَّسْمِ حِينَ تَخُطُّه بِبَيَانِ
وَعَلَى الجَمِيعِ الاسْمُ يُطْلَقُ لَكِنِ الْـ ... أوْلَى بِهِ المَوجُودُ فِي الأعْيَانِ
بِخِلاَفِ قَوْلِ ابْنِ الخَطِيبِ فَإنَّهُ ... قَدْ قَالَ إنَّ الوَضْعَ لِلأذْهَانِ
فَالشَّيءُ شَيءٌ وَاحِدٌ لاَ أربعٌ ... فَدَهَى ابنَ حزمٍ قِلَّةُ الفُرْقَانِ
واللَّهُ أخْبَرَ أنَّهُ سُبْحَانَهُ ... مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْفُرْقَانِ
وكَذَاكَ أخْبَرَنَا بِأنَّ كِتَابَهُ ... بِصُدُورِ أهْلِ العِلْمِ والإيمَانِ
وكذَاكَ أخبَرَ أنهُ المكْتُوبُ فِي ... صُحُفٍ مطَهَّرةٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ
وكَذاكَ أخْبَرَ أنهُ المتْلُوُّ والْـ ... ـمَقْرُوءُ عِنْدَ تِلاَوَةِ الإنْسَانِ
والكُلُّ شَيءٌ وَاحِدٌ لاَ أنَّهُ ... هُوَ أرْبَعٌ وثَلاَثَةٌ واثْنَانِ
وَتِلاَوَةُ القُرْآنِ أفْعَالٌ لَنَا ... وكذا الكِتَابَةُ فَهْيَ خَطُّ بَنَانِ
لَكِنَّمَا المتْلُوُّ والمكْتُوبُ والْـ ... ـمَحْفُوظُ قَوْلُ الواحِد الرَّحْمٰنِ
والعَبْدُ يقرَؤُهُ بصَوْتٍ طَيِّبٍ ... وبِضِدِّه فَهُمَا لَهُ صَوْتَانِ
وَكَذَاكَ يَكْتُبُه بِخَطٍّ جَيِّدٍ ... وبِضِدِّهِ فهُمَا لَهُ خَطَّانِ
أصْوَاتُنَا ومِدَادُنا وَأدَاوُنَا ... والرَّقُّ ثُمَّ كِتَابَةُ القُرْآنِ
ولقدْ أتَى فِي نَظْمِهِ مَنْ قالَ قَوْ ... لَ الحَقِّ والإنْصَافِ غَيْرَ جَبَانِ
إنَّ الَّذِي هُوَ فِي المصَاحِفِ مُثْبَتٌ ... بِأنَامِلِ الأشْيَاخِ والشُّبَّانِ
هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وحُرُوفُهُ ... ومِدَادُنَا والرَّقُّ مَخْلُوقَانِ
فَشَفَى وفَرَّقَ بَيْنَ مَتْلُوٍّ ومصْـ ... ـنُوعٍ وذَاكَ حَقِيقَةُ العِرْفَانِ
الكُلُّ مَخْلُوقٌ وَلَيْسَ كَلاَمُهُ الْـ ... ـمَتْلُوُّ مَخْلُوقاً هُنَا شَيْئَانِ
فَعَلَيْكَ بالتَّفْصِيلِ والتَّمييزِ فالْـ ... إطْلاَقُ والإجْمَالُ دُونَ بَيَانِ
قَدْ أفْسَدَا هَذَا الوُجودَ وَخَبَّطَا الْـ ... أذْهَانَ والآراءَ كُلَّ زَمَانِ
وَتِلاَوَةُ القُرْآنِ فِي تَعْرِيفِهَا ... باللامِ قَدْ يُعْنَى بِهَا شَيْئَانِ
يُعْنَى بِهِ المتْلُوُّ فَهْوَ كَلاَمُهُ ... هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَذِي الأكْوَانِ

ويُـرادُ أفـعَـالُ الـعِـبَـادِ كـصَـوْتِـهِـمْ وأدَائِــهِــمْ وكِــلاَهُــمَــا خَــلْــقَــانِ
هَـذَا الَّـذِي نَـصَّـتْ عَـلَـيهِ أئِـمَّـةُ الْـ إسْـلاَمِ أهْـلُ الـعِـلْـمِ والـعِـرْفَـانِ
وَهْـوَ الَّـذِي قَـصَـدَ الـبُـخَـارِيُّ الـرِّضَـى لَـكِـنْ تَـقَـاصـرَ قَـاصِـرُ الأذْهَـانِ
عَـنْ فَـهْـمِـهِ كـتَـقَـاصُـرِ الأفْـهَـامِ عَـنْ قَـولِ الإمَـامِ الأعْـظَـمِ الـشَّـيْـبَـانِـي
فِي اللَّفْظِ لمَّا أنْ نَفَى الضِّدَّيْنِ عَنْـ ـهُ واهْـتَـدَى لِـلـنَّـفْـيِ ذُو عِـرْفَـانِ
فـالـلَّـفْـظُ يَـصْـلُـحُ مَـصْـدَراً هُـوَ فِـعْـلُـنَـا كَـتَـلَـفُّـظِ بِـتِـلاَوَةِ الـقُـرآنِ
وَكَـذاكَ يَـصْـلُـحُ نَـفْـسَ مَـلْـفُـوظٍ بِـهِ وَهْـوَ الـقُـرانُ فَـذَانِ مُـحْـتَـمَـلاَنِ
فَـلِـذَاكَ أنْـكَـرَ أحْـمَـدُ الإطْـلاَقَ فِـي نَـفْـيٍ وإثْـبَـاتٍ بِـلاَ فُـرْقَـانِ

❊ ❊ ❊



فصلٌ
في كلامِ الفلاسفةِ والقَرامِطَةِ في كلامِ الرَّبِّ جلَّ جلاله

وأتَـى ابـنُ سِـيـنَـا الـقُـرْمُـطِـيُّ مُـصَـانِـعـاً لِـلـمُـسْـلِـمِـيـنَ بِـإفْـكِ ذِي بُـهْـتَـانِ
فَـرَآهُ فَـيْـضـاً فَـاضَ مِـنْ عَـقْـلٍ هُـوَ الْـ فَـعَّـالُ عِـلَّـةُ هَـذِهِ الأكْـوَانِ
حَـتَّـى تَـلَـقَّـاهُ زَكِـيٌّ فَـاضِـلٌ حَـسَـنُ الـتَّـخَـيُّـلِ جَـيِّـدُ الـتِّـبْـيَـانِ
فـأتَـى بِـهِ لِـلـعَـالَـمِـيـنَ خَـطَـابَـةً ومَـوَاعِـظـاً عَـرِيَـتْ عـنِ الـبُـرْهَـانِ
مَـا صَـرَّحَـتْ أخْـبَـارُهُ بِـالـحَـقِّ بَـلْ رَمَـزَتْ إلَـيْـهِ إشَـارَةً لِـمَـعَـانِ
وخِطَابُ هَذَا الخَلْقِ والجُمْهُورِ بِالْـ حَـقِّ الـصَّـرِيـحِ فَـغَـيْـرُ ذِي إمْـكَـانِ
لاَ يَـقْـبَـلُـونَ حَـقَـائِـقَ الـمَـعْـقُـولِ إلْـ ـلاَ فِـي مِـثَـالِ الـحِـسِّ والأعْـيَـانِ
وَمَـشَـارِبُ الـعُـقَـلاءِ لاَ يَـرِدُونَـهَـا إلاَّ إذَا وُضِـعَـتْ لَـهُـمْ بِـأوَانِ
مِنْ جِنْسِ مَا أَلِفَتْ طِبَاعُهُمُ مِنَ الْـ ـمَحْسُوسِ فِي ذَا العَالَمِ الجُثْمَانِي
فـأتَـوْا بِـتَـشْـبِـيـهٍ وتَـمْـثِـيـلٍ وتَـجْـ ـسِـيـمٍ وتَـخْـيِـيـلٍ إلَـى الأذْهَـانِ
ولِـذَاكَ يَـحْـرُمُ عِـنْـدَهُـمْ تَـأوِيـلُـهُ لَـكِـنَّـهُ حِـلٌّ لِـذِي الـعِـرْفَـانِ
فَـإذَا تَـأوَّلْـنَـاهُ كَـانَ جِـنَـايَـةً مِـنَّـا وَخَـرْقَ سِـيَـاجِ ذَا الـبُـسْـتَـانِ

لَـكِـنْ حَـقِـيـقَـةُ قَـوْلِـهِـمْ أَنْ قَـدْ أَتَـوْا بـالـكِـذْبِ عِـنْـدَ مَـصَـالِـحِ الإنْـسَـانِ
والـفَـيْـلَـسُـوفُ وَذَا الـرَّسُـولُ لَـدَيْـهِـمُ مُـتَـفَـاوِتَـانِ وَمَـا هُـمَـا عِـدْلاَنِ
أَمَّـا الـرَّسُـولُ فَـفَـيْـلَـسُـوفُ عَـوَامِّـهِـمْ وَالـفَـيْـلَـسُـوفُ نَـبِـيُّ ذِي الـبُـرْهَـانِ
والْـحَـقُّ عِـنْـدَهُـمُ فَـفِـيـمَـا قَـالَـهُ أَتْـبَـاعُ صَـاحِـبِ مَـنْـطِـقِ الـيُـونَـانِ
وَمَـضَـى عَـلَـى هَـذِي الـمـقَـالَـةِ أمَّـةٌ خَـلْـفَ ابْـنِ سِـيـنَـا فـاغْـتَـذَوْا بِـلِـبَـانِ
مِـنْـهُـمْ نَـصِـيـرُ الـكُـفْـرِ فِـي أَصْـحَـابِـهِ الـنَّـاصِـرِيـنَ لِـمِـلَّـةِ الـشَّـيْـطَـانِ
فَـاسْـأَلْ بِـهِـمْ ذَا خِـبْـرَةٍ تَـلْـقَـاهُـمُ أَعْـدَاءَ كُـلِّ مُـوَحِّـدٍ رَبَّـانِـي
واسْـأَلْ بِـهِـمْ ذَا خِـبْـرَةٍ تَـلْـقَـاهُـمُ أَعْـدَاءَ رُسْـلِ الله والـقُـرْآنِ
صُـوفِـيُّـهُـمْ عَـبْـدُ الـوُجُـودِ الـمطْـلَـقِ الْـ ـمَـعْـدُوم عَـنْـدَ الـعَـقْـلِ فِـي الأَعْـيَـانِ
أَوْ مُـلْـحِـدٌ بـالإتّـحَـادِ يَـدِيـنُ لاَ الـتَّـ ـوحِـيـدِ، مُـنْـسَـلِـخٌ مِـنَ الأَدْيَـانِ
مَـعْـبُـودُهُ مَـوْطُـوءُهُ فِـيـهِ يَـرَى وَصْـفَ الـجَـمَـالِ وَمَـظْـهَـرَ الإحْـسَـانِ
اللَّـهُ أَكـبَـرُ كَـمْ عَـلَـى ذَا الـمـذْهَـبِ الْـ ـمَـلْـعُـونِ بَـيْـنَ الـنَّـاسِ مِـنْ شِـيـخَـانِ
يَـبْـغُـونَ مِـنْـهُـمْ دَعْـوَةً ويـقَـبِّـلُـو نَ أَيَـادِيـاً مِـنْـهُـمْ رَجَـا الـغُـفْـرَانِ
وَلَـوَ انَّـهُـمْ عَـرَفُـوا حَـقِـيـقَـةَ أمْـرِهِـمْ رَجَـمُـوهُـمُ لاَ شَـكَّ بِـالـصَّـوَّانِ
فـابْـذُرْ لَـهُـمْ إنْ كُـنْـتَ تَـبْـغِـي كَـشْـفَـهُـمْ وَافْـرِشْ لَـهُـمْ كَـفّـاً مِـنَ الأتْـبَـانِ
وَاظْـهَـرْ بِـمـظْـهَـرِ قَـابِـلٍ مِـنْـهُـمْ وَلاَ تَـظْـهَـرْ بِـمَـظْـهَـرِ صَـاحِـبِ الـنُّـكْـرانِ
وَانْـظُـرْ إلَـى أَنْـهَـار كُـفْـرٍ فُـجِّـرَتْ وَتَـهِـمُ لَـوْلاَ الـسَّـيْـفُ بـالـجَـرَيَـانِ

❋ ❋ ❋



في مقالاتِ طوائفِ الاتّحاديَّةِ في كلامِ الرَّبِّ جلَّ جلالُهُ

وأتَـتْ طَـوَائِـفُ الاتِّـحَـادِ بِـمِـلَّـةٍ طَـمَّـتْ عَـلَـى مَـا قَـالَ كُـلُّ لِـسَـانِ
قَـالُـوا كَـلاَمُ الله كُـلُّ كَـلاَمِ هَـ ـذَا الْـخَـلْـقِ مِـنْ جِـنٍّ وَمِـنْ إنْـسَـانِ
نَـظْـمـاً وَنَـثْـراً زُورَهُ وصَـحِـيـحَـهُ صِـدْقـاً وَكِـذْبـاً وَاضِـحَ الـبُـطْـلاَنِ

فالسَّبُّ والشَّتْمُ القَبِيحُ وقَذْفُهُمْ لِلْمُحْصَنَاتِ وَكُلُّ نَوْعِ أَغَانِ
والنَّوْحُ والتَّعْزِيمُ والسِّحْرُ المبيـ ـنُ وَسَائِرُ البُهْتَانِ والهَذَيَانِ
هُوَ عَيْنُ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ جَلالُهُ وَكَلامُهُ حَقّاً بِلاَ نُكْرَانِ
هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ أَصْلُهُمْ وعَلَيْهِ قَامَ مُكَسَّحُ البُنْيَانِ
إذْ أَصْلُهُمْ أَنَّ الإلهَ حَقِيقَةً عَيْنُ الوُجُودِ وَعَيْنُ ذِي الأكْوَانِ
فَكَلاَمُهَا وَصِفَاتُهَا هُوَ قَوْلُهُ وَصِفَاتُهُ مَا هَا هُنَا قَوْلاَنِ
وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ المَوصُوفُ بِالـ ـضِّدَّيْنِ مِنْ قُبْحٍ وَمِن إِحْسَانِ
وكذَاكَ قَدْ وَصَفُوهُ أَيْضاً بالكَمَا لِ وَضِدِّهِ مِنْ سَائِرِ النقْصَانِ
هَذِي مَقَالاَتُ الطَّوَائِفِ كُلِّهَا حُمِلَتْ إِلَيْكَ رَخِيصَةَ الأثْمَانِ
وأَظُنُّ لَوْ فَتَّشْتَ كُتْبَ النَّاسِ مَا أَلْفَيْتَهَا أَبَداً بِذَا التِّبْيَانِ
زُفَّتْ إِلَيْكَ فإنْ يَكُنْ لَكَ نَاظِرٌ أَبْصَرْتَ ذَاتَ الحُسْنِ والإِحْسَانِ
فَاعْطِفْ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ المغْلِ الأُلَى خَرقُوا سِيَاجَ العَقْلِ والقُرْآنِ
شَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ واكْسِرْهُمُ بَلْ نَادِ فِي نَادِيهِمُ بِأَذَانِ
أَفسَدتُمُ المعْقُولَ والمنْقُولَ والـ ـمَسْمُوعَ مِنْ لُغَةٍ بِكُلِّ لِسَانِ
أَيَصِحُّ وَصْفُ الشَّيءِ بالمشْتَقِّ وَالـ ـمَسْلُوب مَعْنَاهُ لِذِي الأَذْهَانِ
أَيَصِحُّ صَبَّارٌ وَلاَ صَبْرٌ لَهُ ويَصِحُّ شَكَّارٌ بِلاَ شُكْرَانِ
ويَصِحُّ عَلاَّمٌ وَلاَ عِلْمٌ لَهُ وَيَصِحُّ غَفَّارٌ بِلاَ غُفْرَانِ
وَيُقَالُ هَذَا سَامِعٌ أَوْ مُبْصِرٌ وَالسَّمْعُ والإِبْصَارُ مَفْقُودَانِ
هَذَا مُحَالٌ فِي العُقُولِ وَفِي النُّقُو لِ وَفِي اللُّغَاتِ وَغَيْرُ ذِي إِمْكَانِ
فَلَئِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ لَكِنْ بِقَوْلٍ قَامَ بالإِنْسَانِ
أَوْ غَيْرِهِ فَيُقَالُ هَذَا بَاطِلٌ وَعَلَيْكُمُ فِي ذَاكَ مَحْذُورَانِ
نَفْيُ اشْتِقَاقِ اللَّفْظِ للموْجُودِ مَعْـ ـنَاهُ بِهِ وَثُبُوتُهُ لِلثَّانِي
أَعْنِي الَّذِي مَا قَامَ مَعْنَاهُ بِهِ قَلْبُ الحَقَائِقِ أَقْبَحُ البُهْتَانِ
ونَظِيرُ ذَا أَخَوَانِ هَذَا مُبْصِرٌ وأَخُوهُ مَعْدُودٌ مِنَ العُمْيَانِ
سمَّيْتُمُ الأَعْمَى بَصِيراً إِذْ أَخُو هُ مُبْصِرٌ وبِعَكْسِهِ فِي الثَّانِي

فَـلَـئِـنْ زَعَـمْـتُـمْ أنَّ ذَلِـكَ ثَـابِـتٌ فِـي فِـعْـلِـهِ كَـالـخَـلْـقِ لـلأَكْـوَانِ
والـفِـعْـلُ لَـيْـسَ بـقَـائِـم بـإِلَـهِـنَـا إذْ لاَ يَـكُـونُ مَـحَـلَّ ذِي حِـدْثَـانِ
وَيَـصِـحُّ أَنْ يُـشْـتَـقَّ مِـنْـهُ خَـالِـقٌ فَـكَـذَلِـكَ الـمـتَـكَـلِّـمُ الـوَحْـدَانِـي



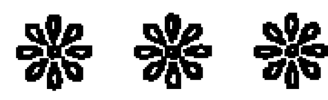
هُـوَ فـاعِـلٌ لِـكَـلاَمِـهِ وَكِـتَـابِـهِ لَـيْـسَ الـكَـلاَمُ لَـهُ بِـوَصْـفِ مَـعَـانِـي
وَمُـخَـالِـفُ المعْقُولِ والمنْقُولِ والْـ ـفِـطْـرَاتِ والـمـسْـمُـوعِ لـلإِنْـسَـانِ
مَـنْ قَـالَ إنَّ كَـلاَمَـهُ سُـبْـحَـانَـهُ وَصْـفٌ قَـدِيـمٌ أحْـرُفٌ وَمَـعَـانِـي
والسِّينُ عِنْدَ البَاءِ لَيسَتْ بَعْدَهَا لَـكِـنْ هُـمَـا حَـرْفَـانِ مُـقْـتَـرِنَـانِ
أَوْ قَـالَ إنَّ كَـلاَمَـهُ سُـبْـحَـانَـهُ مَـعْـنـىً قَـدِيـمٌ قَـامَ بـالـرَّحْـمٰـنِ
مَـا إنْ لَـهُ كُـلٌّ وَلاَ بَـعْـضٌ وَلا الْـ ـعَـرَبِـيْ حَـقِـيـقَـتُـهُ وَلاَ الـعِـبْـرَانِـي
والأمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ واسْتِفْهَامُهُ هُـوَ عَـيْـنُ أَخْـبَـارٍ بِـلاَ فُـرْقَـانِ
وكَـلاَمُـهُ كَـحَـيَـاتِـهِ مَـا ذَاكَ مَـقْـ ـدُورٌ لَـهُ بَـلْ لاَزِمُ الـرَّحْـمٰـنِ
هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ المعْقُولَ والْـ ـمَـنْـقُـول والـفِـطْـرَاتِ لـلإِنْـسَـانِ
أَمَّـا الَّـذِي قَـدْ قَـالَ إنَّ كَـلاَمَـهُ ذُو أحْـرُفٍ قَـدْ رُتِّـبَـتْ بِـبَـيَـانِ
وَكَـلاَمُـهُ بِـمَـشِـيـئَـةٍ وإرَادَةٍ كَـالـفِـعْـلِ مِـنْـهُ كِـلاَهُـمَـا سِـيَّـانِ
فَهُوَ الَّذِي قَدْ قَالَ قَوْلاً يَعْلَمُ الْـ ـعُـقَـلاَءُ صِـحَّـتَـهُ بِـلاَ نُـكْـرانِ
فَـلأيِّ شَـيءٍ كَـانَ مَـا قَـدْ قُـلْـتُـمُ أَوْلَـى وَأَقْـرَبَ مِـنْـهُ لـلـبُـرهَـانِ
ولأيِّ شَـيءٍ دَائِـمـاً كَـفَّـرْتُـمُ أَصْـحَـابَ هَـذَا الـقَـوْلِ بِـالـعُـدْوانِ
فَدَعُوا الدَّعَاوَى وابْحَثُوا مَعْنىً بِتَحْـ ـقِـيـقٍ وإنْـصَـافٍ بِـلاَ عُـدْوَانِ
وَارْفُوا مَذَاهِبَكُمْ وسدُّوا خَرْقَهَا إنْ كَـانَ ذَاكَ الـرَّفْـوُ فِـي الإِمْـكَـانِ
فَـاحْـكُـمْ هَـذَاكَ اللهُ بَـيْـنَـهُـمْ فَـقَـدْ أَدْلَـوْا إِلَـيْـكَ بِـحُـجَّـةٍ وبَـيَـانِ
لاَ تَـنْـصُـرَنَّ سِـوَى الـحَـدِيـثِ وأَهْـلِـهِ هُـمْ عَـسْـكَـرُ الإِيـمَـانِ والـقُـرْآنِ
وتَـحَـيَّـزَنَّ إِلَـيْـهِـمُ لاَ غَـيْـرِهُـمْ لِـتَـكُـونَ مـنْـصُـوراً لَـدَى الـرحْـمٰـنِ
فـتـقُـولُ هَـذَا الـقَـدْرُ قَـدْ أَعْـيَـا عَـلَـى أَهْـلِ الـكَـلاَمِ وَقَـادَةُ أَضْـلاَنِ
إِحـدَاهُـمَـا هَـلْ فِـعْـلُـهُ مـفـعُـولُـهُ أَوْ غَـيْـرُهُ فَـهُـمَـا لَـهُـمْ قَـوْلاَنِ

والـقَـائِـلُـونَ بـأنَّـهُ هُـوَ عَـيْـنُـهُ فَـرُّوا مِـنَ الأوصَـافِ بـالـحِـدْثَـانِ
لَـكِـنْ حَـقِـيـقَـةُ قَـوْلِـهِـمْ وَصَـرِيـحُـهُ تَـعْـطِـيـلُ خَـالِـقِ هَـذِهِ الأكْـوَانِ
عَـنْ فِـعْـلِـهِ إذْ فِـعْـلُـهُ مَـفْـعُـولُـهُ لَـكِـنَّـهُ مَـا قَـامَ بـالـرَّحْـمٰـنِ
فَعَلَى الـحَقِـيـقَـةِ مَا لَـهُ فِـعْـلٌ إذِ الْـ ـمَـفْـعُـولُ مُـنْـفَـصِـلٌ عَـنِ الـدَيَّـانِ
والـقَـائِـلُـونَ بـأنَّـهُ غَـيْـرٌ لَـهُ مُـتَـنَـازِعُـونَ وَهُـمْ فَـطَـائِـفَـتَـانِ
إحْـداهُـمَـا قَـالَـتْ قَـديـمٌ قَـائِـمٌ بـالـذَّاتِ وَهْـوَ كَـقُـدرةِ الـمـنَّـانِ
سَـمَّـوْهُ تَـكْـوِيـنـاً قَـديـمـاً قَـالَـهُ أتْـبَـاعُ شَـيْـخِ الـعَـالِـمِ الـنُّـعْـمَـانِـي
وَخُـصُـومُـهُـمْ لَـمْ يُـنْـصِـفُـوا فِـي رَدِّهِ بَـلْ كَـابَـرُوهُـمْ مَـا أتَـوْا بِـبَـيَـانِ
والآخَـرُونَ رأَوْهُ أمْـراً حَـادِثـاً بـالـذَّاتِ قَـامَ وأنَّـهُـمْ نَـوْعَـانِ
إحْـدَاهُـمَـا جَـعَـلَـتْـهُ مُـفْـتَـتَـحـاً بِـهِ حَـذَرَ الـتَـسَـلْـسُـلِ لَـيْـسَ ذَا إمْـكَـانِ
هَـذَا الَّـذِي قَـالَـتْـهُ كَـرَّامِـيَّـةٌ فَـفِـعَـالُـهُ وكَـلامُـهُ سِـيَّـانِ
والآخَـرُونَ أُولُـو الـحَـدِيـثِ كـأحْـمَـدٍ ذَاكَ ابـنُ حَـنْـبَـلٍ الـرِّضَـا الـشَّـيْـبَـانِـي
قَـدْ قَـالَ إنَّ الله حَـقّـاً لَـمْ يَـزَلْ مُـتَـكَـلِّـمـاً إنْ شَـاءَ ذُو إحْـسَـانِ
جَـعَـلَ الـكَـلامَ صِـفَـاتِ فِـعْـلٍ قَـائـمٍ بـالـذَّاتِ لَـمْ يُـفْـقَـدْ مِـنَ الـرَّحْـمٰـنِ
وَكَـذَاكَ نَـصَّ عَـلَـى دَوَامِ الـفِـعْـلِ بـالْـ إحْـسَـانِ أيْـضـاً فِـي مَـكَـانٍ ثَـانِ
وَكَـذَا ابْـنُ عَـبَّـاسٍ فَـراجِـعْ قَـوْلَـهُ لَـمَّـا أجَـابَ مَـسَـائِـلَ الـقُـرآنِ
وكَـذَاكَ جَـعْـفَـرٌ الإمَـامُ الـصَّـادِقُ الْـ ـمَـقْـبُـولُ عِـنْـدَ الـخَـلْـقِ ذُو الـعِـرْفَـانِ
قَـدْ قَـالَ لَـمْ يَـزَلِ الـمُـهَـيْـمِـنُ مُـحْـسِـنـاً بَـرّاً جَـوَاداً عِـنْـدَ كُـلِّ أوانِ
وَكَـذَا الإمَـامُ الـدَّارِمِـيُّ فـإنَّـهُ قَـدْ قَـالَ مَـا فِـيـهِ هُـدَى الـحَـيْـرانِ
قَـالَ الـحَـيَـاةُ مَـعَ الـفِـعَـالِ كِـلاَهُـمَـا مُـتَـلازِمَـانِ فَـلَـيْـسَ يَـفْـتَـرِقَـانِ
صَـدَقَ الإمَـامُ فَـكُـلُّ حَـيٍّ فَـهـوَ فَـعْـ ـعَـالٌ وَذَا فِـي غَـايَـةِ الـتِّـبْـيَـانِ
إلاَّ إذَا مَـا كَـانَ ثَـمَّ مَـوانِـعٌ مِـنْ آفـةٍ أو قَـاسِـرِ الـحَـيَـوَانِ
والـرَّبُّ لَـيْـسَ لِـفـعْـلِـهِ مِـنْ مَـانـعٍ مَـا شَـاءَ كَـانَ بِـقُـدْرَةِ الـدَّيَّـانِ
ومَـشِـيـئَـةُ الـرَّحـمٰـنِ لازِمَـةٌ لَـهُ وَكَـذَاكَ قُـدْرَةُ رَبِّـنَـا الـرحْـمٰـنِ
هَـذَا وَقَـدْ فَـطَـرَ الإلَـهُ عِـبَـادَهُ إنَّ الـمُـهَـيْـمِـنَ دَائِـمُ الإحْـسَـانِ

أَوَ لَسْتَ تَسْمَعُ قَوْلَ كُلِّ مُوَحِّدٍ يَا دَائِمَ المَعْرُوفِ والسُّلْطَانِ
وَقَدِيمَ الاحْسَانِ الكثيرِ ودَائِمَ الْـ جُودِ العَظِيمِ وصَاحِبَ الغُفْرانِ
مِنْ غَيْرِ إنْكَار عَلَيْهِمْ فِطْرَةٌ فُطِرُوا عَلَيْهَا لاَ تَواصِيَ ثَانِ
أَوَ لَيْسَ فِعْلُ الرَّبِّ تَابعَ وَصْفِهِ وَكَمَالِهِ أَفَذَاكَ ذُو حِدْثَانِ
وَكَمَالُهُ سَبَبُ الفِعَالِ وَخَلْقُهُ أَفْعَالَهُمْ سَبَبُ الكَمَالِ الثَّانِي
أَوَ مَا فِعَالُ الرَّبِّ عَيْنُ كَمَالِهِ أَفَذَاكَ مُمْتَنِعٌ عَلَى المنَّانِ
أَزَلاً إلَى أَنْ صَارَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ مُتَمَكِّناً والفِعْلُ ذُو إمْكَانِ
تَاللَّهِ قَدْ ضَلَّتْ عُقُولُ القَوْمِ إذْ قَالُوا بِهَذَا القَوْلِ ذِي البُطْلاَنِ
مَاذَا الَّذِي أَضْحَى لَهُ مُتَجَدِّداً حَتَّى تمكَّنَ فانْطِقُوا بِبَيَانِ
والرَّبُّ لَيْسَ مُعَطلاً عَنْ فِعْلِهِ بَلْ كُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ
والأمْرُ والتَّكْوِينُ وَصْفُ كَمَالِهِ قِدَماً فَذَا وَوُجُودُه سِيَّانِ
وَتَخَلُّفُ التَّأثِيرِ بَعْدَ تَمَامِ مُو جِبِهِ مُحَالٌ لَيْسَ فِي الإمْكَانِ
واللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ وَمشِيئَةٍ وَيَلِيهِمَا وَصْفَانِ
العِلْمُ مَعْ وَصْفِ الحَيَاةِ وَهَذِهِ أوْصَافُ ذَاتِ الخَالِقِ المنَّانِ
وَبِهَا تَمَامُ الفِعْلِ لَيْسَ بِدُونِهَا فِعْلٌ يَتِمُّ بِوَاضِحِ البُرْهَانِ
فَلأَيِّ شَيءٍ قَدْ تَأخَّر فِعْلُهُ مَع مُوجِبٍ قَدْ تَمَّ بالأرْكَانِ
مَا كَانَ مُمْتَنِعاً عَلَيهِ الفِعْلُ بَلْ مَا زَالَ فِعْلُ اللَّهِ ذَا إمْكَانِ
واللَّهُ عَابَ المشْرِكِينَ بأنَّهُمْ عَبَدُوا الحِجَارَةَ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ
وَنَعَى عَلَيْهِمْ كَوْنَهَا لَيْسَتْ بِخَا لِقَةٍ وَلَيْسَتْ ذَاتَ نُطْقِ بَيَانِ
فأبَانَ أنَّ العَقْلَ والتَّكْلِيمَ مِنْ أوْثَانِهِم لاَ شَكَّ مفْقُودَانِ
وإذَا هُمَا فُقِدَا فَمَا مَسْلُوبُهَا بِإلَهٍ حَقٌّ وَهوَ ذُو بُطْلاَنِ
واللَّهُ فَهْوَ إلَهُ حَقٌّ دَائماً أَفَعَنْهُ ذَا الوَصْفَانِ مَسْلُوبَانِ
أزلاً وَلَيْسَ لفَقْدِهَا مِنْ غايةٍ هَذَا المُحَالُ وأعظَمُ البُطْلاَنِ
إنْ كَانَ رَبُّ العَرْشِ حَقّاً لَمْ يَزَلْ أبَداً إلَهُ الحقُّ ذَا سُلْطَانِ
فكذاكَ أيْضاً لَمْ يَزلْ متكلِّماً بَلْ فَاعِلاً مَا شَاءَ ذَا إحْسَانِ

والـلَّـهِ مَـا فِـي العَـقْـلِ مَـا يَـقْـضِـي لِـذَا بــالــرَّدِّ والإِبــطَــالِ والــنُّــكْــرَانِ
بَـلْ لَـيْـسَ فِـي الـمـعْـقُـولِ غَـيْـرُ ثُـبُـوتِـهِ لــلــخَــالِــقِ الأزَلِــيِّ ذِي الإِحْــسَــانِ
هَـذَا وَمَـا دُونَ الـمُـهَـيْـمِـنِ حَـادِثٌ لَـيْـسَ الـقَـدِيـمُ سِـوَاهُ فِـي الأَكْـوَانِ
والـلَّـهُ سَـابِـقُ كُـلِّ شَـيْءٍ غَـيْـرِهِ مَـا رَبُّـنَـا والـخَـلْـقُ مـقْـتَـرِنَـانِ
والـلَّـهُ كَـانَ وَلَـيْـسَ شَـيْءٌ غَـيْـرُهُ سُـبْـحَـانَـهُ جَـلَّ الـعـظِـيـمُ الـشَّـانِ
لَـسْـنَـا نَـقُـولُ كَـمَـا يَـقُـولُ الـمـلْـحِـدُ الـزْ زِنـدِيـقُ صَـاحِـبُ مـنْـطِـقِ الـيُـونَـانِ
بِـدَاومِ هَـذَا الـعَـالَـمِ الـمـشْـهُـودِ والـ أَرْوَاحِ فِـي أزلٍ وَلَـيْـسَ بِـفَـانِ
هَـذِي مَـقَـالاَتُ الـمَـلاحِـدَةِ الأُلَـى كَـفَـرُوا بِـخَـالِـقِ هَـذِهِ الأَكْـوَانِ
وَأَتَـى ابـنُ سِـيـنَـا بَـعْـدَ ذَاكَ مُـصَـانِـعـاً لـلـمـسْـلِـمِـيـنَ فـقَـالَ بـالإِمْـكَـانِ
لـكِـنَّـهُ الأَزَلِـيُّ لَـيْـسَ بِـمُـحْـدَثٍ مَـا كَـانَ مـعْـدُومـاً ولاَ هُـوَ فَـانِـي
وأتَـى بِـصُـلْـحٍ بَـيْـنَ طَـائِـفَـتَـيْـنِ بَـيْـ نَـهُـمَـا الـحُـرُوبُ ومَـا هُـمَـا سِـلْـمَـان
أنَّـى يـكُـونُ الـمـسْـلِـمُـونَ وَشِـيـعَـةُ الْـ يُـونَـانِ صُـلْـحـاً قَـطُّ فِـي الإِيـمَـانِ
والـسَّـيْـفُ بَـيْـنَ الأَنْـبِـيَـاءِ وبَـيْـنَـهُـمْ والـحَـرْبُ بَـيْـنَـهُـمُ فـحَـرْبٌ عَـوَانِ
وَكَـذَا أتَـى الـطُّـوسِـيّ بـالـحَـرْبِ الـصَّـرِيـ حِ بِـصَـارِمِ مِـنْـهُ وسَـلِّ لِـسَـانِ
وأتَـى إلـى الإِسْـلاَمِ يـهْـدِمُ أصْـلَـهُ مِـنْ أُسِّـهِ وقـواعِـدِ الـبُـنْـيَـانِ
عَـمَـرَ الـمـدَارِسَ لـلـفَـلاسِـفَـةِ الأُلَـى كَـفَـرُوا بِـدِيـنِ الله والـقُـرآنِ
وأَتَـى إِلَـى أوْقَـافِ أهْـلِ الـدِّيـنِ يـنْـ قُـلُـهَـا إلـيْـهـم فِـعْـلَ ذِي أضـغـانِ
وأرَادَ تَـحْـوِيـلَ الإِشَـارَاتِ الـتِـي هِـيَ لابـنِ سِـيـنَـا مَـوْضِـعَ الـفُـرْقَـانِ
وَأَرَادَ تَـحْـوِيـلَ الـشَّـرِيـعَـةِ بـالـنَّـوَا مِـيـسِ الـتِـي كـانـتْ لِـذِي الـيُـونَـانِ
لَـكِـنَّـه عَـلِـمَ الـلَّـعِـيـنُ بـأنَّ هَـ ـذَا لَـيْـسَ فِـي الـمـقْـدُورِ والإِمْـكَـانِ
إلاَّ إذَا قَـتَـل الـخـلِـيـفَـةَ والـقُـضَـا ةَ وسَـائِـرَ الـفُـقَـهَـاءِ فِـي الـبُـلْـدَانِ
فَـسَـعَـى لِـذَاكَ وَسَـاعَـدَ الـمـقْـدُورُ بـالْـ أمْـرِ الَّـذِي هُـوَ حِـكْـمَـةُ الـرحْـمَـنِ
فـأشَـارَ أنْ يَـضَـعَ الـتَّـتَـارُ سُـيُـوفَـهُـمْ فِـي عَـسْـكَـرِ الإِيـمَـانِ والـقُـرْآنِ
لَـكِـنَّـهُـمْ يُـبْـقُـونَ أَهْـلَ مَـصَـانِـعِ الـدْ دُنْـيَـا لأجْـلِ مَـصَـالِـحِ الأَبْـدَانِ
فـغـدَا عَـلَـى سَـيْـفِ الـتَّـتَـارِ الألـفُ فِـي مِـثْـلٍ لَـهَـا مَـضْـرُوبَـةً بِـوزَانِ

وَكَـذَا ثَـمَـانِ مِـئِـيـنِـهَـا فِـي أَلْـفِـهَـا ... مَـضْـرُوبَـةً بِـالْـعَـدِّ والـحُـسْـبَـانِ
حَـتَّـى بَـكَـى الإِسْـلامَ أعـدَاهُ الـيَـهُـو ... دُ كَـذَا الـمـجـوسُ وَعَـابِـدُ الـصُّـلْـبَـانِ
فشَفَى اللَّعينُ النَّفسَ مِنْ حِزْبِ الرَّسُو ... لِ وَعَـسْـكَـرِ الإِيـمَـانِ والـقُـرْآنِ
وَبِـوُدِّهِ لَـوْ كَـانَ فِـي أُحُـدٍ وَقَـدْ ... شَـهِـدَ الـوَقِـيـعَـةَ مَـعْ أَبِـي سُـفْـيَـانِ
لأَقَـرَّ أَعْـيُـنَـهُـمْ وأَوْفَـى نَـذْرَهُ ... أَوْ أَنْ يُـرَى مُـتَـمَـزِّقَ الـلَّـحْـمَـانِ
وَشَـوَاهِـدُ الأَحْـدَاثِ ظَـاهِـرَةٌ عَـلَـى ... ذَا الـعَـالَـمِ الـمـخْـلُـوقِ بِـالـبُـرْهَـانِ
وأَدِلَّـةُ الـتَّـوحِـيـدِ تَـشْـهَـدُ كُـلُّـهَـا ... بِـحُـدُوثِ كُـلِّ مَـا سِـوَى الـرحْـمٰـنِ
لَـوْ كَـانَ غـيـرُ الـلَّـهِ جَـلَّ جَـلالُـهُ ... مَـعَـهُ قَـدِيـمـاً كَـانَ ربّـاً ثَـانِ
إِذْ كَـانَ عَـنْ رَبِّ الـعُـلاَ مُـسْـتَـغْـنِـيـاً ... فَـيَـكُـونَ حِـيـنَـئِـذٍ لَـنَـا ربَّـانِ
والـرَّبُّ بِـاسْـتِـقْـلالِـهِ مـتَـوحِّـدٌ ... أَفَـمُـمْـكِـنٌ أنْ يَـسْـتَـقِـلَّ اثْـنَـانِ
لَـوْ كَـانَ ذَاكَ تَـنَـافَـيَـا وتَـسَـاقَـطَـا ... فَـإِذَا هُـمَـا عَـدَمَـانِ مُـمْـتَـنِـعَـانِ
والـقَـهْـرُ والـتَّـوحِـيـدُ يـشْـهَـدُ مِـنْـهُـمَـا ... كُـلٌّ لِـصَـاحِـبِـهِ هُـمَـا عِـدْلاَنِ
ولِـذَلِـكَ اقْـتَـرنَـا جَـمِـيـعـاً فِـي صِـفَـا ... تِ الـلَّـهِ فَـانْـظُـرْ ذَاكَ فِـي الـقُـرْآنِ
فَـالـوَاحِـدُ الـقَـهَّـارُ حَـقّـاً لَـيْـسَ فِـي الْـ ... إِمْـكَـانِ أنْ تَـحْـظَـى بِـهِ ذَاتَـانِ



فصلٌ

في اعتراضِهمْ على القولِ بدوامِ فاعليَّةِ الرَّبِّ تعالى وكلامِهِ والانفصالِ عنْهُ

فَـلَـئِـنْ زَعَـمْـتُـمْ أَنَّ ذَاكَ تَـسَـلْـسُـلٌ ... قُـلْـنَـا صَـدَقْـتُـمْ وَهُـو ذو إِمْـكَـانِ
كتسلْسلِ الـتَّـأثـيـرِ فـي مـسْـتَـقْـبَـلٍ ... هَـلْ بـيـنَ ذلـكَ قَـطُّ مِـنْ فُـرْقَـانِ
والـلَّـهِ مَـا افْـتَـرَقَـا لِـذِي عَـقْـلٍ وَلا ... نَـقْـلٍ وَلاَ نَـظَـرٍ وَلاَ بُـرْهَـانِ
فـي سَـلْـبِ إِمْـكَـانٍ وَلاَ فِـي ضِـدِّهِ ... هَـذِي الـعُـقُـولُ ونَـحْـنُ ذُو أذهَـانِ
فَـلْـيَـأتِ بِـالـفُـرْقَـانِ مَـنْ هُـوَ فَـارِقٌ ... فَـرْقـاً يَـبِـيـنُ لِـصَـالِـحِ الأَذْهَـانِ
وَكَـذاكَ سَـوَّى الـجَـهْـمُ بَـيْـنَـهُـما كَـذَا الْـ ... ـعَـلاَّفُ فِـي الإِنْـكَـارِ والـبُـطْـلانِ

وَلأَجْلِ ذَا حَكَمَا بِحُكْمِ بَاطِلٍ قَطْعاً عَلَى الجَنَّاتِ والنِّيرَانِ
فالجَهْمُ أفْنَى الذَّاتَ والعَلاَّفُ للـ حَرَكَاتِ أفنَى قَالَهُ الثَّوْرَانِ
وَأبُو عَلِيٍّ وابْنُهُ والأشْعَرِيـ يُ وبعْدَهُ ابنُ الطَّيبِ الرَّبَّانِي
وَجَمِيعُ أرْبَابِ الكلامِ الباطِلِ الْـ ـمذمُومِ عندَ أئمَّةِ الإِيمَانِ
فَرَقُوا وقَالُوا ذَاكَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ حَقٌ وفِي أزلٍ بلاَ إمْكَانِ
قَالُوا لأجْلِ تَنَاقُضِ الأزَلِيِّ والْـ أحْدَاثِ مَا هَذَانِ يَجْتَمِعَانِ
لَكِنْ دَوامُ الفعلِ في مستقْبلٍ مَا فِيهِ مَحْذُورٌ مِنَ النُّكْرانِ
فَانْظُرْ إلَى التلْبيسِ فِي ذَا الفَرْقِ تَرْ وِيجاً عَلَى العُورَانِ والعُمْيانِ
مَا قَالَ ذُو عَقْلٍ بأنَّ الفَرْدَ ذُو أزلٍ لِذي ذِهنٍ ولا أعيَانِ
بَلْ كلُّ فردٍ فهو مسبُوقٌ بفر دٍ قبلَهُ أبداً بِلاَ حُسْبَانِ
وَنظيرُ هذَا كلُّ فردٍ فهْوَ ملـ حوقٌ بفردٍ بعدَهُ حُكْمانِ
النَّوعُ والآحادُ مسبوقٌ وملـ حوقٌ وكلٌّ فهو منْهَا فَانِ
والنَّوْعُ لاَ يَفنى أخيراً فهوَ لاَ يفنَى كذلِكَ أولاً ببيَانِ
وتعاقُبُ الآناتِ أمرٌ ثابتٌ فِي الذهنِ وهْوَ كذاكَ في الأعيَانِ
فإذا أبَيْتُمْ ذَا وقلْتُم أولُ الآ ناتِ مُفْتتحٌ بِلاَ نُكْرَانِ
مَا كَانَ ذَاكَ الآنَ مسبوقاً يُرَى إلاَّ بسلْبِ وجُودِهِ الحقّانِي
فيقالُ ما تعنُونَ بالآناتِ هَلْ تعنُونَ مدَّةَ هذِهِ الأزمَانِ
مِنْ حِينِ إحداثِ السَّمٰواتِ العُلاَ والأرضِ والأفلاكِ والقمَرَانِ
ونظُنُّكُمْ تعنُونَ ذاكَ ولم يكُنْ من قبلِهَا شيءٌ مِنَ الأكوانِ
هلْ جاءكم في ذاكَ من أثرٍ ومنْ نصٍّ ومن نظرٍ ومن برْهَانِ
هذا الكتَابُ وهذه الآثارُ والْـ ـمعقولُ في الفطْراتِ والأذْهَانِ
إنَّا نحَاكِمُكُمْ إلى ما شِئْتُمو مِنهَا فكلُّ الحقِّ في تِبْيَانِ
أَوَ ليسَ خَلْقُ الكَون في الأيَّام كَا نَ وذاكَ مأْخُوذٌ منَ القُرآنِ
أو ليْسَ ذلكُمُ الزَّمَانُ بمدةٍ لحدُوثِ شَيءٍ وهْوَ عَينُ زَمَانِ
فحقِيقَةُ الأزمَانِ نِسْبَةُ حادِثٍ لسِوَاه تلكَ حقيقةُ الأزمانِ

واذكر حديثَ السَّبقِ للتقديرِ والتـ ـتَوقيتِ قبلَ جميعِ ذِي الأعيَانِ
خَمْسينَ ألفاً منْ سِنينٍ عدَّهَا الْـ ـمخْتارُ سابقَةً لذِي الأكْوانِ
هـذَا وعرشُ الربِّ فوقَ الماءِ مِنْ قَبلِ السِّنِينَ بمدةٍ وزمَانِ
والنَّاسُ مختَلفُونَ في القَلَمِ الَّذِي كُتِبَ القَضَاءُ بِهِ من الدَّيَّانِ
هَلْ كَانَ قبلَ العرشِ أو هو بعدَهُ قولاَنِ عندَ أبِي العَلاَ الهمدَانِي
والحقُّ أنَّ العرشَ قبلُ لأنَّهُ قَبْلَ الكتابةِ كانَ ذَا أركَانِ
وكتَابةُ القلمِ الشريفِ تعقَّبتْ إيجادهُ من غيرِ فصْلِ زَمانِ
لَمَّا بَراه الله قالَ اكتبْ كَذَا فغَدَا بأمرِ اللَّهِ ذَا جرَيانِ
فَجَرَى بما هُو كائنٌ أبداً إلَى يومِ المعَادِ بقدْرةِ الرَّحْمٰنِ
أفكانَ ربُّ العرشِ جَلَّ جلالُهُ من قَبْلُ ذَا عجزٍ وذَا نُقْصَانِ
أمْ لمْ يزَلْ ذا قُدرةٍ والفعلُ مَقْـ ـدورٌ له أبداً وذو إمكَانِ
فَلئِنْ سَألْتَ وقُلتَ ما هَذَا الَّذِي أدَّاهُمُ لخلافِ ذَ التبيَانِ
ولأيِّ شَيءٍ لمْ يقولُوا إنَّهُ سبْحانَهُ هو دائِمُ الإحسَانِ
فاعلمْ بأنَّ القوْمَ لمَّا أسَّسُوا أصلَ الكلامِ عَمُوا عَن القُرآنِ
وعَنِ الحديثِ ومقتضَى المعقولِ بل عن فطرَةِ الرَّحمٰن والبُرْهَانِ
وبَنَوْا قواعدَهمْ عليهِ فقادَهُمْ قسْراً إلى التعْطِيلِ والبُطْلاَنِ
نَفْيُ القيامِ لكلِّ أمرٍ حادثٍ بالربِّ خوفَ تسلسلِ الأعْيانِ
فيسُدُّ ذاكَ عليهِمُ في زَعمِهِمْ إثبَاتَ صَانِعِ هذِه الأكْوانِ
إذ أثبتُوه بكَوْنِ ذِي الأجسَادِ حا دثةً فَلا تنفَكُّ عَنْ حِدْثانِ
فإذا تسلْسَلتِ الحَوادِثُ لَمْ يكنْ لحدوثِهَا إذ ذَاكَ منْ بُرْهَانِ
فلأجْلِ ذَا قَالُوا التسلسُلُ باطِلٌ والجسمُ لاَ يَخْلُو عنْ الحِدْثَانِ
فيصحُّ حينئذٍ حدوثُ الجسمِ منْ هَذَا الدليلِ بواضحِ البُرْهَانِ
هَذِي نهايَاتُ لإقْدَام الوَرَى فِي ذَا المقَامِ الضَّيِّقِ الأعْطَانِ
فَمَنِ الَّذِي يأتِي بِفتْحٍ بيِّنٍ يُنْجِي الورَى مِنْ غمرَةِ الحَيْرَانِ
فالله يَجْزِيهِ الَّذِي هُو أهْلُهُ من جنَّة المأوَى مع الرِّضْوَانِ

فصلٌ

فـاسْـمَـعْ إذاً وافْـهَـمْ فـذَاكَ مـعَـطِّـلٌ ... وَمُـشَـبِّـهٌ وهـداكَ ذُو الـغـفـرانِ
هـذا الـدلـيـلُ هـو الـذِي أردَاهُـمُ ... بـلْ هـدَّ كـلَّ قـواعِـدِ الـقـرآنِ
وَهُوَ الدلِيلُ الباطلُ المردودُ عِنْـ ... ـدَ أئـمَّـةِ الـتَّـحْـقِـيـقِ والْـعِـرْفَـانِ
مَـا زالَ أمـرُ الـنَّـاسِ مـعـتـدِلاً إلـى ... أنْ دَارَ فـي الأوْرَاقِ والأذْهَـانِ
وتـمـكَّـنَـتْ أجـزَاؤُهُ بـقُـلُـوبـهـمْ ... فـأتـتْ لـوازِمُـه إلـى الإِيـمَـانِ
رُفـعَـتْ قـواعِـدُه وَتَـحـتَ أسَاسِـهِ ... فـهـوَى الـبـنَـاءُ وخـرَّ لـلأرْكَـانِ
وَجـنَـوا عَـلَـى الإسْـلاَمِ كـلَّ جِـنَـايـةٍ ... إذْ سَـلَّـطُـوا الأعْـدَاءَ بـالـعُـدْوانِ
حَمَلُوا بأسْلِحَةِ المحَالِ فَخَانَهُمْ ... ذَاكَ الـسِّـلاحُ فـمـا اشـتَـفَـوْا بـطِـعَـانِ
وأتَـى الـعَـدُوُّ إلـى سِـلاَحِـهـمُ فـقَـا ... تَـلَـهُـمْ بِـه فِـي غَـيْـبَـةِ الـفُـرْسَـانِ
يَـا مـحْـنـةَ الإِسْـلاَمِ والـقـرْآنِ مِـنْ ... جَـهْـلِ الـصَّـدِيـقِ وبَـغْـي ذي طُـغْـيَـانِ
والـلَّـهِ لَـولاَ الـلَّـهُ نـاصِـرُ دِيـنِـهِ ... وكـتـابِـهِ بـالـحـقِّ والـبُـرْهَـانِ
لـتـخـطَّـفَـتْ أعـداؤنَـا أرواحَـنَـا ... ولـقُـطِّـعَـتْ مـنَّـا عُـرَى الإِيـمَـانِ
أيكونُ حقّاً ذا الدليلُ وما اهتدَى ... خـيـرُ الـقـرونِ لـهُ مـحـالٌ ذانِ
وُفِّـقْـتُـمُـو لـلـحَـقِّ إذ حُـرِمُـوهُ فِـي ... أصْـلِ الـيـقـيـنِ ومـقْـعَـدِ الـعِـرْفَـانِ
وَهَـديـتُـمُـونَـا لـلَّـذِي لَـمْ يَـهْـتَـدُوا ... أبَـداً بـهِ وَاشِـدَّةَ الـحِـرْمَـانِ
ودخـلـتُـمُ لـلـحـقِّ مـن بـابٍ ومـا ... دَخَـلُـوه واعـجَـبـاً لِـذَا الـخُـذلاَنِ
وسلَكْتُمُ طرقَ الهُدى والعلمِ دُو ... نَ الـقـومِ واعـجَـبـاً لِـذَا الـبُـهْـتَـانِ
وعـرفـتُـمُ الـرَّحـمٰـنَ بـالأجْـسَـامِ والـ ... أعْـراضِ والـحَـركـاتِ والألْـوانِ
وَهُـمُ فَـمَـا عَـرَفُـوهُ مـنْـهَـا بَـلْ مـنَ الـ ... آيـاتِ وهْـيَ فـغـيْـرُ ذِي بُـرْهَـانِ
الله أكـبـرُ أنـتـمُ أو هُـمْ عَـلَـى ... حـقٍّ وفِـي غـيٍّ وفـي خُـسْـرانِ
دَعْ ذَا أَلَـيْـسَ الـلَّـهُ قـد أبـدَى لَـنَـا ... حـقَّ الأدِلَّـة وهْـي فـي الـقُـرْآنِ
مـتـنـوِّعـاتٌ صُـرِّفـتْ وتـظَـاهَـرتْ ... فـي كـلِّ وجْـهٍ فـهْـيَ ذُو أَفْـنَـانِ
مَـعْـلـومَـةٌ لـلـعَـقْـلِ أو مـشْـهـودَةٌ ... لِـلـحـسِّ أوَ فِـي فـطْـرَة الـرَّحْـمٰـنِ
أسْـمِـعْـتُـمُ لِـدَلِـيـلِـكُـمْ فِـي بَـعْـضِـهَـا ... خَـبَـراً أوَ احْـسَـسْـتُـمْ لـه بِـبَـيَـانِ

أيكونُ أصْلُ الدينِ ما تمَّ الهدَى ... إلاَّ بِهِ وبِهِ قُوَى الإيمَانِ
وسِوَاهُ ليسَ بموجبٍ من لمْ يُحَطْ ... عِلْماً بِهِ لمْ ينجُ من كفرانِ
واللَّهُ ثمَّ رسُولُهُ قدْ بيَّنَا ... طرقَ الهُدَى في غايةِ التِّبْيَانِ
فلأيِّ شيءٍ أعرَضَا عَنْهُ ولمْ ... نَسمَعْه في أثَرٍ ولا قُرْآنِ
لَكِنْ أتانَا بَعْدَ خيْرِ قُرونِنَا ... بظهورِ أحْدَاثٍ منَ الشَّيْطَانِ
وعَلَى لِسَانِ الجَهْمِ جَاؤوا حِزْبُهُ ... منْ كلِّ صَاحِبِ بدْعَةٍ حَيْرَانِ
وَلِذلِكَ اشْتَدَّ النَّكِيرُ عَلَيْهِمُ ... منْ سَائِرِ العُلمَاءِ فِي البُلْدَانِ
صَاحُوا بِهِمْ منْ كلِّ قطرٍ بَلْ رَمَوْا ... فِي إثْرِهِمْ بشواقِبِ الشُّهْبَانِ
عَرَفُوا الَّذِي يُفْضِي إِلَيْهِ قَوْلُهُمْ ... ودليلُهمْ بحقيقةِ العِرْفَانِ
وأخُو الجهَالَةِ فِي خَفَارَةِ جَهْلِهِ ... والجهلُ قَدْ يُنْجِي منَ الكُفْرَانِ



فصلٌ

في الرد على الجَهْمِيَّةِ المعطِّلةِ القائلينَ بأنَّه ليسَ على العرشِ إلهٌ يُعبد، ولا فوقَ السمٰوات إله يصلّى لهُ ويسجد، وبيان فسادِ قولهمْ عقلاً ونقلاً ولغةً وفطرةً

واللَّهُ كَانَ وَلَيْسَ شيءٌ غَيْرَهُ ... وبَرى البريَّةَ وهْيَ ذُو حِدْثَانِ
فسَلِ المعطِّلَ هلْ بَراهَا خارجاً ... عنْ ذاتِهِ أم فِيهِ حلَّت ذَانِ
لاَ بُدَّ منْ إحدَاهُمَا أو أنَّهَا ... هي عَيْنُهُ ما ثَمَّ موجُودَانِ
مَا ثَمَّ مَخْلُوقٌ وَخَالِقُهُ وَمَا ... شَيء مُغَايِرُ هَذهِ الأعْيَانِ
لا بُدَّ مِنْ إحْدَى ثَلاثٍ مَا لهَا ... مِنْ رَابعٍ خِلْواً مِنَ الرَّوغَانِ
وَلِذَاكَ قالَ محققُ القَوْمِ الَّذِي ... رَفَعَ القواعِدَ مُدَّعِي العِرْفَانِ
هُوَ عَيْنُ هَذَا الكَوْنِ لَيْسَ بِغَيْرِهِ ... أنَّى وليسَ مُبَايِنَ الأكْوانِ
كَلاً وَلَيْسَ مجَانِباً أيْضاً لَهَا ... فهوَ الوُجُودُ بِعَيْنِهِ وعِيَانِ
إنْ لمْ يكنْ فَوْقَ الخلائِقِ ربُّهَا ... فالقَوْلُ هَذَا القَوْل فِي الميزَانِ

إذ لَيْسَ يُعقَلُ بعَدُ إلا أنَّهُ ... قَدْ حَلَّ فِيهَا وَهْيَ كالأبْدانِ
والروحُ ذاتُ الحقِّ جلَّ جلالُهُ ... حلَّتْ بِهَا كمقَالَةِ النَّصْرَانِي
فاحْكُمْ عَلَى من قَالَ ليْسَ بخارجٍ ... عنها ولا فِيهَا بحكْمِ بَيَانِ
بخِلافِهِ الوَحْيَيْنِ والإجْمَاعَ والْـ ... ـعَقْلَ الصَّرِيحَ وفطْرَةَ الرَّحْمٰنِ
فعليهِ أوقعَ حدَّ معدُومٍ وذَا ... حدُّ المحالِ بغيرِ ما فُرقَانِ
يَا لَلْعقُولِ إذا نَفَيتُمْ مخْبِراً ... ونقيضَهُ هَلْ ذَاكَ فِي إمكَانِ
إنْ كَانَ نفيُ دخُولِه وخرُوجِهِ ... لا يصدُقَانِ معاً لذِي الإمْكانِ
إلا علَى عدَمٍ صريحٍ نَفْيُهُ ... متحقِّقٌ ببدَاهَةِ الإنْسَانِ
أيصِحُّ فِي المعْقولِ يا أهْلَ النُّهَى ... ذاتَانِ لا بالغَيْرِ قائمتَانِ
لَيْسَتْ تُبَايِنُ منهُمَا ذاتٌ لأخْـ ... ـرَى أو تُحاسِيهَا فيجْتَمِعَانِ
إنْ كانَ في الدُّنْيَا محالٌ فهْوَ ذَا ... فارجِعْ إلى المعقُولِ والبرْهَانِ
فلئِنْ زعمْتُم أنَّ ذلكَ في الَّذِي ... هو قابِلٌ منْ جِسْمٍ أوْ جِسْمَانِ
والربُّ ليسَ كذا فتَنْفِيُ دخولِهِ ... وخروجِهِ ما فيهِ منْ بُطْلاَنِ
فيقالُ هَذَا أوَّلاً من قولِكُمْ ... دَعْوَى مجردةٌ بلا بُرهَانِ
ذاكَ اصطِلاحٌ من فريقٍ فارَقُوا الْـ ... ـوَحْيَ المبِينَ بحكمةِ اليُونَانِ
والشَّيءُ يصدُقُ نفيُهُ عنْ قابِلٍ ... وسِوَاهُ في مَعهُودِ كلِّ لِسَانِ
أنسِيتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقولُكَ الظُّـ ... ـلْمُ المحالُ وليسَ ذَا إمكانِ
وَنسِيتَ نفْيَ النومِ والسِّنَةِ التي ... لَيْسَتْ لربِّ العَرْشِ في الإمكَانِ
ونَسِيتَ نفيَ الطُّعْمِ عنهُ وليسَ ذَا ... مقبولةً والنفْيُ في القُرْآنِ
ونَسِيتَ نفْيَ ولادةٍ أو زوجَةٍ ... وهُمَا عَلَى الرحمٰن ممْتَنِعَانِ
واللَّهُ قدْ وصَفَ الجمَادَ بأنَّهُ ... مَيْتٌ أصَمُّ وما لَه عينَانِ
وكذا نَفَى عنه الشُّعورَ ونطقَهُ ... والخَلْقَ نفياً واضحَ التِّبيانِ
هذا وليسَ بهَا قبولٌ للذي ... ينفِي ولا مِنْ جملَةِ الحَيَوَانِ
ويقالُ أيضاً ثانياً لو صحَّ هَـ ... ـذَا الشرطُ كانَ لما هُمَا ضِدَّانِ
لا فِي النَّقِيضَيْنِ اللَّذَيْنِ كِلاَهُمَا ... لا يثْبُتَانِ ولَيْسَ يرْتَفِعَانِ

ويـقـالُ أيـضـاً نـفـيُـكـمْ لـقـبـولِـهِ لـهُـمَـا يُـزيـلُ حـقـيـقَـةَ الإمْـكـانِ
بـلْ ذَا كـنَـفْـي قِـيَـامِـه بـالـنَّـفْـسِ أوْ بـالـغَـيْـرِ فـي الـفِـطْـرَاتِ والأذْهَـانِ
فـإذَا الـمـعـطِّـل قَـال إنَّ قـيـامَـهُ بـالـنَّـفْـس أو بـالـغَـيْـرِ ذُو بـطْـلاَنِ
إذ لـيْـسَ يـقـبَـلُ واحِـداً مـن ذَيـنـكَ الـ أمْـرَيْـنِ إلاَّ وهْـوَ ذُو إمْـكَـانِ
جِـسْـمٌ يـقُـومُ بِـنَـفْـسِـهِ أيـضـاً كَـذَا عَـرضٌ يـقُـومُ بـغـيـرِهِ أخَـوانِ
فِـي حـكـمِ إمـكـانٍ ولـيـسَ بـواجـبٍ مـا كـانَ فـيـهِ حـقـيـقَـةُ الإمْـكـانِ
فـكـلاكُـمَـا يـنْـفِـي الإلـٰهَ حَـقِـيـقَـةً وكـلاكُـمَـا فِـي نَـفْـيِـهِ سِـيَّـانِ
مَـاذَا يـردُّ عَـلَـيْـهِ مـنْ هـوَ مـثـلُـهُ فـي الـنَّـفْـيِ صِـرْفـاً إذ هُـمَـا عِـدْلاَنِ
والـفـرقُ لـيـسَ بـمـمْـكِـنٍ لـكَ بَـعْـدَمَـا ضَـاهَـيْـتَ هَـذا الـنَّـفْـيَ فِـي الـبُـطْـلانِ
فـوزَانُ هَـذَا الـنَّـفْـي مَـا قَـدْ قُـلْـتُـمـو حَـرفـاً بـحـرْفٍ أنـتُـمَـا صِـنْـوانِ
والـخَـصْـمُ يـزعُـمُ أنَّ مَـا هـو قَـابِـلٌ لِـكِـلَـيْـهِـمَـا فـكـقَـابِـلٍ لـمَـكَـانِ
فـافْـرُق لـنَـا فـرْقـاً يُـبِـيـنُ مـواقِـعَ الْـ إثْـبـاتِ والـتَّـعْـطِـيـلِ بِـالـبُـرْهَـانِ
أوْ لاَ فـأعْـطِ الـقـوسَ بَـارِيَـهَـا وَخَـلْـ ـلِ الـفـشْـرَ عَـنْـكَ وكـثـرةَ الـهَـذَيَـانِ



فصلٌ

في سياق هذا الدَّليلِ على وجْهٍ آخرَ

وَسـلِ الـمـعـطِّـلَ عـنْ مـسَـائِـلَ خـمْـسَـةٍ تُـزدِي قـواعِـدَهُ مـن الأرْكَـانِ
قُـلْ لـلـمُـعـطِّـلِ هَـلْ تـقـولُ إلـٰهُـنَـا الْـ ـمـعْـبُـودُ حـقّـاً خـارجَ الأذْهَـانِ
فـإذَا نَـفَـى هَـذَا فَـذَاكَ مـعـطِّـلٌ لـلـرَّبِّ حـقّـاً بـالـغُ الـكُـفْـرانِ
وإذَا أقَـرَّ بِـهِ فـسَـلْـهُ ثَـانـيـاً أتُـرَاهُ غـيـرَ جَـمِـيـعِ ذِي الأكْـوانِ
فـإذا نَـفَـى هَـذَا وقَـالَ بـأنَّـهُ هُـو عَـيْـنُـهَـا مـا هَـا هُـنَـا غـيْـرَانِ
فـقـدِ ارْتَـدَى بـالإتِّـحـادِ مـصـرِّحـاً بـالـكُـفْـر جَـاحِـدَ ربِّـه الـرَّحْـمٰـنِ
حَـاشَـا الـنَّـصَـارَى أن يـكُـونُـوا مـثـلَـهُ وهُـمُ الـحَـمِـيـرُ وعَـابـدُو الـصُّـلْـبَـانِ
هُـمْ خـصَّـصُـوهُ بـالـمـسِـيـح وأمِّـهِ وأولاءِ مـا صَـانُـوهُ عـنْ حَـيَـوانِ

وإذَا أقــرَّ بــأنَّــهُ غــيــرُ الــورَى عَــبْــدٌ ومــعْــبُــودٌ هُــمَــا شــيْــئَــانِ
فــاسـألْــهُ هــلْ هَــذا الــوَرَى فــي ذَاتِــهِ أم ذَاتُــهُ فــيــهِ هُــنَــا أمْــرَانِ
وإذَا أقَــرَّ بــواحــدٍ مِــنْ ذيــنــكَ الْـ أَمْــرَيــنِ قــبْــلَ خــدُّه الــنَّــصــرانِــي
ويــقــولُ أهــلاً بــالــذِي هــوَ مــثْــلُــنَــا خَــشْــدَاشُــنَــا وحَــبِــيــبُــنَــا الــحــقَّــانِــي
وإذا نَــفَــى الأمْــريــنِ فَــاسْــألْــهُ إذاً هَــلْ ذاتُــهُ اسْــتَــغْــنَــتْ عــنِ الأكْــوَانِ
فَــلِــذَاكَ قَــامَ بــنــفْــسِــهِ أمْ قــامَ بــالْـ أَعْــيــانِ كــالأعْــرَاضِ والأكْــوانِ
فــإذا أقَــرَّ وقَــال بَــلْ هــوَ قــائــمٌ بــالــنَّــفْــسِ فَــاسْــألْــهُ وقــلْ ذاتــانِ
بــالــنَّــفــسِ قــائِــمــتَــانِ أخــبِــرْنِــي هُــمَــا مَــثَــلانِ أو ضِــدَّانِ أو غَــيْــرانِ
وَعَــلَــى الــتــقَــادِيــرِ الــثَّــلاثِ فــإنَّــهُ لــولاَ الــتَّــبــايُــنُ لَــم يــكــنْ شَــيْــئَــانِ
ضِــدَّيــنِ أو مِــثْــلَــيــنِ أو غَــيْــريــنِ كَــا نَــا بــلْ هُــمَــا لا شَــكَّ مُــتَّــحِــدَانِ
فَــلِــذَاكَ قــلــنَــا إنَّــكُــمْ بــابٌ لِــمــنْ بــالإتــحَــادِ يــقــولُ بــلْ بَــابَــانِ
نَــقَّــطْــتُــمْ لــهُــمْ وهُــمْ خَــطُّــوا عَــلَــى نُــقَــطِ لــكُــمْ كــمــعَــلِّــم الــصِّــبــيَــان



فصلٌ

في الإشارةِ إلى الطُرقِ النَّقليَّةِ الدَّالة على أنَّ اللَّهَ تعالى فوق سمٰواته على عرشِهِ

وَلَــقَــدْ أتــانَــا عــشْــرُ أنــواعٍ مــنَ الــ ـمَــنْــقُــولِ فِــي فــوقِــيَّــةِ الــرَّحْــمٰــنِ
مَــع مِــثْــلــهَــا أيــضــاً تــزيــدُ بــواحِــدٍ هــا نــحــنُ نــسْــرُدُهَــا بــلاَ كِــتْــمــانِ
مِنهـا اسْتـواءُ الربِّ فوقَ العرْشِ فِي سـبْـعٍ أتـتْ فـي مُـحْـكَـمِ الـقُـرْآنِ
وكــذلِــكَ اطَّــردتْ بِــلاَ لاَمٍ ولَــوْ كــانــتْ بــمَــعْــنــى الــلام فــي الأذْهَــانِ
لأتتْ بهَا فيْ موضِعٍ كيْ يُحْمَلَ الـ بَــاقِــي عــلــيْــهــا بــالــبَــيَــانِ الــثَّــانِــي
ونــظــيــرُ ذَا إضْــمــارُهــم فــي مَــوضِــعٍ حَــمْــلاً عــلــى الــمــذكُــورِ فــي الــتِّــبْــيَــانِ
لاَ يُــضْــمِــرُونَ مَــعَ اطِّــرادِ دُونَ ذِكْــ ـرِ الــمــضْــمَــرِ الــمــحــذُوفِ دُونَ بَــيَــانِ
بَــلْ فــي مَــحَــلِّ الــحــذْفِ يــكْــثُــرُ ذكــرُهُ فــإذا هُــمُ ألــفُــوهُ إلــفَ لِــسَــانِ

حَـذَفُـوهُ تـخـفِـيـفـاً وإيـجـازاً فـلاَ يَـخْـفَـى الـمـرادُ بِـهِ عَـلَـى الإِنـسَـانِ
هَذَا وَمِنْ عشرِينَ وَجْهاً يبْطُلُ التّـ ـفْسِيـرُ باستَـوْلَـى لِـذِي الْـعِـرْفَـانِ
قَـدْ أفْـرِدَتْ بـمـصـنَّـفٍ لإِمَـامِ هَـ ـذَا الـشَّـأنِ بـحـرِ الـعـالَـمِ الـرَّبـانِـي

فصلٌ

هَـذَا وثَـانِـيـهَـا صَـرِيـحُ عُـلُـوِّهِ ولَـهُ بـحُـكْـمِ صَـريـحِـهِ لَـفْـظَـانِ
لَفْظُ العَلِي ولفظَةُ الأَعْلَى معـرْ ـرَفَـةٌ لِـقَـصْـدِ بَـيَـانِ
إنَّ الـعُـلُـوَّ لَـهُ بـمـطـلَـقِـهِ عَـلـى الـتّـ ـعْـمِـيـم والإِطْـلاَقِ بـالـبُـرهَـانِ
ولـه الـعُـلُـوُّ مِـنَ الـوُجُـوهِ جَـمِـيـعِـهَـا ذَاتـاً وقـهْـراً مَـعْ عُـلُـوِّ الـشَّـانِ
لـكـنْ نُـفـاةُ عـلُـوِّهِ سَـلَـبُـوهُ إكـ ـمَـالَ الـعُـلُـوِّ فـصَـارَ ذَا نُـقْـصَـانِ
حَاشَاهُ مِنْ إفْكِ النُّفَاةِ وسَلْبِهِمْ فَـلـهُ الـكـمَـالُ الـمـطْـلَـقُ الـرَّبَّـانِـي
وَعُـلُـوُّهُ فـوقَ الـخـلِـيـقَـةِ كـلِّـهَـا فُـطـرتْ عَـلـيـهِ الـخَـلْـقُ والـثَّـقَـلاَنِ
لا يـسـتـطـيـعُ مـعـطِّـلٌ تـبْـديـلَـهَـا أبـداً وذلِـك سُـنَّـةُ الـرَّحـمٰـنِ
كـلٌّ إذا مـا نَـابـهُ أمـرٌ يُـرَى مـتـوَجِّـهـاً بـضـرورَة الإنـسَـانِ
نحوَ الـعُـلـوِّ فـلـيْـسَ يـطْـلُـبُ خـلفَـهُ وأمَـامـهُ أو جَـانِـبَ الإنـسَـانِ
ونِـهَـايَـةُ الـشُّـبُـهَـاتِ تَـشْـكِـيـكٌ وتـخْـ ـمِـيـشٌ وتـغْـبِـيـرٌ عَـلَـى الإيـمَـانِ
لاَ يـسـتَـطِـيـعُ تـعـارُضُ الـمـعْـلـوم والـ ـمـعْـقُـولِ عـنـدَ بـدائِـهِ الإنـسَـانِ
فمِن المحَال القدْحُ في المعْلومِ بالشّـ ـشُـبُـهـاتِ هَـذَا بـيْـن الـبُـطـلانِ
وإذا الْـبَـدائِـهُ قَـابَـلَـتْـهَـا هَـذِهِ الـشّـ ـشُـبُـهَـاتِ لَـمْ تَـحْـتَـجْ إِلَـى بُـطْـلاَنِ
شـتَّـانَ بَـيْـنَ مـقَـالَـةٍ أوْصَـى بِـهَـا بَـعْـضٌ لـبَـعْـضٍ أولٌ لـلـثَّـانِـي
ومـقَـالـةٍ فَـطَـرَ الإلـهُ عِـبَـادَهُ حَـقّـاً عـلَـيْـهَـا مـا هُـمَـا عِـدْلانِ



فصلٌ

هَـذَا وثَـالِـثُـهَـا صَـريـحُ الـفَـوْقِ مـصْـ ـحُـوبـاً بِـمَـنْ وبِـدُونِـهَـا نَـوْعَـانِ

إحْدَاهُمَا هوَ قابِلُ التَّأويلِ والْـ أَصْلُ الحقِيقةُ وحدَهَا بِبَيَانِ
فإذَا ادَّعَى تأويلَ ذَلِكَ مدَّعٍ لَمْ تُقبلِ الدَّعْوَى بِلاَ بُرْهَانِ
لكنَّما المجْرُورُ لَيسَ بقابِلِ التْـ ـتَأويلِ فِي لُغَةٍ وعُرْفِ لِسَانِ
وأصِخْ لفائِدةٍ جَليلٍ قَدْرُهَا تَهْدِيكَ للتَّحْقِيقِ والعِرْفَانِ
إن الكَلاَمَ إذا أتى بِسِيَاقِهِ يُبْدِي المُرادَ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
أضْحَى كنصٍّ قاطِعٍ لاَ يقْبَلُ التْـ ـتَأويلَ يعرِفُ ذَا أُولُو الأذْهَانِ
فَسِيَاقَةُ الألْفَاظِ مثلُ شواهِد الْـ أحْوَالِ إنهمَا لَنَا صِنْوَانِ
إحْدَاهُمَا لِلعَيْنِ مشهُودٌ بِهَا لَكِنَّ ذَاكَ لمسْمَعِ الإنْسَانِ
فإذَا أَتَى التَّأويلُ بَعْدَ سِيَاقَةٍ تُبْدِي المرادَ أَتَى عَلَى اسْتِهْجَانِ
وإذا أَتَى الكِتْمَانُ بَعْدَ شَواهِد الْـ أَحْوَالِ كَانَ كأقْبَحِ الكِتْمَانِ
فتأَملِ الألْفَاظَ وانْظُرْ مَا الَّذِي سِيقَتْ لَهُ إنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
والفوقُ وَصْفٌ ثابتٌ بالذَّاتِ مِنْ كلِّ الوُجُوهِ لفَاطِرِ الأكْوَانِ
لَكِنْ نفاةُ الفوقِ مَا وَافَوا بِهِ جَحَدُوا كمَالَ الْفَوقِ للدَّيَّانِ
بَلْ فَسَّرُوهُ بَأنَّ قَدْرَ الله أَعْـ لَى لاَ بِفَوقِ الذَّاتِ للرَّحْمْنِ
قَالُوا وَهَذَا مثلُ قولِ النَّاسِ فِي ذَهَبٍ يُرَى مِنْ خَالِصِ العِقْيَانِ
هُوَ فوْقَ جنْسِ الفِضَّةِ البَيْضَاءِ لاَ بالذاتِ بلْ فِي مقتضَى الأثْمَانِ
والفوقُ أنْواعٌ ثلاثٌ كُلُّهَا لِلَّهِ ثَابِتَةٌ بِلاَ نُكْرَانِ
هَذَا الَّذِي قَالُوا وفوْق القَهْرِ والْـ فوْقِيَّةُ العُلْيَا عَلَى الأكْوَانِ
هَذَا ورَابِعُهَا عُروجُ الرّوحِ والْـ أمْلاكِ صاعِدةً إِلَى الرَّحْمْنِ
وَلَقدْ أتَى فِي سورتَينِ كِلاَهُمَا اشْـ تَمَلا عَلَى التَّقدِير بالأزْمَانِ
فِي سورةٍ فيها المعَارِجُ قدِّرتْ خَمْسِينَ ألفاً كامِلَ الحُسْبَانِ
وبسَجْدةِ التنزِيل ألفاً قُدِّرتْ فلأجْلِ ذَا قَالُوا هُمَا يَوْمَانِ
يومُ المعَادِ بذِي المعَارِجِ ذكرُهُ والْيَومُ فِي تنزِيلِ فِي ذَا الآنِ
وكِلاَهُمَا عِنْدِي فَيَوْمٌ واحِدٌ وعُروجُهُمْ فِيهِ إلَى الدَّيَّانِ
فالألفُ فِيهِ مسافَةٌ لنزُولِهِمْ وصُعُودِهِمْ نحوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي

هَـذِي الـسَّـمـاءُ فـإنَّـهـا قَـدْ قُـدِّرَتْ خَـمْـسِـيـنَ فِـي عَـشْـرٍ وَذَا صِـنْـفَـانِ
لَكِنَّما الخَمْسُونَ ألفَ مسَافَةُ السَّـ ـبْـعِ الـطِـبـاقِ وبُـعْـدُ ذِي الأكْـوَانِ
مِنْ عَرْشِ رَبِّ العَالَمِينَ إلَى الثَّرى عِـنْـدَ الـحضِيضِ الأسْفلِ التَّحْتَانِي
واخْتَارَ هَذَا القَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ الْـ ـبَـغَـوِيُّ ذَاكَ الـعَـالِـمُ الـرَّبَّـانِـي
ومُـجَـاهِـدٌ قَـدْ قَـالَ هَـذَا الـقَـوْلَ لَـ ـكِـنَّ ابـنَ إسْـحَـاقَ الجَلِيلَ الشَّانِ
قَالَ المسافَةُ بَيْنَنَا والعَرْشِ ذَا الـ ـمـقـدارُ فِـي سَـيْـرٍ مِـنَ الإنْـسَـانِ
والقَـوْلُ الاوَّلُ قَـوْلُ عِـكْـرِمـةٍ وقـوْ لُ قـتَـادَةٍ وهُـمَـا لَـنَـا عَـلَـمَـانِ
واخْتَارَهُ الحَسَنُ الرِّضَا ورَوَاهُ عَنْ بَـحْـرِ الـعُـلُـومِ مُـفَـسِّـرِ الـقُـرْآنِ
وَيُرجِّحُ القَوْلَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ سَـادَاتُـنَـا فِـي فَـرْقِـهِـمْ أمْـرَانِ
إحْدَاهُمَا مَا فِي الصَّحِيحِ لمانِعِ لِـزَكَـاتِـه مِـنْ هَـذِهِ الأعْـيَـانِ
يُكْوَى بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ ظَهْرُهُ وجَـبِـيـنُـهُ وكَـذلِـكَ الـجَـنْـبَـانِ
خَمْسُونَ ألفاً قدرُ ذَاكَ اليَوْمِ فِي هَـذَا الـحَـدِيـثِ وَذَاكَ ذُو تِـبْـيَـانِ
فالظَّاهِرُ اليَوْمَانِ فِي الوجْهَينِ يَوْ مٌ واحِـدٌ مَـا إنْ هُـمَـا يَـوْمَـانِ
قَالُوا وإيرَادُ السِّيَاقِ يُبيِّنُ الْـ ـمَضْمُونَ مِنْهُ بأوْضَحِ التِّبْيَانِ
فانْظُرْ إلى الإضْمَارِ ضِمْنَ يَرَوْنَهُ ونَـرَاهُ مَـا تَـفْـسِـيـرُهُ بِـبَـيَـانِ
فالْيَوْمُ بالتفسِيرِ أوْلَى مِنْ عَذَا بٍ واقِـعٍ لِـلْـقُـرْبِ والـجِـيـرَانِ
ويكُونُ ذكرُ عروجِهِمْ فِي هَذِه الدُّ ـنْـيَـا ويَـوْمَ قِـيَـامَـةِ الأبْـدَانِ
فنزُولُهمْ أيْضاً هُنَالِكَ ثَابتٌ كَنُزولِهِمْ أيْضاً هُنَا لِلشَّانِ
وعُروجُهُمْ بَعْدَ القَضَا كعرُوجِهِمْ أيْضاً هُنَا فلهُمْ إذاً شَأنَانِ
ويزولُ هَذَا السَّقْفُ يَوْمَ مَعَادِنَا فَعُروجُهُمْ لِلعَرْشِ والرَّحْمَنِ
هَذَا وَمَا اتَّضَحَتْ لَدَيَّ وعلْمُهَا الـ ـموكُولُ بَعدُ لِمنزِلِ القُرْآنِ
وأعوذُ بالرَّحْمَنِ مِنْ جَزْمٍ بِلاَ عِـلْـمٍ وَهَـذَا غَـايَـةُ الإمْـكَـانِ
والله أعْـلَـمُ بـالـمـرادِ بِـقَـوْلِـهِ ورَسُـولُـهُ الـمَـبْـعُـوثُ بـالـفُـرْقَـانِ

❊ ❊ ❊

فصلٌ

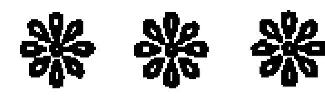
هَـذَا وخَـامِـسُـهَـا صُـعـودُ كَـلاَمِـنَـا ... بِـالـطَّـيِّـبَـاتِ إِلَـيْـهِ والإِحْـسَـانِ
وَكَـذَا صُعُـودُ الـبَـاقِـيَـاتِ الـصَّـالِـحَـا ... تِ إِلَـيْـهِ مِـنْ أَعْـمَـالِ ذِي الإِيـمَـانِ
وَكَـذَا صُـعُـودُ تَـصَـدُّقٍ مِـنْ طَـيِّـبٍ ... أَيْـضـاً إِلَـيْـهِ عِـنْـدَ كُـلِّ أَوَانِ
وَكَـذَا عُـرُوجُ مَـلائِـكٍ قَـدْ وُكِّـلُـوا ... مِـنَّـا بِـأَعْـمَـالٍ وَهُـمْ بَـدَلاَنِ
فَـإِلَـيْـهِ تَـعْـرُجُ بُـكْـرَةً وعَـشِـيَّـةً ... والـصُّـبْـحُ يَـجْـمَـعُـهُـمْ عَـلَـى الـقُـرْآنِ
كَـيْ يَـشْـهَـدُونَ ويـعْـرُجُـونَ إِلَـيْـهِ بِـالْـ ... أَعْـمَـالِ سُـبْـحَـانَ الـعَـظِـيـمِ الـشَّـانِ
وَكَـذَاكَ سَعْـيُ الـلَّـيْـلِ يَـرْفَـعُـهُ إِلَى الـرْ ... رَحْــمٰـنِ مِـنْ قَـبْـلِ الـنَّـهَـارِ الـثَّـانِـي
وَكَـذَاكَ سَـعْـيُ الـيَـوْمِ يَـرْفَـعُـهُ لَـهُ ... مِـنْ قَـبْـلِ لَـيْـلِ حَـافِـظُ الإِنْـسَـانِ
وَكَـذَاكَ مِـعْـرَاجُ الـرَّسُـولِ إِلَـيْـهِ حَـقْـ ... قٌ ثَـابِـتٌ مَـا فِـيـهِ مِـنْ نُـكْـرَانِ
بَـلْ جَـاوَزَ الـسَّـبْـعَ الـطِّـبَـاقَ وقَـدْ دَنَـا ... مِـنْـهُ إِلَـى أَنْ قُـدِّرَتْ قَـوْسَـانِ
بَـلْ عَـادَ مِـنْ مُـوسَـى إِلَـيْـهِ صَـاعِـداً ... خَـمْـساً عِـدَادَ الـفَـرْضِ فِـي الـحُـسْـبَـانِ
وَكَـذَاكَ رَفْـعُ الـرُّوحِ عِـيـسَـى الـمُـرْتَـضَـى ... حَـقّـاً إِلَـيْـهِ جَـاءَ فِـي الـقُـرْآنِ
وَكَـذَاكَ تَـصْـعَـدُ روحُ كُـلِّ مُـصَـدِّقٍ ... لَـمَّـا تَـفُـوزُ بِـفُـرْقَـةِ الأَبْـدَانِ
حَـقّـاً إِلَـيْـهِ كَـيْ تَـفُـوزَ بِـقُـرْبِـهِ ... وتَـعُـودَ يَـوْمَ الـعَـرْضِ لِـلْـجُـثْـمَـانِ
وَكَـذَا دُعَـا الـمُـضْـطَـرِّ أَيْـضـاً صَـاعِـدٌ ... أَبَـداً إِلَـيْـهِ عِـنْـدَ كُـلِّ أَوَانِ
وَكَـذَا دُعَـا الـمَـظْـلُـومِ أَيْـضـاً صَـاعِـدٌ ... حَـقّـاً إِلَـيْـهِ قَـاطِـعَ الأَكْـوَانِ



فصلٌ

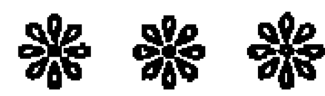
هَـذَا وسَـادِسُـهَـا وَسَـابِـعُـهَـا الـنُّـزو ... لُ كَـذَلِـكَ الـتَّـنْـزِيـلُ لِـلْـقُـرْآنِ
والـلَّـهُ أَخْـبَـرَنَـا بِـأَنَّ كِـتَـابَـهُ ... تَـنْـزِيـلُـهُ بِـالـحَـقِّ والـبُـرْهَـانِ
أَيـكُـونُ تَـنْـزِيـلاً ولَـيْـسَ كَـلاَمَ مَـنْ ... فَـوْقَ الـعِـبَـادِ أَذَاكَ ذُو إِمْـكَـانِ
أَيـكُـونُ تَـنْـزِيـلاً مِـنَ الـرَّحْـمٰـنِ والـرْ ... رَحْـمٰـنُ لَـيْـسَ مُـبَـايِـنَ الأَكْـوانِ
وَكَـذَا نُـزولُ الـرَّبِّ جَـلَّ جَـلاَلُـهُ ... فِـي الـنِّـصْـفِ مِـنْ لَـيْـلٍ وذَاكَ الـثَّـانِـي

فيقُولُ لَسْتُ بسَائِلٍ غَيرِي بأحْـ وَالِ العِبَادِ أنَا العَظِيمُ الشَّانِ
مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فيُعْطَى سُؤْلَهُ مَنْ ذَا يَتُوبُ إلَيَّ مِنْ عِصْيَانِ
مَنْ ذَاك يسْأَلُنِي فَأغْفِرَ ذَنْبَهُ فَأنَا الوَدُودُ الوَاسِعُ الغُفْرانِ
مَنْ ذَا يُريدُ شِفَاءَهُ مِنْ سُقْمِهِ فَأنَا القَرِيبُ مُجِيبُ مَنْ نَادَانِي
ذَا شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ وبِحَمْدِهِ حَتَّى يكُونَ الفَجْرُ فجراً ثَانِي
يَا قَوْمُ لَيْسَ نزُولُهُ وعُلُوُّهُ حقاً لَدَيْكُمْ بَلْ هُمَا عَدَمانِ
وَكذَا يقُولُ لَيْسَ شيئاً عنْدَكُمْ لاَ ذَا ولاَ قَوْلٌ سِوَاهُ ثَانِي
كُلٌّ مَجَازٌ لا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ أوَّلْ وَزِدْ وانقُبِضْ بِلاَ بُرْهَانِ



فصلٌ

هَذَا وثَامِنُهَا بسُورَةِ غَافِرٍ هُوَ رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ للرَّحْمٰنِ
دَرَجَاتُهُ مرْفُوعَةٌ كمَعَارِجٍ أيضاً لَهُ وكِلاَهُمَا رَفْعَانِ
وَفَعِيلُ فِيهَا لَيْسَ مَعْنَى فَاعِلٍ وسِيَاقُهَا يأبَاهُ ذُو التِّبْيَانِ
لَكِنَّهَا مَرْفُوعَةٌ دَرجَاتُهُ لِكَمَالِ رِفْعَتِهِ عَلَى الأكْوَانِ
هَذَا هُوَ القَوْلُ الصَّحِيحُ فَلاَ تَحِدْ عَنْهُ وخُذْ مَعْنَاهُ فِي القُرآنِ
فَنَظِيرُهَا المبْدِي لَنَا تَفْسِيرُهَا فِي ذِي المعَارِجِ لَيْسَ يفْترِقَانِ
والرُّوحُ والأمْلاَكُ تصْعَدُ في مَعَا رِجِهِ إلَيْهِ جَلَّ ذو السُّلْطَانِ
ذَا رِفْعَةُ الدَّرجَاتِ حقاً مَا هُمَا إلاَّ سَواءٌ أوْ هُمَا شِبْهَانِ
فَخُذِ الكِتَابَ بِبَعْضِهِ بَعْضاً كَذَا تَفْسِيرُ أهْلِ العِلْمِ للقُرآنِ



فصلٌ

هَذَا وتَاسِعُهَا النُّصُوصُ بأنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ وذَا بِلاَ حُسْبَانِ
فاسْتَحْضِرِ الوَحْيَينِ وانظُرْ ذَاكَ تَلْـ قَاهُ مُبِيناً وَاضِحَ التِّبْيَانِ

ولسَوْفَ نذكُرُ بَعْضَ ذَلكَ عَنْ قَرِيـ ـبِ كَـيْ تَـقُـومَ شَـوَاهِـدُ الإِيـمَـانِ
وإذا أتـتْكَ فَـلاَ تَـكُـنْ مُـسْتَـوْحِـشـاً مِـنْـهَـا وَلاَ تَـكُ عِـنْـدَهَـا بِـجَـبَـانِ
لَـيسَـتْ تَـدُلُّ عَـلَـى انْـحِـصَـارِ إلٰهِـنَـا عَـقْـلاً وَلاَ عُـرْفـاً ولاَ بِـلِـسَـانِ
إذ أجْـمَـعَ الـسَّـلَـفُ الـكِـرَامُ بـأنَّ مَـعْـ ـنَاهَـا كـمَـعْـنَـى الـفَـوْقِ بـالـبُـرْهَـانِ
أوْ أنَّ لـفْـظَ سَـمَـائِـهِ يُـعـنَـى بِـهِ نَـفْـسُ الـعُـلُـوِّ الـمطْـلَـقِ الـحقَّـانِي
والـرَّبُّ فِـيـهِ ولَـيْـسَ يَـحْـصُـرُهُ مِـنَ الـ ـمَـخْـلُـوقِ شَـيءٌ عَـزَّ ذُو الـسُّـلْـطَـانِ
كُـلُّ الـجِـهَـاتِ بـأسْـرِهَـا عَـدَمِـيَّـةٌ فِـي حَـقِّـهِ هُـوَ فَـوْقَـهَـا بِـبَـيَـانِ
قَـدْ بَـانَ عَـنْـهَـا كـلِّـهَـا فَـهْـوَ الـمحِـيـ ـطُ ولا يُـحَـاطُ بِـخَـالِـقِ الأكْـوانِ
مَا ذَاكَ يَـنْـقِـمُ بعـدُ ذُو الـتـعْـطِـيـلِ مِنْ وَصْـفِ الـعُـلُـوِّ لـربِّـنَـا الـرَّحْـمٰـنِ
أيَـرُدُّ ذُو عَـقْـلٍ سَـلِـيـمٍ قَـطُّ ذا بَـعْـدَ الـتَّـصَـوُّرِ يَـا أولِـي الأذْهَـانِ
والـلَّـهِ مَـا رَدَّ امـرُؤٌ هَـذَا بِـغَـيْـ ـرِ الـجَـهْـلِ أوْ بِـحَـمِـيَّـةِ الـشَّـيْـطَـانِ



فصلٌ

هَذَا وَعَاشِرُهَا اخْتِصَاصُ البَعْضِ مِنْ أمْـلاكِـهِ بِـالـعِـنْـدِ لِـلـرَّحْـمٰـنِ
وَكـذَا اخْتِصَاصُ كِتَابِ رَحْمَتِهِ بِعنْـ ـدَ اللهِ فَـوْقَ الـعَـرْشِ ذُو تِـبْـيَـانِ
لَـوْ لَـمْ يَـكُـنْ سُـبْـحَـانَـهُ فَـوْقَ الـوَرَى كَـانُـوا جَـمِـيـعـاً عِـنْـدَ ذِي الـسُّـلْـطَانِ
وَيَـكُـونُ عِـنْـدَ اللهِ إبْـلِـيـسٌ وجِـبْـ ـرِيـلٌ هُـمَـا فِـي الـعِـنْـدِ مُـسْـتَـوِيَـانِ
وَتَـمَـامُ ذَاكَ الـقَـوْلِ أنَّ مَـحَـبَّـةَ الـرْ رَحْـمٰـنِ عَـيْـنُ إرَادةِ الأكْـوانِ
وَكِـلاَهُـمَـا مَـحْـبُـوبُـهُ ومُـرَادُهُ وَكِـلاَهُـمَـا هُـوَ عِـنْـدَهُ سِـيَّـانِ
إنْ قُـلْـتُـمْ عِـنْـديـةُ الـتَّـكْـوِيـنِ فَـالـذْ ذَاتَـانِ عِـنْـدَ الـلَّـهِ مَـخْـلُـوقَـانِ
أوْ قُـلْـتُـمْ عِـنْـدِيَّـةُ الـتَّـقْـرِيـبِ تَـقْـ ـرِيـبِ الـحَـبِـيـبِ وَمَـا هُـمَـا عِـدْلاَنِ
فَـالـحُـبُّ عِـنْـدكُـمُ الـمشِـيـئَـةُ نَـفْـسُـهَـا وَكِـلاَهُـمَـا فِـي حُـكْـمِـهَـا مِـثْـلاَنِ
لَـكِـنْ مُـنَـازِعُـكُـمْ يَـقُـولُ بِـأنَّـهَـا عِـنْـدِيَّـةٌ حَـقّـاً بِـلاَ رَوَغَـانِ
جَـمَـعَـتْ لَـهُ حُـبَّ الإِلٰـهِ وَقُـرْبَـهُ مِـنْ ذَاتِـهِ وَكَـرَامَـةَ الإِحْـسَـانِ

وَالـحُـبُّ وَصـفٌ وَهْـوَ غَـيْـرُ مشِـيئَـةٍ والـعِـنْـدُ قُـرْبٌ ظَـاهِـرُ الـتِّـبْـيَـانِ

❋ ❋ ❋



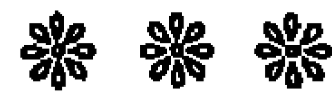
هَـذَا وحَـادِي عَـشْـرَهُـنَّ إشَـارَةٌ نَـحْـوَ الْـعُـلُـوِّ بِـإصـبُـعٍ وَبَـنَـانِ
لِـلَّـهِ جَـلَّ جَـلالُـهُ لاَ غَـيْـرِهِ إذْ ذَاكَ إشْـرَاكٌ مِـنَ الإنْـسَـانِ
وَلَـقَـدْ أَشَـارَ رَسُولُـهُ فِـي مَـجْـمَـعِ الْـ حَـجِّ الـعَـظِـيـمِ بِـمَـوْقِـفِ الـغُـفْـرَانِ
نَـحْـوَ الـسَّـمَـاءِ بِـأصْـبُـعٍ قَـدْ كُـرِّمَـتْ مُـسْـتَـشْـهِـداً لِـلْـوَاحِـدِ الـرَّحْـمٰـنِ
يـا رَبُّ فـاشْـهَـدْ أنَّـنِـي بَـلَّـغْـتُـهُـمْ وَيُـشِـيـرُ نَـحْـوَهُـمْ لِـقَـصْـدِ بَـيَـانِ
فَـغَـدا الـبَـنَـانُ مُـرَفَّـعـاً وَمُـصَـوَّبـاً صَـلَّـى عَـلَـيْـكَ الـلَّـهُ ذُو الـغُـفْـرَانِ
أدَّيـتَ ثُـمَّ نَـصَـحْـتَ إذْ بَـلَّـغْـتَـنَـا حَـقَّ الـبَـلاَغِ الـوَاجِـبِ الـشُّـكْـرَانِ

❋ ❋ ❋



هَـذَا وَثَـانِيَ عَشْـرَهَـا وَصْـفُ الـظُّـهُـو رِ لَـهُ كَـمَـا قَـدْ جَـاءَ فِـي الـقُـرآنِ
والـظَّـاهِـرُ الـعَـالِـي الَّـذِي مَـا فَـوْقَـهُ شَـيءٌ كَـمَـا قَـدْ قَـالَ ذُو الـبُـرْهَـانِ
حَـقّـاً رَسُـولُ الـلَّـهِ ذَا تَـفْـسِـيـرُهُ وَلَـقَـدْ رَوَاهُ مُـسْـلِـمٌ بِـضَـمَـانِ
فَـاقْـبَـلْـهُ لاَ تَـقْـبَـلْ سِـوَاهُ مِـنَ الـتَّـفـا سِـيـرِ الَّـتـي قِـيـلَـتْ بِـلاَ بُـرْهَـانِ
والـشَّـيءُ حِـيـنَ يَـتِـمُّ مِـنْـه عُـلُـوُّهُ فَـظُـهُـورُهُ فِـي غَـايَـةِ الـتِّـبْـيَـانِ
أَوَ مَـا تَـرى هَـذِي الـسَّـمَـا وَعُـلُـوَّهَـا وَظُـهُـورَهَـا وَكَـذَلِـكَ الـقَـمَـرَانِ
وَالـعَـكْـسُ أيْـضـاً ثَـابِـتٌ فَـسُـفُـولُـهُ وَخَـفَـاؤُهُ إذ ذَاكَ مُـضْـطَـحِـبَـانِ
فَـانْـظُـرْ إلَـى عُـلُـوِ الـمـحِـيـطِ وأخْـذِهِ صِـفَـةَ الـظُّـهُـورِ وذَاكَ ذُو تِـبْـيَـانِ
وَانْـظُـر خَـفَـاءَ الـمركَـزِ الأَدْنَـى وَوَصْـ ـفَ الـسُّـفْـلِ فِـيـهِ وَكَـوْنَـهُ تَـحْـتَـانِـي
وَظُـهُـورُهُ سُـبْـحَـانَـهُ بِـالـذَّاتِ مِـثْـ ـلُ عُـلُـوِّهِ فَـهُـمَـا لَـهُ صِـفَـتَـانِ
لاَ تَـجْـحَـدَنَّـهُـمَـا جُـحُـودَ الـجَـهْـمِ أوْ صَـافَ الـكَـمَـالِ تَـكُـونُ ذَا بُـهْـتَـانِ

وَظُهُورُهُ هُوَ مُقْتَضٍ لِعُلُوِّهِ وَعُلُوُّهُ لِظُهُورِهِ بِبَيَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ دَخَلَتْ هُنَاكَ الفَاءُ للتْـ ـتَسْبِيبِ مُؤْذِنَةً بِهَذَا الشَّانِ
فَتَأَمَّلَنْ تَفْسِيرَ أَعْلَمِ خَلْقِهِ بِصِفَاتِهِ من جاء بالقرآنِ
إذْ قَالَ أَنْتَ كَذَا فَلَيْسَ لِضِدِّهِ أَبَداً إِلَيْكَ تَطَرُّقُ الإِتْيَانِ



فصلٌ

هَذَا وَثَالِثُ عَشْرِهَا إِخْبَارُهُ أَنَّا نَرَاهُ بِجَنَّةِ الحَيَوَانِ
فَسَلِ المعَطِّلَ هَلْ نَرَى مَنْ تَحْتَنَا أَمْ عَنْ شَمَائِلِنَا وَعَنْ أَيْمَانِ
أَمْ خَلْفَنَا وَأَمَامَنَا سُبْحَانَهُ أَمْ هَلْ نَرَى مِنْ فَوْقِنَا بِبَيَانِ
يَا قَوْمُ مَا فِي الأَمرِ شَيء غَيْر ذَا أَوْ أَنَّ رؤيَتَهُ بِلاَ إِمْكَانِ
إِذْ رُؤيَةٌ لاَ فِي مُقَابَلَةٍ مِنَ الرْ رَائِي مُحَالٌ لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئاً سِوَى ذَا كَانَ دَعْـ ـوَاهُ مُكَابَرَةً عَلَى الأَذْهَانِ
وَلِذَاكَ قَالَ مُحَقِّقٌ مِنْكُمْ لأَهْـ ـلِ الإعْتِزَالِ مَقَالَةً بِأَمَانِ
مَا بَيْنَنَا خُلْفٌ وَبَيْنَكُمُ لِذِي التَّـ ـحْقِيقِ فِي مَعْنَى فَيَا إِخْوانِي
شُدُّوا بِأَجْمعِنَا لِنَحمِلَ حَمْلَةً نَذَرُ المجَسِّمَ فِي أَذَلِّ هَوَانِ
إِذْ قَالَ إِنَّ إِلَـٰهَنَا حَقاً يُرَى يَوْمَ المعَادِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
وتَصِيرُ أَبْصَارُ العِبَادِ نَوَاظِراً حَقاً إِلَيْهِ رُؤْيَةً بِعِيَانِ
لاَ رَيْبَ أَنَّهُمُ إذا قَالُوا بِذَا لَزِمَ العُلُوُّ لِفَاطِرِ الأَكْوانِ
وَيَكُونُ فَوْقَ العَرْشِ جَلَّ جَلاَلُهُ فَلِذَاكَ نَحْنُ وَحِزْبُهُمْ خَصْمَانِ
لَكِنَّنَا سِلْمٌ وأنتُمْ إِذْ تَسَا عَدْنَا عَلَى نَفْيِ العُلُوِّ لِربِّنَا الرَّحْمٰنِ
فَعُلُوُّهُ عَيْنُ المحَالِ وَلَيْسَ فَوْ قَ العَرْشِ مِنْ رَبٍّ وَلاَ دَيَّانِ
لاَ تَنْصِبُوا مَعَنا الخِلاَفَ فَمَا لَهُ طَعْمٌ فَنَحْنُ وأَنْتُمُ سِلْمَانِ
هَذَا الَّذِي واللَّهِ مُودَعُ كُتْبِهِمْ فَانْظُر تَرَى يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ



فصلٌ

هَـذَا وَرَابـعَ عَـشْـرَهَـا إِقْـرَارُ سَـا ... ئِـلَـةٍ بِـلَـفْـظِ الأيْـن لـلـرَّحْـمٰـنِ
وَلَـقَـدْ رَوَاهُ أَبُـو رُزَيْـنٍ بَـعْـدَمَـا ... سَـأَلَ الـرَّسُـولَ بِـلَـفْـظَـةٍ بِـوِزَانِ
وَرَوَاهُ تَـبْـلِـيـغـاً لَـهُ ومُـقَـرِّراً ... لَـمَّـا أَقَـرَّ بِـهِ بِـلاَ نُـكْـرَانِ
هَذَا وَمَا كَانَ الـجَـوَابُ جَـوابَ مَنْ ... لَـكِـنْ جَـوَابُ الـلَّـفْـظِ بِـالـمِـيـزَانِ
كَـلا وَلَـيْـسَ لـمَـنْ دُخُـولٌ قَـطُّ فِـي ... هَـذَا الـسِّـيَـاقِ لـمـنْ لَـهُ أُذُنَـانِ
دَعْ ذَا فَـقَـدْ قَـالَ الـرَّسُـولُ بِـنَـفْـسِـهِ ... أَيْـنَ الإِلَـٰهُ لِـعَـالِـمٍ بِـلِـسَـانِ
واللَّهِ ما قَصَدَ المخَاطِبُ غَيرَ مَعْـ ... ـنَاهَا الـذِي وُضِـعَـتْ لَـهُ الـحقَّـانِـي
والـلَّـهِ مَـا فَـهِـمَ الـمخَـاطَـبُ غَـيْـرَهُ ... والـلَّـفـظُ مـوضُـوعٌ لـقَـصْـدِ بَـيَـانِ
يَا قَوْمُ لَفْظُ الأيْنَ مُمْتَنِعٌ عَلَى الرْ ... رَحْـمٰـنِ عِـنْـدَكُـمُ وذُو بُـطْـلاَنِ
وَيَـكَـادُ قَـائِـلُـكُـمْ يُـكَـفِّـرُنَـا بِـهِ ... بَـلْ قَـدْ وهَـذَا غَـايَـةُ الـعُـدْوَانِ
لَـفْـظٌ صَـرِيـحٌ جَـاءَ عَـنْ خَـيْـرِ الـوَرَى ... قَـوْلاً وإِقْـرَاراً هُـمَـا نَـوْعَـانِ
والـلَّـهِ مَـا كَـانَ الـرَّسُـولُ بِـعَـاجِـزٍ ... عـنْ لَـفْـظِ مَـنْ مَـع أَنَّـهَـا حَـرْفَـانِ
والأيْـنَ أحْـرُفُـهَـا ثَـلاَثٌ وَهْـيَ ذُو ... لَـبْـسٍ ومَـنْ هِـيَ غَـايَـةُ الـتِّـبْـيَـانِ
والـلَّـهِ مَـا الـمَـلَـكَـان أَفْـصَـحُ مِـنْـهُ إِذْ ... فِـي الـقـبْـرِ مَنْ رَبُّ الـسَّـمَـا يَـسَـلاَنِ
ويَـقُـولُ أَيْـنَ الـلَّـهُ يَـعْـنِـي مَـنْ فَـلاَ ... والـلَّـهِ مَـا الـلَّـفْـظَـانِ مـتَّـحِـدَانِ
كَـلاَّ وَلاَ مَـعْـنَـاهُـمَـا أيـضـاً لِـذِي ... لُـغَـةٍ وَلاَ شَـرْعٍ وَلاَ إِنْـسَـانِ



فصلٌ

هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا الإِجْمَاعُ مِنْ ... رُسُـلِ الإِلَـٰه الـواحِـدِ الـمـنَّـانِ
فَالمرْسَلُونَ جَمِيعُهُمْ مَعَ كُتْبِهِمْ ... قَـدْ صَـرَّحُـوا بِـالـفَـوْقِ لـلـرَّحـمٰـنِ
وَحَكَى لَنَا إِجْمَاعَهُمْ شَيْخُ الوَرَى ... والـذِّيـنِ عَـبْـدُالـقَـادِرِ الـجِـيـلاَنِـي
وأبُـو الـوَلِـيـدِ الـمالِـكِـي أيْـضـاً حَـكَـى ... إِجْـمَـاعَـهُـمْ أعـنـي ابْـنَ رُشْـدِ الـثَّـانِـي
وَكَـذَا أبُـو الـعـبَّـاسِ أيْـضـاً قَـدْ حَـكَـى ... إِجْـمَـاعَـهُـمْ عَـلَـمُ الـهُـدَى الـحَـرَّانِـي

ولَـهُ اطِّـلاعٌ لَـمْ يَـكُـنْ مِـنْ قَـبْـلِـهِ لِـسِـوَاه مِـنْ مُـتَـكَـلِّـمٍ ولِـسَـانِ
هَـذا ونَـقْـطَـعُ نَـحْـنُ أيـضـاً أنَّـهُ إجْـمَـاعُـهُـمْ قَـطْـعـاً عَـلَـى الـبُـرهَـانِ
وَكَـذَاكَ نَـقْـطَـعُ أنَّـهُـمْ جَـاؤوا بـإثْـ ـبَـاتِ الـصِّـفَـاتِ لـخَـالِـقِ الأكْـوَانِ
وَكَـذَاكَ نـقـطَـعُ أنـهُـمْ جَـاؤوا بـإثْـ ـبَـاتِ الـكَـلاَمِ لِـرَبِّـنَـا الـرحْـمٰـنِ
وَكَـذَاكَ نـقْـطَـعُ أنَّـهُـمْ جَـاؤوا بـإثْـ ـبَـاتِ الـمـعَـادِ لـهَـذِهِ الأبْـدَانِ
وَكَـذَاكَ نَـقْـطَـعُ أنَّـهُـمْ جاؤوا بـتَـوْ حِـيـدِ الإلٰـهِ ومَـا لَـهُ مِـنْ ثَـانِـي
وَكَـذَاكَ نَـقْـطَـعُ أنَّـهُـمْ جَـاؤوا بـإثْـ ـبـاتِ الـقَـضَـاءِ وَمَـا لَـهُـمْ قَـوْلاَنِ
فـالـرُّسـلُ مُـتَّـفِـقُـونَ قَـطْـعـاً فِـي أصُـو لِ الـدِّيـن دُونَ شَـرَائِـعِ الإيـمَـانِ
كُـلٌّ لَـهُ شَـرْعٌ ومِـنْـهَـاجٌ وَذَا فِـي الأمْـرِ لاَ الـتَّـوْحِـيـدِ فـافْـهَـمْ ذَانِ
فـالـدِّيـنُ فِـي الـتَّـوْحِـيـدِ دِيـنٌ وَاحِـدٌ لَـمْ يَـخْـتَـلِـفْ مِـنْـهُـمْ عَـلَـيْـهِ اثْـنَـانِ
دِيـنُ الإلٰـه اخْـتَـارَهُ لِـعِـبَـادِهِ ولِـنَـفْـسِـهِ هُـوَ قَـيِّـمُ الأدْيَـانِ
فـمِـنَ الـمُـحَـالِ بـأنْ يَـكُـونَ لـرُسْـلِـهِ فِـي وَصْـفِـهِ خَـبَـرَانِ مُـخْـتَـلِـفَـانِ
وَكَـذَاكَ نَـقْـطَـعُ أنَّـهُـمْ جَـاؤوا بِـعَـدْ لِ الله بَـيْـنَ طَـوَائِـفِ الإنْـسَـانِ
وَكَـذاك نَـقْـطَـعُ أنَّـهُـمْ أيْـضـاً دَعَـوْا لِـلـخَـمْـسِ وَهْـيَ قَـوَاعِـدُ الإيـمَـانِ
إيـمَـانُـنَـا بـالله ثُـمَّ بـرُسْـلِـهِ وبِـكُـتْـبِـهِ وقِـيَـامَـةِ الأبْـدَانِ
وبِـجُـنْـدِهِ وَهُـمُ الـمـلائِـكـةُ الأُلَـى هُـمْ رُسْـلُـهُ لـمـصَـالِـحِ الأكْـوَانِ
هَـذِي أصُـولُ الـدِّيـنِ حَـقّـاً لاَ أصُـو لُ الـخَـمْـسِ لِـلْـقَـاضِـي هوَ الـهَـمَـذَانِـي
تِـلْـكَ الأُصُـولُ لـلاعْـتِـزَالِ وَكَـمْ لَـهَـا فَـرْعٌ فـمِـنْـهُ الـخَـلْـقُ لـلـقُـرْآنِ
وجُـحُـودُ أوْصَـافِ الإلٰـه ونَـفْـيُـهُـمْ لِـعُـلُـوِّهِ والـفَـوْقِ لـلـرَّحْـمٰـنِ
وَكَـذَاكَ نَـفْـيُـهُـمُ لـرؤيـتـنَـا لَـهُ يَـومَ الـلِّـقَـاءِ كَـمَـا يُـرَى الـقَـمَـرَانِ
ونَـفَـوْا قَـضَـاء الـرَّبِّ والـقَـدَرَ الَّـذِي سَـبَـقَ الـكِـتَـابُ بِـهِ هُـمَـا شَـيْـئَـانِ
مِـنْ أجْـلِ هَـاتِـيـكَ الأصُـولِ وخَـلَّـدُوا أهْـلَ الـكَـبَـائِـرِ فِـي لـظَـى الـنِّـيـرَانِ
ولأجْـلِـهَـا نَـفَـوا الـشَّـفَـاعَـةَ فِـيـهِـمُ وَرَمَـوْا رُوَاةَ حَـدِيـثِـهَـا بِـطِـعَـانِ
ولأجْـلِـهَـا قَـالُـوا بـأنَّ الله لَـمْ يَـقْـدِرْ عَـلَـى إيـمَـانِ ذِي الـكُـفْـرانِ
ولأجْلِها حَكَمُوا عَلَى الرَّحْمٰنِ بالشْـ ـشَـرْعِ الـمـحَـالِ شـريـعَـةِ الـبُـهْـتَـانِ

ولأجلهَا هُمْ يوجِبُونَ رعَايَةً … للأصْلَحِ الموجُودِ في الإمْكَانِ
حَقاً عَلَى رَبِّ الوَرَى بعقُولِهمْ … سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذي السُّبْحَانِ



فصلٌ

هَذَا وَسَادِسَ عَشْرَهَا إجْمَاعُ أهْـ … لِ العِلْمِ أعْنِي حُجَّةَ الأزْمَانِ
مِنْ كُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ شَهِدَتْ لهُ … أهلُ الحَدِيث وعَسْكَرُ القُرْآنِ
لاَ عِبْرَةَ بِمُخَالِفٍ لَهُمُ وَلَوْ … كَانُوا عَدِيدَ الشَّاءِ والبُعْرانِ
إنَّ الَّذي فَوْقَ السَّمٰواتِ العُلاَ … والعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الأكْوَانِ
هُوَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وبِحَمْدِهِ … حَقاً عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى الرَّحمٰن
فاسْمَعْ إذاً أقْوَالهمْ واشْهَدْ عَلَيْـ … ـهِمْ بعْدَهَا بالكُفرِ والإيمَانِ
واقرَأْ تفَاسِيرَ الأئمَّةِ ذَاكِري الْـ … إسْنَادِ فَهْيَ هِدَايَةُ الحَيْرانِ
وَانظُرْ إلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ بتَفْـ … ـسِيرِ اسْتَوى إنْ كُنتَ ذَا عِرْفَانِ
وانظُرْ إلَى أصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ … كمُجَاهِدٍ ومُقَاتِلٍ حَبْرَانِ
وَانظُرْ إلَى الكَلْبِي أيضاً والَّذي … قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا نُكْرانِ
وَكَذَا رَفِيعُ التَّابِعِيُّ أجَلُّهُمْ … ذَاكَ الرِّيَاحِيُّ العَظِيمُ الشَّانِ
كَمْ صَاحِبٍ ألقَى إلَيْهِ عِلْمَهُ … فلِذَاكَ مَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
فَلَيَهْنَ مَنْ قَدْ سَبَّهُ إذْ لَمْ يُوَا … فِقْ قَوْلَهُ تَحْرِيفُ ذِي البُهْتَانِ
فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أربعٌ … قَدْ حُصِّلَتْ للفَارِسِ الطَّعَّانِ
وَهيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلاَ وَكَذلِكَ ارْ … تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ أرْبَعٌ … وَأبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي
يَخْتَارُ هَذَا القَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ … أدْرَى مِنَ الجَهْمِيِّ بالقُرْآنِ
والأشْعَرِيُّ يقُولُ تَفْسِيرُ اسْتَوى … بحَقِيقَةِ اسْتَوْلَى مِنَ البُهْتَانِ
هُوَ قولُ أهلِ الاعْتِزَالِ وَقوْلُ أتْـ … ـبَاعٍ لجَهْمٍ وَهْوَ ذُو بُطْلانِ
فِي كُتْبِهِ قَدْ قَالَ ذَا مِنْ مُوجَزٍ … وإبَانَةٍ ومَقَالَةٍ بِبَيَانِ

وَكَذَلِكَ البَغَوِيُّ أيضاً قَدْ حَكَا ... هُ عَنْهُمْ بِمَعَالِمِ القُرآنِ
وانْظُرْ كَلاَمَ إمامِنَا هُوَ مَالِكٌ ... قَدْ صحّ عنْ قَوْلٍ لِذي إتْقَانِ
فِي الاسْتواءِ بأنَّهُ المعْلُومُ لَـ ... كِنْ كَيْفُهُ خَافٍ عَلَى الأذْهَانِ
ورَوَى ابنُ نَافِعٍ الصَّدُوقُ سَمَاعَهُ ... منْهُ عَلَى التَّحْقِيقِ والإتْقَانِ
اللّهُ حَقّاً فِي السَّمَاءِ وعِلْمُهُ ... سُبْحَانَهُ حَقّاً بِكُلِّ مَكَانِ
فانْظُرْ إلَى التفْرِيقِ بَيْنَ الذَّاتِ والـ ... ـمَعْلُومِ مِنْ ذَا العَالِمِ الربَّانِي
فالذَّاتُ خُصَّتْ بالسَّمَاءِ وإنَّما الْـ ... ـمَعْلُومُ عَمَّ جَمِيعَ ذِي الأكْوَانِ
ذَا ثَابِتٌ عَنْ مَالِكٍ مَنْ رَدَّهُ ... فَلسوفَ يَلْقَى مَالِكاً بِهَوَانِ
وَكَذَاكَ قَالَ التِّرمِذيُّ بِجَامِعٍ ... عَنْ بَعْضِ أهْلِ العِلْمِ والإيمَانِ
وَكَذاكَ أوْزَاعِيُّهُمْ أيضاً حَكَى ... عَنْ سَائِرِ العُلَمَاءِ في البُلْدَانِ
مِنْ قَرْنِهِ والتَّابِعِينَ جَمِيعِهِمْ ... مُتَوافِرِينَ وَهُمْ أولُو العِرْفَانِ
إيمَانُهُمْ بِعُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ ... فَوْقَ العِبَادِ وفوقَ ذِي الأكْوَانِ
وَكَذاكَ قَالَ الشَّافِعِيُّ حَكَاهُ عَنْـ ... ـهُ البيْهَقِيُّ وشيْخُهُ الرَّبَّانِي
حَقّاً قَضَى اللّهُ الخِلاَفَةَ رَبُّنَا ... فَوقَ السَّمَاءِ لأصْدَقِ العَبْدَانِ
حِبُّ الرَّسُولِ وقَائِمٌ مِنْ بعْدِهِ ... بالحَقِّ لاَ فَشِلٌ ولاَ مُتَوَانِ
فانظُرْ إلَى المقْضِيِّ فِي ذِي الأرضِ لـ ... ـكِنْ فِي السَّمَاءِ قَضَاءُ ذِي السُّلطَانِ
وَقَضَاؤهُ وَصْفٌ لَهُ لَمْ يَنْفَصِلْ ... عَنْهُ وَهَذَا وَاضِحُ البُرْهَانِ
وَكَذَلكَ النُّعْمَانُ قَالَ وَبَعْدَهُ ... يَعْقُوبُ والألْفَاظُ لِلنُّعْمَانِ
مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِعَرْشِهِ سُبْحَانَهُ ... فَوْقَ السَّمَاءِ وفوْقَ كلِّ مَكَانِ
ويُقرَّ أنَّ الله فَوْقَ العَرْشِ لاَ ... يَخْفَى عَلَيْهِ هَواجِسُ الأذْهَانِ
فَهْوَ الَّذي لاَ شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِ ... لِلّهِ دَرُّكَ مِنْ إمَامِ زَمَانِ
هَذَا الَّذِي فِي الفِقْهِ الاكْبَرِ عنْدَهُمْ ... وَلَهُ شُرُوحٌ عِدَّةٌ لِبَيَانِ
وانظُرْ مَقَالَةَ أحْمَدٍ ونُصُوصَهُ ... فِي ذَاكَ تَلْقَاهَا بِلاَ حُسْبَانِ
فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بِعُلُوِّهِ ... وبِالاسْتِوَا والفَوْقِ لِلرَّحْمٰنِ
ولهُ نصُوصٌ وَارِدَاتٌ لَمْ تَقَعْ ... لِسِوَاهُ مِنْ فُرْسَانِ هَذَا الشَّانِ

إذْ كَانَ مُمْتَحَناً بأَعْدَاءِ الحَدِيـ ـثِ وَشِيعَةِ التَّعْطِيلِ والكُفْرَانِ
وإذا أرَدْتَ نُصُوصَهُ فانْظُر إلَى مَا قَدْ حَكَى الخَلاَّلُ ذُو الإتْقَانِ
وَكَذاكَ إسْحَاقُ الإمَامُ فَإنَّهُ قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الحيْرَانِ
وابْنُ المبَارَكِ قَالَ قَوْلاً شَافِياً إنْكَارُهُ عَلَمٌ عَلَى البُهْتَانِ
قَالُوا لَهُ مَا ذَاكَ نَعْرِفُ رَبَّنَا حَقّاً بِهِ لِنَكُونَ ذَا إيمَانِ
فأَجَابَ نَعْرِفُهُ بِوَصْفِ عُلُوِّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنَ الأكْوَانِ
وبِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَقّاً علـى الْـ ـعَرْشِ الرَّفِيعِ فجَلَّ ذو السُّلْطَانِ
وَهُوَ الَّذِي قَدْ شَجَّعَ ابْنَ خُزَيْمةٍ إذْ سَلَّ سَيْفَ الحَقِّ والعِرْفَانِ
وَقَضَى بِقَتْلِ المنْكِرِينَ عُلُوَّهُ بَعْدَ اسْتِتَابَتِهِمْ مِنَ الكُفْرَانِ
وبأنَّهُمْ يُلْقَوْنَ بَعْدَ القَتْلِ فَوْ قَ مَزَابِلِ الميتَاتِ والأنْتَانِ
فشفَى الإمَامُ العَالِمُ الحَبْرُ الَّذِي يُدْعَى إمَام أئِمَّةِ الأزْمَانِ
وَلَقَدْ حَكَاهُ الحَاكِمُ العَدْلُ الرِّضَا فِي كُتْبِهِ عَنْهُ بِلاَ نُكْرَانِ
وَحَكَىٰ ابْنُ عَبْدِالبَرِّ فِي تَمْهِيدِهِ وَكِتَابِ الاسْتِذْكَارِ غَيْرَ جَبَانِ
إجْمَاعَ أَهْلِ العِلْمِ أنَّ اللَّهَ فَوْ قَ العَرْشِ بالإيضَاحِ والبُرْهَانِ
وأتَى هُنَاكَ بِمَا شَفَى أَهْلَ الهُدَى لَكِنَّهُ مَرَضٌ عَلَى العُمْيَانِ
وَكَذَا عَلِيٌّ الأَشْعَرِيُّ فإنَّهُ فِي كُتْبِهِ قَدْ جَاءَ بالتِّبْيَانِ
مِنْ مُوجَزٍ وإبَانَةٍ ومَقَالَةٍ ورَسَائِلٍ لِلثَّغْرِ ذَاتِ بَيَانِ
وأتَى بِتَقْرِيرِ اسْتِواءِ الرَّبِّ فَوْ قَ العَرْشِ بالإيضَاحِ والبُرْهَانِ
وأتى بتقْرِيرِ العُلوِّ بأحْسَنِ التْـ ـتَقْرِيرِ فانْظُرْ كُتْبَهُ بِعَيانِ
واللَّهِ مَا قَالَ المجَسِّمُ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَهُ ذَا العَالِمُ الرَّبَّانِي
فَازِمُوهُ ويَحْكُمُ بِمَا تَرمُوا بِهِ هَذَا المجَسِّمَ يا أولِي العُدْوانِ
أو لاَ فَقُولُوا إنَّ ثَمَّ حَزَازَةً وَتَنَفُّسَ الصُّعَدَاءِ مِنْ حَرَّانِ
فَسَلُوا الإلهَ شِفَاءَ ذَا الدَّاءِ العُضَا لِ مُجَانِبِ الإسْلاَمِ والإيمَانِ
وانظُرْ إلَى حَرْبٍ وإجْمَاعٍ حَكَى لِلَّهِ درُّكَ مِنْ فَتىً كَرْمَانِي
وانظُرْ إلَى قَوْل ابنِ وَهْبٍ أوحَد الْـ ـعُلَماءِ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي المِيزَانِ

وانـظُـرْ إلَـى مَـا قَـالَ عَـبْـدُ الله فِـي ... تِـلْـكَ الـرِّسَـالـةِ مُـفْـصِـحـاً بِـبـيَـانِ
مِـنْ أنَّـهُ سُـبْـحَـانَـهُ وَبِـحَـمْـدِهِ ... بِـالـذَّاتِ فَـوْقَ الـعَـرْشِ والأكْـوَانِ
وانـظُـرْ إلَـى مَـا قَـالَـهُ الـكَـرجِـيُّ فِـي ... شَـرْحٍ لـتَـصْـنِـيـفِ امـرىءٍ ربَّـانِـي
وانظُرْ إلَى الأَصْلِ الَّذِي هُوَ شَرْحهُ ... فَـهُـمَـا الـهُـدَى لِـمُـلَـدَّدٍ حَـيْـرَانِ
وانـظُـرْ إلَـى تَـفْـسِـيـرِ عَـبْـدٍ مَـا الَّـذِي ... فِـيـهِ مِـنَ الآثَـارِ فِـي ذَا الـشَّـانِ
وانظُرْ إلَى تَفْسِيرِ ذَاكَ الفَاضِل الثْـ ... ـثَـبْـتِ الـرِّضَـا الـمـتَـضَـلِّـع الـرَّبَّـانِـي
ذَاكَ الإِمَـامُ ابْـنُ الإِمَـامِ وشَـيْـخُـهُ ... وَأَبُـوهُ سُـفْـيَـانٌ فَـرَازِيَّـانِ
وانـظُـرْ إلَـى الـنَّـسَـائِـي فِـي تَـفْـسِـيـرِهِ ... هُـوَ عِـنْـدَنَـا سِـفـرٌ جَـلـيـلُ مَـعَـانِـي
واقْـرأْ كِـتَـابَ الـعَـرْشِ لـلـعَـبْـسِـيِّ وهْـ ... ـوَ مُـحَـمَّـدُ الـمـوْلُـودُ مِـنْ عُـثْـمَـانِ
واقْـرأْ لِـمُـسْـنَـدِ عَـمِّـهِ وَمُـصَـنَّـفٍ ... أتـرَاهُـمَـا نـجـمَـيـنِ أَوْ شَـمْـسَـانِ
واقْـرأْ كـتَـابَ الإِسْـتِـقَـامَـةِ لـلـرِّضَـا ... ذَاكَ ابْـنُ أَصْـرَمَ حَـافِـظٌ رَبَّـانِـي
واقْـرَأْ كِـتَـابَ الـحَـافِـظِ الـثِّـقَـةِ الـرِّضَـا ... فِـي الـسُّـنَّـةِ الـعَـلْـيَـا فَـتَـى الـشَّـيْـبَـانِـي
ذَاكَ ابْـنُ أحْـمَـد أَوْحَـد الـحُـفَّـاظِ قَـدْ ... شَـهِـدَتْ لَـهُ الـحُـفَّـاظُ بِـالإتْـقَـانِ
واقـرأْ كِـتَـاب الأثْـرمِ الـعَـدْلِ الـرِّضَـا ... فِـي الـسُّـنَّـةِ الأولَـى إمَـامَ زَمَـانِ
وَكَـذَا الإِمَـامُ ابْـنُ الإِمَـامِ الـمـرْتَـضَـى ... حَـقّـاً أَبِـي دَاوُدَ ذِي الـعِـرْفَـانِ
تَـصْـنِـيـفُـهُ نَـظْـمـاً وَنَـثْـراً وَاضِـحٌ ... فِـي الـسُّـنَّـةِ الـمـثْـلَـى هُـمَـا نَـجْـمَـانِ
واقْـرأْ كِـتَـاب الـسُّـنـة الأولَـى الَّـتـي ... أَبْـدَاه مـضْـطَـلِـعٌ مِـنَ الإِيـمَـانِ
ذَاكَ الـنَّـبِـيـلُ ابْـنُ الـنَّـبِـيـل كِـتَـابُـهُ ... أيْـضـاً نَـبِـيـلٌ وَاضِـحُ الـبُـرْهَـانِ
وانظُرْ إلَى قَوْلِ ابـن أَسْبَاطَ الرِّضَا ... وانْـظُـرْ إلَـى قَـوْلِ الـرِّضَـا سُـفْـيَـانِ
وَانظُرْ إلَى قَوْلِ ابْنِ زَيْدٍ ذَاكَ حَـمْـ ... ـمَـادُ وَحَـمَّـادُ الإِمَـامُ الـثَّـانِـي
وَانْـظُـرْ إلَـى مَـا قَـالَـهُ عَـلَـمُ الـهُـدَى ... عُـثْـمَـان ذَاكَ الـدَّارِمِـيُّ الـرَّبَّـانِـي
فِـي نَـقْـضِـهِ والـرَّدُّ يَـا لَـهُـمَـا كِـتَـا ... بَـا سُـنَّـةٍ وَهُـمَـا لَـنَـا عَـلَـمَـانِ
هُـدِمَـتْ قَـوَاعِـدُ فِـرْقَـةٍ جَـهْـمِـيَّـةٍ ... خرَّت سُقُوفُهُـمْ عَلَى الحِيطَانِ
وانـظُـرْ إلَـى مَـا فِـي صَـحـيـح مُـحَـمَّـدٍ ... ذَاكَ الـبُـخَـارِيُّ الـعَـظِـيـمُ الـشَّـانِ
مِنْ رَدِّهِ مَا قَالَهُ الجَهْـمِـيُّ بـالـنْـ ... ـنَـقْـلِ الـصَّـحِـيـحِ الواضِحِ الـبُـرْهَـانِ

وانظُرْ إِلَى تِلْكَ التَّرَاجِمِ مَا الَّذِي فِي ضِمْنِهَا إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الطَّبَرِيُّ فِي الشَّـ ـشَرْحِ الَّذِي هُوَ عِنْدَكُمْ سِفْرَانِ
أَعْنِي الفَقِيهَ الشَّافِعِيَّ اللالَّكَا ئِيَّ المُسَدَّدَ نَاصِرَ الإِيمَانَ
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَمُ الهُدَى التَّـ ـتَيْمِيُّ فِي إِيضَاحِهِ وبَيَانِ
ذَاكَ الذِي هُوَ صَاحِبُ التَّرْغِيبِ والتَّـ ـتَرْهِيبِ مَمْدُوحٌ بِكلِّ لِسَانِ
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ فِي السُّنة الـ ـكُبْرَى سُلَيْمَانُ هُوَ الطَّبرانِي
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ شَيْخُ الهُدَى يُدْعَى بِطَلْمَنْكِيهِمُ ذُو شانِ
وانظُرْ إِلَى قَولِ الطَّحاوِيِّ الرِّضَا وأَجِرْهُ مِنْ تَحْرِيف ذِي بُهْتَانِ
وَكذلكَ القَاضي أَبُو بَكْرٍ هُوَ ابـ ـنُ البَاقِلانِي قَائِدُ الفُرسَانِ
قَدْ قَالَ فِي تَمْهِيدِهِ وَرَسَائِلٍ وَالشَّرحِ ما فِيهِ جَلِيُّ بَيَانِ
فِي بَعْضِهَا حَقّاً عَلَى العَرْشِ اسْتَوى لَكِنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى الأكْوَانِ
وأَتَى بِتَقْرِيرِ العُلُوِّ وأبطَلَ الْـ ـلامَ الَّتي زِيدَتْ عَلَى القُرآنِ
مِنْ أَوْجُهٍ شَتَّى وَذَا فِي كُتْبِهِ بَادٍ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنانِ
وانظُرْ إِلَى قَوْل ابْنِ كلاَّب وَمَا يَقْضِي بِهِ لِمعَطِّلِ الرَّحْمٰنِ
أَخرجْ مِنَ النَّقْلِ الصَّحِيحِ وعَقْلِهِ مَنْ قَالَ قَوْلَ الزُّورِ والبُهْتَانِ
لَيسَ الإِلٰهُ بِدَاخِلٍ فِي خَلْقِهِ أَوْ خَارِجٍ عَنْ جُمْلَةِ الأكْوَانِ
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الطَّبرِيُّ فِي التَّـ ـتَفْسِيرِ والتَّهْذِيبِ قَوْلَ مَعَانِ
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ فِي سُورَةِ الْـ أَعْرَافِ مَعْ طَهَ وَمَعْ سُبْحَانِ
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ البَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِه والشَّرحِ بالإِحْسَانِ
فِي سُورَةِ الأعْرَافِ عِنْدَ الإِسْتِوَى فِيهَا وَفِي الأولَى مِنَ القُرآنِ
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ ذو سُنَّةٍ وَقِرَاءةٍ ذَاكَ الإِمَامُ الدَّانِي
وكذَاكَ سُنَّةُ الاصْبَهَانِيِّ أَبي الشَّـ ـشَيْخِ الرِّضَا المسْتَلِّ مِنْ حِبَّانِ
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ ابنُ سُرَيجٍ الْـ ـبَحْرُ الخِضَمُّ الشَّافِعِيُّ الثَّانِي
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَمُ الهُدَى أَعْنِي أَبَا الخَيْرِ الرِّضَا النعْمَانِ
وَكِتَابُهُ فِي الفِقْهِ وَهْوَ بَيَانُهُ يُبْدِي مَكَانَتَهُ مِنَ الإِيمَانِ

وانظُرْ إلَى السُّنَنِ الَّتِي قَدْ صَنَّفَ الـ ـعُـلَـمَـاءُ بِـالآثَـارِ والـقُـرْآنِ
زَادَتْ عَلَى المِائَتَيْنِ مِنْهَا مُفْرَدٌ أَوْفَى مِنَ الخَمْسِينَ فِي الحُسْبانِ
مِنْهَا لأحْمَدَ عِدَّةٌ مَوْجُودةٌ فِينَا رَسَائِلُهُ إِلَى الإِخْوَانِ
واللاَّءِ فِي ضِمْنِ التَّصَانِيفِ الَّتِي شُهِرَتْ وَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى حُسْبَانِ
فَكَثِيرَةٌ جِداً فَمَنْ يَكُ رَاغِباً فِيهَا يَجِدْ فِيهَا هُدَى الحَيْرانِ
أَصْحَابُهَا هُمْ حَافِظُو الإِسْلاَمِ لاَ أَصْحَابُ جَهْمٍ حَافِظُو الكُفْرَانِ
وَهُمُ النُّجُومُ لِكُلِّ عَبْدٍ سَائِرٍ يَبْغِي الإِلٰهَ وجَنَّةَ الحَيَوانِ
وَسِوَاهُمُ واللَّهِ قُطَّاعُ الطَّرِيـ ـقِ أَئِمَّةٌ تَدْعُو إِلَى النِّيرَانِ
مَا فِي الَّذِينَ حَكَيْتُ عَنْهُمْ آنفاً مِنْ حَنْبَلِيٍّ وَاحِدٍ بِضَمَانِ
بَلْ كُلُّهُمْ والله شِيعَةُ أَحْمَدٍ فَأُصُولُهُ وأُصُولُهُم سِيَّانِ
وبِذَاكَ فِي كُتْبٍ لَهُمْ قَدْ صَرَّحُوا وأَخُو العَمَايَةِ مَا لَهُ عَيْنَانِ
أَتَظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً مِثْلَ الحَمِيرِ تُقَادُ بِالأَرْسَانِ
حَاشَاهُمُ مِنْ ذَاكَ بَلْ واللَّهِ هُمْ أهلُ العُقُولِ وَصِحَّةِ الأذْهَانِ
فانظُرْ إِلَى تَقْرِيرِهِمْ لِعُلُوِّهِ بِالنَّقْلِ والمَعْقُولِ والبُرْهَانِ
عَقْلاَنِ عَقْلٌ بِالنُّصُوصِ مُؤَيَّدٌ ومُؤَيَّدٌ بِالمَنْطِقِ اليُونَانِي
واللَّهِ مَا اسْتَوَيَا ولَنْ يَتَلاَقَيَا حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الغِرْبَانِ
أَفَتَقْذِفُونَ أولاءِ بَلْ أَضْعَافَهُمْ مِنْ سَادَةِ العُلَمَاءِ كُلَّ زَمَانِ
بِالجَهْلِ والتَّشْبِيه والتَّجْسِيمِ والتـ ـتَبْدِيعِ والتَّضْلِيلِ والبُهْتَانِ
يَا قَوْمَنَا أللَّهَ فِي إِسْلاَمِكُمْ لاَ تُفْسِدُوهُ لِنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ
يَا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِمَصْرَعِ مَنْ خَلاَ مِنْ قَبْلِكُمْ فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ
لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كِذْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ وَقِتَالُهُمْ بِالزُّورِ والبُهْتَانِ
كَلاَّ وَلاَ التَّدْلِيسُ والتَّلْبِيسُ عِنْـ ـدَ النَّاسِ والحُكَّامِ والسُّلْطَانِ
وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انكِشَافِ غِطَائِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ لِلقَوْمِ فِي حُسْبَانِ
وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انكِشَافِ حَقَائِقِ الْـ إِيمَانِ أَنَّهُمُ عَلَى البُطْلانِ
مَا عِنْدَهُمْ واللَّهِ غَيْرُ شِكَايَةٍ فَأْتُوا بِعِلْمٍ وانطِقُوا بِبَيَانِ

مَـا يَـشْـتَـكِـي إلاَّ الَّـذي هُـوَ عَـاجِـزٌ — فَـاشْـكُـوا لِـنَـعْـذُرَكُـمْ إلـى الـقُـرْآنِ
ثُـمَّ اسْـمَـعُـوا مَـاذَا الَّـذِي يـقْـضِـي لَـكُـمْ — وَعَـلـيـكُـمُ فـالـحَـقُّ فِـي الـفُـرقَـانِ
لَـبِّـسْـتُـمُ مَـعْـنَـى الـنُّـصُـوصِ وقـوْلِـنَـا — فَـغَـدا لَـكُـمْ لِـلـحـقِّ تَـلْـبِـيـسَـانِ
مَـنْ حَـرَّفَ الـنَّـصَّ الـصَّـرِيـحَ فَـكَـيْـفَ لاَ — يَـأْتِـي بِـتَـحْـرِيـفٍ عَـلَـى إنـسَـانِ
يَـا قَـوْمُ والـلَّـهِ الـعَـظِـيـمِ أَسَـأْتُـمُ — بِـأَئِـمَّـةِ الإِسْـلاَمِ ظَـنَّ الـشَّـانِـي
مَـا ذَنْـبُـهُـمْ وَنَـبِـيُّـهُـمْ قَـدْ قَـالَ مَـا — قَـالُـوا كَـذَلِـكَ مُـنْـزِلُ الـفُـرْقَـانِ
مَـا الـذَّنـبُ إلا لـلـنـصُـوصِ لَـديـكـمُ — إذْ جَـسَّـمَـتْ بَـلْ شَـبَّـهـتْ صِـنْـفَـانِ
مَـا ذَنْـبُ مَـنْ قَـدْ قَـالَ مَـا نَـطَـقَـتْ بِـهِ — مِـنْ غَـيْـرِ تَـحْـرِيـفٍ وَلاَ عُـدْوانِ
هَـذَا كَـمَـا قَـالَ الـخَـبِـيـثُ لِـصَـحْـبِـهِ — كَـلْـبُ الـروافِـضِ أخـبـثُ الـحَـيَـوانِ
لَـمَّـا أَفَـاضُـوا فـي حـديـثِ الـرَّفْـضِ عِـنْـ — ـدَ الـقَـبْـرِ لاَ تَـخْـشَـوْنَ مِـنْ إنْـسَـانِ
يـا قَـومُ أصْـلُ بـلائِـكُـمْ ومُـصَـابِـكُـمْ — مِـنْ صـاحِـبِ الـقـبـرِ الـذي تَـرَيَـانِ
كَـمْ قـدَّم ابـنُ أبـي قُـحـافـةَ بـلْ غَـدَا — يُـثْـنـي عَـلـيـهِ ثـنَـاءَ ذِي شُـكْـرَانِ
وَيـقُـولُ فِـي مـرضِ الـوفـاءِ يـؤمُّـكُـمْ — عَـنِّـي أبُـو بـكـرٍ بـلاَ رَوَغَـانِ
ويـظَـلُّ يـمـنـعُ مِـنْ إمـامَـةِ غـيْـرِهِ — حَـتَّـى يُـرَى فـي صُـورَةٍ مَـيَـلاَنِ
ويـقـولُ لـو كـنـتُ الـخـلـيـلَ لـواحـدٍ — فـي الـنـاسِ كـانَ هـو الـخـلِـيـلَ الـدَّانِـي
لـكـنَّـه الأخُ والـرفـيـقُ وصـاحِـبِـي — ولـه عَـلَـيْـنَـا مِـنَّـةُ الإِحْـسَـانِ
ويـقـولُ لـلـصِّـدِّيـقِ يـومَ الـغَـارِ لاَ — تـحـزَنْ فـنـحـنُ ثَـلاَثَـةٌ لاَ اثْـنَـانِ
الـلَّـهُ ثـالِـثُـنَـا وتـلـكَ فَـضِـيـلَـةٌ — مَـا حـازَهَـا إلاَّ فَـتَـى عُـثْـمـانِ
يَـا قـومُ مـا ذنـبُ الـنَّـواصِـبِ بـعْـدَ ذَا — لَـمْ يُـدْهِـكُـمْ إلاَّ كـبِـيـرُ الـشَّـانِ
فـتـفَـرَّقَـتْ تـلـكَ الـروافـضُ كـلُّـهُـمْ — قَـدْ أطْـبَـقَـتْ أسـنـانُـهُ الـشَّـفَـتَـانِ
وكَـذلِـكَ الـجَـهْـمِـيُّ ذَاكَ رَضِـيـعُـهُـمْ — فَـهُـمَـا رَضِـيـعَـا كُـفْـرِهِـمْ بِـلـبَـانِ
ثَـوبَـانِ قـدْ نُـسِـجَـا عَـلـى الـمِـنْـوالِ يَـا — عُـريـانُ لا تـلـبـسْ فَـمَـا ثَـوْبَـانِ
والـلَّـهِ شـرٌّ مِـنْـهُـمَـا فَـهُـمَـا عَـلَـى — أهـلِ الـضَّـلاَلَـةِ والـشَّـقَـا عَـلَـمـانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

هَـذَا وسَـابِـعَ عَـشْـرَهَـا إِخْـبَـارُهُ سُـبْـحَـانَـهُ فِـي مُـحْـكَـم الـقُـرْآنِ
عَـنْ عَـبْـدِهِ مُـوسَـى الـكـلـيـمِ وحَـزْبِـهِ فِـرْعَـونَ ذِي الـتـكـذيـبِ والـطُّـغْـيـانِ
تـكـذِيـبِـهِ مُـوسـى الـكَـلِـيـم بِـقَـوْلِـهِ الـلَّـهُ ربِّـي فـي الـسَّـمَـا نَـبَّـانِـي
وَمِـنَ الـمـصَـائِـب قـولُـهُـمْ إنَّ اعـتِـقَـا د الـفـوْقِ مِـنْ فِـرْعَـونَ ذِي الـكُـفْـرَانِ
فـإِذَا اعـتـقَـدْتُـمْ ذَا فـأشْـيَـاعٌ لَـهُ أنـتُـمْ وَذَا مِـنْ أعـظَـمِ الـبُـهـتَـانِ
فـاسْـمـعْ إذاً مَـنْ ذَا الـذِي أوْلَـى بِـفِـرْ عَـوْنَ الـمـعَـطِّـلِ جَـاحِـد الـرحْـمٰـنِ
فانظُرْ إِلَى مَا جَاءَ في القصَصِ التي تَـحْـكِـي مَـقَـالَ إمَـامِـهِـمْ بِـبَـيَـانِ
والـلَّـهُ قـدْ جَـعَـلَ الـضَّـلالَـةَ قُـدْوَةً بـأئـمَّـةٍ تَـدْعُـو إِلَـى الـنِّـيـرانِ
فـإِمَـامُ كـلِّ مـعـطِّـلِ فِـي نَـفْـسِـهِ فِـرْعَـونُ مَـعْ نَـمْـرودَ مَـعْ هَـامَـانِ
طَـلَـبَ الـصُّـعُـودَ إِلَـى الـسَّـمـاءِ مُـكـذِّباً مُـوسَـى ورَامَ الـصَّـرْحَ بـالـبُـنْـيَـانِ
بَـلْ قَـالَ مُـوسَـى كَـاذِبٌ فـي زَعْـمِـهِ فَـوْقَ الـسَّـمـاءِ الـربُّ ذُو الـسُّـلْـطَـانِ
فـابْـنـوا لِـيَ الـصَّـرْحَ الـرَّفـيـعَ لـعـلِّـنِـي أرْقَـى إِلَـيْـهِ بِـحِـيـلَـةِ الإنـسَـانِ
وأظُـنُّ مُـوسَـى كـاذِبـاً فـي قَـوْلِـهِ الله فـوقَ الـعـرْشِ ذُو الـسُّـلْـطَـانِ
وَكَـذَاكَ كَـذَّبَـهُ بـأنَّ إِلـٰهَـهُ نَـادَاهُ بـالـتَّـكْـلِـيـم دُونَ عِـيَـانِ
هُـوَ أنـكَـرَ الـتَّـكْـلِـيـم والـفَـوْقِـيَّـةَ الْـ عُـلْـيَـا كَـقـوْلِ الـجـهْـم ذِي صَـفْـوانِ
فَـمَـنِ الـذِي أوْلَـى بِـفِـرْعَـونِ إذاً مِـنَّـا ومِـنْـكُـمْ بَـعْـدَ ذَا الـتِّـبْـيَـانِ
يَـا قَـوْمَـنَـا والله إنَّ لِـقَـوْلِـنَـا أَلْـفـاً تَـدلُّ عَـلَـيْـهِ بَـلْ أَلْـفَـانِ
عَـقْـلاً ونَـقْـلاً مَـعْ صَـرِيحِ الـفِـطْـرَةِ الْـ أولَـى وَذَوْقِ حَـلاوَةِ الـقُـرْآنِ
كُـلٌّ يَـدُلُّ بـأنَّـه سُـبْـحَـانَـهُ فَـوْقَ الـسَّـمَـاءِ مُـبَـايِـنُ الأكْـوَانِ
أتَـرَوْنَ أنَّـا تَـارِكُـو ذَا كُـلِّـهِ لِـجَـعَـاجِـعِ الـتَّـعْـطِـيـلِ والـهَـذَيَـانِ
يَـا قَـوْمُ مـا أنْـتُـمْ عَـلَـى شَـيءٍ إِلَـى أنْ تَـرجِـعُـوا لـلـوَحْـي بـالإِذْعَـانِ
وتُـحَـكِّـمُـوهُ فِـي الـجَـلِـيـلِ ودِقِّـهِ تَـحْـكِـيـمَ تَـسْـلِـيـم مَـعَ الـرضْـوَانِ
قَـدْ أقْـسَـمَ الله الـعَـظِـيـمُ بـنَـفْـسِـهِ قَـسَـمـاً يُـبِـيـنُ حَـقِـيـقَـةَ الإِيـمَـانِ
أنْ لَـيْـسَ يـؤمِـنُ مَـنْ يـكُـونُ مُـحَـكِّـماً غَـيْـرَ الـرَّسُـولِ الـوَاضِـحِ الـبُـرْهَـانِ

بَلْ لَيْسَ يؤمِنُ غَيْرُ مَنْ قَدْ حَكَّمَ الـ ـوَحْيَيْنِ حَسْبُ فذاكَ ذُو إيمَانِ
هَذَا وَمَا ذَاكَ المُحَكِّمُ مُؤْمِناً إنْ كَانَ ذَا حَرَجٍ وَضِيقٍ بِطَانِ
هَذَا وَليسَ بمؤمنٍ حَتَّى يُسلْـ ـلِمَ للَّذي يَقْضِي بِهِ الوَحْيَانِ
يَا قَومُ باللَّهِ العَظِيمِ نَشَدْتُكُمْ وَبِحُرْمَةِ الإِيمَانِ والقُرْآنِ
هَلْ حَدَّثَتْكُمْ قَطّ أنفُسُكُمْ بِذَا فَسَلُوا نُفُوسَكُمُ عَنِ الإِيمَانِ
لَكِنَّ رَبَّ العَالَمِينَ وجُندَهُ وَرَسُولَهُ المبعُوثَ بالقُرْآنِ
هُمْ يَشْهَدُونَ بأنكُم أعدَاءُ مَنْ ذَا شَأْنُهُ أبَداً بِكُلِّ زَمَانِ
ولأيِّ شَيءٍ كَانَ أحمَدُ خَصْمَكُمْ أعْنِي ابْنَ حَنْبلٍ الرِّضَا الشَّيْبَانِي
ولأيِّ شَيءٍ كَانَ بَعْدُ خُصُومَكُمْ أَهْلُ الحَدِيثِ وعَسْكَرُ القُرْآنِ
ولأيِّ شَيءٍ كَانَ أيْضاً خَصْمَكُمْ شَيْخُ الوجودِ العَالمُ الحرَّانِي
أعنِي أبَا العبَّاسِ نَاصِرَ سُنَّة الْـ ـمختار قَامِعَ سُنَّةِ الشَّيْطَانِ
واللَّهِ لَمْ يَكُ ذَنْبُهُ شَيْئاً سِوَى تَجْرِيدِهِ لحَقِيقَةِ الإِيمَانِ
إذْ جرَّدَ التَّوحِيدَ عَنْ شِرْكٍ كَذَا تجْرِيدُهُ للوَحْيِ عَنْ بهتَانِ
فَتَجرَّدَ المقْصُودُ عَنْ قَصْدٍ لَهُ فَلِذَاكَ لَمْ يُنصِفْ إلَى إنْسَانِ
مَا مِنْهُمُ أَحَدٌ دَعَا لِمقَالَةِ غَيْرِ الحَدِيثِ ومقْتَضَى الفُرْقَانِ
فَالقَومُ لَمْ يدْعُوا إلَى غيرِ الهُدَى ودَعَوْتُمُ أنتُمْ لِرأيِ فُلاَنِ
شَتَّانَ بَيْنَ الدَّعْوَتَينِ فَحَسْبُكُمْ يَا قَوْمُ مَا بِكُمُ مِنَ الخِذْلاَنِ
قَالُوا لَنَا لَمَّا دَعَوْنَاهُمْ إلَى هَذَا مَقَالَةَ ذِي هَوىً مَلآنِ
ذَهَبَتْ مَقَادِيرُ الشُّيوخِ وحُرْمَةُ الـ ـعُلَمَاءِ بَلْ عَبَرَتْهُمُ العَيْنَانِ
وتَرَكْتُمُ أقْوالَهُمْ هَدَراً وَمَا أَصْغَتْ إلَيْهَا مِنْكُمُ أذنَانِ
لَكِنْ حَفِظْنَا نَحْنُ حُرْمَتَهُمْ وَلَمْ نَعْدُ الذِي قَالُوه قَدْرَ بَنَانِ
يَا قَوْمُ واللَّهِ العَظِيمِ كَذَبْتُمُ وَأَتَيْتُمُ بِالزُّورِ والبُهْتَانِ
وَنَسَبْتُمُ العُلَمَاءَ لِلأَمْرِ الَّذِي هُمْ مِنْهُ أَهْلُ بَرَاءةٍ وَأَمَانِ
واللَّهُ مَا أوصَاكُمُ أنْ تَتْرُكُوا قَوْلَ الرسُولِ لِقَوْلِهِمْ بلِسَانِ
كَلاَّ وَلاَ فِي كُتْبِهِمْ هَذَا بَلَى بِالعَكْسِ أوْصَاكُمْ بِلاَ كِتْمَانِ

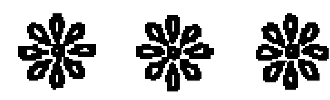
إذْ قَـدْ أَحَـاطَ الـعِـلْـمُ مِـنْـهُـمْ أَنَّـهُـمْ ... لَـيْـسُـوا بِـمَـعْـصُـومِـيـنَ بِـالـبُـرْهَـانِ
كَـلاَّ وَمَـا مِـنْـهُـمْ أَحَـاطَ بِـكُـلِّ مَـا ... قَـدْ قَـالَـهُ الـمَـبْـعُـوثُ بِـالـقُـرْآنِ
فَـلِـذَاكَ أَوْصَـاكُـمْ بِـأَنْ لاَ تَـجْـعَـلُـوا ... أَقْـوالَـهُـمْ كَـالـنَّـصِّ فـي الـمِـيـزَانِ
لَـكِـنْ زِنُـوهَـا بِـالـنُّـصُـوصِ فَـإِنْ تُـوا ... فِـقْـهَـا فَـتِـلْـكَ صَـحِـيـحَـةُ الأَوْزَانِ
لَـكِـنَّـكُـمْ قَـدَّمْـتُـمْ أَقْـوَالَـهُـمْ ... أَبَـداً عَـلَـى الـنَّـصِّ الـعَـظِـيـمِ الـشَّـانِ
والـلَّـهِ لاَ لِـوَصِـيَّـةِ الـعُـلَـمَـاءِ نَـفَـ ... ـذْتُـمْ وَلاَ لِـوَصِـيَّـةِ الـرَّحـمٰـنِ
وَرَكِـبْـتُـمُ الـجَـهْـلَـيـنِ ثُـمَّ تَـرَكْـتُـمُ الـنَّـ ... ـصَّـيْـنِ مَـعْ ظُـلْـمٍ وَمَـعْ عُـدْوَانِ
قُـلْـنَـا لَـكُـم فَـتَـعَـلَّـمُـوا قُـلْـتُـمْ أَمَـا ... نَـحْـنُ الأَئِـمَّـةُ فَـاضِـلُـو الأَزْمَـانِ
مِـنْ أَيـنَ والـعُـلَـمَـاءُ أَنـتُـم فَـاسْـتَـحُـوا ... أَيـنَ الـنُّـجُـومُ مِـنَ الـثَّـرى الـتَّـحْـتَـانِـي
لَـمْ يُـشْـبِـهِ الـعُـلَـمَـاءَ إِلاَّ أَنْـتُـمُ ... أَشْـبَـهْـتُـمُ الـعُـلَـمَـاءَ فِـي الأَذْقَـانِ
والـلَّـهِ لاَ عِـلْـمٌ وَلاَ دِيـنٌ وَلاَ ... عَـقْـلٌ وَلاَ بِـمُـرُوءَةِ الإِنْـسَـانِ
عَـامَـلْـتُـمُ الـعُـلَـمَـاءَ حِـيـنَ دَعَـوْكُـمُ ... لِـلْـحَـقِّ بَـلْ بِـالـبَـغْـيِ والـعُـدْوَانِ
إِنْ أَنْـتُـمُ إِلاَّ الـذُّبَـابُ إِذَا رَأَى ... طُـعْـمـاً فَـيَـا لَـمَـسَـاقِـطِ الـذُّبَّـانِ
وَإِذَا رَأَى فَـزَعـاً تَـطَـايَـرَ قَـلْـبُـهُ ... مِـثْـلَ الـبُـغَـاثِ يُـسَـاقُ بِـالـعِـقْـبَـانِ
وَإِذَا دَعَـوْنَـاكُـمْ إِلَـى الـبُـرْهَـانِ كَـا ... نَ جَـوَابُـكُـمْ جَـهْـلاً بِـلاَ بُـرْهَـانِ
نَـحْـنُ الـمُـقَـلِّـدَةُ الأُلَـى أَلْـفَـوْا كَـذَا ... آبَـاءَهُـمْ فِـي سَـالِـفِ الأَزْمَـانِ
قُـلْـنَـا فَـكَـيْـفَ تُـكَـفِّـرُونَ وَمَـا لَـكُـمْ ... عِـلْـمٌ بِـتَـكْـفِـيـرٍ وَلاَ إِيـمَـانِ
إِذْ أَجْـمَـعَ الـعُـلَـمَـاءُ أَنَّ مُـقَـلِّـداً ... لِـلـنَّـاسِ والأَعْـمَـى هُـمَـا أَخَـوَانِ
والـعِـلْـمُ مَـعْـرِفَـةُ الـهُـدَى بِـدَلِـيـلِـهِ ... مَـا ذَاكَ والـتَّـقْـلِـيـدُ مُـسْـتَـوِيَـانِ
حِـزْنَـا بِـكُـمْ واللهِ لاَ أَنْـتُـمْ مَـعَ الـ ... ـعُـلَـمَـاءِ تَـنْـقَـادُونَ لِـلْـبُـرْهَـانِ
كَـلاَّ وَلاَ مُـتَـعَـلِّـمُـونَ فَـمَـنْ تُـرَى ... تُـدْعَـونَ نَـحْـسَـبُـكُـمْ مِـنَ الـثِّـيـرانِ
نَـالَـتْ بِـهِـمْ خَـيْـراً وَنَـالَـتْ مِـنْـكُـمُ الـ ... ـمَـعْـهُـودَ مِـنْ بَـغْـيٍ وَمِـنْ عُـدْوَانِ
فَـمَـنِ الَّـذِي خَـيْـرٌ وَأَنْـفَـعُ لِـلْـوَرَى ... أَنْـتُـمْ أَمِ الـثِّـيـرَانُ بِـالـبُـرْهَـانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

هَـذَا وثَـامِـنَ عَـشْـرَهَـا تَـنْـزِيـهُـهُ سُبْحَانَهُ عَنْ مُوجِبِ النُّقْصَانِ
وَعَنِ العُيُوبِ ومُوجِبِ التَّمْثِيلِ والتـ ـتَشْبِيهِ جَلَّ اللهُ ذُو السُّلْطَانِ
وَلِذاكَ نَزَّه نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ عَنْ أنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ ثَانِ
أَوْ أنْ يكونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي الوَرَى سُبْحَانَهُ عَنْ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ
أَوْ أنْ يُوَلِّي خَلْقَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حَاجَةٍ أَوْ ذِلَّةٍ وَهَوَانِ
أَوْ أنْ يَكُونَ لَديْهِ أَصْلاً شَافِعٌ إِلاَّ بِإِذْنِ الوَاحِدِ المَنَّانِ
وَكَذاكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ وَالِدٍ وكَذَاكَ عَنْ وَلَدٍ هُمَا نَسَبَانِ
وكَذَاكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ زَوْجَةٍ وَكَذَاكَ عَنْ كُفْؤٍ يَكُونُ مُدَانِي
ولَقَدْ أَتَى التَّنزِيهُ عَمَّا لَمْ يَقُمْ كَيْ لاَ يَزُورَ بِخَاطِرِ الإِنْسَانِ
فانظُرْ إِلَى التنزيهِ عَنْ طُعْمٍ وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنسَانِ
وَكَذلِكَ التنزِيهُ عَنْ مَوْتٍ وعَنْ نَوْمٍ وَعَنْ سِنَةٍ وَعَنْ غِشْيَانِ
وَكَذَلِكَ التنزِيهُ عَنْ نِسْيَانِهِ والربُّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى نِسْيَانِ
وكذَلِكَ التنْزِيهُ عَنْ ظُلْمٍ وَفِي الـ أَفْعَالِ عَنْ عَبَثٍ وَعَنْ بُطْلاَنِ
وَكذلِكَ التنْزِيهُ عَنْ تَعَبٍ وَعَنْ عَجْزٍ يُنَافِي قُدْرَةَ الرحْمٰنِ
وَلقدْ حَكَى الرحْمٰنُ قَوْلاً قَالَهُ فِنْحَاصُ ذُو البُهْتَانِ والكُفْرَانِ
إنَّ الإلـهَ هُو الفَقيرُ وَنَحنُ أَصْـ ـحَابُ الغِنَى ذُو الوُجْدِ والإِمْكَانِ
وَكَذَاكَ أَضْحَى رَبُّنَا مُسْتَقْرِضاً أَمْوَالَنَا سُبْحَانَ ذِي الإِحسَانِ
وحَكَى مَقَالَةَ قائلٍ مِنْ قَوْمِهِ أَنَّ العُزَيْر ابنٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ
هَذَا وَمَا القَوْلاَنِ قَطُّ مَقَالَةٌ مَنْصُورَةٌ فِي مَوْضِعٍ وَزَمَانِ
لَكِنْ مَقَالَةُ كَونِهِ فَوْقَ الوَرَى والعَرشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الأكْوَانِ
قَدْ طَبَّقَتْ شَرْقَ البِلاَدِ وَغَرْبَهَا وَغَدَتْ مُقَرَّرَةً لِذِي الأَذْهَانِ
فَلأَيِّ شَيءٍ لَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ القُرْآنِ
عَنْ ذِي المقَالَةِ مَعْ تَفَاقُمِ أمرِهَا وَظُهُورِهَا فِي سَائِرِ الأديَانِ
بَلْ دَائِماً يُبْدِي لَنَا إِثبَاتَهَا ويُعِيدُهُ بِأدِلَّةِ التِّبْيَانِ

لاَ سِيَّمَا تِلْكَ المقَالَةِ عِنْدكُمْ ... مَقْرُونَةٌ بِعبَادَةِ الأَوْثَانِ
أَوْ أَنَّهَا كَمَقَالَةٍ لمثلِّثٍ ... عَبَدَ الصَّلِيبَ المشرِكِ النَّصْرَانِي
إذ كَانَ جِسْماً كلُّ موْصُوفٍ بِهَا ... لَيْسَ الإِلَهُ مُنَزِّلُ الفُرْقَانِ
فالعَابِدُونَ لمنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوى ... بالذَّاتِ لَيْسُوا عَابِدي الدَّيَّانِ
لَكِنَّهُمْ عُبَّادُ أوْثَانٍ لَدَى ... هَذَا المعَطِّلِ جَاحِدِ الرَّحْمٰنِ
ولذَاكَ قَدْ جَعَلَ المعَطِّلُ كُفرَهُمْ ... هُوَ مُقْتَضَى المعْقُولِ والبُرْهَانِ
هَذَا رَأيناهُ بكُتْبِكُمُ وَلَمْ ... نَكْذِبْ عَلَيْكُمْ فِعْلَ ذِي البُهْتَانِ
ولأيِّ شيءٍ لَمْ يُحَذِّرْ خَلْقَهُ ... عَنْهَا وَهَذَا شَأْنُهَا بِبَيَانِ
هَذَا وَلَيْسَ فَسَادُهَا بِمُبَيَّنٍ ... حَتَّى يُحَالَ لَنَا عَلَى الأذْهَانِ
وَلِذَاكَ قَدْ شَهِدَتْ أَفَاضِلُكمْ لَهَا ... بِظُهُورِهَا لِلوَهْمِ فِي الإِنْسَانِ
وَخَفَاءِ مَا قَالُوهُ مِنْ نَفْيٍ عَلَى الـ ... أذْهَانِ بَلْ تَحْتَاجُ لِلبُرهَانِ



فصلٌ

هَذَا وتَاسِعَ عَشْرَهَا إلزَامُ ذِي التـ ... ـتَعْطِيلِ أفْسَدَ لاَزِم بِبَيَانِ
وَفَسَادُ لاَزِمِ قَوْلِهِ هُوَ مُقْتضٍ ... لِفَسَادِ ذَاكَ القَوْلِ بالبُرهَانِ
فَسَلِ المعُطِّلَ عَنْ ثلاَثِ مَسَائِلٍ ... تَقْضي عَلَى التعْطِيلِ بالبُطْلانِ
مَاذَا تقُولُ أكَانَ يَعْرِفُ ربَّهُ ... هَذَا الرسُولُ حَقِيقَةَ العِرْفَانِ
أَمْ لاَ وَهَلْ كَانَتْ نَصِيحَتُهُ لَنَا ... كُلَّ النصِيحَةِ لَيْسَ بالخَوَّانِ
أَمْ لاَ وَهَلْ حَازَ البلاَغَةَ كلَّهَا ... فاللفْظُ والمعْنَى لَهُ طَوْعَانِ
فإذَا انْتهَتْ هَذِي الثلاَثَةُ فِيهِ كَا ... مِلَةً مبرَّأةً مِنَ النقْصَانِ
فَلأيِّ شَيءٍ عَاشَ فِينَا كَاتِماً ... لِلنفْيِ والتعْطِيلِ فِي الأَزْمَانِ
بَلْ مُفْصِحاً بالضِّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةَ الـ ... إفْصَاحِ مُوضِحَةً بكلِّ بَيَانِ
ولأَيِّ شَيءٍ لَمْ يصَرِّحْ بالَّذِي ... صَرَّحْتُمُ فِي رَبِّنَا الرَّحْمٰنِ
أَلِعَجْزِهِ عَنْ ذَاكَ أَمْ تَقْصِيرِهِ ... فِي النصْحِ أمْ لِخَفَاءِ هَذَا الشَّانِ

حَاشَاهُ بَلْ ذَا وَصْفُكُمْ يَا أُمَّةَ التْـ ⁂ ـتَعْطِيلِ لاَ المَبْعُوثِ بالقُرْآنِ
ولأيِّ شَيءٍ كَانَ يَذْكُر ضِدَّ ذا ⁂ فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وكُلِّ زَمَانِ
أَتَراهُ أصبحَ عَاجِزاً عَنْ قَوْلِهِ اسْـ ⁂ ـتَوْلَى وَيَنزِلُ أَمْرُهُ وَفُلاَنِ
وَيَقُولُ أَيْنَ اللَّهُ يَعْنِي مَنْ بِلَفْـ ⁂ ـظِ الأَيْنِ هَلْ هَذَا مِنَ التِّبْيَانِ
واللَّهِ مَا قَالَ الأئِمَّةُ غَيْرَ مَا ⁂ قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا كِتْمَانِ
لكِنْ لأَنَّ عُقُولَ أهْلِ زَمَانِهِمْ ⁂ ضَاقَتْ بِحَمْلِ دَقَائِقَ الإِيْمَانِ
وَغَدَتْ بَصَائِرُهُمْ كَخُفَّاشٍ أَتَى ⁂ ضَوْءُ النَّهَارِ فكفَّ عَنْ طَيَرَانِ
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلاَمُهُ ⁂ أَبْصَرْتَهُ يَسْعَى بِكُلِّ مَكَانِ
وَكَذا عُقُولُكُمُ لَوِ اسْتَشْعَرْتُمُ ⁂ يَا قَوْمُ كَالحَشَراتِ والفِيرَانِ
أَنِسَتْ بإِيحَاشِ الظَّلاَمِ وَمَا لَهَا ⁂ بِمَطَالِعِ الأَنْوَارِ قَطُّ يَدَانِ
لَوْ كَانَ حَقّاً مَا يَقُولُ معَطِّلٌ ⁂ لِعُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ الرَّحْمٰنِ
لَزِمَتْكُمُ شِنَعٌ ثَلاثٌ فَارْتَؤُوا ⁂ أَوْ خُلَّةٌ مِنْهُنَّ أَوْ ثِنْتَانِ
تَقْدِيمُهُمْ فِي العِلْمِ أَوْ فِي نُصْحِهِمْ ⁂ أَوْ فِي البَيَانِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانِ
إِنْ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمُ حَقّاً فَقَدْ ⁂ ضَلَّ الوَرَى بالوَحْيِ والقُرآنِ
إِذْ فِيهِمَا ضِدُّ الذِي قُلْتُمْ وَمَا ⁂ ضِدَّانِ فِي المَعْقُولِ يَجْتَمِعَانِ
بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعَطَّلَ مِنْهُمَا ⁂ ويُحَالَ فِي عِلْمٍ وفِي عِرْفَانِ
إِمَّا عَلَى جَهْمٍ وَجَعْدٍ أَوْ عَلَى النْـ ⁂ ـنَظَّامِ أَوْ ذِي المَذْهَبِ اليُونَانِي
وكَذَاكَ أَتْبَاعٌ لَهُمْ فَقْعُ الفَلاَ ⁂ صُمٌّ وبُكْمٌ تَابعو العُمْيَانِ
وَكَذاكَ أَفْرَاخُ القَرامِطَةِ الأُلَى ⁂ قَدْ جَاهَرُوا بِعَداوَةِ الرَّحْمٰنِ
كَالحَاكِمِيَّةِ والأُلَى وَالوهْمُ ⁂ كَأَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ آلِ سِنَانِ
وَكَذا ابنُ سِينَا والنَّصِيرُ نَصِيرُ أَهْـ ⁂ ـلِ الشِّرْكِ والتَّكْذِيبِ والكُفْرانِ
وَكَذاكَ أَفراخُ المَجُوسِ وشِبْهِهِمْ ⁂ والصَّابِئِينَ وكلّ ذِي بُهْتَانِ
إِخْوانُ إِبليس اللعِينِ وجُنْدهُ ⁂ لاَ مرحباً بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
أَفَمَنْ حِوَالَتُهُ عَلَى التَّنْزِيلِ والْـ ⁂ ـوَحْي المبِينِ ومُحْكَمِ القُرْآنِ
كَمَحَيَّرٍ أضحَتْ حِوَالَتُهُ عَلَى ⁂ أَمْثَالِهِ أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ

أَمْ كَيفَ يشْعُرُ تَائِهٌ بِمُصَابِهِ ... والقَلْبُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ قُفْلاَنِ

قُفْلٌ مِنَ الجَهْلِ المركَّبِ فَوْقَهُ ... قُفْلُ التعصُّبِ كَيْفَ يَنْفَتِحَانِ

وَمَفَاتِحُ الأقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَهُ التْـ ... ـتَصْرِيفُ سُبْحَانَ العَظِيمِ الشَّانِ

فاسْألهُ فَتْحَ القُفْلِ مجْتَهِداً عَلَى الْـ ... أسْنَانِ إنَّ الفَتْحَ بالأسْنَانِ



فصلٌ

هَذَا وخَاتَمُ العِشْرِينَ وَجْهاً ... وَهُوَ أَقْرَبُهَا إِلَى الأذْهَانِ

سَرْدُ النُّصُوصِ فإِنَّهَا قَدْ نَوَّعَتْ ... طُرقَ الأدِلَّةِ فِي أَتَمِّ بَيَانِ

والنَّظْمُ يَمنَعُنِي مِنَ اسْتِيفَائِهَا ... وَسِيَاقَةُ الألْفَاظِ بالمِيزَانِ

فَأُشِيرُ بَعْضَ إِشَارَةٍ لمَوَاضِعٍ ... مِنْهَا وَأَيْنَ البَحْرُ مِنْ خُلجَانِ

فاذكُرْ نُصُوصَ الإسْتِوَاءِ فإِنَّها ... فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ القُرآنِ

واذكُرْ نُصُوصَ الفوقِ أيضاً فِي ثَلاَ ... ثٍ قَدْ غَدَتْ معلومَةَ التُّبيَانِ

واذكُرْ نُصُوصَ عُلُوِّهِ فِي خَمْسَةٍ ... مَعْلُومةٍ بَرِئَتْ مِنَ النقْصَانِ

واذكُرْ نُصُوصاً في الكِتَابِ تَضَمَّنَتْ ... تَنْزِيلَهُ مِنْ رَبِّنَا الرَّحْمٰنِ

فتضَمَّنتْ أصْلَيْنِ قَامَ عَلَيهِمَا الْـ ... إسْلاَمُ والإِيمَانُ كالبُنْيَانِ

كَوْنُ الكِتَابِ كَلاَمَهُ سُبْحَانَهُ ... وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ

وعِدَادُهَا سَبْعُونَ حِينَ تُعَدُّ أَوْ ... زَادَتْ عَلَى السَّبْعِينَ فِي الحُسْبَانِ

واذكُرْ نُصُوصاً ضُمِّنَتْ رَفْعاً ومِعْـ ... ـرَاجاً وإصْعَاداً إِلَى الدَّيَّانِ

هِيَ خَمْسَةٌ مَعْلُومَةٌ بالعَدِّ والْـ ... ـحُسْبَانِ فاطْلُبْهَا مِنَ القُرآنِ

وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ المُلْكِ الَّتِي ... تُنْجِي لِقَارِئِهَا مِنَ النِّيرَانِ

نَصَّانِ أنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ ... عِنْدَ المحرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانِ

ولقَدْ أَتَى التَّخْصِيصُ بالْعِنْدِ الَّذِي ... قُلْنَا بِسَبْعٍ بَلْ أَتَى بِثَمَانِ

مِنْهَا صَرِيحٌ مَوْضِعَانِ بِسُورَةِ الْـ ... أعْرَافِ ثُمَّ الأنْبِيَاءِ الثَّانِي

فَتَدَبَّرِ التَّعْيِينَ وانظُرْ مَا الذِي ... لِسِواهُ لَيْسَتْ تقتَضِي النَّصَّانِ

وبِسُورة التحريم أيضاً ثالثٌ ... بَادِي الظُّهور لمن لَهُ أُذنَانِ
وَلَدَيْهِ في مُزَّمِّلٍ قَدْ بيَّنتْ ... نفْسَ المرَادِ وقيَّدتْ ببيانِ
لا تنقُضِ الباقي فما لمُعَطِّلٍ ... من راحةٍ فيها ولا تبيانِ
وبِسُورَةِ الشُّورَى وَفِي مُزَّمِّلٍ ... سِرٌّ عَظِيمٌ شَأْنُهُ ذُو شَانِ
فِي ذِكْرِ تَفطِيرِ السَّمَاءِ فمَنْ يُرِدْ ... عِلماً بِهِ فَهْوَ القَرِيبُ الدَّانِي
لَمْ يَسْمَحِ المتأخِّرونَ بنَقْلِهِ ... جُبْناً وَضَعْفاً عَنْهُ فِي الإِيمَانِ
بَلْ قَالَهُ المتقدِّمُونَ فَوَارِسُ الـ ... إسْلاَمِ هُمْ أمَراءُ هَذَا الشَّانِ
وَمحمَّدُ بنُ جَرِيرِ الطبرِيُّ في ... تَفْسِيرِهِ حُكِيتْ بِهِ القَوْلاَنِ

فصلٌ

هَذَا وَحَادِيهَا وَعِشرونَ الَّذِي ... قَدْ جَاءَ فِي الأَخْبَارِ والقُرآنِ
إتيانُ ربِّ العرْشِ جَلَّ جَلالُهُ ... ومَجِيئُهُ لِلفَصْلِ بالمِيزَانِ
فانظُرْ إِلَى التقْسيمِ والتنويعِ فِي الـ ... قرآنِ تُلفِيهِ صَرِيحَ بَيَانِ
إنَّ المجيءَ لِذَاتِهِ لاَ أمرهِ ... كَلاَّ وَلاَ مَلِكٍ عَظِيمِ الشَّانِ
إذْ ذَانِكَ الأمْرَانِ قَدْ ذُكِرَا وَبَيْـ ... نَهُمَا مَجِيءُ الربِّ ذِي الغُفْرَانِ
واللّهِ مَا احْتَمَلَ المجيءُ سِوَى مَجِي ... ءِ الذَّاتِ بَعْدَ تَبيُّنِ البُرْهَانِ
مِنْ أينَ يأتِي يا أُولِي المعْقُولِ إنْ ... كُنْتُمْ ذَوِي عَقْلٍ مَعَ العِرْفَانِ
مِنْ فَوْقِنَا أوْ تَحْتِنَا أوْ عَنْ شَمَا ... ئِلِنَا وَمِنْ خَلْفٍ وعنْ أيْمَانِ
واللَّهِ لاَ يَأْتِيهُمُ مِنْ تَحْتِهِمْ ... أبداً تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلطَانِ
كَلاً وَلاَ مِنْ خَلْفِهِمْ وأَمَامِهِمْ ... وَعَنِ الشَّمَائِلِ أوْ عَنِ الأيْمَانِ
واللَّهِ لاَ يأتِيهُمُ إلاَّ مِنَ الـ ... عُلْوِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ كُلِّ مَكَانِ

فصلٌ

فِي الإشَارة إلى ذلك من السنة

وَاذْكُرْ حَدِيثاً فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنتْ ... كَلِمَاتُهُ تَكْذِيبَ ذِي البُهْتَانِ

لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلِيقَةَ رَبُّنَا … كَتَبَتْ يَدَاهُ كِتَابَ ذِي الإِحْسَانِ
وَكِتَابُهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضْعٌ عَلَى الـ … عَرْشِ المَجِيدِ الثَّابِتِ الأَرْكَانِ
إِنِّي أَنَا الرَّحْمٰنُ تَسْبِقُ رَحْمَتِي … غَضَبِي وَذَاكَ لِرَأْفَتِي وَحَنَانِي
وَلَقَدْ أَشَارَ نَبِيُّنَا فِي خُطْبَةٍ … نَحْوَ السَّمَاءِ بِأُصْبُعٍ وَبَنَانِ
مُسْتَشْهِداً رَبَّ السَّمَوَاتِ العُلاَ … لِيَرَى وَيَسْمَعَ قَوْلَهُ الثَّقَلاَنِ
أَتَرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَا مُسْتَشْهِداً … أَمْ لِلَّذِي هُوَ فَوْقَ ذِي الأَكْوَانِ
وَلَقَدْ أَتَى فِي رُقْيَةِ المَرْضَى عَنِ الـ … هَادِي المُبِينِ أَتَمُّ مَا تِبْيَانِ
نَصٌّ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ … فَاسْمَعْهُ إِنْ سَمِعَتْ لَكَ الأُذُنَانِ
وَلَقَدْ أَتَى خَبَرٌ رَوَاهُ عَمُّهُ الـ … عَبَّاسُ صِنْوُ أَبِيهِ ذُو الإِحْسَانِ
أَنَّ السَّمٰوَاتِ العُلاَ مِنْ فَوْقِهَا الـ … كُرْسِيُّ عَلَيْهِ العَرْشُ لِلرَّحْمٰنِ
وَاللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ يَنْظُرُ خَلْقَهُ … فَانْظُرْهُ إِنْ سَمَحَتْ لَكَ العَيْنَانِ
وَاذْكُرْ حَدِيثَ حُصَيْنِ بنِ المُنْذِرِ الثِّـ … ـقَةِ الرِّضَا أَعْنِي أَبَا عِمْرَانِ
إِذْ قَالَ رَبِّي فِي السَّمَاءِ لِرَغْبَتِي … وَلِرَهْبَتِي أَدْعُوهُ كُلَّ أَوَانِ
فَأَقَرَّهُ الهَادِي البَشِيرُ وَلَمْ يَقُلْ … أَنْتَ المُجَسِّمُ قَائِلٌ بِمَكَانِ
حَيَّزْتَ بَلْ جَيَّهْتَ بَلْ شَبَّهْتَ بَلْ … جَسَّمْتَ لَسْتَ بِعَارِفِ الرَّحْمٰنِ
هَذِي مَقَالَتُهُمْ لِمَنْ قَدْ قَالَ مَا … قَدْ قَالَهُ حَقًّا أَبُو عِمْرَانِ
فَاللهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ وَمِنْ … أَتْبَاعِهِمْ فَالحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ
وَاذْكُرْ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبْـ … ـبِي فِي السَّمَا بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ
وَشَهَادَةَ العَدْلِ المُعَطِّلِ لِلَّذِي … قَدْ قَالَ ذَا بِحَقِيقَةِ الكُفْرَانِ
وَاحْكُمْ بِأَيِّهِمَا تَشَاءُ وَإِنَّنِي … لأَرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ البُطْلاَنِ
إِنْ كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ جَهْمٍ صَاحِبِ التَّـ … ـعْطِيلِ وَالعُدْوَانِ وَالبُهْتَانِ
وَاذْكُرْ حَدِيثاً لابْنِ إِسْحَاقَ الرِّضَا … ذَاكَ الصَّدُوقِ الحَافِظِ الرَّبَّانِي
فِي قِصَّةِ اسْتِسْقَائِهِمْ يَسْتَشْفِعُو … نَ إِلَى الرَّسُولِ بِرَبِّهِ المَنَّانِ
فَاسْتَعْظَمَ المُخْتَارُ ذَاكَ وَقَالَ شَأْ … نُ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ أَعْظَمُ شَانِ
اللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ فَوْقَ سَمَائِهِ … سُبْحَانَ ذِي المَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ

ولعَرْشِهِ مِنْهُ أطِيطٌ مِثْلَ مَا   قَدْ أطَّ رَحْلُ الراكِبِ العَجْلانِ
للَّهِ مَا لَقِيَ ابن إسْحَاقٍ مِنَ الـ   ـجهْمِيِّ إذْ يرْمِيهِ بالعُدْوَانِ
وَيَظَل يَمْدحُهُ إذَا كَان الَّذِي   يَرْوِي يوافِقُ مَذْهَبَ الطَّعَّانِ
كَمْ قدْ رأينَا مِنْهُمُ أمثَالَ ذَا   فالحُكْم للَّهِ العَلِيِّ الشَّانِ
هَذَا هُو التَّطْفِيفُ لا التَّطْفِيفُ فِي   ذَرْعٍ وَلاَ كَيْلٍ وَلاَ مِيزَانِ
واذكُرْ حَدِيثَ نزُولهِ نِصْفَ الدُّجَى   فِي ثلْثِ لَيْلٍ آخرٍ أوْ ثَانِ
فنزُولُ ربٍّ ليسَ فَوْقَ سَمَائِهِ   فِي العَقْل مُمتَنِعٌ وفِي القُرْآنِ
وَاذْكُرْ حديثَ الصَّادِقِ ابنِ رَوَاحَةٍ   فِي شَأنِ جَاريةٍ لدَى الغَشَيَانِ
فِيهِ الشَّهادَةُ أنَّ عرْشَ اللَّهِ فَوْ   قَ الماءِ خَارجَ هَذِهِ الأكْوَانِ
واللَّهُ فوقَ العَرشِ جلَّ جلاَلُهُ   سُبْحَانَهُ عَنْ نَفْيِ ذِي البُهْتَانِ
ذَكَرَ ابنُ عبدِالبَرِّ فِي اسْتِيعَابِهِ   هَذَا وَصَحَّحَهُ بِلاَ نُكْرَانِ
وَحديثُ مِعْراجِ الرسُولِ فَثَابِتٌ   وَهْوَ الصَّرِيحُ بغَايَةِ التِّبْيَانِ
وإلَى إلـٰهِ العَرْشِ كَانَ عُروجُهُ   لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ صَحْبِهِ رَجُلاَنِ
واذكُرْ بقِصَّةِ خَنْدقٍ حُكْماً جَرَى   لقرِيظَةٍ مِنْ سَعْدٍ الرَّبَّانِي
شَهِدَ الرسُولُ بأنَّ حُكْمَ إلـٰهِنَا   مِنْ فَوْقِ سَبْعٍ وِفْقُهُ بِوزانِ
واذكُرْ حَدِيثاً للبَرَاءِ رَوَاهُ أصْـ   ـحَابُ المسَانِدِ منْهُمُ الشَّيْبَانِي
وَأبُو عَوانَةَ ثم حَاكِمُنَا الرِّضَا   وأبُو نعيمِ الحَافِظِ الربَّانِي
قد صَحَّحُوهُ وَفِيه نَصٌّ ظَاهِرٌ   مَا لَمْ يحرِّفْهُ أولو العُدْوَانِ
فِي شَأْنِ رُوحِ العَبْدِ عِنْد وَدَاعِهَا   وفِرَاقِهَا لمسَاكِنِ الأبدَانِ
فتظَلُّ تَصْعَدُ فِي سَمَاءٍ فَوْقَهَا   أخْرَى إلَى خَلاَّقِهَا الرَّحْمـٰنِ
حَتَّى تَصِيرَ إلَى سَمَاءٍ رَبُّهَا   فِيهَا وَهَذَا نَصُّهُ بأمَانِ
وَاذْكُر حَدِيثاً فِي الصَّحِيحِ وَفيـ   ـهِ تَحْذِيرٌ لِذَاتِ البَعْلِ مِنْ هِجْرَانِ
مِنْ سُخْطِ ربٍّ فِي السَّمَاءِ عَلَى التي   هَجَرَتْ بِلاَ ذَنْبٍ وَلاَ عُدْوَانِ
واذكُرْ حَدِيثاً قَدْ رَوَاهُ جَابِرٌ   فِيهِ الشِّفَاءُ لطالِبِ الإيمَان
فِي شَأْنِ أهْلِ الجنَّةِ العُلْيَا وَمَا   يلْقَوْنَ مِن فَضْل وَمِنْ إحْسَانِ

بَيْنَاهُمُ فِي عَيْشِهِمْ ونَعِيمِهِمْ ... وإذَا بِنُورٍ سَاطِعِ الغَشَيَانِ
لكنهُمْ رَفَعُوا إلَيْهِ رُؤوسَهُمْ ... فَإذَا هُوَ الرحْمٰنُ ذُو الإحسَانِ
وَاذْكُرْ حَدِيثاً قَدْ رَوَاهُ الشَّافِعِيْـ ... ـيُ طَرِيقُه فِيهِ أَبُو اليَقْظَانِ
فِي فَضْلِ يَوْمِ الجُمُعَةِ اليَوْمِ الَّذِي ... بِالفَضْلِ قَدْ شَهِدَتْ لَهُ النَّصَّانِ
يَوْمُ اسْتِواءِ الرَّبِّ جَلَّ جَلالُهُ ... حَقّاً عَلَى العَرْشِ العَظِيمِ الشَّانِ
وَاذْكُرْ مَقَالَتَهُ أَلَسْتُ أَمِينَ مَنْ ... فَوْقَ السَّمَاءِ الوَاحِدِ الرحْمٰنِ
واذْكُرْ حَدِيثَ أَبِي رُزَيْنٍ ثُمَّ سُقْـ ... ـهُ بِطُولِهِ كَمْ فِيهِ مِنْ عِرْفَانِ
واللَّهِ مَا لِمُعَطِّلٍ بِسَمَاعِهِ ... أَبَداً قُوىً إلاَّ عَلَى النُّكْرانِ
فَأُصُولُ دِينِ نَبِيِّنا فِيهِ أَتَتْ ... فِي غَايَةِ الإيضَاحِ والتِبْيَانِ
وبِطُولِهِ قَدْ سَاقَهُ ابنُ إمَامِنَا ... فِي سُنَّةٍ والحَافِظُ الطَّبَرانِي
وكَذَا أبُو بَكْرٍ بِتَارِيخٍ لَهُ ... وأبُوهُ ذَاكَ زُهَيْرٌ الرَّبَّانِي
واذْكُرْ كَلاَمَ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ... أَقِمِ الصَّلاَةَ وَتِلْكَ فِي سُبْحَانِ
فِي ذِكْرِ تَفْسِيرِ المقَامِ لأحْمَدٍ ... مَا قِيلَ ذَا بالرَّأيِ والحُسْبَانِ
إنْ كَانَ تَجْسِيماً فإنَّ مُجَاهِداً ... هُوَ شَيْخُهُمْ بلْ شَيْخُهُ الفَوْقَانِي
وَلَقَدْ أَتَىٰ ذِكْرُ الجُلوسِ بِهِ وَفِي ... أَثَرٍ رَوَاهُ جَعْفَرُ الرَّبَّانِي
أَعْنِي ابنَ عَمِّ نَبِيِّنَا وبِغَيْرِهِ ... أَيْضاً أتَى والحَقُّ ذُو التِّبيَانِ
وَالدَّارَقُطْنِيُّ الإمَامُ يُثْبِتُ الْـ ... آثَارَ فِي ذَا البَابِ غَيْرَ جَبَانِ
ولَهُ قَصِيدٌ ضُمِّنَتْ هَذَا وَفِيـ ... ـهَا لَسْتُ لِلْمَرْوِيِّ ذَا نُكْرَانِ
وَجَرَتْ لِذَلِكَ فِتْنَةٌ فِي وَقْتِهِ ... مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ والعُدْوَانِ
واللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ ... وَرَسُولِهِ فِي سَائِرِ الأزْمَانِ
لَكِنْ بِمِحْنَةِ حِزْبِهِ مِنْ حَرْبِهِ ... ذَا حِكْمَةٍ مُذْ كَانَتِ الفِئَتَانِ
وَقَدِ اقْتَصرتُ عَلَى يَسِيرٍ مِنْ كَثِيـ ... ـرٍ فَائِتٍ لِلعَدِّ وَالحُسْبَانِ
مَا كلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأوِيلِ بالتْـ ... ـتَحْرِيفِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمٰنِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

فِي جناية التأْويل على مَا جَاء به الرسُول والفرق بين المردود منه والمقبول

هَـذَا وَأَصْـلُ بَـلِـيَّـةِ الإِسْـلاَمِ مِـنْ تَـأْوِيـلِ ذِي الـتَّـحْـرِيـفِ والـبُـطْـلاَنِ
وَهْـوَ الَّـذِي قَـدْ فَـرَّقَ الـسَّـبْـعِـيـنَ بَـلْ زَادَتْ ثَـلاثـاً قَـوْلَ ذِي الـبُـرْهَـانِ
وَهُوَ الَّذِي قَتَل الخَلِيفَةَ جَامِعَ الـ قُـرْآنِ ذَا الـنُّـورَيْـنِ والإِحْـسَـانِ
وَهْـوَ الَّـذِي قَـتَـل الـخَـلِـيـفَـةَ بَـعْـدَهُ أَعْـنِـي عَـلِـيّـاً قَـاتِـلَ الأَقْـرَانِ
وَهْـوَ الَّـذِي قَـتَـل الـحُـسَـيْـنَ وأَهْـلَـهُ فَـغَـدَوْا عَـلَـيْـهِ مـمـزَّقِـي الـلُّـحْـمَـانِ
وَهْـوَ الَّـذِي فِـي يَـوْمِ حَـرْبِـهِـمُ أَبَـا حَ حِـمَـى الـمَـدِيـنَـةِ مَـعْـقِـلِ الإِيـمَـانِ
حَـتَّـى جَـرَتْ تِـلْـكَ الـدِمَـاءُ كـأَنَّـهـا فِـي يَـوْمِ عِـيـدٍ سُـنَّـةُ الـقُـرْبَـانِ
وَغَـدَا لَـهُ الـحَـجَّـاجُ يَـسْـفِـكُـهَـا ويَـقْـ ـتُـلُ صَـاحِـبَ الإِيـمَـانِ والـقُـرْآنِ
وَجَـرَى بِـمـكَّـةَ مَـا جَـرَى مِـنْ أَجْـلِـهِ مِـنْ عَـسْـكَـرِ الـحَـجَّـاجِ ذِي الـعُـدْوانِ
وَهْـوَ الَّـذِي أَنْـشَـا الـخَـوَارِجَ مِـثْـلَ إِنْـ ـشَـاءِ الـرَّوافِـضِ أَخْـبَـثِ الـحَـيَـوَانِ
ولأَجْـلِـهِ شَـتَـمُـوا خِـيَـارَ الـخَـلْـقِ بَـعْـ ـدَ الـرُّسْـلِ بـالـعُـدْوَانِ والـبُـهْـتَـانِ
ولأَجْـلِـهِ سَـلَّ الـبُـغَـاةُ سِـيُـوفَـهُـمْ ظَـنّـاً بـأَنَّـهُـمْ ذَوُو إِحْـسَـانِ
ولأَجْـلِـهِ قَـدْ قَـالَ أَهْـلُ الإِعْـتـزَا لِ مَـقَـالَـةً هَـدَّتْ قُـوَى الإِيـمَـانِ
ولأَجْـلِـهِ قَـالُـوا بـأَنَّ كَـلاَمَـهُ سُـبْـحَـانَـهُ خَـلْـقٌ مِـنَ الأَكْـوَانِ
ولأَجْـلِـهِ قَـدْ كَـذَّبَـتْ بِـقَـضَـائِـه شِـبْـهُ الـمـجُـوسِ الـعَـابِـدِي الـنِّـيـرَانِ
ولأَجْـلِـهِ قَـدْ خَـلَّـدُوا أَهْـلَ الـكَـبَـا ئِـرِ فِـي الْـجَـحِـيـمِ كَـعَـابِـدِي الأَوْثَـانِ
ولأَجْـلِـهِ قَـدْ أَنْـكَـرُوا لِـشَـفَـاعَـةِ الْـ مُـخْـتَـارِ فِـيـهِـمْ غَـايَـةَ الـنُّـكْـرَانِ
ولأَجْـلِـهِ ضُـرِبَ الإِمَـامُ بِـسَـوْطِـهِـمْ صِـدِّيـقُ أَهْـلِ الـسُّـنَّـةِ الـشَّـيْـبَـانِـي
ولأَجْـلِـهِ قَـدْ قَـالَ جَـهْـمٌ لَـيْـسَ رَبْـ بُ الـعَـرْشِ خَـارِجَ هَـذِهِ الأَكْـوَانِ
كَـلاَّ وَلاَ فَـوْقَ الـسَّـمَـوَاتِ الـعُـلاَ والـعَـرْشِ مِـنْ رَبٍّ وَلاَ رحْـمَـنِ
مَـا فَـوْقَـهَـا رَبٌّ يُـطَـاعُ جِـبَـاهُـنَـا تَـهْـوِي لَـهُ بِـسُـجُـودِ ذِي خُـضْـعَـانِ

وَلأجْلِهِ جُحِدَتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ والعَرْشُ أخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمٰنِ
ولأجْلِهِ أَفْنَى الجَحِيمَ وجنَّةَ الـ ـمَأوَى مَقَالَةَ كاذِبٍ فَتَّانِ
ولأجْلِهِ قَالُوا الإلٰهُ مُعَطَّلٌ أزلاً بِغَيْرِ نِهَايَةٍ وَزَمَانِ
ولأجْلِهِ قَدْ قَالَ لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ غَايَةٍ هِيَ حِكْمَةُ الدَّيَّانِ
ولأجْلِهِ قَدْ كَذبُوا بِنُزُولِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بِنِصْفِ لَيْلٍ ثَانِ
ولأجْلِهِ زَعَمُوا الكِتَابَ عِبَارةً وَحِكَايَةً عَنْ ذَلِكَ القُرآنِ
مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ سِوَى المخْلُوقِ والْـ ـقُرآنُ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الرَّحْمٰنِ
مَاذَا كَلامُ اللَّهِ قَطُّ حَقِيقَةً لكِنْ مَجَازٌ وَيحَ ذَا البُهْتَانِ
ولأجْلِهِ قُتِلَ ابنُ نَصْرٍ أحْمَدٌ ذَاكَ الخُزَاعِيُّ العَظِيمُ الشَّانِ
إذْ قَالَ ذَا القُرآنُ نفسُ كَلامِهِ مَا ذَاكَ مَخْلُوقٌ مِنَ الأكْوَانِ
وَهُوَ الَّذِي جَرَّ ابْنَ سِينَا والأُلى قَالُوا مَقَالَتَهُ عَلَى الكُفْرانِ
فَتَأوَّلُوا خلْقَ السَّمٰوَاتِ العُلاَ وحُدُوثَهَا بِحَقِيقَةِ الإمْكَانِ
وتأوَّلُوا عِلْمَ الإلٰهِ وَقَوْلَهُ وَصِفَاتِهِ بِالسَّلْبِ وَالبُطْلاَنِ
وتأوَّلُوا البَعْثَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ الإلٰهِ لِهَذِهِ الأبدَانِ
بِفراقِهَا لِعَنَاصِرٍ قَدْ رُكِّبتْ حَتَّى تَعُود بَسِيطَةَ الأرْكَانِ
وَهُوَ الذِي جَرّ القَرامِطَةَ الأُلى يَتَأوَّلُونَ شَرَائِعَ الإيمَانِ
فَتَأوَّلُوا العَمَلِيَّ مِثْلَ تأوُّلِ الْـ ـعِلْمِيِّ عِنْدَكُمُ بِلاَ فُرْقَانِ
وَهُوَ الذِي جَرَّ النَّصِيرَ وَحِزْبَهُ حَتَّى أتَوْا بِعَسَاكِرِ الكُفْرَانِ
فَجَرَى عَلَى الإسْلاَمِ أعْظَمُ مِحْنَةٍ وَخُمَارُهَا فِينَا إلَى ذَا الآنِ
وَجَمِيعُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بِدعٍ وأحْـ ـدَاثٍ تُخَالِفُ مُوجِبَ القُرآنِ
فَأسَاسُهَا التأوِيلُ ذُو البُطلاَنِ لاَ تأوِيلُ أهْلِ العِلْمِ والإيمَانِ
إذْ ذَاكَ تَفْسِيرُ المرَادِ وكشْفُهُ وَبَيَانُ مَعْنَاهُ إلَى الأذْهَانِ
قَدْ كَانَ أعْلَمَ خَلْقِهِ بِكَلاَمِهِ صَلَّى عَلَيْهِ الله كُلَّ أوَانِ
يتَأوَّلُ القُرآنَ عِنْدَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ تَأوِيلَ ذِي بُرْهَانِ
هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ أمُّ المؤْمِنِيـ ـنَ حِكَايَةً عَنْهُ لَهَا بِلِسَانِ

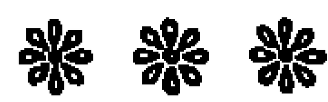
فَانْظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ مَا تَعْنِي بِهِ — خَيْرُ النِّسَاءِ وَأَفْقَهُ النِّسْوَانِ
أَتَظُنُّهَا تَعْنِي بِهِ صَرْفاً عَنِ الْـ — ـمَعْنَى الْقويّ لِغَيْرِ ذِي الرُّجْحَانِ
وانظر إِلَى التأويلِ حين يقول علـ — ـلَمهُ لعبد اللَّه فِي القُرآنِ
مـاذا أراد بـه سوى تفسيره — وظهور معناه لَهُ بِبَيَان
قَوْلُ ابنِ عبَّاسٍ هُوَ التَّأْوِيلُ لاَ — تَأْوِيلُ جَهْمِيٍّ أخِي بُهْتَانِ
وَحَقِيقَةُ التَّأوِيل مَعْنَاهُ الرُّجُو — عُ إِلَى الحَقِيقَةِ لاَ إِلَى البُطْلاَنِ
وَكَذَاكَ تَأْوِيلُ المنَام حَقِيقَةُ الْـ — ـمَرْئِيّ لاَ التَّحريفُ بالبُهْتَانِ
وَكَذاكَ تأويلُ الَّذِي قَدْ أَخْبَرَتْ — رُسْلُ الإلـٰه بِهِ مِنَ الإِيمَانِ
لا خُلْفَ بَيْنَ أئِمَّةِ التَّفْسِيرِ فِي — هَذَا وذَلِكَ وَاضِحُ البُرْهَانِ
نَفْسُ الحَقِيقَةِ إِذْ تُشَاهِدُهَا لَدَى — يَوْمِ المعَادِ بُرؤْيَةٍ وَعِيَانِ
هَذَا كَلاَمُ اللَّهِ ثُمَّ رسُولِهِ — وأئِمَّةِ التفْسِيرِ لِلْقرآنِ
تَأْوِيلُهُ هُوَ عِنْدَهُمْ تَفْسِيرُهُ — بالظَّاهِرِ المفْهُومِ للأذْهَانِ
مَا قَالَ مِنْهُم قَطُّ شَخْصٌ وَاحِدٌ — تَأْوِيلُهُ صَرْفٌ عَنِ الرُّجْحَانِ
كَلاً وَلاَ نَفْيُ الحَقِيقَةِ لاَ ولاَ — عَزْلُ النُّصُوصِ عَنِ اليَقِينِ فَذَانِ
تَأْوِيلُ أهْلِ البَاطِلِ المردُودِ عِنْـ — ـدَ أئمة العِرْفَانِ والإِيمَانِ
وَهُوَ الَّذِي لاَ شَكَّ فِي بُطْلاَنِهِ — واللَّهُ يَقْضِي فِيهِ بالبُطْلاَنِ
فَجَعَلْتُمُ لِلَّفظِ مَعْنىً غَيْرَ مَعْـ — ـنَاهُ لَديهِمْ باصْطِلاَحٍ ثَانِ
وَحَمَلْتُمُ لَفْظَ الكِتَابِ عَلَيْهِ حَتْـ — ـتَى جَاءَكُمْ مِنْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ
كَذِبٌ عَلَى الألفَاظِ مَعْ كَذِبٍ عَلَى — مَنْ قَالَهَا كَذِبَان مقْبُوحَانِ
وتَلاهُمَا أمْرَانِ أقْبَحُ منهُمَا — جَحْدُ الهُدَى وَشَهَادَةُ البُهْتَانِ
إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّور أَنَّ مُرَادَهُ — غَيْرُ الحَقِيقَةِ وَهْيَ ذُو بُطْلاَنِ

فصلٌ

فيمَا يلزم مدعي التَّأويل لتصحيح دعواه

وَعليكُمُ فِي ذَا وظَائِفُ أربَعٌ — واللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِهِنَّ يَدَانِ

مِنْـهَـا دَلِيـلٌ صَـارِفٌ لِـلـفْـظِ عَـنْ ... مَـوْضُـوعِـهِ الأَصْـلِـيِّ بِـالـبُـرْهَـانِ
إِذْ مُـدَّعِـي نَـفْـسِ الـحَـقِـيـقَـةِ مُـدَّعٍ ... لِـلأَصْـلِ لَـمْ يَـحْـتَـجْ إِلَـى بُـرْهَـانِ
فَـإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيـلُ الصَّـرفِ يَـا ... هَـيْـهَـاتَ طُـولِـبْـتُـم بِـأَمْـرٍ ثَـانِ
وَهْـوَ احْـتِمَـالُ اللَّـفْـظِ لِـلْـمَـعْـنَى الَّـذِي ... قُـلـتـمْ هُـوَ الـمَـقْـصُـودُ بِـالـتِّـبْـيَـانِ
فَـإِذَا أَتَـيْـتُـم ذَاكَ طُـولِـبْـتُـمْ بِـأَمْـ ... ـرٍ ثَـالِـثٍ مِـنْ بَـعْـدِ هَـذَا الـثَّـانِـي
إِذْ قُـلـتُـمُ إِنَّ الـمُـرَادَ كَـذَا فَـمَـا ... ذَا دَلَّـكُـمْ أَتَـخَـرُّصُ الـكُـهَّـانِ
هَـبْ أَنـهُ لَـمْ يَـقْـصِـدِ الـمَـوْضُـوعَ لَـ ... ـكِـنْ قَـدْ يـكُـونُ الـقَـصْـدُ مَـعْـنىً ثَـانِ
غَـيْـرَ الَّـذِي عَـيَّـنْـتُـمُـوهُ وَقَـدْ يَـكُـو ... نُ الـلَّـفْـظُ مَـقْـصُـوداً بِـدُونِ مَـعَـانِ
كَـتَـعَـبُّـدٍ وتِـلاوَةٍ وَيَـكُـونُ ذَا ... كَ الـقَـصْـدُ أَنـفَـعَ وَهْـوَ ذُو إِمْـكَـانِ
مِنْ قَصْدِ تخريفٍ لَهَا يُسْمَى بتأ ... ويـلٍ مَـعَ الإِتْـعَـابِ لِـلأَذْهَـانِ
والـلَّـهِ مَـا الـقَـصْـدَانِ فِـي حَـدٍّ سَـوَا ... فِـي حِـكْـمَـةِ الـمـتَـكَـلِّـمِ الـمـنَّـانِ
بَلْ حِكْمَةُ الرَّحْمٰنِ تُبْطِلُ قَصْدَهُ الـتَّـ ... ـحْـرِيفَ حَاشَا حِكْمَةَ الرَّحْمٰنِ
وَكَـذَاكَ تُـبْـطِـلُ قَـصْـدَهُ إِنـزَالَـهَـا ... مِـنْ غَـيْـرِ مَـعْـنىً وَاضِـحِ الـتِّـبْـيَـانِ
وَهُـمَـا طَـرِيـقَـا فِـرْقَـتَـيْـنِ كِـلاهُـمَـا ... عَـنْ مَـقْـصِـد الـقُـرْآنِ مُـنْـحَـرِفَـانِ



فصلٌ

في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل

وَأَتَـى ابْـنُ سِـيـنَـا بَـعْـدَ ذَا بِـطَـرِيـقَـةٍ ... أُخْـرَى وَلَـم يَـأنَـفْ مِـنَ الـكُـفْـرَانِ
قَـالَ الـمُـرادُ حَـقَـائِـقُ الأَلـفَـاظِ تَـخْـ ... ـيِـيـلاً وتَـقْـرِيـبـاً إِلَـى الأَذْهَـانِ
عَـجـزَتْ عَـنِ الإِدْرَاكِ لِـلـمَـعْـقُـولِ ... إِلاَّ فِـي مِـثَـالِ الـحِـسِّ كَـالـصِّـبْـيَـانِ
كَيْ يبرزَ المعقُولَ فِي صورٍ مِنَ الْـ ... ـمَـحْـسُـوسِ مَـقْـبُـولاً لَـدَى الأَذْهَـانِ
فَـتَـسَـلُّـطُ الـتَّـأْوِيـلِ إِبْـطَـالٌ لِـهَـ ... ـذَا الـقَـصْـد وَهْـوَ جِـنَـايَـةٌ مِـنْ جَـانِ
هَـذَا الَّـذِي قَـدْ قَـالَـهُ مَـع نَـفْـيِـهِ ... لِـحَـقَـائِـقِ الأَلـفَـاظِ فِـي الأَذْهَـانِ
وَطَـرِيـقَـةُ الـتَّـأْوِيـلِ أَيْـضـاً قَـدْ غَـدَتْ ... مُـشْـتَـقَّـةً مِـنْ هَـذِه الـخُـلْـجَـانِ

وَكِلاَهُمَا اتَّفَقَا عَلَى أنَّ الحَقِيـ ... قَةَ مُنْتَفٍ مَضْمُونُهَا بِبَيَانِ
لَكِنْ قَدِ اخْتَلَفَا فَعِنْدَ فَرِيقِكُمْ ... مَا إنْ أُرِيدَتْ قَطُّ بِالتِّبْيَانِ
لَكِنَّ عِنْدهُمُ أرِيدَ ثُبُوتُهَا ... فِي الذِّهنِ إذْ عُدِمَتْ مِنَ الإحْسَانِ
إذْ ذَاكَ مَصْلَحَةُ المخَاطَبِ عِنْدَهُمْ ... وَطَرِيقَةُ البُرْهَانِ أمْرٌ ثَانِ
فَكِلاَهُمَا ارتَكَبَا أشَدَّ جِنَايَةٍ ... جُنِيَتْ عَلَى القُرآنِ والإيمَانِ
جَعَلُوا النُّصوصَ لأجْلِهَا غَرَضاً لَهُمْ ... قَدْ خَرَّقُوهُ بِأَسْهُمِ الهَذَيَانِ
وَتَسَلُّطِ الأوْغَادِ والأوْقَاحِ وَالْـ ... أرْذَالِ بِالتَّحْرِيفِ والبُهْتَانِ
كُلٌّ إذَا قَابَلْتَهُ بِالنَّصِّ قَا ... بَلَهُ بِتَأْوِيلٍ بِلاَ بُرْهَانِ
ويَقُولُ تأوِيلي كتَأوِيلِ الَّذِيـ ... نَ تَأَوَّلُوا فوقِيَّةَ الرحْمٰنِ
بَلْ دُونَهُ فَظُهُورُهَا فِي الوحي بالنَّـ ... ـصَّيْنِ مِثْلُ الشَّمسِ فِي التِّبْيَانِ
أيَسُوغُ تَأْوِيلُ العُلُوِّ لَكمْ ولاَ ... تَتَأَوَّلُوا البَاقِي بِلاَ فُرقَانِ
وَكذاكَ تأوِيلُ الصِّفَاتِ مَع أنَّهَا ... مِلءُ الحَدِيثِ وَمِلءُ ذَا القُرآنِ
واللَّهِ تَأْوِيلُ العُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ ... تَأْوِيلِنَا لِقِيَامَةِ الأبْدَانِ
وَأشَدُّ مِنْ تأوِيلِنَا لِحَيَاتِهِ ... ولِعِلْمِهِ وَمَشِيئَةِ الأكْوَانِ
وأشَدُّ مِنْ تأويلِنَا بَعْضَ الشَّرَا ... ئِعِ عِنْدَ ذِي الإنْصَافِ والمِيزَانِ
وأشدُّ مِنْ تأوِيلِنَا لِكَلاَمِهِ ... بِالفَيْضِ مِنْ فَعَّالِ ذِي الأكْوَانِ
وَأشدُّ منْ تأويلِ أهْلِ الرَّفْضِ أخْـ ... بَارَ الفَضَائِلِ حَازَهَا الشَّيْخَانِ
وَأشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مؤَوِّلٍ ... نَصّاً بِأَنَّ مُرادَهُ الوَحْيَانِ
إذ صرَّحَ الوحْيَانِ مَعْ كُتُبِ الإلٰـ ... ـهِ جَمِيعِهَا بالفَوْقِ للرَّحْمٰنِ
فلأيِّ شَيءٍ نَحنُ كُفَّار بِذَا التَّـ ... ـأوِيلِ بَلْ أنتُمْ عَلَى الإيمَانِ
إنَّا تأوَّلْنَا وأنتُمْ قدْ تأوْ ... وَلْتُمْ فَهَاتُوا وَاضِحَ الفُرْقَانِ
أَلَكُمْ عَلَى تأويلِكُمْ أجْرَانِ حيْـ ... ـثُ لَنَا عَلَى تأوِيلِنَا وِزْرَانِ
هَذِي مَقَالَتُهُمْ لَكُمْ فِي كُتْبِهِمْ ... مِنْهَا نَقَلْنَاهَا بِلاَ عُدْوَانِ
رُدُّوا عَلَيْهِمْ إنْ قَدَرْتُمْ أوْ فَنَحُّـ ... ـوا عَنْ طَرِيقِ عَسَاكِرِ الإيمَانِ
لاَ تَحْطِمَنَّكُمْ جُنُودُهُمُ كَحَطْـ ... ـمِ السَّيْلِ مَا لاَقَى مِنَ الدِّيدَانِ

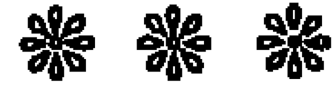
وَكَـذَا نُـطَـالِـبُـكُـمْ بِـأَمْـرٍ رَابِـعٍ ... والـلَّـهِ لَـيْـسَ لَـكُـمْ بِـذَا إمـكَـانِ
وَهُوَ الجَوَابُ عَنِ المعَارِضِ إذْ بِهِ الدَّ ... دَعْـوَى تَـتِـمُّ سَـلِـيـمَـةَ الأَرْكَـانِ
لَـكِـنَّ ذَا عَـيْـنُ الـمـحَـالِ وَلَـوْ يُـسَـا ... عِـدُكُـمْ عَـلَـيْـهِ رَبُّ كـلِّ لِـسَـانِ
فَـأَدِلَّـةُ الإِثْـبَـاتِ حَـقّـاً لاَ يَـقُـو ... مُ لَـهَـا الـجِـبَـالُ وسَـائِـرُ الأَكْـوانِ
تَـنْـزِيـلُ رَبِّ الـعَـالَـمِـيـنَ وَوَحْـيُـهُ ... مَـعَ فِـطْـرَةِ الـرَّحْـمٰـنِ والـبُـرْهَـانِ
أنَّـى يُـعَـارِضُـهَـا كُـنَـاسَـةُ هَـذِهِ الْـ ... أَذْهَـانِ بـالـشُّـبُـهَـاتِ والـهَـذَيَـانِ
وجَـعَـاجِـعٌ وَفَـرَاقِـعٌ مَـا تَـحْـتَـهَـا ... إلاَّ الـسَّـرَاب لِـوَارِدٍ ظَـمْـآنِ
فَـلْـتَـهْـنِـكُـمْ هَـذِي الـعُـلُـومُ اللاءِ قَـدْ ... ذُخِـرَتْ لَـكُـمْ عَـنْ تَـابـعِ الإِحْـسَـانِ



بَلْ عَنْ مَشَايِخِهِم جَمِيعاً ثُمَّ وُفْـ ... ـفِـقْـتُـمْ لَـهَـا مِنْ بَعْدِ طُولِ زَمَانِ
والـلَّـهِ مَا ذُخِرَتْ لَـكُـمْ لِفَضِيلَةٍ ... لَـكُـمُ عَـلَـيْـهِـمْ يَـا أُولِـي النُّقْـصَانِ
لَـكِـنْ عُـقُـولُ الـقَـوْمِ كَـانَـتْ فَـوْقَ ذَا ... قَـدْراً وَشَـأْنُـهُـمُ فَـأَعْـظَـمُ شَـانِ
وَهُـمُ أَجَـلُّ وَعِـلْـمُـهُـمْ أَعْـلَـى وَأَشْـ ... ـرَفُ أَنْ يُـشَـابَ بِـزُخْـرُفِ الـهَـذَيَـانِ
فَـلِـذَاكَ صَـانَـهُـمُ الإِلٰـهُ عَـنِ الَّـذِي ... فِـيـهِ وَقَـعْـتُـمْ صَـونَ ذِي إِحْـسَـانِ
سَـمَّـيْـتُـمُ الـتَّـحْـرِيـفَ تَـأْوِيـلاً كَـذَا الـتَّـ ... ـعْـطِـيـلَ تَـنْـزِيـهـاً هُـمَـا لَـقَـبَـانِ
وَأَضَـفْـتُـمُ أَمْـراً إِلَـى ذَا ثَـالِـثـاً ... شَـرّاً وأَقْـبَـحَ مِـنْـهُ ذَا بُـهْـتَـانِ
فَـجَـعَـلْـتُـمُ الإِثْـبَـاتَ تَـجْـسِـيـمـاً وتَـشْـ ... ـبِـيـهـاً وَذَا مِـنْ أَقْـبَـحِ الـعُـدْوَانِ
فَـقَـلَـبْـتُـمُ تِـلْـكَ الـحَـقَـائِـقَ مِـثْـلَ مَـا ... قُـلِـبَـتْ قُـلُـوبُـكُـمُ عَـنِ الإِيـمَـانِ
وَجَـعَـلْـتُـمُ الـمَـمْـدُوحَ مَـذْمُـومـاً كَـذَا ... بِـالـعَـكْـسِ حَـتَّـى اسْـتَـكْـمَـلَ الـلُّـبْـسَـانِ
وَأَرَدْتُـمُ أَنْ تُـحْـمَـدُوا بِـالاتِّـبَـا ... عِ نَـعَـمْ لَـكِـنْ لِـمَـنْ يَـا فِـرْقَـةَ الـبُـهْـتَـانِ
وَبَـغَـيْـتُـمُ أَنْ تَـنْـسِـبُـوا لِـلابْـتِـدَا ... عِ عَـسَـاكِـرَ الآثَـارِ والـقُـرْآنِ
وَجَـعَـلْـتُـمُ الـوَحْـيَـيْـنِ غَـيْـرَ مُـفِـيـدَةٍ ... لِـلْـعِـلْـمِ والـتَّـحْـقِـيـقِ والـبُـرْهَـانِ
لَـكِـنْ عُـقُـولُ الـنَّـاكِـبِـيـنَ عَـنِ الـهُـدَى ... لَـهُـمَـا تُـفِـيـدُ وَمَـنْـطِـقُ الـيُـونَـانِ
وَجَـعَـلْـتُـمُ الإِيـمَـانَ كُـفْـراً والـهُـدَى ... عَـيْـنَ الـضَّـلاَلِ وَذَا مِـنَ الـطُّـغْـيَـانِ
ثُـمَّ اسْـتَـحَـقَّـيْـتُـمْ عُـقُـولاً مَـا أَرَا ... دَ الـلَّـهُ أَنْ تَـزْكُـو عَـلَـى الـقُـرْآنِ

حَتَّى اسْتَجَابُوا مُهطِعينَ لِدَعْوَةِ التْـ ... تَــعْطِيلِ قَــدْ هَـرَبُوا مِنَ الإِيمَانِ
يَا وَيْحَهُمْ لَو يَشْعُرُون بِمَنْ دَعَا ... وَلِمَـا دَعَا قَعَدُوا قُعودَ جَبَانِ

❋ ❋ ❋



في شُبَهِ المحرِّفينَ للنصوصِ باليهودِ وإِرثهم التَّحريفَ منهم وبراءةِ أهلِ الإثباتِ مما رموهم به من هذا الشَّبه

هَـذَا وَثَـمَّ بَـلِـيَّـةٌ مَـسْـتُـورَةٌ ... فِـيـهِـمْ سَأُبْـدِيـهَا لَـكُمْ بِبَيَانِ
وَرِثَ المحَرِّفُ مِنْ يَهُودَ وَهُمْ أولُو التْـ ... ـتَحْرِيف والتَّبْدِيـلِ والكِتْمَانِ
فَأَرادَ مِيرَاثَ الثَّلاثَةِ مِنْهُمُ ... فَعَصَتْ عَلَيْهِ غَايَةَ العِصْيَانِ
إِذْ كَانَ لَفْظُ النَّصِّ مَحْفُوظاً فَمَا التْـ ... ـتَبْدِيلُ والكِتْمَانُ فِي الإِمْكَانِ
فَأرَادَ تَبْدِيلَ المعَانِي إِذْ هِيَ الْـ ... ـمقْصُودُ مِنْ تَغْبِيرِ كُلِّ لِسَانِ
فَأَتَى إِلَيهَا وَهْي بَارِزَةٌ مِنَ الْـ ... أَلْفَاظِ ظَاهِرةٌ بِلاَ كِتْمَانِ
فَنَفَى حَقَائِقَهَا وَأعْطَى لَفْظَهَا ... مَعْنىً سِوَى مَوْضُوعِهِ الحَقَّانِي
فَجَنَى عَلَى المعْنَى جِنَايَةَ جَاحِدٍ ... وَجَنَى عَلَى الألْفَاظِ بالعُدْوَانِ
وأَتَى إِلَى حِزْبِ الهُدَى أَعْطَاهُمُ ... شِبْهَ اليَهُودِ وَذَا مِنَ البُهْتَانِ
إِذْ قَالَ أَنَّهُمُ مُشَبِّهَةٌ وَأَنْـ ... ـتُمْ مِثْلُهُمْ فَمَنِ الَّذِي يَلْحَانِي
فِي هَتْكِ أسْتَارِ اليَهُودِ وَشِبهِهِمْ ... مِنْ فِرْقَةِ التَحْرِيفِ لِلقُرْآنِ
يَا مُسْلِمُونَ بِحَقِّ رَبِّكُمُ اسْمَعُوا ... قَوْلِي وَعُوهُ وَعْيَ ذِي عِرْفَانِ
ثُمَّ احْكُمُوا مِنْ بَعْدُ مَنْ هَذَا الَّذِي ... أَوْلَى بِهَذَا الشِّبْهِ بِالبُرْهَانِ
أُمِرَ اليهُودُ بأنْ يَقُولُوا حِطَّةٌ ... فَأَبَوْا وَقَالُوا حِنْطَةٌ لِهَوَانِ
وَكَذَلِكَ الجهْمِيُّ قِيلَ لَهُ اسْتَوى ... فأَبَى وَزَادَ الحَرْفَ لِلنُقْصَانِ
قَالَ اسْتَوى اسْتَولَى وَذَا مِنْ جَهْلِهِ ... لُغَةً وعَقْلاً مَا هُمَا سِيَّانِ
عِشْرونَ وَجْهاً تُبْطِلُ التَّأويلَ باسْـ ... ـتَوْلَى فَلاَ تَخْرُج عَنِ القُرْآنِ
قَدْ أفردَتْ بِمُصَنَّفٍ هُوَ عِنْدَنَا ... تَصْنِيفُ حَبْرٍ عَالِمٍ رَبَّانِي

وَلَـقَـدْ ذَكَـرْنَـا أَرْبَـعِـيـنَ طَـرِيـقَـةً ... قَـدْ أَبـطَـلَـتْ هَـذَا بِـحُـسْـنِ بَـيَـانِ
هِيَ فِي الصَّواعِقِ إِنْ تُرِدْ تَحْقِيقَهَا ... لاَ تَـخْـتَـفِـي إلاَّ عَـلَـى الـعُـمْـيَـانِ
نُـونُ الـيَـهُـودِ وَلاَمُ جَـهْـمِـي هُـمَـا ... فِـي وَحْـي رَبِّ الـعَـرْشِ زَائِـدَتَـانِ
وكَـذلِـكَ الـجَـهْـمِـيُّ عَـطَّـلَ وَصْـفَـهُ ... وَيَـهُـودُ قَـدْ وَصَـفُـوهُ بـالـنـقْـصَـانِ
فَـهُـمَـا إذاً فِـي نَـفْـيِـهِـمْ لِـصِـفَـاتِـهِ الْـ ... ـعُـلْـيَـا كَـمَـا بَـيَّـنْـتُـهُ أَخَـوَانِ



فصلٌ

في بيان بهتانهم في تشبيهِ أهلِ الإثباتِ بفرعون وقولهم إنَّ مقالةَ العلوِّ عنه أخذوها وأنهم أَولى بفرعون وهم أشباهه

وَمِنَ الـعَـجَـائِبِ قَـوْلُـهُـمْ فِـرْعَـوْن مَـذْ ... هَـبُـهُ الـعُـلُـوُّ وَذَاكَ فِـي الـقُـرْآنِ
وَلِذَاكَ قَدْ طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَيْهِ بالـصَّـ ... ـرْحِ الَّـذِي قَـدْ رَامَ مِـنْ هَـامَـانِ
هَـذَا رَأَيْـنَـاهُ بِـكُـتْـبِـهِـمُ وَمِـنْ ... أَفْـوَاهِـهِـمْ سَـمْـعـاً إِلَـى الآذَانِ
فـاسْـمَـعْ إذاً مَـنْ ذَا الـذِي أَوْلَـى بِـفِـرْ ... عَـوْنَ الـمـعَـطِّـلِ جَـاحِـدِ الـرَّحْـمٰـنِ
وانْـظُـرْ إِلَـى مَـنْ قَـالَ مُـوسَـى كَـاذِبٌ ... حِـيـنَ ادَّعَـى فَـوْقِـيَّـةَ الـرَّحْـمٰـنِ
فَـمِـنَ الـمـصَـائِـبِ أَنَّ فِـرْعَـوْنِـيَّـكُـمْ ... أَضْـحَـى يـكـفِّـرُ صَـاحِـبَ الإِيـمَـانِ
ويـقُـولُ ذَاكَ مُـبَـدِّلٌ لِـلـدِّيـنِ سَـا ... عٍ بـالـفَـسَـادِ وَذَا مِـن الـبُـهْـتَـانِ
إِنَّ الـمـورِّثَ ذَا لَـهُـمْ فِـرعَـونُ حِـيـ ... ـنَ رَمَـى بِـهِ الـمـوْلُـودَ مِـنْ عِـمْـرانِ
فـهْـوَ الإِمَـامُ لَـهُـمْ وَمَـا فِـيـهِـمْ بـمـتْـ ... ـبُـوعٍ يَـقُـودُهُـمُ إِلَـى الـنِّـيـرَانِ
هُو أَنْكَرَ الوَصْفَيْنِ وَصْفَ الفَوْقِ والتْـ ... ـتَـكْـلِـيـمِ إِنْـكَـاراً عَلَى البُـهْـتَانِ
إِذْ قَـصْـدُهُ إِنـكَـارُ ذَاتِ الـربِّ فـالـتْـ ... ـتَـعْـطِـيـلُ مِـرْقَـاةٌ لِـذَا الـنُّـكْـرانِ
وَسِــوَاهُ جَــاءَ بِـسُــلَّـم وبِــآلَــةٍ ... وَأَتَـى بِـقَـانُـونٍ عَـلَـى بُـنْـيَـانِ
وَأَتَـى بِـذَاكَ مُـفَـكِّـراً ومُـقَـدِّراً ... وِرْثَ الـولـيـدِ لـعَـابِـدِ الأَوْثَـانِ
وأَتَـى إِلَـى الـتَّـعْـطِـيـل مِـنْ أَبْـوَابِـهِ ... لاَ مِـنْ ظُـهُـورِ الـدَّارِ والـجُـدْرَانِ
وَأَتَـى بِـهِ فِـي قَـالَـبِ الـتَّـنْـزِيـهِ والتْـ ... ـتَـعْـظِـيـمِ تَـلْـبِـيـساً عَلَى العُـمْـيانِ

وَأَتى إلَى وَصْفِ العُلُوِّ فَقَالَ ذَا التْـ ... ـتَجْسِيمُ لَيْسَ يَلِيقُ بالرَّحْمٰنِ
فَاللَّفظُ قَدْ أَنْشَاهُ مِنْ تِلْقَائِهِ ... وَكَسَاهُ وَصْفَ الوَاحِدِ المنَّانِ
والنَّاسُ كُلُّهمُ صَبِيُّ العَقْلِ لَمْ ... يَبْلُغْ وَلَوْ كَانُوا مِنَ الشيخَانِ
إلاَّ أُنَاساً سَلَّمُوا لِلوحْي هُمْ ... أَهْلُ البُلُوغِ وأعْقَلُ الإنْسَانِ
فأتى إلَى الصِّبْيَانِ فانْقَادُوا لَهُ ... كالشَّاءِ إذْ تَنْقَادُ للجَوْبَانِ
فانْظُرْ إلى عَقْل صَغِيرٍ في يَدَيْ ... شَيْطَانَ مَا يَلْقَى مِنَ الشَّيْطَانِ

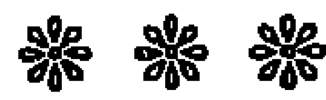


فصلٌ
في بيان تدليسهم وتَلْبِيسهم الحقَّ بالباطِل

قَالُوا إذا قَالَ المُجَسِّمُ رَبُّنَا ... حَقّاً عَلَى العَرْشِ استوَىٰ بِلسَانِ
فَسَلوهُ كَمْ للعرشِ مَعنىً واسْتَوىَ ... أيضاً لَهُ فِي الوَضْعِ خَمْس مَعَانِ
وَعَلَى فَكمْ مَعْنىً لَهَا أَيْضاً لَدَى ... عَمْرٍو فَذَاكَ إمَامُ هَذَا الشَّانِ
بَيِّنْ لَنَا تِلْكَ المَعَانِي وَالَّذِي ... مِنْهَا أريدَ بِوَاضِحِ التِّبْيَانِ
فاسْمَعْ فَذَاكَ مُعَطِّلٌ هَذِي الجَعَا ... جعُ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الهَذَيَانِ
قُلْ للمُجَعْجِعِ وَيحَكَ اعْقَلْ ذَا الَّذِي ... قَدْ قُلْتَهُ إنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
العَرْشُ عَرشُ الربِّ جَلَّ جَلالُهُ ... والَّلامُ للمَعْهُودِ فِي الأذْهَانِ
مَا فِيهِ إجْمَالٌ وَلاَ هُوَ مُوهِمٌ ... نَقْلَ المجَازِ وَلاَ لَهُ وَضْعَانِ
وَمُحَمَّدٌ والأنبيَاءُ جَمِيعُهُمْ ... شَهِدُوا بِهِ للخَالِقِ الرَّحْمٰنِ
منهُم عَرفْنَاهُ وَهُمْ عَرَفُوهُ مِنْ ... رَبٌ عَلَيهِ قَدِ اسْتَوَى دَيَّانِ
لَمْ تفهمِ الأذْهَانُ مِنْهُ سرِيرَ بلْـ ... ـقِيسٍ وَلاَ بَيْتاً عَلَى الأرْكَانِ
كَلاً وَلاَ عرشاً على بحرٍ وَلاَ ... عرْشاً لجبريلٍ بِلاَ بُنْيانِ
كَلاً وَلاَ العرْشَ الَّذِي إنْ ثُلَّ مِنْ ... عَبْدٍ هَوَى تَحتَ الحضِيضِ الدَّانِي
كَلاً وَلاَ عَرْشَ الكُرومِ وَهَذِهِ الْـ ... أعْنَابِ فِي حَرْثٍ وَفِي بُسْتَانِ
لكِنَّهَا فَهِمَتْ بِحمدِ اللَّه عَرْ ... شَ الرَّبِّ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الأكْوَانِ

وَعَلَيه رَبُّ العَالمِينَ قَدِ اسْتَوَى حَقًّا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ
وَكَذَا اسْتَوَى المَوْصُولُ بالحَرْفِ الَّذِي ظَهَرَ المرَادُ بِهِ ظُهُورَ بَيَانِ
لاَ فِيهِ إجْمَالٌ وَلاَ هُوَ مُفْهِمٌ للاشْتِرَاكِ وَلاَ مَجَازٌ ثَانِ
تَرْكِيبُهُ مَعْ حَرْفِ الاسْتِعْلاءِ نَصْـ ـصٌ فِي العُلُوِّ بوضْعِ كُلِّ لِسَانِ
فَإذَا تَركَّبَ مَعْ إلَى فَالقَصْدُ مَعْ مَعْنَى العُلُوِّ لوضْعِهِ بِبَيَانِ
وإلَى السَّماءِ قَدِ استوَى فمقَيَّدٌ بتَمَامِ صَنْعَتِهَا مَعَ الإتقَانِ
لَكِنْ عَلَى العَرشِ اسْتَوَى هُوْ مُطلَقٌ مِنْ بَعْدِهَا قَدْ تَمَّ بالأَرْكَانِ
لَكِنَّمَا الجَهْمِيُّ يَقْصُرُ فَهْمُهُ عَنْ ذَا فَتِلْكَ مَوَاهِبُ المنَّانِ
فإذَا اقْتَضى وَاوَ المعِيَّةِ كَانَ مَعْـ ـنَاهُ اسْتَوَى مُتَقَدِّمٌ والثَّانِي
فإذَا أَتَى مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ كَانَ مَعْـ ـنَاهُ الكَمَالَ فَلَيْسَ ذَا نُقْصَانِ
لاَ تَلْبِسُوا بِالبَاطِلِ الحَقَّ الذِي قَدْ بَيَّنَ الرَّحْمٰنُ فِي الفُرْقَانِ
وعلى لِلاسْتِعْلاَءِ فَهْي حَقِيقَةٌ فِيهِ لَدَى أرْبَابِ هَذَا الشَّانِ
وَكَذَلِكَ الرَّحْمٰنُ جَلَّ جَلالُهُ لَمْ يَحْتَمِلْ مَعْنىً سِوَى الرَّحْمٰنِ
يَا وَيْحَهُ بعَمَاهُ لَوْ وَجَدَ اسْمَهُ الرْ رَحْمٰنَ مُحْتَمِلاً لِخَمْس مَعَانِ
لَقَضَى بأَنَّ اللَّفظ لاَ مَعْنَى لَهُ إلاَّ التِّلاَوَةَ عِنْدَنَا بِلِسَانِ
فَلِذَاكَ قَال أئمةُ الإسْلام فِي مَعْنَاهُ مَا قَدْ سَاءَكُمْ بِبَيَانِ
وَلَقَدْ أَحَلْنَاكُمْ عَلَى كُتُبٍ لَهُمْ هي عِنْدَنَا واللَّهِ بالْكِيمَانِ

❋ ❋ ❋



في بيانِ سببِ غلطهم في الألفاظ والحكم عليها باحتمالِ عدة معانٍ حتى أسقطوا الاستدلال بها

وَاللَّفظُ مِنْهُ مُفْرَدٌ وَمركَّبٌ فِي الاعْتِبَار فَمَا هُمَا سِيَّانِ
واللَّفظ فِي التركِيبِ نَصٌّ فِي الَّذِي قَصَدَ المخَاطبَ مِنْهُ فِي التِّبْيَانِ
أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نِسْـ ـبَتُهُ إلَى الأفْهَامِ والأذْهَانِ

فيكُونُ نَصّاً عِنْدَ طَائِفَةٍ وَعِنْـ ـدَ سِوَاهُمْ هُوَ ظَاهِر التِّبْيَانِ
وَلَدَى سِوَاهُمْ مُجْملٌ لَمْ يَتَّضِحْ لَهُمُ المرَادُ بِهِ اتّضَاحَ بَيَانِ
فالأولُونَ لإلْفِهِمْ ذَاكَ الخطَا بَ وإلْفِهِمْ مَعْنَاهُ طُولَ زَمَانِ
طَالَ المَراسُ لَهُمْ لمعْنَاهُ كَمَا اشْـ تَدَّتْ عِنَايَتُهُمْ بِذَاكَ الشَّانِ
والعِلْمُ مِنهُمْ بالمخَاطَبِ إذْ هُمُ أوْلَى بِهِ مِنْ سَائِرِ الإنْسانِ
ولهمْ أتمُّ عِنَايَةٍ بِكَلامِهِ وَقُصُودِهِ مَعَ صِحَّةِ العِرْفَانِ
فَخِطَابُهُ نَصٌّ لَدَيهِمْ قَاطِعٌ فِيمَا أرِيدَ بِهِ مِنَ التِّبْيَانِ
لَكِنَّ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ فِي ذَاكَ لَمْ يَقْطَعْ بقَطْعِهِمُ عَلَى البُرْهَانِ
ويَقُولُ يَظْهَرُ ذَا وَلَيْسَ بِقاطِعٍ فِي ذِهْنِهِ لاَ سَائِرِ الأذْهَانِ
ولإلْفِهِ بِكَلاَمِ مَنْ هُوَ مُقْتَدٍ بِكَلاَمِهِ مِنْ عَالِمِ الأزْمَانِ
هُو قَاطِعٌ بِمرادِهِ وَكَلاَمُهُ نَصٌ لَدَيْهِ وَاضِحُ التبيَانِ
والفتنَةُ العُظْمَى مِنَ المتَسَلِّقِ الْـ مخْدُوعِ ذِي الدَّعْوَى أَخِي الهَذَيَانِ
لَمْ يَعْرف العِلْمَ الذِي فِيهِ الكَلاَ مُ وَلاَ لَهُ إلْفٌ بِهَذَا الشَّانِ
لكِنَّهُ مِنْهُ غَرِيبٌ لَيْسَ مِنْ سُكَّانِهِ كَلاً وَلاَ الجِيرَانِ
فَهُوَ الزَّنِيمُ دَعِيُّ قَوْم لَمْ يَكُنْ مِنهُمْ وَلَمْ يَصْحَبْهُمُ بِمَكَانِ
وَكَلاَمُهُمْ أبداً لَدَيْهِ مُجْمَلٌ وبمعْزِلٍ عَنْ إمْرة الإيقَانِ
نَشَدَ التِّجَارَةَ بالزيُوفِ يَخَالهَا نَقْداً صَحِيحاً وَهْوَ ذُو بُطْلاَنِ
حَتَّى إذَا رُدَّتْ إلَيهِ نَالَهُ مِنْ رَدِّهَا خِزْيٌ وَسُوءُ هَوَانِ
فأرادَ تَصْحِيحاً لَهَا إذْ لَمْ يَكُنْ نَقدُ الزيُوفِ يَرُوجُ فِي الأثْمَانِ
وَرَأى اسْتِحَالَة ذَا بِدُونِ الطَّعْنِ فِي بَاقِي النقُودِ فجَاءَ بالعُدْوانِ
واستغوضَ الثَّمنَ الصَّحِيح بجَهلِهِ وبظُلمِهِ يَبْغِيهِ بالبُهْتَانِ
عِوَجاً لِيَسْلَمَ نَقْدُهُ بَيْنَ الوَرَى وَيَرُوجُ فِيهِمْ كَامِلَ الأوْزَانِ
والنَّاسُ لَيْسُوا أهْلَ نَقْدٍ للذِي قَدْ قِيلَ إلا الفَرْدَ فِي الأزْمَانِ
والزَّيفُ بَيْنَهُمُ هُوَ النَّقْدُ الَّذِي قَدْ رَاجَ فِي الأسْفَار والبُلْدَانِ
إذْ هُمْ قَدِ اصْطَلحوا عَلَيْهِ وارْتَضَوْا بِجَوَازِهِ جَهْراً بِلاَ كِتْمَانِ

فَإِذَا أَتَاهُمْ غَيْرُهُ وَلَو انَّهُ   ذَهَبٌ مُصَفًّى خَالِصُ العِقْيَانِ

رَدُّوه واعْتَذَرُوا بِأَنَّ نُقُودَهُمْ   مِنْ غَيْرِهِ بِمَرَاسِمِ السُّلْطَانِ

فَإِذَا تَعَامَلْنَا بِنَقْدِ غَيْرِهِ   قُطِعَتْ جَوَامِكُنَا مِنَ الدِّيوَانِ

واللَّهِ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا وَلَمْ   نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ وَيْحَ ذِي البُهْتَانِ

يَا مَنْ تُرِيدُ تِجَارَةً تُنْجِيهِ مِنْ   غضبِ الإلٰهِ وموقدِ النِّيرانِ

وتُفِيدُهُ الأرْبَاحَ بِالجنَّاتِ والْـ   ـحورِ الحِسَانِ ورؤيةِ الرحمٰنِ

فِي جَنَّةٍ طَابتْ وَدَامَ نَعِيمُهَا   مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

هَيِّىءْ لَهَا ثَمناً يُبَاعُ بِمِثْلِهَا   لاَ تُشْتَرَى بِالزَّيفِ مِنْ أَثْمَانِ

نَقْداً عَلَيْهِ سِكَّةٌ نَبَوِيَّةٌ   ضَرْبُ المَدِينَةِ أشرَفِ البُلْدَانِ

أَظَنَنْتَ يَا مَغْرُورُ بَائِعَهَا الَّذِي   يَرْضَى بِنَقْدِ ضَرْبِ جَنْكِزْخَانِ

مَنَّتْكَ واللَّهِ المُحَالَ النفسُ أنْ   طَمِعَتْ بِذَا وَخُدِعْتَ بالشَّيْطَانِ

فَاسْمَعْ إذاً سَبَبَ الضَّلاَلِ ومَنْشأَ التْـ   ـتَخْلِيطِ إِذْ يَتَنَاظَرِ الخَصْمَانِ

يَحْتَجُّ بِاللَّفظِ المرَكَّبِ عَارِفٌ   مَضْمُونَهُ بِسِيَاقِهِ لِبَيَانِ

واللَّفظُ حِينَ يُسَاقُ بالتَّرْكِيبِ مَحْـ   ـفُوفٌ بِهِ لِلْفَهْمِ والتِّبْيَانِ

جُنْدٌ يُنَادَى بِالبَيَانِ عَلَيْهِ مِثْـ   ـلَ نِدَائِنَا بِإِقَامَةٍ وأَذَانِ

كَيْ يَحْصُلَ الإعْلاَمُ بالمقْصُود مِنْ   إيرادِهِ وَيَصِيرُ فِي الأذْهَانِ

فَيفُكُّ تركيبَ الكَلام مُعَانِدٌ   حَتَّى يُقَلْقِلَهُ مِنَ الأرْكَانِ

وَيَرُومُ مِنْهُ لَفْظَةً قَدْ حُمِّلَتْ   مَعْنًى سِوَاهَا فِي كَلاَمٍ ثَانِ

فَيَكُونُ دَبُّوسَ الشِّقَاقِ وَعُدَّةً   لِلدَّفعِ فِعْلَ الجَاهِلِ الفَتَّانِ

فيقُولُ هَذَا مُجْمَلٌ واللَّفظ مُحْـ   ـتَمَلٌ وَذَا مِنْ أعظَمِ البُهْتَانِ

وَبِذاكَ يَفْسُدُ كُلُّ عِلْمٍ فِي الوَرَى   وَالفَهْمُ مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرآنِ

إذْ أكثر الألْفَاظِ تَقْبَلُ ذَاكَ فِي الْـ   إفرَادِ قَبْلَ العَقْدِ والتِّبْيَانِ

لَكِنْ إِذَا مَا رُكِّبَتْ زَالَ الَّذِي   قَدْ كَانَ مُحْتَمَلاً لَدَى الوحْدَانِ

فَإِذَا تَجَرَّدَ كَانَ مُحْتَمِلاً لِغَيْـ   ـرِ مُرَادِهِ أو فِي كَلاَمٍ ثَانِ

لَكِنَّ ذَا التَّجْرِيدَ مُمْتَنِعٌ فإنْ   يُفْرَضْ يَكُنْ لا شَكَّ فِي الأذْهَانِ

والـمـفـرَدَاتُ بِـغَـيْـرِ تَـرْكِـيـبٍ كَـمِـثْـ ـلِ الـصَّـوْتِ تَـنْـعَـقُـهُ بِـتِـلْـكَ الـضَّـانِ
وَهُنَالِكَ الإِجْمَالُ والـتشْـكِـيـكُ والـتَّـ ـتَجْهِيلُ والتحْرِيفُ والإِتيَانُ بالبُطْلانِ
فَـإِذَا هُـمُ فَـعَـلُـوهُ رَامُـوا نَـقْـلَـهُ لِـمـركَّـبٍ قَـدْ حُـفَّ بِـالـتُّـبْـيَـانِ
وَقَضوْا عَلَى التَّرْكِيبِ بالحُكْمِ الَّذِي حَكَـمُـوا بِـهِ لِـلْـمـفْـرَدِ الـوَحْـدَانِـي
جَـهْـلاً وَتَـجْـهِـيـلاً وَتَـدْلِـيـسـاً وَتَـلْـ بِـيـسـاً وتَـرْوِيـجـاً عَـلَـى الـعُـمْـيَـانِ



فصلٌ

في بيانِ شُبه غلطهم في تجريدِ اللفظِ بغلطِ الفلاسفةِ في تجريدِ المعاني

هَـذَا هَـدَاكَ الـلَّـهُ مِـنْ إِضْـلاَلِـهِـمْ وَضَـلاَلِـهِـمْ فِـي مَـنْـطِـقِ الإِنْـسَـانِ
كَـمـجـرَدَاتٍ فِـي الـخَـيَـالِ وَقَـدْ بَـنَـى قَـوْمٌ عَـلَـيْـهَـا أَوْهَـنَ الـبُـنْـيَـانِ
ظَـنُّـوا بِـأَنَّ لَـهَـا وُجُـوداً خَـارِجـاً وَوُجُـودُهَـا لَـوْ صَحَّ فِـي الأَذْهَـانِ
أَنَّـى وتِـلْـكَ مُـشَـخَّـصَـاتٌ حُـصِّـلَـتْ فِـي صُـورةٍ جُـزْئِـيَّـةٍ بِـعِـيَـانِ
لَـكِـنَّـهَـا كُـلِّـيَّـةٌ إِنْ طَـابَـقَـتْ أَفْـرَادَهَـا كَـالـلَّـفْـظِ فِـي الـمِـيـزَانِ
يَـدْعُـونَـهُ الـكُـلِّـيَّ وَهْـوَ مُـعَـيَّـنٌ فَـرْدٌ كَـذَا الـمـعْـنَـى هُـمَـا سِـيَّـانِ
مُـتَـجَـرِّداً فِـي الـذهْـنِ أَوْ فِـي خَـارِجٍ عَـنْ كُـلِّ قَـيْـدٍ لَـيْـسَ فِـي الإِمْـكَـانِ
لاَ الـذِّهْـنُ يَـعْـقِـلُـهُ وَلاَ هُـوَ خَـارِجٌ هُـوَ كَـالـخَـيَـالِ لَـطِـيـفِـهِ الـسَّـكْـرانِ
لَـكِـنْ تَـجَـرُّدُهَـا الـمـقَـيَّـدُ ثَـابِـتٌ وَسِـواه مُـمْـتَـنِـعٌ بِـلاَ إِمْـكَـانِ
فَـتَـجَـرُّدُ الأَعْـيَـانِ عَـنْ وَصْـفٍ وَعَـنْ وَضْـعٍ وَعَـنْ وَقْـتٍ لَـهَـا وَمَـكَـانِ
فَـرْضٌ مِـنَ الأَذهَـانِ يَـفْـرِضُـه كَـفَـرْ ضِ الـمُـسْـتَـحِـيـلِ هُـمَـا لَـهَـا فَـرْضَـانِ
الـلَّـه أكـبـرُ كَـمْ دَهَـى مِـنْ فَـاضِـلٍ هَـذَا الـتَّـجَـرُّدُ مِـنْ قَـدِيـمِ زَمَـانِ
تَـجْـرِيـدُ ذِي الأَلـفَـاظِ عَـنْ تَـرْكِـيـبِـهَـا وَكَـذَاكَ تَـجْـرِيـدُ الـمـعَـانِـي الـثَّـانِـي
والـحَـقُّ أَنَّ كِـلَـيْـهِـمَـا فِـي الـذِّهْـنِ مَـفْـ رُوضٌ فلا تَحْكُمْ عَلَيْهِ وَهْوَ فِي الأَذْهَانِ
فَـيـقُـودُكَ الـخَـصْـمُ الـمـعَـانِـدُ بِـالَّـذِي سَـلَّـمْـتَـهُ لِـلـحُـكْـمِ فِـي الأَعْـيَـانِ

فَعلَيْكَ بالتَّفصِيل إنْ هـمْ أطلقُوا ... أَوْ أجْـمـلُـوا فَـعَـلَـيْـكَ بـالـتِّـبـيَـانِ



فصلٌ

في بيانِ تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب

وتَـمَـسَّـكُـوا بـظَـوَاهِـرِ الـمـنـقُـولِ عَـنْ ... أَشْـيَـاخِـهِـمْ كَـتَـمَـسُّـكِ الـعُـمـيـانِ

وَأبَـوْا بـأنْ يـتَـمسَّكُـوا بظَـواهِـرِ الـنَّـ ... ـصَّـيْـنِ وَا عَـجَـبـاً مِـنَ الـخُـذْلاَنِ

قَــوْلُ الــشّــيــوخِ مُــحَــرَّمٌ تــأويــلُــهُ ... إذ قَـصْـدُهُـمْ لِـلـشَّـرْحِ والـتِّـبـيـانِ

فَـإِذَا تَـأَوَّلْـنَـا عَـلَـيْـهِـمْ كَـانَ إبْـ ... طـالاً لِـمَـا رَامُـوا بِـلاَ بُـرْهَـانِ

فَـعَـلَـى ظَـوَاهِـرِهَـا تَـمُـرُّ نُـصُـوصُـهُـمْ ... وَعَـلَـى الـحَـقِـيـقَـةِ حَـمْـلُـهَـا لِـبَـيَـانِ

يَا لَيْتَهُمْ أجْرَوْا نُصوصَ الوَحْيِ ذَا الـ ... ـمَـجْـرَى مِـنَ الآثَـارِ والـقُـرآنِ

بَـلْ عِـنْـدَهُـمْ تِـلْـكَ الـنُّـصُـوصُ ظَـواهِـرٌ ... لَـفْـظِـيَّـةٌ عُـزِلَـتْ عَـنِ الإيـقَـانِ

لَـمْ تُـغْـنِ شَـيْـئـاً طَـالِـبَ الـحـقِّ الـذِي ... يَـبْـغِـي الـدَّلِـيـلَ ومُـقْـتَـضَـى الـقُـرْآنِ

فَـانْـظُـرْ إِلَـى الأَعْـرَافِ ثُـمَّ لِـيُـوسُـفٍ ... والـكَـهْـفِ وَافْـهَـمْ مُـقْـتَـضَـىٰ الـقُـرآنِ

وَسَطَوْا عَلَى الوَحْيَينِ بالتحريفِ إذْ ... سَـمَّـوْهُ تَـأوِيـلاً بـوضْـعٍ ثَـانِ

فَـإِذا مَـرَرْتَ بـآلِ عِـمْـرانٍ فَـهِـمْـ ... ـتَ الـقَـصْـدَ فَـهْـمَ مُـوفَّـقٍ رَبَّـانِـي

وَعَـلِـمْـتَ أنَّ حَـقِـيـقَـةَ الـتـأويـل تَـبْـ ... ـيِـينُ الـحَـقِـيـقَـةِ لاَ الـمـجـازُ الـثَّـانِـي

وَرَأيْـتَ تـأويـلَ الـنُّـفَـاةِ مُـخَـالِـفـاً ... لِـجـمِـيـع هَـذَا لَـيْـس يَـجْـتَـمِـعَـانِ

الـلَّـفْـظُ هُـمْ أنـشَـوْا لَـهُ مَـعْـنـىً بِـذَا ... كَ الاصْـطِـلاَحِ وَذاكَ أمْـرٌ دَانِ

وَأتَـوْا إلَى الإلْـحَـاد فِي الأَسْـمَاء والتَّـ ... ـحْـرِيـفِ لـلألْـفَـاظِ بـالـبُـهْـتَـانِ

فَـكَـسَـوْهُ هَـذَا الـلَّـفْـظَ تَـلْـبِـيـسـاً وَتَـدْ ... لِـيـسـاً عَـلَـى الـعُـمْـيـانِ والـعُـورَانِ

فَـاسْـتَـنَّ كُـلُّ مُـنَـافِـقٍ ومـكَـذِّبٍ ... مِـنْ بَـاطِـنِـيٍّ قُـرْمُـطِـيٍّ جَـانِ

فِـي ذَا بِـسُـنَّـتِـهِـمْ وَسَـمَّـىٰ جَـحْـدَهُ ... لِـلْـحَـقِّ تـأويـلاً بِـلاَ فُـرقَـانِ

وأتَـى بِـتَـأويـلٍ كـتـأويـلاتِـهِـمْ ... شِـبْـراً بِـشِـبْـرٍ صَـارِخـاً بـأذَانِ

إنَّا تأوَّلنا كما أوَّلتُمُ فأْتُوا نُحاكِمْكُم إلى الوزَّانِ
في الكِفَّتينِ نَحُطُّ تأويلاتِنا وكذاكَ تأويلاتِكم بِوزانِ
هذا وقد أقررتُمُ أنَّا بأيْـ ـدينا صريحُ العَدْلِ والميزانِ
وغدوتُمُ فيه تلاميذاً لنا أوَ ليس ذلك منطقَ اليونانِ
منَّا تعلَّمتُم ونحنُ شيوخُكم لا تجحدونا مِنَّةَ الإحسانِ
فسَلُوا مباحِثَكُم سؤالَ تفهُّمٍ وسَلُوا القواعِدَ ربَّةَ الأركانِ
مِن أينَ جاءتكم وأينَ أصولُها وعلى يدَيْ مَنْ يا أولي النُّكرانِ
فلأيِّ شيءٍ نحنُ كُفَّارٌ وأنـ ـتُمْ مؤمنونَ ونحنُ مُتَّفِقانِ
إنَّ النُّصوصَ أدلَّةٌ لفظيَّةٌ لَمْ تُقْضِ قطُّ بِنا إلى إيقانِ
فلِذاكَ حكَّمْنا العقولَ وأنتُمُ أيضاً كذاكَ فنحنُ مُصطلِحانِ
فلأيِّ شيءٍ قد رميتُم بيننا حَرْبَ الحُروبِ ونحنُ كالأخْوانِ
الأصلُ معقولٌ ولفظُ الوحيِ معـ ـزُولٌ ونحنُ وأنتُمُ صِنْوانِ
لا بالنُّصوصِ نقولُ نحنُ وأنتُمُ أيضاً كذاكَ فنحنُ مُصطلِحانِ
فذَرُوا عداوتَنا فإنَّ وراءَنا ذاكَ العدُوَّ الثِّقلَ ذي الأضغانِ
فهُمُ عدوُّكُمُ وهُم أعداؤنا فجميعُنا في حربِهم سِيَّانِ
تِلْكَ المجسِّمَةُ الأُلى قالوا بأنـ ـنَ اللهَ فوقَ جميعِ ذي الأكوانِ
وإليهِ يصعَدُ قولُنا وفِعالُنا وإليهِ ترقَى روحُ ذي الإيمانِ
وإليهِ قد عرجَ الرسولُ حقيقةً وكذا ابنُ مريمَ مُصعَدَ الأبدانِ
وكذاكَ قالوا إنه بالذاتِ فَوْ قَ العرشِ قُدرتُهُ بكلِّ مكانِ
وكذاكَ ينزِلُ كلَّ آخرِ ليلةٍ نحوَ السَّماءِ فها هُنا جِهَتانِ
للابتداءِ والانتهاءِ وذانِ لِلْـ أجسامِ أينَ اللهُ مِن هذانِ
وكذاكَ قالوا إنه متكلِّمٌ قامَ الكلامُ بِهِ فيا إخوانِ
أيكونُ ذاكَ بغيرِ حرفٍ أم بلا صوتٍ فهذا ليسَ في الإمكانِ
وكذاكَ قالوا ما حكينا عنهُمُ مِن قبلُ قولَ مُشبِّهِ الرحمنِ
فذروا الحِرابَ لنا وشُدُّوا كُلُّنا جَمْعاً عليهِم حملةَ الفُرسانِ

حَتَّى نَسُوقَهُمُ بأَجْمَعِنَا إلَى وَسْطِ العَرِينِ مُمزِّقِي اللُّحْمَانِ
فَلقَدْ كَوَوْنَا بالنُّصُوصِ ومَا لَنَا بِلِقَائِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ
كَمْ ذَا يُقَالُ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ مِنْ فَوق أعناقٍ لَنَا وَبنَانِ
إذْ نَحْنُ قُلْنَا قَالَ آرسْطُو المعلِّـ ـلِمُ أوَّلاً أَوْ قَالَ ذَاكَ الثَّانِي
وَكَذاكَ إنْ قُلْنَا ابنُ سِينَا قَالَ ذَا أَوْ قَالَهُ الرَّازِيُّ ذُو التِّبْيَانِ
قَالُوا لَنَا قَالَ الرَّسُولُ وَقالَ فِي الـ ـقُرآنِ كَيفَ الدَّفْعُ لِلْقُرآنِ
وَكَذَاكَ أنْتُمْ مِنْهُمُ أيضاً بِهَـ ـذَا المنْزِلِ الضَّنْكِ الَّذِي تَرَيَانِ
إنْ جِئْتُمُوهُمْ بالعُقُولِ أَتَوْكُمُ بالنَّصِّ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرآنِ
فَتَحَالَفُوا إنَّا عَلَيْهِمْ كُلَّنَا حَزبٌ وَنَحْنُ وأنْتُمُ سِلْمانِ
فَإذا فَرَغْنَا مِنْهُمُ فَخِلافُنَا سَهْلٌ فَنَحْنُ وأنْتُمُ أَخَوَانِ
فَالعَرْشُ عِنْد فَرِيقنَا وَفرِيقِكُم مَا فَوْقَه أَحَدٌ بِلا كِتْمانِ
مَا فَوْقَهُ شَيءٌ سِوَى الْعَدَمِ الَّذِي لاَ شَيءَ فِي الأعْيَانِ والأذْهَانِ
مَا اللَّهُ مَوْجُودٌ هُنَاكَ وإنمَا الـ ـعدَمُ المُحَقَّقُ فَوقَ ذِي الأكْوَانِ
واللَّهُ مَعْدُومٌ هُنَاكَ حَقِيقَةً بالذَّاتِ عَكْسَ مَقَالَةِ الدِّيصَانِ
هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عَنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ وَحَقِيقَةُ العِرْفَانِ
وكَذَا جَمَاعَتُنَا عَلَى التَّحْقِيقِ فِي التَّـ ـوراةِ والإنْجِيلِ والفُرْقَانِ
لَيْسَتْ كَلاَمَ اللَّهِ بَلْ فَيْضٌ مِنَ الـ فَعَّالِ أوْ خَلْقٌ مِنَ الأكْوَانِ
فَالأَرْضُ مَا فيها لَهُ قَوْلٌ وَلاَ فَوْقَ السَّمَا لِلْخَلْقِ مِنْ ديَّانِ
بَشَرٌ أَتَى بالوَحْي وَهوَ كَلاَمُهُ فِي ذَاكَ نَحْنُ وأنْتُمُ مِثْلاَنِ
وَلِذَاكَ قُلْنَا إنَّ رُؤيَتَنَا لَهُ عَيْنُ المحالِ وَلَيْسَ فِي الإمْكَانِ
وَزَعَمْتُمُ أنَّا نَرَاهُ رُؤيَةَ الـ ـمَعْدُوم لاَ المَوْجُودِ فِي البُرْهَانِ
إذْ كُلُّ مَرْئيٍّ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ لاَ بُدَّ فِي البُرْهَانِ
مِنْ أَنْ يُقَابِلَ مَنْ يَرَاهُ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ مُفْرِطٍ وَتَدَانِ
وَلَقَدْ تَسَاعَدْنَا عَلَى إبْطَال ذَا أنتمْ وَنَحْنُ فَمَا هُنَا قَوْلاَنِ
أمَّا البَلِيَّةُ فَهْيَ قَوْلُ مُجَسِّمٍ قَالَ القُرَانُ بَدَا مِنَ الرَّحْمٰنِ

هُوَ قَوْلُهُ وكَلاَمُهُ مِنْهُ بَدَا لَفْظاً وَمَعْنىً لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
سَمِعَ الأمِينُ كَلاَمَهُ مِنْهُ وأدْ دَاهُ إلَى المُخْتَارِ مِنْ إنْسَانِ
فَلَهُ الأدَاءُ كَمَا الأدَا لِرَسُولِهِ وَالْقَولُ قولُ اللَّهِ ذِي السُّلْطَانِ
هَذَا الَّذِي قُلْنَا وَأنْتُمْ إنَّهُ عَيْنُ المحَالِ وَذَاكَ ذُو بُطْلاَنِ
فَإذَا تَسَاعَدْنَا جَمِيعاً أنَّهُ مَا بَيْنَنَا لِلَّهِ مِنْ قُرآنِ
إلاَّ كَبَيْتِ اللَّه تِلْكَ إضَافَةُ الْـ مَخْلُوقِ لاَ الأوْصَافُ لِلدَّيَّانِ
فَعَلاَمَ هَذَا الحَرْبُ فِيمَا بَيْنَنا مَعَ ذَا الوِفَاقِ وَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ
فَإذَا أبَيْتُمْ سِلْمَنَا فَتَحَيَّزوا لِمَقَالةِ التَّجْسِيم بالإذْعَانِ
عُودوا مُجَسِّمَةً وقُولُوا دِينُنَا الْـ إثْبَاتُ دِينُ مُشَبِّهِ الدَّيَّانِ
أوْ لاَ فَلاَ مِنَّا وَلاَ مِنْهُمْ وَذَا شَأنُ المنَافِقِ إذْ لَهُ وَجْهَانِ
هَذَا يَقُولُ مُجَسِّمٌ وَخُصُومهُ تَرْمِيهِ بالتَّعْطِيلِ والكُفْرَانِ
هُوَ قَائِمٌ هُوَ قَاعِدٌ هُوَ جَاحِدٌ هُوَ مُثْبِتٌ تَلْقَاهُ ذَا ألْوَانِ
يَوْماً بتَأويلٍ يَقُولُ وتَارَةً يَسْطُو عَلَى التَّأوِيلِ بالنُّكْرانِ

❋ ❋ ❋



فصلٌ

في المطالبةِ بالفرقِ بينَ ما يُتأوَّلُ ومَا لاَ يُتأوَّلُ

فَنَقُولُ فَرْقٌ بَيْنَ مَا أوَّلْتَهُ وَمَنَعْتَهُ تَفْرِيقَ ذِي بُرْهَانِ
فيقُولُ مَا يُفْضِي إلَى التَّجْسِيم أوْ لْنَاهُ مِنْ خَبَرٍ ومِنْ قُرآنِ
كالإسْتِوَاءِ مَعَ التَكَلُّم هَكَذَا لَفْظُ النُّزُولِ كَذَاكَ لَفْظُ يَدَانِ
إذْ هَذِهِ أوْصَافُ جِسْم مُحْدَثٍ لاَ يَنْبَغِي لِلْوَاحِدِ المنَّانِ
فَنَقُولُ أنْتَ وَصَفْتَهُ أيْضاً بِمَا يُفْضِي إلَى التَّجْسِيم والحِدْثَانِ
فَوَصَفْتَهُ بالسَّمْعِ والإبْصَار مَعْ نَفْسِ الحَيَاةِ وعِلْم ذِي الأكْوانِ
ووَصَفْتَهُ بِمَشِيئَةٍ مَعَ قُدْرَةٍ وَكَلاَمِهِ النَّفْسِيِّ وَهْوَ مَعَانِ
أوْ وَاحِدٌ والجِسْمُ حَامِلُ هَذِهِ الْـ أوْصَافِ حَقّاً فَأْتِ بالفُرْقَانِ

بَيْنَ الَّذِي يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ لاَ يَقْتَضِيهِ بِوَاضِحِ البُرْهَانِ
واللّه لوْ نُشِرَتْ شُيُوخُكَ كُلُّهُمْ لمْ يَقْدِروا أبداً على الفُرْقَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في ذكرِ فرق لهمْ آخرَ وبيانِ بطلانِهِ

فَلِذَاكَ قَالَ زَعِيمُهُمْ فِي نَفْسِهِ فَرْقاً سِوَى هَذَا الَّذِي تَرَيَانِ
هَذِي الصِّفَاتُ عُقُولُنَا دَلَّتْ عَلَى إِثْبَاتِهَا مَعْ ظَاهِرِ القُرآنِ
فَلِذَاكَ صُنَّاهَا عَنِ التَّأْويلِ فَاعْـ جَبْ يَا أَخَا التَّحْقِيقِ والعِرْفَانِ
كَيْفَ اعْتِرافُ القَومِ أَنَّ عُقُولَهُمْ دَلَّتْ عَلَى التَّجْسِيمِ بالبُرْهانِ
فَيُقَال هَلْ فِي العَقْلِ تَجْسيمٌ أَمِ الـ معقُولُ نَنْفِيهِ كَذَا النُّقْصَانِ
إنْ قُلْتُمُ نَنْفِيهِ فَانْفُوا هَذِهِ الْـ أَوْصَافَ وانْسَلِخُوا مِنَ القُرْآنِ
أَمْ قُلْتُمُ نَقْضِي بإِثْبَاتٍ لَهُ فَفِرَارُكُمْ مِنْهَا لأيِّ مَعَانِ
أو قُلْتُمُ نَنْفِيه فِي وصْفٍ وَلاَ نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ بِلاَ بُرْهَانِ
فَيُقَالُ مَا الفُرْقَانُ بَيْنَهُمَا وَمَا الـ بُرْهَانُ فَأْتُوا الآنَ بالفُرْقَانِ
وَيُقَالُ قَدْ شَهِد العِيَانُ بأنَّه ذُو حِكْمَةٍ وَعِنَايَةٍ وَحَنَانِ
مَعْ رَأْفَةٍ وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ أَهْلِ الوَفَاءِ وتَابِعي القُرْآنِ
وَلِذَاكَ خُصُّوا بالكَرامَةِ دونَ أَعْـ ـدَاء الإِلـٰهِ وَشِيعَةِ الكُفْرانِ
وَهْوَ الدَّلِيلُ لَنَا عَلَى غَضَبٍ وبُغْـ ـضٍ مِنْهُ مَعْ مَقْتٍ لِذِي العِصْيَانِ
والنَّصُّ جَاءَ بِهَذِهِ الأَوْصَافِ مَعْ مِثْلِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ فِي القُرْآنِ
وَيُقَالُ سَلَّمْنَا بأَنَّ العَقْلَ لا يُفْضِي إِلَيْهَا فَهْيَ فِي الفُرْقَانِ
أَفَنَفْيُ آحَادِ الدَّلِيلِ يَكُونُ للـ ـمَدْلُولِ نَفْياً يَا أولي العِرْفَانِ
أَوْ نَفْيُ مُطْلَقِهِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَا الـ ـمَدْلُولِ فِي عَقْلٍ وَفِي قُرآنِ
أفبَعْدَ ذَا الإِنْصَافِ وَيحَكُمُو سِوَى مَحْضِ العِنَادِ ونَخوةِ الشَّيْطَانِ
وتحَيُّزٍ مِنْكُمْ إِلَيْهِمْ لاَ إِلَى الـ ـقُرْآنِ والآثَارِ والإِيمَانِ

فصلٌ

في بيان مخالفةِ طريقهمْ لطريقِ أهلِ الاستقامةِ عقلاً ونقلاً

وَاعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَهُمْ عَكْس الطَّرِيـ ـقِ المُسْتَقِيمِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
جَعَلُوا كَلاَمَ شُيُوخِهِمْ نَصّاً لَهُ الْـ إِحْكَامُ مَوْزُوناً بِهِ النَّصَّانِ
وَكَلاَمَ بَارِيهِمْ وَقَوْلَ رَسُولِهِمْ مُتَشَابِهاً مُتَحَمِّلاً لِمَعَانِ
فَتولَّدَتْ مِنْ ذَيْنِكَ الأَصْلَيْنِ أَوْ لاَدٌ أَتتْ لِلْغَيِّ والبُهْتَانِ
إِذْ مِنْ سِفَاحٍ لاَ نِكَاحٍ كَوْنُهَا بِئْسَ الوَلِيدُ وَبِئْسَتِ الأَبَوَانِ
عَرَضُوا النُّصُوصَ عَلَى كَلاَمِ شُيوخِهِمْ فكَأَنَّهَا جَيْشٌ لِذِي سُلْطَانِ
والعَزْلُ والإِبْقَاءُ مَرْجِعُهُ إلى السُّـ ـلْطَانِ دُونَ رَعِيَّةِ السُّلْطَانِ
وَكَذَاكَ أَقوالُ الشُّيُوخِ فإِنَّهَا الْـ ـمِيزَانُ دُونَ النصِّ والقُرْآنِ
إنْ وَافَقَا قَوْلَ الشُّيوخِ فَمَرْحَباً أَوْ خَالَفَتْ فالدَّفْعُ بالإِحْسَانِ
إِمَّا بِتأْويلٍ فإنْ أَعْيَا فَتَفْـ ـويضٌ ونَتْرُكُهَا لِقَوْلِ فُلاَنِ
إِذْ قَوْلُهُ نَصٌّ لَدَيْنَا مُحْكَمٌ فَظَوَاهِرُ الْمنقُولِ ذَاتُ مَعَانِ
وَالنَّصُّ فَهْوَ بِهِ عَلِيمٌ دُونَنَا وَبِحَالِهِ مَا حِيلَةُ العُمْيَانِ
إلاَّ تَمَسُّكهُمْ بأيْدِي مُبْصِرٍ حَتَّى يَقُودَهُمُ كَذِي الأَرْسَانِ
فاعْجَبْ لِعُمْيَانِ البَصَائرِ أَبْصَرُوا كَوْنَ المقَلِّدِ صَاحِبَ البُرْهَانِ
وَرَأَوْهُ بالتَّقْلِيدِ أَوْلَى مِنْ سِوَا هُ بِغَيْرِ مَا بَصَرٍ وَلاَ بُرْهَانِ
وَعَمُوا عَنِ الوَحْيَيْنِ إِذْ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَاهُمَا عَجَباً لِذِي الحِرْمَانِ
قَوْلُ الشُّيُوخِ أَتَمُّ تِبْيَاناً مِنَ الْـ ـوَحْيَيْنِ لاَ وَالْوَاحِدِ الرَّحْمٰنِ
النَّقْلُ نَقْلٌ صَادِقٌ والقَوْلُ مِنْ ذِي عِصْمَةٍ فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ
وَسَوَاهُ إِمَّا كَاذِبٌ أَوْ صَحَّ لَمْ يَكُ قَوْلَ مَعْصُوم وَذِي تِبْيَانِ
أَفَيَسْتَوِي النَّقْلاَنِ يَا أَهْلَ النُّهَى واللَّهِ لاَ يَتَمَاثَلُ النَّقْلاَنِ
هَذَا الَّذِي أَلْقَى العَدَاوَةَ بَيْنَنَا فِي اللَّه نَحْنُ لأَجْلِهِ خَصْمَانِ

نَصَرُوا الضَّلاَلَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأيِهِمْ   لَكِنْ نَصَرْنَا مُوجِبَ القُرْآنِ

وَلَنَا سُلُوكٌ ضِدَّ مَسْلَكِهِمْ فَمَا   رَجُلاَنِ مِنَّا قَطُّ يَلْتَقِيَانِ

إنَّا أَبَيْنَا أَنْ نَدِينَ بِمَا بِهِ   دَانُوا مِنَ الآرَاءِ وَالبُهْتَانِ

إنَّا عَزَلْنَاهَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِهَا   يَكْفِي الرَّسُولُ وَمُحْكَمُ الفُرْقَانِ

مَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ ذاكَ فَلا كَفَا   هُ اللَّهُ شَرَّ حَوَادِثِ الأَزْمَانِ

مَنْ لَمْ يَكُنْ يَشْفِيهِ ذَاكَ فَلاَ شَفَا   هُ اللَّهُ فِي قَلْبٍ وَلاَ أَبْدَانِ

مَنْ لَمْ يَكُنْ يُغْنِيهِ ذَاكَ رَمَاهُ رَبْـ   ـبُ العَرْشِ بِالإعْدَامِ والحِرْمَانِ

مَنْ لَمْ يَكُنْ يَهْدِيهِ ذَاكَ فَلاَ هَدَا   هُ اللَّهُ سُبْلَ الحَقِّ والإِيمَانِ

إنَّ الكَلاَمَ مَعَ الكِبَارِ وَلَيْسَ مَعْ   تِلْكَ الأراذِلِ سِفْلَةِ الحَيَوانِ

أَوْسَاخِ هَذَا الخَلْقِ بَلْ أَنْتَانِهِ   جِيَفِ الوُجُودِ وَأَخْبَثِ الإنسَانِ

الطَّالِبِينَ دِمَاءَ أَهْلِ العِلْمِ بِالْـ   ـكُفْرَانِ والعُدْوَانِ والبُهْتَانِ

الشَّاتِمِي أَهْلِ الحَدِيثِ عَدَاوَةً   لِلسُّنَّةِ العُلْيَا مَعَ القُرْآنِ

جَعَلُوا مَسَبَّتَهُمْ طَعَامَ حُلُوقِهِمْ   فَاللَّهُ يَقْطَعُهَا مِنَ الأَذْقَانِ

كِبراً وإعْجَاباً وَتِيهاً زَائِداً   وتَجَاوُزاً لِمَرَاتِبِ الإِنْسَانِ

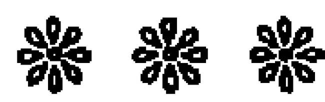
لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وَرَاءِ كِفَايَةٍ   كُنَّا حَمَلْنَا رَايَةَ الشُّكْرَانِ

لَكِنَّهُ مِنْ خَلْفِ كُلِّ تَخَلُّفٍ   عَنْ رُتْبَةِ الإِيمَانِ والإِحْسَانِ

مَنْ لِي بِشِبْهِ خَوَارِجٍ قَدْ كَفَّرُوا   بِالذَّنْبِ تَأْوِيلاً بِلاَ إحْسَانِ

وَلَهُمْ نُصُوصٌ قَصَّروا فِي فَهْمِهَا   فَأَتَوْا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي العِرْفَانِ

وَخُصُومُنَا قَدْ كَفَّرونَا بِالَّذِي   هُوَ غَايَةُ التَّوْحِيدِ والإيمَانِ



فصلٌ

في بيانِ كذبِهم ورمْيِهم أهلَ الحقِّ بأنَّهم أشباهُ الخَوارجِ وبيانِ شبهِهِمْ المحقَّق بالخوارجِ

وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمَنْ   قَدْ دَانَ بِالآثَارِ وَالقُرْآنِ

أَنــتُــمْ بِــذَا مِــثْــلُ الــخَــوَارِجِ إِنَّــهُــمْ أَخَذُوا الظَّوَاهِرَ مَا اهْتَدُوْا لِمعَانِ
فَانْظُرْ إلى ذا البُهْتِ هَذَا وَصْفُهُمْ نَسَبُوا إِلَيْهِ شِيعَةَ الإِيمَانِ
سَلُّوا عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ وَحِزْبِهِ سَيْفَيْنِ سَيْفَ يَدٍ وَسَيْفَ لِسَانِ
خَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا خَرَجَ الأُلَى مِنْ قَبْلِهِمْ بِالبَغْيِ والعُدوَانِ
واللَّهِ مَا كَانَ الخَوارِجُ هَكَذَا وَهُمُ البُغَاةُ أَئِمَّةُ الطُّغْيَانِ
كَفَّرْتُمُ أَصْحَابَ سُنَّتِهِ وَهُمْ فُسَّاقُ مِلَّتِهِ فَمَنْ يِلْحَانِي
إِنْ قُلْتُ هُمْ خَيْرٌ وأَهْدَى مِنْكُمُ واللَّهِ مَا الفِئَتَانِ مُسْتَوِيَانِ
شَتَّانَ بَيْنَ مُكَفِّرٍ بِالسُّنَّةِ الـ عُلْيَا وَبَيْنَ مُكَفِّرِ العِصْيَانِ
قُلْتُمْ تَأَوَّلْنَا كَذَاكَ تَأَوَّلُوا وَكِلاَكُمَا فِئَتَانِ بَاغِيَتَانِ
وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ التَّعْطِيلِ والتَّـ ـحْرِيفِ والتَّبْدِيلِ والبُهتَانِ
وَلَهُمْ عَلَيْكُمْ مِيزَةُ الإِثْبَاتِ والتَّـ ـصْدِيقِ مَعْ خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ
أَلَكُمْ عَلَى تَأوِيلِكُمْ أَجْرَانِ إِذْ لَهُمُ عَلَى تَأوِيلِهِمْ وِزْرَانِ
حَاشَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ ذَا الحُكْمِ بَلْ أَنْتُمْ وَهُمْ فِي حُكْمِهِ سِيَّانِ
وَكِلاَكُمَا لِلنَّصِّ فَهْوَ مُخَالِفٌ هَذَا وَبَيْنَكُمَا مِنَ الفُرْقَانِ
هُمْ خَالَفُوا نَصّاً لِنَصٍّ مِثْلِهِ لَمْ يَفْهَمُوا التَّوْفِيقَ بِالإِحْسَانِ
لَكِنَّكُمْ خَالَفْتُمُ المنْصُوصَ لِلشُّـ ـبَهِ الَّتِي هِيَ فِكْرَةُ الأَذْهَانِ
فَلأَيِّ شَيءٍ أَنْتُمُ خَيْرٌ وأَقْـ ـرَبُ مِنْهُمُ لِلْحَقِّ وَالإِيمَانِ
هُمْ قَدَّمُوا المفْهُومَ مِنْ لَفْظِ الكِتَا بِ عَلَى الحَدِيثِ الموجِبِ التِّبْيَانِ
لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمُو رَأْيَ الرِّجَا لِ عَلَيْهِمَا أَفَأَنْتُمَا عِدْلاَنِ
أَمْ هُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ أَقْرَبُ مِنْكُمُ لاَحَ الصَّبَاحُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
واللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الجَزَا بِالعَدْلِ والإِنْصَافِ والمِيزَانِ
هَذَا وَنَحْنُ فَمِنْهُمُ بَلْ مِنْكُمُ بُرَآءُ إِلاَّ مِنْ هُدىً وَبَيَانِ
فَاسْمَعْ إِذاً قَوْلَ الخَوَارِجِ ثُمَّ قَوْ لَ خُصُومِنَا واحْكُمْ بِلاَ مَيَلانِ
مَنْ ذَا الذِي مِنَّا إِذاً أَشْبَاهُهُمْ إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَذَا عِرْفَانِ
قَالَ الخَوَارِجُ لِلرسُول اعْدِلْ فَلَمْ تَعْدِلْ وما ذِي قِسْمَةُ الدَّيَّانِ

وَكَذَلِكَ الجَهْمِيُّ قَالَ نَظِيرَ ذَا   لَكِنَّه قَدْ زَادَ فِي الطُّغْيَانِ
قَالَ الصَّوَابُ بِأَنَّهُ اسْتَوْلَى فَلِمْ   قُلْتَ اسْتَوَى وَعَدَلْتَ عَنْ تِبْيَانِ
وَكَذَاكَ يَنْزِلُ أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ   لِمَ قُلْتَ يَنْزِلُ صَاحِبُ الغُفْرَانِ
مَاذَا بِعَدْلٍ فِي العِبَارَةِ وَهْيَ مُو   هِمَةُ التَّحَرُّكِ وانْتِقَالِ مَكَانِ
وَكَذَاكَ قلتَ بِأَنَّ رَبَّكَ فِي السَّمَا   أَوْهَمْتَ حَيِّزَ خَالِقِ الأَكْوَانِ
كَانَ الصَّوَابُ بِأَنْ يُقَالَ بِأَنَّهُ   فَوْقَ السَّمَا سُلْطَانُ ذِي السُّلْطَانِ
وَكَذَاكَ قُلْتَ إِلَيْهِ يَعْرُجُ والصَّوَا   بُ إِلَى كَرَامَةِ رَبِّنَا المَنَّانِ
وَكَذَاكَ قُلتَ بِأَنَّ مِنْهُ يَنْزِلُ الـ   قُرْآنُ تَنْزِيلاً مِنَ الرَّحْمٰنِ
كَانَ الصَّوَابُ بِأَنْ يُقَالَ نزولُهُ   مِنْ لَوْحِهِ أَوْ مِنْ مَحَلٍّ ثَانِ
وَتَقُولُ أَيْنَ اللَّهُ ذَاكَ الأَيْنُ مُمـ   ـتَنِعٌ عَلَيْه وَلَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
لَوْ قلتَ مَنْ كَانَ الصَّوابَ كَمَا ترى   فِي القَبْرِ يَسْأل ذَلكَ المَلَكَانِ
وَتَقُولُ أَللَّهُمَّ أَنْتَ الشَّاهِدُ الـ   أَعْلَى تُشِيرُ بِأَصْبُعٍ وَبَنَانِ
نَحْوَ السَّمَاءِ وَمَا إِشَارَتُنَا لَهُ   حِسِّيَّةٌ بَلْ تِلْكَ فِي الأَذْهَانِ
وَاللَّهِ مَا نَدْرِي الَّذِي نُبْدِيه في   هَذَا مِنَ التَّأويلِ لِلإِخْوَانِ
قُلْنَا لَهُم إنَّ السَّما هِي قِبْلَةُ الدَّا   عِي كَبَيْتِ اللَّهِ ذِي الأَرْكَانِ
قَالوا لَنَا هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ   فَوْق السَّما بِأَوْضَحِ البُرْهَانِ
فَالنَّاسُ طُرّاً إِنَّمَا يَدْعُونَهُ   مِنْ فَوْق هَذِي فِطْرَةُ الرَّحْمٰنِ
لاَ يَسْأَلُونَ القِبْلَةَ العُلْيَا وَلَـ   ـكِنْ يَسْأَلُونَ الرَّبَّ ذَا الإِحْسَانِ
قَالُوا وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ إِلَى   غَيْرِ الشَّهِيدِ مُنَزِّلِ الفُرقَانِ
أَتُرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَا مُسْتَشْهِداً   حَاشَاهُ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي البُهْتَانِ
وَكَذَاكَ قُلْتَ بِأَنَّه مُتَكَلِّمٌ   وَكَلاَمُهُ المَسْمُوعُ بِالآذانِ
نَادَى الكَلِيمَ بِنفْسِهِ وَكَذَاكَ قَدْ   سَمِعَ النِّدَا فِي الجَنَّةِ الأَبَوَانِ
وَكَذَا يُنَادِي الخَلْقَ يَوْمَ مَعَادِهِمْ   بِالصَّوْتِ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلانِ
إني أَنَا الدَّيَّانُ آخُذُ حَقَّ مَظْـ   ـلُوم مِنَ العَبْدِ الظَّلُومِ الجَانِي
وتَقُولُ إنَّ اللَّه قالَ وَقَائِلٌ   وَكَذَا يَقُولُ وَلَيْسَ فِي الإِمْكَانِ

قَـوْلٌ بِـلاَ حَـرْفٍ وَلاَ صَـوْتٍ يُـرَى مِـن غَـيْـرِ مَـا شَـفَـةٍ وَغَـيْـرِ لِـسَـانِ
أَوْقَعْتَ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ مَنْ لَمْ يَنْفِ مَا قَدْ قُلْتَ فِي الرَّحْمٰنِ
لَوْ لَمْ تَقُلْ فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَمْ تُشِرْ بِـإِشَـارَةٍ حِـسِّـيَّـةٍ بِـبَـنَـانِ
وَسَكَتَّ عَنْ تِلْكَ الأحَادِيثِ الَّتِي قَـدْ صَـرَّحَـتْ بِـالـفَـوْقِ لِـلـدَّيَّـانِ
وَذَكَـرْتَ أَنَّ الـلَّـهَ لَـيْـسَ بِـدَاخِـلٍ فِـيـنَـا وَلاَ هُـوَ خَـارِجُ الأَكْـوَانِ
كُنَّا انْتَصَفْنَا مِنْ أُولِي التَّجْسِيمِ بَلْ كَـانُـوا لَـنَـا أَسْـرَى عَـبِـيـدَ هَـوَانِ
لَـكِـنْ مَـنَـحْـتَـهُـمُ سِـلاحـاً كُـلَّـمَـا شَـاؤوا لَـنَـا مِـنْـهُـمْ أَشَـدَّ طِـعَـانِ
وَغَدَوْا بِأَسْهُمِكَ الَّتِي أَعْطَيْتَهُمْ يَـرْمُـونَـنَـا غَـرَضـاً بِـكُـلِّ مَـكَـانِ
لَـوْ كُـنْـتَ تَـعْـدِلُ فِي الـعِـبَـارَةِ بَيْنَنَا مَـا كَـانَ يُـوجَـدُ بَـيْـنَـنَـا رَجْـفَـانِ
هَـذَا لِـسَـانُ الـحَـالِ مِـنْـهُـمْ وَهْـوَ فِـي ذَاتِ الـصُّـدُورِ يَـغِـلُّ بِـالْـكِـتْـمَـانِ
يَـبْـدُو عَـلَـى فَـلَـتَـاتِ أَنـفُـسِـهِـمْ وَفِـي صَـفَـحَـاتِ أَوجُـهِـهِـمْ يُـرَى بِـعِـيَـانِ
سِـيـمَـا إِذَا قُـرِىءَ الـحَـدِيـثُ عَـلَـيْـهِـمُ وَتَـلَـوْتَ شَـاهِـدَهُ مِـنَ الـقُـرْآنِ
فَـهُـنَـاكَ بَـيْـنَ الـنَّـازِعَـاتِ وَكُـوِّرَتْ تِـلْـكَ الـوُجُـوه كَـثِـيـرَةُ الأَلْـوَانِ
وَيَـكَـادُ قَـائِـلُـهُـمْ يُـصَـرِّحُ لَـوْ يُـرَى مِـنْ قَـابِـلٍ فَـتَـرَاهُ ذَا كِـتْـمَـانِ
يَـا قَـوْمُ شَـاهَـدْنَـا رُؤُوسَـكُـمُ عَـلَـى هَـذَا وَلَـمْ نَـشْـهَـدْهُ مِـنْ إِنـسَـانِ
وَهْـوَ الَّـذِي فِـي كُـتْـبِـهِـمْ لَـكِـنْ بِـلـطْـ ـفِ عِـبَـارَةٍ مِـنْـهُـمْ وَحُـسْـنِ بَـيَـانِ
وَأَخُـو الـجَـهَـالَـةِ نِـسْـبَـةٌ لِـلَّـفـظِ والـ ـمَـعْـنَـى فَـنَـسْـبُ الـعَـالِـمِ الـرَّبَّـانِـي
يَـا مَـنْ يَـظُـنُّ بِـأَنَّـنـا حِـفْـنَـا عَـلَـيْـ ـهِـمْ كُـتْـبُـهُـمْ تُـنْـبِـيـكَ عَـنْ ذا الـشَّـانِ
فَـانْـظُـرْ تَـرَى لَـكِـنْ نَـرَى لَـكَ تَـرْكَـهَـا حَـذَراً عَـلَـيْـكَ مَـصَـايِـدَ الـشَّـيْـطَـانِ
فَـشِـبَـاكُـهَـا والـلَّـهِ لَـمْ يَـعْـلَـقْ بِـهَـا مِـنْ ذِي جَـنَـاحٍ قَـاصِـرِ الـطَّـيَـرَانِ
إِلاَّ رَأَيْـتَ الـطَّـيْـرَ فِـي قَـفَـصِ الـرَّدَى يَـبْـكِـي لَـهُ نَـوْحٌ عَـلَـى الأَغْـصَـانِ
وَيَـظَـلُّ يَـخْـبِـطُ طَـالِـبـاً لِـخَـلاَصِـهِ فَـيَـضِـيـقُ عَـنْـهُ فُـرْجَـةُ الـعِـيـدَانِ
والـذَّنْـبُ ذَنْـبُ الـطَّـيْـرِ أَخْـلَـى طَـيِّـبَ الـثَّـ ـمَـرَاتِ فِـي عَـالٍ مِـنَ الأَفْـنَـانِ
وَأَتَـى إِلَـى تِـلْـكَ الـمَـزَابِـلِ يَـبْـتَـغِـي الـ ـفَـضَـلاَتِ كَـالـحَـشَـرَاتِ والـدِّيـدَانِ
يَـا قَـوْمُ والـلَّـهِ الـعَـظِـيـمِ نَـصِـيـحَـةٌ مِـنْ مُـشْـفِـقٍ وَأَخٍ لَـكُـمْ مِـعْـوَانِ

جَـرَّبْـتُ هَـذَا كُـلَّـهُ وَوَقَـعْـتُ فِـي تِـلْـكَ الـشِّـبَـاكِ وَكُـنْـتُ ذَا طَـيَـرَانِ
حَـتَّـى أَتَـاحَ لِـيَ الإِلَـهُ بِـفَـضْـلِـهِ مَـنْ لَـيْـسَ تَـجْـزِيـه يَـدِي وَلِـسَـانِـي
حَـبْـرٌ أَتَـى مِـنْ أَرْضِ حَـرَّانٍ فَـيَـا أَهْـلاً بِـمَـنْ قَـدْ جَـاءَ مِـنْ حَـرَّانِ
فَـالـلَّـهُ يَـجْـزِيـه الـذِي هُـوَ أَهْـلُـهُ مِـنْ جَـنَّـةِ الـمَـأْوَى مَـعَ الـرِّضْـوَانِ
أَخَـذَتْ يَـدَاهُ يَـدِي وَسَـارَ فَـلَـمْ يَـرِمْ حَـتَّـى أَرَانِـي مَـطْـلَـعَ الإِيـمَـانِ
وَرَأَيْـتُ أَعـلاَمَ الـمَـدِيـنَـةِ حَـوْلَـهَـا نُـزُلُ الـهُـدَى وَعَـسَـاكِـرُ الـقُـرآنِ
وَرَأَيْـتُ آثَـاراً عَـظِـيـمـاً شَـأْنُـهَـا مَـحْـجُـوبَـةً عَـنْ زُمْـرَةِ الـعِـمْـيَـانِ
وَرَأَيْـتُ أَكْـوازاً هُـنَـاكَ كَـثِـيـرَةً مِـثْـلَ الـنُّـجُـومِ لِـوَارِدٍ ظَـمْـآنِ
وَوَرَدْتُ رَأْسَ الـمَـاءِ أَبْـيَـضَ صَـافِـيـاً حَـصْـبَـاؤُهُ كَـلآلِـىءِ الـتِّـيـجَـانِ
وَرَأَيْتُ حَوْضَ الكوثر الصَّافِي الَّذِي لاَ زَالَ يَـشْـخُـبُ فِـيـهِ مِـيـزَابَـانِ
مِـيـزَابُ سُـنَّـتِـهِ وَقَـوْلُ إِلَـٰهِـهِ وَهُـمَـا مَـدَى الأَيَّـامِ لاَ يَـنِـيَـانِ
والـنَّـاسُ لاَ يَـرِدُونَـهُ إِلاَّ مِـنَ الْـ آلافِ أَفـرَاداً ذَوِي إِيـمَـانِ
وَرَدُوا عِـذَابَ مَـنَـاهِـلٍ أَكْـرِمْ بِـهَـا وَوَرَدْتُـمُ أَنْـتُـمْ عَـذَابَ هَـوَانِ
فَـبِـحَـقٍّ مَنْ أَعْـطَـاكُـمُ ذَا الـعَـدْلَ والْـ إِنْـصَـافَ والـتَّـخْـصِـيـصَ بِـالـعِـرْفَـانِ
مَـنْ ذَا عَـلَـى دِيـنِ الـخَـوَارِجِ بَـعْـدَ ذَا أَنْـتُـمْ أَمِ الـحَـشْـوِيُّ مَـا تَـرَيَـانِ
والـلَّـهِ مَـا أَنْـتُـمْ لَـدَى الـحَـشْـوِيِّ أَهْـ ـلاً أَنْ يُـقَـدِّمَـكُـمْ عَـلَـى عُـثْـمَـانِ
فَـضْـلاً عَـنِ الْـفَـارُوقِ والـصِّـدِّيـقِ فَـضْـ ـلاً عَـنْ رَسُـولِ الـلَّـهِ وَالْـقُـرْآنِ
والـلَّـهِ لَـوْ أَبْـصَـرْتُـمُ لَـرَأَيْـتُـمُ الْـ ـحَـشْـوِيَّ حَـامِـلَ رَايَـةِ الإِيـمَـانِ
وكَـلاَمُ رَبِّ الـعَـالَـمِـيـنَ وعَـبْـدِهِ فِـي قَـلْـبِـهِ أَعْـلَـى وأَكْـبَـرُ شَـانِ
مِـنْ أَنْ يُـحَـرَّفَ عَـنْ مَـوَاضِـعِـهِ وأَنْ يُـقْـضَـى لَـهُ بِـالـعَـزْلِ عَـنْ إِيـقَـانِ
وَيَـرَى الـوَلاَيَـة لاِبْـنِ سِـيـنَـا أَوْ أَبِـي نَـصْـرٍ أَوِ الـمَـوْلُـودِ مِـنْ صَـفْـوَانِ
أَوْ مَـنْ يُـتَـابِـعُـهُـمْ عَـلَـى كُـفْـرَانِـهِـمْ أَوْ مَـنْ يُـقَـلِّـدُهُـمْ مِـنَ الـعُـمْـيَـانِ
يَـا قَـوْمَـنَـا بِـالـلَّـهِ قُـومُـوا وانْـظُـرُوا وَتَـفَـكَّـرُوا فِـي الـسِّـرِّ والإِعْـلاَنِ
نَـظَـراً وإِنْ شِـئْـتُـمْ مُـنَـاظَـرَةً فَـمِـنْ مَـثْـنَـى عَـلَـى هَـذَا وَمِـنْ وُحْـدَانِ
أَيُّ الـطَّـوائِـفِ بَـعْـدَ ذَا أَدْنَـى إِلَـى قَـوْلِ الـرَّسُـولِ وَمُـحْـكَـمِ الـقُـرْآنِ

فَـإِذَا تَـبَـيَّـنَ ذَا فَـإِمَّـا تَـتْـبَـعُـوا　　أَوْ تَـعْـذُرُوا أَوْ تُـؤْذِنُـوا بِـطِـعَـانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في تلقيبِهِمْ أهلَ السُّنَّةِ بالحشويةِ وبيانِ منْ أوْلَى بالوصفِ المذمومِ منْ هذا اللَّقبِ مِنَ الطَّائفتينِ وذكرِ أوَّلِ من لَقَّبَ بِهِ أهلُ السُّنَّةِ أمْ أهلُ البدعةِ

وَمِنَ الـعَـجَـائِبِ قَـوْلُـهُـمْ لِـمَـنِ اقْـتَـدَى　　بِـالْـوَحْـيِ مِـنْ أَثَـرٍ وَمِـنْ قُـرْآنِ
حَـشْـوِيـةٌ يَـعْـنُـونَ حَـشْـواً فِـي الْـوُجُـو　　دِ وَفَـضْـلَـةً فِـي أُمَّـةِ الإِنْـسَـانِ
وَيَـظُـنُّ جَـاهِـلُـهُـمْ بِـأَنَّـهُـمْ حَـشَـوْا　　رَبَّ الـعِـبَـادِ بِـدَاخِـلِ الأَكْـوَانِ
إِذْ قَـوْلُـهُـمْ فَـوْقَ الـعِـبَـاد وَفِـي الـسَّـمَـا　　ءِ الـرَّبُّ ذُو الـمَـلَـكُـوتِ والـسُّـلْـطَـانِ
ظَـنَّ الـحَـمِـيرُ بِـأَنَّ فِـي لِـلظَّـرْفِ والـرْ　　ـرَحْـمٰـنِ مَـحْـوِيٌّ بِـظَـرْفِ مَـكَـانِ
والـلَّـهُ لَـمْ يَـسْـمَـعْ نِـداً مِـنْ فِـرْقَـةٍ　　قَـالَـتْـهُ فِـي زَمَـنٍ مِـنَ الأَزْمَـانِ
لاَ تَـبْـهَـتُـوا أَهْـلَ الـحَـدِيـثِ بِـهِ فَـمَـا　　ذَا قَـوْلُـهُـمْ تَـبّـاً لِـذِي الـبُـهْـتَـانِ
بَـل قَـوْلُـهُـمْ إِنَّ الـسَّـمَـٰوَاتِ الـعُـلاَ　　فِـي كَـفِّ خَـالِـقِ هَـذِهِ الأَكْـوَانِ
حَـقّـاً كَـخَـرْدَلَـةٍ تُـرَى فِـي كَـفِّ مُـمْـ　　ـسِـكِـهَـا تَـعَـالَـى الـلَّـهُ ذو الـسُّـلْـطَـانِ
أَتَـرَوْنَـهُ الـمَـحْـصُـورَ بَـعْـدُ أَم الـسَّـمَـا　　يَـا قَـوْمَـنَـا ارْتَـدِعُـوا عَـنِ الـعُـدْوَانِ
كَـمْ ذَا مُـشَـبِّـهَـةٌ وَكَـمْ حَـشْـوِيَّـةٌ　　فَـالـبَـهْـتُ لاَ يَـخْـفَـى عَـلَـى الـرحْـمٰـنِ
يَـا قَـوْمُ إِن كَـانَ الـكِـتَـابُ وَسُـنَّـةُ الْـ　　ـمُـخْـتَـارِ حَـشْـواً فَـاشْـهَـدُوا بِـبَـيَـانِ
أَنَّـا بِـحَـمْـدِ إِلٰـهِـنَـا حَـشْـوِيـةٌ　　صِـرْفٌ بِـلاَ جَـحْـدٍ وَلاَ كِـتْـمَـانِ
تَـدْرُونَ مَـنْ سَـمَّـتْ شُـيُـوخُـكُـمُ بِـهَـٰـ　　ـذَا الإِسْـمِ فِـي الـمَـاضِـي مِـنَ الأَزْمَـانِ
سَـمَّـى بِـهِ ابْـنُ عـبـيـدٍ عَـبْـدَالـلَّـهِ ذَا　　كَ ابْـنُ الـخَـلِـيـفَـةِ طَـارِدِ الـشَّـيْـطَـانِ
فَـوَرِثْـتُـمُ عُـمَـراً كَـمَـا وَرِثُـوا لِـعَـبْـ　　ـدِالـلَّـهِ أَنَّـى يَـسْـتَـوِي الإِرْثَـانِ
تَـدْرُونَ مَـنْ أَوْلَـى بِـهَـذَا الاسْـمِ وَهْـ　　ـوَ مُـنَـاسِـبٌ أَحْـوَالَـهُ بِـوزَانِ
مَـنْ قَـدْ حَـشَـا الأَوْرَاقَ والأَذْهَـانَ مِـنْ　　بِـدَعٍ تُـخَـالِـفُ مُـوجَـبَ الـقُـرْآنِ

هَـذَا هُـوَ الـحَـشْـوِيُّ لا أهْـلَ الـحـدِيـ ـث أئِـمَّـةُ الإسْـلامِ وَالإيـمَـانِ
وَرَدُوا عِـذَابَ مَـنَـاهِـلِ السُّـنَـنِ الَّتِي لَـيْـسَـتْ زِبَـالَـةَ هَـذِهِ الأذْهَـانِ
وَوَرَدْتُـمُ الـقَـلُّـوطَ مَـجْـرَى كُـلِّ ذِي الـ أوْسَـاخِ والأقْـذَارِ وَالأنْـتَـانِ
وَكَـسَـلْـتُـمُ أنْ تَـصْـعَـدُوا لِـلْـوِرْدِ مِـنْ رَأسِ الـشَّـرِيـعَـةِ خَـيْـبَـةَ الـكَـسْـلانِ

❋ ❋ ❋



في بيانِ عُدْوانِهِمْ في تلقيبِ أهلِ القرآنِ والحديثِ بالمجَسِّمَةِ وبيانِ أنَّهمْ أَوْلى بكلِّ لقبٍ خبيثٍ

كَـمْ ذَا مُـشَـبِّـهَـةٌ مُـجَـسِّـمَـةٌ نَـوَا بِـتَـةٌ مَـسَـبَّـةُ جَـاهِـلٍ فَـتَّـانِ
أَسْـمَـاءُ سَـمَّـيْـتـمْ بِـهَـا أهْـلَ الـحَـديـ ـثِ ونَـاصِـرِي الـقُـرْآنِ والإيـمَـانِ
سَـمَّـيْـتُـمُـوهُـمْ أَنْـتُـمُ وَشُـيُـوخُـكُـمْ بَـهْـتـاً بِـهَـا مِـنْ غَـيْـرِ مَـا سُـلْـطَـانِ
وَجَـعَـلْـتُـمُـوهَـا سُـبَّـةً لِـتُـنَـفِّـرُوا عَـنْـهُـمْ كَـفِـعْـلِ السَّـاحِـرِ الشَّـيْـطَـانِ
مَـا ذَنْـبُـهُـمْ وَالـلَّـهِ إلاَّ أنَّـهُـمْ أَخَـذُوا بِـوَحْـيِ الـلَّـهِ والـفُـرْقَـانِ
وَأَبَـوْا بِـأنْ يَـتَـحَـيَّـزُوا لِـمَـقَـالَـةٍ غَـيْـرِ الـحَـدِيـثِ وَمُـقْـتَـضَـى الـقُـرْآنِ
وَأَبَـوْا يَـديـنُـوا بِـالَّـذِي دِنْـتُـمْ بِـهِ مِـنْ هَـذِهِ الآرَاءِ والـهَـذَيَـانِ
وَصَـفُـوهُ بـالأوْصَـافِ فِـي النَّصَّـيْـنِ مِـنْ خَـبَـرٍ صَـحِـيـحٍ ثُـمَّ مِـنْ قُـرْآنِ
إنْ كَـانَ ذَا الـتَّـجْـسِـيـمُ عِـنْـدَكـمُ فَـيَـا أَهْـلاً بِـهِ مَـا فِـيـهِ مِـنْ نُـكْـرَانِ
إنَّـا مُـجَـسِّـمَـةٌ بِـحَـمْـدِ الـلَّـهِ لَـمْ نَـجْـحَـدْ صِـفَـاتِ الـخَـالِـقِ الـدَّيَّـانِ
وَالـلَّـهِ مَـا قَـالَ امْـرُؤٌ مِـنَّـا بِـأنْ نَ الـلَّـه جِـسْـمٌ يَـا أولِـي الـبُـهْـتَـانِ
وَالـلَّـهُ يَـعْـلَـمُ أنّـنـا فِـي وَصْـفِـهِ لَـمْ نَـعْـدُ مَـا قَـدْ قَـالَ فِـي الـقُـرْآنِ
أوْ قَـالَـهُ أَيْـضـاً رَسُـولُ الـلَّـهِ فَـهْـ ـوَ الـصَّـادِقُ الـمَـصْـدوقُ بِـالـبُـرْهَـانِ
أوْ قَـالَـهُ أصْـحَـابُـهُ مِـنْ بَـعْـدِهِ فَـهُـمُ الـنُّـجُـومُ مَـطَـالِـعُ الإيـمَـانِ
سَـمُّـوهُ تَـجْـسِـيـمـاً وَتَـشْـبِـيـهـاً فَـلَـسْـ ـنَـا جَـاحِـدِيـهِ لِـذَلِـكَ الـهَـذَيَـانِ
بَـلْ بَـيْـنَـنَـا فَـرْقٌ لَـطِـيـفٌ بَـلْ هُـوَ الـ ـفَـرقُ الـعَـظِـيـمُ لِـمَـنْ لَـهُ عَـيْـنَـانِ

إنَّ الحَقِيقَةَ عِنْدَنَا مَقْصُودَةٌ بالنَّصِّ وَهْوَ مُرَادةُ التِّبْيَانِ
لَكِنْ لَدَيْكُمْ فَهْيَ غَيْرُ مُرَادةٍ أنَّى يُرادُ محقَّقُ البُطْلانِ
فَكَلامُهُ فِيمَا لَدَيْكُمْ لاَ حَقِيـ قَةَ تَحْتَهُ تَبْدو إلى الأذْهَانِ
فِي ذِكْرِ آياتِ العُلُوِّ وَسَائِرِ الْـ أوْصَافِ وَهْيَ القَلْبُ لِلقُرْآنِ
بَلْ قَوْلُ رَبِّ النَّاسِ لَيْسَ حَقِيقَةً فِيمَا لَدَيْكُمْ يا أولِي العِرْفَانِ
وَإذَا جَعَلْتُمْ ذَا مَجَازاً صَحَّ أنْ يُنْفَى عَلَى الإطْلاَقِ والإمْكَانِ
وَحَقائِقُ الألفَاظِ بالعَقْلِ انتَفَتْ فِيمَا زَعَمْتُمْ فاسْتَوى النفْيَانِ
نَفْي الحَقِيقَةِ وانْتِفَاءُ اللَّفْظِ إنْ دَلَّتْ عَلَيْهِ فَحَظُّكُمْ نَفْيَانِ
وَنَصِيبُنَا إثْبَاتُ ذَاكَ جَمِيعِهِ لَفْظاً وَمَعْنىً ذَاكَ إثْبَاتَانِ
فَمَنِ المعَطِّلُ فِي الحَقِيقةِ غيرُكُمْ لَقَبٌ بِلاَ كَذِبٍ وَلاَ عُدْوَانِ
وَإذَا سَبَبْتُمْ بالمحَالِ فَسَبُّنَا بأدِلَّةٍ وَحِجَاجِ ذِي بُرْهَانِ
تُبْدِي فَضَائِحَكُمْ وتَهْتِكُ سِتْرَكُمْ وَتُبِينُ جَهْلَكُمُ مَعَ العُدْوَانِ
يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ السِّبَابِ بِذَاكُمُ وَسِبَابُكُمْ بِالكِذْبِ والطُّغْيانِ
مَنْ سَبَّ بِالبرهانِ لَيْسَ بِظَالِمٍ والظُّلْمُ سَبُّ العَبْدِ بالبُهْتَانِ
فَحَقِيقَةُ التَّجْسِيمِ أنْ تَكُ عِندكُمْ وَصْفَ الإلهِ الخَالِقِ الدَّيَّانِ
بِصِفَاتِهِ العُلْيَا الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ العَدْلاَنِ
فَتَحَمَّلُوا عَنَّا الشَّهَادَةَ وَاشْهَدُوا فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ مَكَانِ
أنَّا مُجَسِّمَةٌ بِفَضْلِ اللَّهِ وَلْـ يَشْهَدْ بِذَلِكَ مَعْكُمُ الثَّقَلاَنِ
اللَّهُ أكْبَرُ كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا الْـ حَرْبُ العَوَانُ وَصِيحَ بِالأقْرَانِ
وَتَقَابَلَ الصَّفَّانِ وَانْقَسَمَ الوَرَى قِسْمَيْنِ واتَّضَحَتْ لَنَا القِسْمَانِ

فصلٌ

في بيانِ موردِ أهلِ التَّعْطيلِ وأنَّهمْ تعوَّضُوا بالقَلُّوطِ عن السَلْسَبِيلِ

يَا وَارِد القَلُّوطِ وَيْحَكَ لَوْ تَرَى مَاذَا عَلَى شَفَتَيْكَ والأسْنَانِ

أوَ مَا تَرَى آثارَهَا فِي القَلْبِ والنِّـيْـ ... ـيَـاتِ والأعْـمَـالِ والأرْكَـانِ

لَوْ طَابَ مِنْكَ الوِرْدُ طابَتْ كُلُّها ... أنَّـى تَطِيبُ مَوَارِدُ الأنْتَانِ

يَا وَارِدَ القَلُّوطِ طَهِّرْ فَاكَ مِنْ ... خَبَثٍ بِهِ واغْسِلْهُ مِنْ أنْتَانِ

ثمَّ اشْتُمِ الْحَشْوِيَّ حَشْوَ الدِّينِ والـ ... ـقُرْآنِ والآثارِ والإيمَانِ

أهْلاً بِهِمْ حَشْوَ اليَقِينِ وَغَيْرُهُمْ ... حَشْوُ الشُّكُوكِ فَمَا هُمَا صِنْوَانِ

أهْلاً بِهِمْ حَشْوَ المسَاجِدِ والسُّوَى ... حَشْوُ الكَنِيفِ فَمَا هُمَا عِدْلاَنِ

أهْلاً بِهِمْ حَشْوَ الجِنَانِ وَغَيْرُهُمْ ... حَشْوَ الجَحِيمِ أيَسْتَوِي الحشْوَانِ

يَا وَارِدَ القَلُّوط وَيْحَكَ لَو تَرَى الـ ... ـحَشْوِيَّ وَارِدَ مَنْهَلِ الفُرْقَانِ

وَتَرَاهُ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ شَارِباً ... مِنْ كَفِّ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالفُرْقَانِ

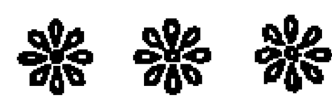
وَتَراهُ يَسْقِي النَّاسَ فَضْلَةَ كَأسِهِ ... وَخِتَامُهَا مِسْكٌ عَلَى رَيْحَانِ

لَعَذَرْتَهُ إنْ بَالَ فِي القَلُّوطِ لَمْ ... يَشْرَبْ بِهِ مَعْ جُمْلَةِ العُمْيَانِ

يَا وَارِدَ القَلُّوطِ لاَ تَكْسَلْ فَرَأْ ... سُ الماءِ فَاقْصِدْهُ قَرِيبٌ دَانِ

هُوَ مَنْهَلٌ سَهْلٌ قَرِيبٌ وَاسِعٌ ... كَافٍ إذَا نَزَلَتْ بِهِ الثَّقَلاَنِ

واللَّهِ لَيْسَ بأصْعَبِ الْوِرْدَيْنِ بَلْ ... هُوَ أسْهَلُ الوِرْدَيْنِ لِلظَّمْآنِ



فصلٌ

في بيانِ هدْمِهِمْ لقواعدِ الإسلامِ والإيمانِ بعزْلِهِمْ نصوصَ السُّنَّةِ والقُرْآنِ

يَا قَوْمُ واللَّهِ انْظُرُوا وَتَفَكَّرُوا ... فِي هَذِهِ الأخْبَارِ والقُرْآنِ

مِثْلَ التَّدَبُّرِ والتَّفَكُّرِ لِلَّذِي ... قَدْ قَالَهُ ذُو الرَّأْيِ والْحُسْبَانِ

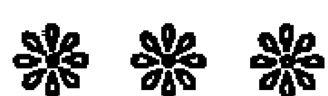
فَأَقَلُّ شَيْءٍ أنْ يَكُونَا عِنْدكُمْ ... حَذْواً سَوَاءً يَا أولِي العُدْوَانِ

واللَّه مَا اسْتَوَيَا لَدَى زُعَمَائِكُمْ ... فِي العِلْمِ والتَّحْقِيق والعِرْفَانِ

عَزَلُوهُمَا بَلْ صَرَّحُوا بالعَزْلِ عَنْ ... نَيْلِ اليَقِينِ ورُتْبَةِ البُرْهَانِ

قَالُوا وَتِلْكَ أدِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ ... لَسْنَا نُحَكِّمُهَا عَلَى الإيقَانِ

مَا أُنْزِلَتْ لِيَنَالَ مِنْهَا الْعِلْمُ بِالْـ ... إِثْبَاتِ لِلأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ
بَلْ بِالْعُقُولِ يُنَالُ ذَاكَ وَهَذِهِ ... عَنْهُ بِمَعْزِلِ غَيْرِ ذِي السُّلْطَانِ
فَبِجَهْدِنَا تَأْوِيلُهَا وَالدَّفْعُ فِي ... أَكْنَافِهَا دَفْعاً لِذِي الصَّوَلاَنِ
كَكَبِيرِ قَوْمٍ جَاءَ يَشْهَدُ عِنْدَ ذِي ... حَكَمٍ يُرِيدُ دِفَاعَهُ بِلِيَانِ
فَيَقُولُ قَدْرُكَ فَوْقَ ذَا وَشَهَادَةٌ ... لِسِوَاكَ تَصْلُحُ فَاذْهَبَنْ بِأَمَانِ
وَبِوُدِّهِ لَوْ كَانَ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا ... لَكِنْ مَخَافَةَ صَاحِبِ السُّلْطَانِ
فَلَقَدْ أَتَانَا عَنْ كَبِيرٍ فِيهِمُ ... وَهُوَ الحَقِيرُ مَقَالَةَ الكُفْرَانِ
لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي وَلَيْسَ بِمُمْكِنٍ ... لَحَكَكْتُ مِنْ ذَا المُصْحَفِ العُثْمَانِي
ذِكْرَ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ فَوْقَ العَرْشِ لَـ ... كِنْ ذَاكَ مُمْتَنِعٌ عَلَى الإِنْسَانِ
وَاللَّهِ لَوْلاَ هَيْبَةُ الإِسْلاَمِ وَالْـ ... قُرْآنِ وَالأُمَرَاءِ وَالسُّلْطَانِ
لأَتَوْا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَلَدَكْدَكُوا الْـ ... إِسْلاَمَ فَوْقَ قَوَاعِدِ الأَرْكَانِ
فَلَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا جَرىٰ لِأَئِمَّةِ الْـ ... إِسْلاَمِ مِنْ مِحَنٍ عَلَى الأَزْمَانِ
لاَ سِيَّمَا لَمَّا اسْتَمَالُوا جَاهِلاً ... ذَا قُدْرَةٍ فِي النَّاسِ مَعْ سُلْطَانِ
وَسَعَوْا إِلَيْهِ بِكُلِّ إِفْكٍ بَيِّنٍ ... بَلْ قَاسَمُوهُ بِأَغْلَظِ الأَيْمَانِ
أَنَّ النَّصِيحَةَ قَصْدُهُمْ كَنَصِيحَةِ الشَّـ ... شَيْطَانِ حِينَ خَلاَ بِهِ الأَبَوَانِ
فَيَرَى عَمَائِمَ ذَاتَ أَذْنَابٍ عَلَى ... تِلْكَ القُشُورِ طَوِيلَةِ الأَرْدَانِ
وَيَرَى هَيُولَى لاَ تَهُولُ لِمُبْصِرٍ ... وَتَهُولُ أَعْمَى فِي ثِيَابِ جَبَانِ
فَإِذَا أَصَاخَ بِسَمْعِهِ مَلَؤُوهُ مِنْ ... كَذِبٍ وَتَلْبِيسٍ وَمِنْ بُهْتَانِ
فَيَرَى وَيَسْمَعُ فَشْرَهُمْ وَفُشَارَهُمْ ... يَا مِحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالأُذُنَانِ
فَتَحُوا جِرَابَ الجَهْلِ مَعْ كَذِبٍ فَخُذْ ... وَاحْمِلْ بِلاَ كَيْلٍ وَلاَ مِيزَانِ
وَأَتَوْا إِلَى قَلْبِ المُطَاعِ فَفَتَّشُوا ... عَمَّا هُنَاكَ لِيَدْخُلُوا بِأَمَانِ
فَإِذَا بَدَا غَرَضٌ لَهُمْ دَخَلُوا بِهِ ... مِنْهُ إِلَيْهِ كَحِيلَةِ الشَّيْطَانِ
فَإِذَا رَأَوْهُ هَشَّ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ ... ظَفِرُوا وَقَالُوا وَيْحَ آلِ فُلاَنِ



هُوَ فِي الطَّرِيقِ يَعُوقُ مَوْلاَنَا عَنِ الْـ ... مَقْصُودِ وَهْوَ عَدُوُّ هَذَا الشَّانِ

فَإِذَا هُمُ غَرَسُوا العَدَاوَةَ واظَبُوا سَقْيَ الغِرَاسِ كَفِعْلِ ذِي البُسْتَانِ
حَتَّى إِذَا مَا أَثْمَرَتْ وَدَنَا لَهُمْ وَقْتُ الجُذَاذِ وَصَارَ ذَا إِمكَانِ
رَكِبُوا عَلَى حَرَدٍ لَهُمْ وَحَمِيَّةٍ وَاسْتَنْجَدُوا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
فَهُنَالِكَ ابْتُلِيَتْ جُنُودُ اللَّهِ مِنْ جُنْدِ اللَّعِينِ بِسَائِرِ الأَلْوَانِ
ضَرْباً وَحَبْساً ثُمَّ تَكْفِيراً وَتَبْـ ـدِيعاً وَشَتْماً ظَاهِرَ البُهْتَانِ
فَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمُ أَمْراً تُهَدُّ لَهُ قُوَى الإِيمَانِ
مِنْ سَبِّهِمْ أَهْلَ الحَدِيثِ وَدِينُهُمْ أَخْذُ الحَدِيثِ وَتَرْكُ قَوْلِ فُلاَنِ
يَا أُمَّةً غَضِبَ الإِلٰهُ عَلَيْهِمُ أَلأَجْلِ هَذَا تَشْتُمُوا بِهَوَانِ
تَبّاً لَكُمْ إِذْ تَشْتُمُونَ زَوَامِلَ الْـ إِسْلاَمِ حِزْبَ اللَّهِ والقُرْآنِ
وَسَبَبْتُمُوهُمْ ثُمَّ لَسْتُمْ كُفْأَهُمْ فَرَأَوْا مَسَبَّتَكُمْ مِنَ النُّقْصَانِ
هَذَا وَهُمْ قَبِلُوا وَصِيَّةَ رَبِّهِمْ فِي تَرْكِهِمْ لِمَسَبَّةِ الأَوْثَانِ
حَذَرَ المقَابَلَةِ القَبِيحَةِ مِنْهُمُ بِمَسَبَّةِ القُرْآنِ والرَّحْمٰنِ
وَكَذَاكَ أَصْحَابُ الحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ ضُرِبَتْ لَهُمْ وَلَكُمْ بِذَا مَثَلاَنِ
سَبُّوكُمُ جُهَّالُهُمْ فَسَبَبْتُمُ سُنَنَ الرَّسُولِ وَعَسْكَرَ الإِيمَانِ
وَصَدَدْتُمُ سُفَهَاءَكُمْ عَنْهُمْ وَعَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ
وَدَعَوْتُمُوهُمْ لِلَّذِي قَالَتْهُ أَشْـ ـيَاخٌ لَكُمْ بِالخَرْصِ والحُسْبَانِ
فَأَبَوْا إِجَابَتَكُمْ وَلَمْ يَتَحَيَّزُوا إِلاَّ إِلَى الآثَارِ والقُرْآنِ
وإِلَى أُولِي العِرْفَانِ مِنْ أَهْلِ الحَدِيـ ـثِ خُلاَصَةِ الإِنْسَانِ والأَكْوَانِ
قَوْمٌ أَقَامَهُمُ الإِلٰهُ لِحِفْظِ هَـ ـذَا الدِّينِ مِنْ ذِي بِدْعَةٍ شَيْطَانِ
وَأَقَامَهُمْ حَرَساً مِنَ التَّبْدِيلِ والتَّـ ـحْرِيفِ والتَّتْمِيمِ والنُّقْصَانِ
يَزَكٌ عَلَى الإِسْلاَمِ بَلْ حِصْنٌ لَهُ يَأْوِي إِلَيْهِ عَسَاكِرُ الفُرْقَانِ
فَهُمُ المحَكُّ فَمَنْ يُرَى مُتَنَقِّصاً لَهُمُ فَزِنْدِيقٌ خَبِيثُ جَنَانِ
إِنْ تَتَّهِمْهُ فَقَبْلَكَ السَّلَفُ الأُلَى كَانُوا عَلَى الإِيمَانِ والإِحْسَانِ
أَيضاً قَد اتَّهَمُوا الخَبِيثَ عَلَى الهُدَى وَالعِلْمِ والآثَارِ والقُرْآنِ
وَهُوَ الحَقِيقُ بِذَاكَ إِذْ عَادَى رُوَا ةَ الدِّينِ وَهْيَ عَدَاوَةُ الدَّيَّانِ

فَـإِذَا ذَكَـرْتَ الـنَّـاصِـحِـيـنَ لِـرَبِّـهِـمْ وَكِـتَـابِـهِ وَرسُـولِـهِ بِـلِـسَـانِ
فاغْسِلْهُ وَيْلَكَ مِنْ دَمِ التَّعْطِيلِ والتَّـ ـتَكْـذِيـبِ والـكُـفـرانِ والبُـهـتَـانِ
أَتَسُبُّهُـمْ عَـدْواً وَلَـسْتَ بِكُفْئِهِـمْ فَـالـلَّـهُ يَـفْـدِي جِزْبَـهُ بـالـجَانِـي
قَـوْمٌ هُـمُ بـالـلَّـهِ ثُـمَّ رَسُـولِـهِ أَوْلَـى وأقْـرَبُ مِـنْـكَ لـلإِيـمَـانِ
شَـتَّـانَ بَـيْـنَ الـتَّـارِكِـيـنَ نُـصُـوصَـهُ حَـقّـاً لأَجْـلِ زِبـالَـةِ الأَذْهَـانِ
والـتَّـارِكِـيـنَ لأجْـلِـهَـا آرَاء مَـنْ آرَاؤهُـمْ ضَـرْبٌ مِـنَ الـهَـذَيَـانِ
لَـمَّـا فَـسَـا الـشَّـيْـطَـانُ فِـي آذَانِـهِـمْ ثَـقُـلَـتْ رؤوسُـهُـمُ عـن الـقُـرآنِ
فَلِذَاكَ نَـامُـوا عَـنْـهُ حَـتَّـى أَصْـبَـحُـوا يـتـلاَعَـبُـونَ تَـلاَعُـبَ الـصِّـبْـيَـانِ
والرَّكْبُ قَدْ وَصَلُوا العُلَى وتَيَمَّمُوا مِـنْ أَرْضِ طِـيـبَـةَ مَـطْـلَـعِ الإِيـمَـانِ
وَأَتَـوْا إِلـى رَوْضَـاتِـهَـا وَتَـيَـمَّـمُـوا مِـنْ أرضِ مَـكَّـةَ مَـطْـلَـعِ الـقُـرْآنِ
قَـوْمٌ إِذَا مَـا نَـاجِـذُ الـنَّـصِّ بَـدَا طَـارُوا لَـهُ بـالـجَـمْـعِ والـوُحْـدَانِ
وَإِذَا بَـدَا عَـلَـمُ الـهُـدَى اسْـتَـبَـقُـوا لَـهُ كَـتَـسَـابُـقِ الـفُـرْسَـانِ يَـوْمَ رِهَـانِ
وإِذَا هُـمُ سَـمِـعُـوا بِـمُـبْـتَـدِعٍ هَـذَى صَـاحُـوا بِـهِ طُـرّاً بِـكُـلِّ مَـكَـانِ
وَرِثُـوا رَسُـولَ الـلَّـهِ لَـكِـنْ غَـيْـرُهُـمْ قَـدْ رَاحَ بـالـنُّـقْـصَـانِ والـحِـرْمَـانِ
وإِذَا اسْـتَـهَـانَ سِـواهُـمُ بـالـنـصِّ لَـمْ يَـرْفَـعْ بِـهِ رَأْسـاً مِـنَ الـخُـسْـرَانِ
عَـضُّـوا عَـلَـيْـهِ بِـالـنَّـوَاجِـذِ رَغْـبَـةً فِـيـهِ وَلَـيْـسَ لَـدَيْـهِـمُ بِـمُـهَـانِ
لَـيْـسُـوا كَـمَـنْ نَـبَـذَ الـكِـتَـابَ حَـقِـيـقَـةً وَتِـلاَوَةً قَـصْـداً بِـتَـرْكِ فُـلاَنِ
عَـزَلُـوهُ فِـي الـمـغْـنَـى وَوَلَّـوا غَـيْـرَه كَـأَبِـي الـرَّبِـيـعِ خَـلِـيـفَـةِ الـسُّـلْـطَـانِ
ذَكَـرُوهُ فَـوْقَ مَـنَـابِـرٍ وَبِـسِـكَّـةٍ رَقَـمُـوا اسْـمَـهُ فِـي ظَـاهِـرِ الأَثْـمَـانِ
والأَمْـرُ والـنَّـهْـيُ الـمـطَـاعُ لِـغَـيْـرِهِ ولِـمُـهْـتَـدٍ ضُـرِبَـتْ بِـذَا مَـثَـلاَنِ
يَـا لَـلْـعُـقُـولِ أَيَـسْـتَـوِي مَـنْ قَـالَ بـالـ ـقُـرْآنِ والآثَـارِ والـبُـرْهَـانِ
ومُـخَـالِـفٌ هَـذَا وَفِـطْـرَةَ رَبِّـهِ الـلَّـه أكْـبَـرُ كَـيْـفَ يَـسْـتَـوِيَـانِ
بَـلْ فِـطْـرَةُ الـلَّـهِ الَّـتِـي فُـطِـروا عَـلَـى مَـضْـمُـونِـهـا وَالـعَـقْـلُ مَـقْـبُـولاَنِ
والـوَحْـيُ جَـاءَ مُـصَـدِّقـاً لَـهُـمَـا فَـلاَ تُـلْـقِ الـعَـداوَةَ مَـا هُـمَـا حَـرْبَـانِ
سِـلْـمَـانِ عِـنْـدَ مُـوَفَّـقٍ ومُـصَـدِّقٍ والـلَّـهُ يَـشْـهَـدُ أَنْ هُـمَـا سِـلْـمَـانِ

فَإذَا تَعَارَضَ نَصُّ لَفْظٍ وَارِدٍ   والعَقْل حَتَّى لَيْسَ يَلْتَقِيَانِ

فَالعَقْلُ إمَّا فَاسِدٌ وَيَظُنُّهُ الرْ   رَائِي صَحِيحاً وَهْو ذُو بُطْلاَنِ

أَوْ أَنَّ ذَاكَ النصَّ لَيْسَ بِثَابِتٍ   مَا قَالَهُ المعْصُومُ بِالبُرْهَانِ

وَنُصُوصُهُ لَيْسَتْ تُعَارِضُ بَعْضُهَا   بَعْضاً فَسَلْ عَنْهَا عَلِيمَ زَمَانِ

وإذَا ظَنَنْتَ تَعَارُضاً فِيهَا فَذَا   مِنْ آفَةِ الأفْهَامِ وَالأذْهَانِ

أو أنْ يَكُونَ البَعْضُ لَيْسَ بِثَابِتٍ   مَا قَالَهُ المبْعُوثُ بالقُرْآنِ

لَكِنَّ قَوْلَ مُحَمَّدٍ والجَهْمِ فِي   قَلْبِ الموحِّدِ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

إلا وَيَطْرُدُ كُلُّ قَوْلٍ ضِدَّهُ   فإذَا هُمَا اجْتَمَعَا فَمُقْتَتِلاَنِ

والنَّاسُ بَعْدُ عَلَى ثَلاَثٍ حِزْبِهِ   أوْ حِزْبِهِ أوْ فَارِغٍ مُتَوَانِ

فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيْنَ تَجْعَلُهَا فَلا   واللَّه لَسْتَ بِرَابِعِ الأعْيَانِ

مَنْ قَالَ بالتَّعْطِيلِ فَهْوَ مكَذِّبٌ   بِجَمِيعِ رُسْلِ اللَّهِ والفُرْقَانِ

إنَّ المعَطِّلَ لاَ إلـهَ لهُ سِوَى الـ   ـمَنْحوتِ بالأفْكَارِ فِي الأذْهَانِ

وَكَذَا إلـهُ المشْرِكِينَ فَنَحْتَةُ الْـ   ـأَيْدِي هُمَا فِي نَحْتِهِمْ سِيَّانِ

لكِنْ إلـهُ المرْسَلِينَ هُوَ الذِي   فَوْقَ السَّمَاءِ مُكَوِّنُ الأكْوَانِ

تاللَّهِ قَدْ نَسَبَ المعَطِّلُ كُلَّ مَنْ   بالبَيِّنَاتِ أتَى إلَى الكِتْمَانِ

واللَّهِ مَا فِي المرْسَلِينَ مُعَطِّلٌ   نافِي صِفَاتِ الوَاحِدِ الرَّحمٰنِ

كَلاًّ وَلاَ فِي المرْسَلِينَ مُشَبِّهٌ   حَاشَاهُمُ مِنْ إفْكِ ذِي بُهْتَانِ

فَخُذِ الهُدَى مِنْ عَبْدِهِ وَكِتَابِهِ   فَهُمَا إلَى سُبُلِ الهُدَى سَبَبَانِ



فصلٌ

في بطلانِ قول الملحدينَ أنَّ الاستدلالَ بكلام الله ورسولِهِ لا يفيدُ العلمَ واليقينَ

واحْذرْ مَقَالاَتِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا   شِيَعاً وَكَانُوا شِيعَةَ الشيطَانِ

واسألْ خَبِيراً عَنْهُمُ يُنْبِيكَ عَنْ   أسْرَارِهِمْ بِنَصِيحَةٍ وَبَيَانِ

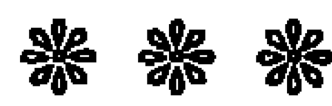
قَالُوا الهُدَى لاَ يُسْتَفَادُ بِسُنَّةٍ كَلاَّ وَلاَ أَثَرٍ وَلاَ قُرْآنِ
إذْ كُلُّ ذَاكَ أدِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ لَمْ تُبْدِ عَنْ عِلْمٍ ولاَ إيقَانِ
فِيهَا اشْتِرَاكٌ ثُمَّ إجْمَالٌ يُرَى وَتَجُوزُ بِالتَّزْيِيدِ وَالنُّقْصَانِ
وكَذَلِكَ الإضْمَارُ والتخْقِيقُ والـ حَذفُ الَّذِي لَمْ يُبْدِ عَنْ تِبْيَانِ
والنَّقْلُ آحَادٌ فَمَوقُوفٌ عَلَى صِدْقِ الرُّوَاةِ وَلَيْس ذَا بُرْهَانِ
إذ بَعْضُهُمْ فِي البَعْض يَقْدَحُ دَائِماً وَالقَدْحُ فِيهِمْ فَهْوَ ذُو إمْكَانِ
وَتَوَاتُرٌ وَهْوَ القَلِيلُ وَنَادِرٌ جِدّاً فَأيْنَ القَطْعُ بِالبُرْهَانِ
هَذَا وَيَحْتَاجُ السَّلاَمَةَ بَعْدُ مِنْ ذَاكَ المُعَارِضِ صَاحِبِ السُّلطَانِ
وَهْوَ الذِي بالعَقْلِ يَفْرِضُ صِدْقَهُ والنَّفْيِ مَظْنُونٌ لَدَى الإنْسَانِ
فَلأجْلِ هَذَا قَدْعَزَلْنَاهَا وَولَّـ ـيْنَا العُقُولَ ومَنْطِقَ الْيُونَانِ
فَانْظُرْ إلَى الإسْلاَمِ كَيْفَ بَقَاؤهُ مِنْ بَعْدِ هَذَا القَوْلِ ذِي البُطْلاَنِ
وانظُرْ إلَى القُرْآنِ مَعْزُولاً لَدَيْـ ـهِمْ عَنْ نُفُوذِ ولاَيَةِ الإيقَانِ
وانظُرْ إلَى قَوْلِ الرَّسُولِ كَذَاكَ مَعْـ ـزُولاً لَدَيْهِمْ لَيْسَ ذَا سُلْطَانِ
واللَّهِ مَا عَزَلُوهُ تَعْظِيماً لَهُ أيَظُنُّ ذلكَ قَطُّ ذُو عِرْفَانِ
يَا لَيْتَهُمْ إذْ يَحْكُمُونَ بِعَزْلِهِ لَمْ يَرْفَعُوا رَايَاتِ جَنْكِيزخَانِ
يَا وَيْلَهُمْ وَلَّوا نَتَائِجَ فِكْرِهِمْ وَقَضَوْا بِهَا قَطْعاً عَلَى القُرآنِ
وَرِذَالَهُمْ وَلَّوا إشَارَاتِ ابنِ سِيـ ـنَا حِينَ وَلَّوا مَنْطِقَ اليُونَانِ
وانظُرْ إلَى نَصِّ الكِتَابِ مُجَنْدَلاً وَسْطَ العَرِينِ مُمَزَّقَ اللُّحْمَانِ
بالطَّعْنِ بالإجْمَالِ والإضْمَارِ والتَّـ ـخْصِيصِ والتَّأوِيلِ بالبُهْتَانِ
والإشْتِرَاكِ وبِالمَجَازِ وَحَذْفِ مَا شَاؤوا بِدَعْوَاهُمْ بِلاَ بُرْهَانِ
وانظُرْ إلَيْهِ لَيْسَ ينفُذ حُكْمُهُ بَيْنَ الخُصُومِ وَمَا لَهُ مِنْ شَانِ
وانظُرْ إلَيْه لَيْسَ يُقْبَلُ قَوْلُهُ فِي العِلْمِ بالأوْصَافِ للرَّحْمٰنِ
لَكِنَّمَا المقْبُولُ حُكْمُ العَقْلِ لاَ أحْكَامُهُ لاَ يَسْتَوِي الحُكْمَانِ
يَبْكِي عَلَيْه أهْلُهُ وجُنُودُهُ بِدِمَائِهِمْ ومَدَامِعِ الأجْفَانِ
عَهِدُوهُ قِدماً لَيْسَ يَحْكُمُ غَيْرُهُ وَسِوَاهُ مَعْزُولٌ عَنِ السُّلْطَانِ

إنْ غَابَ نَابَتْ عَنْهُ أَقْوالُ الرَّسُو ... لِ هُمَا لَهُمْ دُونَ الوَرَى حَكَمانِ
فأتَاهُمُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّهِمْ ... فِي حُكْمِ جَنْكِزخَانِ ذِي الطُّغْيَانِ
بِجُنُودِ تَعْطِيلٍ وكُفْرانٍ مِنَ الـ ... ـمفْعُولِ ثمَّ اللَّاصِ والعِلاَّنِ
فَعَلُوا بملَّتِهِ وَسُنَّتِهِ كَمَا ... فَعَلُوا بأُمَّتِهِ مِنَ العُدْوَانِ
واللَّهِ مَا انْقَادُوا لِجَنْكِزْخَانِ ... حتَّى أعْرَضُوا عَنْ مُحْكَمِ القُرْآنِ
واللَّهِ مَا وَلَّوهُ إلاَّ بَعْدَ عَزْ ... لِ الوَحْيِ عَنْ عِلْمٍ وَعَنْ إيقَانِ
عَزَلوهُ عَنْ سُلْطَانِهِ وهْوَ اليَقِيـ ... ـنُ المسْتَفَادُ لَنا مِنَ السُّلْطَانِ
هَذَا وَلَمْ يَكْفِ الَّذِي فَعَلُوهُ حَتْـ ... ـتَى تَمَّمُوا الكُفْرَانَ بالبُهْتَانِ
جَعَلُوا القُرانَ عِضِينَ إذْ عَضَهُوهُ أنْـ ... ـواعاً مُعَدَّدَةً مِنَ النُّقْصَانِ
مِنْهَا انتِفَاءُ خُرُوجِهِ مِنْ رَبِّنَا ... لَمْ يَبْدُ مِنْ رَبٍّ وَلاَ رَحْمٰنِ
لَكِنَّهُ خَلْقٌ مِنَ اللَّوْحِ ابْتدَا ... أَوْ جِبْرَئِيلَ أوِ الرَّسُولِ الثَّانِي
مَا قَالَهُ ربُّ السَّمَواتِ العُلاَ ... لَيْسَ الكَلاَمُ بِوصْفِ ذِي الغُفْرَانِ
تَبّاً لَهُمْ سَلَبُوهُ أكْمَلَ وَصْفِهِ ... عَضَهُوهُ عَضْهَ الرَّيْبِ والكُفْرَانِ
هَلْ يَسْتَوِي باللَّه نِسْبَتُهُ إلَى ... بَشَرٍ وَنِسْبَتُهُ إلَى الرحْمٰنِ
مِنْ أينَ للمخْلُوقِ عَيْنُ صِفَاتِه ... اللَّهُ أكبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
بَيْنَ الصِّفَاتِ وبَيْنَ مَخْلُوقٍ كَمَا ... بَيْنَ الإلٰهِ وَهَذِهِ الأكْوَانِ
هَذَا وَقَدْ عَضَهُوهُ أنَّ نُصُوصَهُ ... مَعْزُولَةٌ عَنْ إمْرَةِ الإيقَانِ
لَكِنَّ غَايَتَهَا الظُّنُونُ وَلَيْتَهُ ... ظَنّاً يَكُونُ مُطَابِقاً بِبَيَانِ
لَكِنْ ظَوَاهِرُ مَا يُطَابِقُ ظَنُّهَا ... مَا فِي الحَقِيقَةِ عِنْدنَا بِوِزَانِ
إلاَّ إذَا مَا أُوِّلَتْ فَمَجَازُهَا ... بِزِيَادَةٍ فِيهَا أوِ النُّقْصَانِ
أَوْ بِالْكِنَايَةِ وَاسْتِعَارَاتٍ وَتَشْـ ... ـبِيهٍ وأنْوَاعِ المجَازِ الثَّانِي
فالقَطْعُ لَيْس يُفِيدُهُ والظَّنُّ مَنْـ ... ـفِيٌّ كذلِكَ فَانْتَفَى الأمْرَانِ
فَلِمَ الملاَمَةُ إذْ عَزَلْنَاهَا وَوَلْـ ... ـلَيْنَا العُقُولَ وفِكْرَةَ الأذْهَانِ
فاللَّه يُعْظِمُ فِي النصوص أجُورَكُمْ ... يَا أمَّةَ الآثَارِ والقُرْآنِ
مَاتَتْ لَدَى الأقْوَامِ لاَ يُحْيُونَهَا ... أبَداً وَلاَ تُحْيِيهُمُ لِهَوَانِ

هَذَا وَقَوْلُهُمُ خِلافُ الحِسِّ والـ ... ـمَعْقُولِ والمنْقُولِ والبُرْهَانِ
مَعْ كَوْنِه أَيْضاً خِلاَفَ الفِطْرَةِ الـ ... أولَى وَسُنَّةِ رَبِّنا الرحمْنِ
فاللَّهُ قَدْ فَطَرَ العبَادَ عَلَى التَّفَا ... هُم بالخطَابِ لِمَقْصِدِ التِّبْيَانِ
كُلٌّ يَدلُّ عَلَى الَّذِي فِي نَفْسِهِ ... بِكَلاَمِهِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ لِسَانِ
فَتَرَى المخَاطِبَ قَاطِعاً بمرَادِهِ ... هَذَا مَعَ التقْصِير فِي الإنْسَانِ
إِذْ كلُّ لَفْظٍ غَيْرِ لَفْظِ نَبِيِّنَا ... هُوَ دُونَهُ فِي ذَا بِلاَ نُكْرَانِ
حَاشَا كَلاَمَ اللَّهِ فَهْوَ الغَايَةُ الـ ... قُصْوى لَهُ أَعْلَى ذُرَى التِّبْيَانِ
لَمْ يَفْهَمِ الثَّقَلانِ مِنْ لَفْظٍ كَمَا ... فَهِمُوا مِنَ الأَخْبَارِ والقُرآنِ
فَهوَ الذِي اسْتَولَى عَلَى التِّبْيَانِ كاسْـ ... ـتِيلائِهِ حَقّاً عَلَى الإِحْسَانِ
مَا بَعْدَ تِبْيَانِ الرسُولِ لِنَاظِرٍ ... إلاَّ العَمَى والعَيْبُ فِي العُمْيانِ
فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ لِسَائِلٍ ... مِنْ صَحْبِهِ عَنْ رؤيةِ الرَّحْمْنِ
حَقّاً تَرَوْنَ إلٰهكُمْ يَوْمَ اللِّقَا ... رُؤْيَا العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرانِ
كَالبدْرِ لَيْلَ تَمَامِهِ والشَّمْسِ فِي ... نَحْرِ الظَّهِيرةِ مَا هُمَا مِثْلاَنِ
بَلْ قَصْدُهُ تَحْقِيقُ رؤيتِنا لَهُ ... فأَتَىٰ بأَظْهَرِ مَا يُرَى بِعِيَانِ
ونَفَى السَّحَابَ وذَاكَ أَمْرٌ مَانِعٌ ... مِنْ رؤيةِ القَمَرَيْنِ فِي ذَا الآنِ
فَأَتَى إذاً بالمقْتَضَى وَنَفَى الموا ... نِعَ خَشْيَةَ التقْصِيرِ فِي التِّبْيَانِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَذَا الَّذِي ... يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْد ذَا بِبَيَانِ
مَاذَا يَقُولُ القَاصِدُ التبيَانَ يَا ... أَهْلَ العَمَى مِنْ بَعْدِ ذَا التبيَانِ
فَبِأَيِّ لَفْظٍ جَاءكُمْ قُلْتُمْ لَهُ ... ذَا اللَّفْظُ مَعْزُولٌ عَن الإِيقَانِ
وَضَرَبْتُمُ فِي وَجْهِهِ بِعَسَاكِر التْـ ... ـتَأويل دَفْعاً مِنْكُمُ بِليانِ
لَو أَنَّكُمْ واللَّهِ عَامَلْتُمْ بذَا ... أَهْلَ العُلُوم وكُتْبِهِمْ بِوِزَانِ
فَسَدَتْ تَصَانِيفُ الوُجُودِ بأَسْرِهَا ... وغَدَتْ عُلُومُ الناسِ ذَاتَ هَوانِ
هَذَا وَلَيْسُوا فِي بَيَانِ عُلُومِهِمْ ... مِثْلَ الرَّسُولِ ومُنْزِلِ القُرْآنِ
واللَّهِ لَوْ صَحَّ الَّذِي قَدْ قُلْتُمُ ... قُطِعَتْ سَبِيلُ العِلْمِ والإِيمَانِ
فالعَقْلُ لاَ يَهْدِي إِلَى تَفْصِيلهَا ... لَكِنْ ما جَاءتْ بِهِ الوَحْيَانِ

فَإذَا غَدَا التفصِيلُ لَفظِيّاً وَمَعْـ ـزُولاً عَنِ الإيقَانِ والرجْحَانِ
فهُنَاكَ لاَ عِلماً أَفَادَتْ لاَ ولاَ ظَنّاً وَهَذَا غَايَةُ الحِرْمَانِ
لَوْ صَحَّ ذَاكَ القَوْلُ لَمْ يَحْصُلْ لَنَا قَطْعٌ بِقَوْلٍ قَطُّ مِنْ إنسَانِ
وَغَدَا التَّخَاطُبُ فَاسِداً وفَسَادُهُ أصْلُ الفَسَادِ لِنَوْعِ ذَا الإنْسَانِ
مَا كَانَ يَحْصُلُ عِلْمُنَا بِشَهَادَةٍ وَوَصِيَّةٍ كَلاً وَلاَ إيمَانِ
وَكَذَلِكَ الإقرارُ يُصبحُ فَاسِداً إذْ كَانَ مُحْتَمِلاً لِسَبْعِ مَعَانِ
وَكَذَا عُقُودُ العَالَمِينَ بِأَسْرِهَا بِاللَّفظِ إذْ يتَخَاطَبُ الرَّجُلاَنِ
أيسُوغُ لِلشُّهَدَا شَهَادَتُهُمْ بِهَا مِنْ غَيْرِ عِلْم مِنْهُمُ بِبَيَانِ
إذْ تِلْكُمُ الألْفَاظُ غَيْرُ مُفِيدَةٍ لِلْعِلْمِ بَلْ لِلظَّنِّ ذِي الرُّجحَانِ
بَلْ لاَ يَسُوغُ لِشَاهِدٍ أبداً شَهَا دَتُهُ عَلَى مَدْلُولِ نُطْقِ لِسَانِ
بَلْ لاَ يُرَاقُ دَمٌ بِلفْظِ الكُفْرِ مِنْ مُتَكَلِّم بالظَّنِّ والحُسْبَانِ
بَلْ لاَ يُبَاحُ الفَرْجُ بالإذْنِ الَّذِي هُوَ شَرْطُ صِحَّتِهِ مِنَ النِّسْوَانِ
أَيَسُوغُ لِلشُّهَداءِ جَزْمُهُمُ بِأنْ رَضِيَتْ بِلَفْظٍ قَابِلٍ لمعَانِ
هَذَا وَجُمْلَةُ مَا يُقَالُ بِأَنَّهُ فِي ذَا فَسَادُ العَقلِ وَالأَدْيَانِ
هَذا وَمِنْ بُهْتَانِهِمْ أنَّ اللُّغَا تِ أَتَتْ بِنَقْلِ الفَرْدِ وَالوحْدَانِ
فَانْظرْ إلى الألْفَاظِ فِي جرَيَانِهَا فِي هذِهِ الأخْبَارِ والقُرْآنِ
أَتَظُنُّهَا تَحْتَاجُ نَقْلاً مُسْنَداً مُتَوَاتِراً أَوْ نَقْلَ ذِي وِحْدَانِ
أَمْ قَدْ جَرَتْ مَجْرَى الضَّرُورِيَّاتِ لاَ تَحْتَاجُ نَقْلاً وَهْيَ ذَاتُ بَيَانِ
إلاَّ الأقَلَّ فإنَّهُ يَحْتَاجُ لِلنْـ ـنَقْلِ الصَّحِيحِ وَذَاكَ ذُو تِبْيَانِ
وَمِنَ المصَائِبِ قَوْلُ قَائِلِهِمْ بأنْـ ـنَ اللَّه أظْهَرُ لَفْظَةٍ بلسَانِ
وَخِلاَفُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ ظَاهِرٌ عَرَبِيٌّ وَضْعٍ ذَاكَ أَمْ سِريَانِي
وَكَذَا اخْتِلاَفُهُمُ أمُشْتَقاً يُرَى أَمْ جَامِداً قَوْلاَنِ مَشْهُورَانِ
والأصْلُ مَاذَا فِيهِ خُلْفٌ ثَابِتٌ عِنْدَ النُّحَاةِ وَذَاكَ ذُو أَلْوَانِ
هَذَا وَلَفظُ اللَّهِ أظْهَرُ لَفظَةٍ نَطَقَ اللِّسَانُ بِهَا مَدَى الأزْمَانِ
فانْظُرْ بحَقِّ اللَّهِ مَاذَا فِي الَّذِي قَالُوهُ مِنْ لَبْسٍ وَمِنْ بُهْتَانِ

هَلْ خَالَفَ العُقَلاءُ أَنَّ اللَّه رَبْـ ـبُ العَالَمِينَ مُدَبِّرُ الأَكْوَانِ
مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلاَ هُوَ مُوهِمٌ نَقْلَ المَجَازِ وَلاَ لَهُ وَضْعَانِ
والخُلْفُ فِي أَحْوَالِ ذاكَ اللَّفظِ لاَ فِي وَضْعِهِ لَمْ يَخْتَلِفْ رَجُلانِ
وَإِذَا هُمُ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ مَكَّةٍ فِيهِ لَهُمْ قَوْلاَنِ مَعْرُوفَانِ
أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ حَرَمُ الإِلٰهِ وَقِبْلَةُ البُلْدَانِ
وَإِذَا هُمُ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ أَحْمدٍ فِيهِ لَهُمْ قَوْلاَنِ مَذْكُورَانِ
أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بأَنَّ مُرَادَهُمْ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ذُو البُرْهَانِ
وَنَظِيرُ هَذَا لَيْس يُحْصَرُ كَثْرَةً يَا قَوْمُ فاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمٰنِ
أَبِمثْلِ ذَا الهَذَيَانِ قَدْ عُزِلَتْ نُصُو صُ الوَحْيِ عَنْ عِلمٍ وَعَنْ إِيقَانِ
فَالحَمْدُ للَّهِ المعَافِي عَبْدَهُ مِمَّا بَلاَكُمْ يَا ذَوِي العِرْفَانِ
فَلأَجْلِ ذَا نَبَذُوا الكِتَابَ وَرَاءَهُمْ وَمَضَوْا عَلَى آثَارِ كُلِّ مُهَانِ
وَلأجْلِ ذَاكَ غَدَوْا عَلَى السُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ وأَهْلِيهَا ذَوِي أَضْغَانِ
يَرْمُونَهُمْ كَذباً بِكُلِّ عَظِيمَةٍ حَاشَاهُمُ مِنْ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ



فصلٌ

في تنزيهِ أهلِ الحديثِ والشَّريعةِ عَنِ الألْقابِ القَبيحَةِ الشَّنِيعَةِ

فَرَمَوْهُمُ بَغْياً بِمَا الرَّامِي بِهِ أَوْلَى لِيَدْفَعَ عَنْهُ فِعْلَ الجَانِي
يَرْمِي البَرِيءَ بِمَا جنَاهُ مُبَاهِتاً وَلِذَاكَ عِنْدَ الغِرِّ يَشْتَبِهَانِ
سَمُّوهُمُ حَشْوِيَّةً وَنَوَابِتاً ومُجَسِّمِينَ وَعَابِدِي أَوْثَانِ
وَكَذَاكَ أَعْدَاءُ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ وَهُمُ الرَّوافِضُ أَخْبَثُ الحَيَوَانِ
نَصَبُوا العَدَاوَةَ للصَّحَابَةِ ثُمَّ سَمْـ ـمَوا بالنَّواصِب شِيعَةَ الرَّحْمٰنِ
وَكَذَا المعَطِّلُ شَبَّهَ الرَّحْمٰنَ بالـ ـمَعْدُومِ فاجْتَمعَتْ لَهُ الوَصْفَانِ
وَكَذَاكَ شَبَّهَ قَوْلَهُ بِكَلامِنَا حَتَّى نفَاهُ وذَانِ تَشْبِيهَانِ

وَكَـذَاكَ شَبَّـهَ وَصْـفَـهُ بِـصِـفَـاتِـنَـا حَـتَّـى نَـفَـاهُ عَـنْـه بِـالْـبُـهْـتَـانِ
وَأتـى إلَـى وَصْـفِ الـرَّسُـولِ لِـرَبِّـهِ سَـمَّـاهُ تَـشْـبِـيـهـاً فَـيَـا إخْـوَانِـي
بِـالـلَّـه مَـنْ أوْلَـى بِـهَـٰذَا الإسْـم مِـنْ هَـٰذَا الـخَـبِـيـثِ الـمـخْـبِـثِ الشَّيْطَانِي
إنْ كَـانَ تَـشْـبِـيـهـاً ثُـبُـوتُ صِـفَـاتِـهِ سُـبْـحَـانَـهُ أكْـمِـلْ بـه ذِي شَـانِ
لَـكـنَّ نَـفْـيَ صِـفَـاتِـهِ تَـشْـبِـيـهُـهُ بِـالـجَـامِـدَاتِ وكُـلِّ ذِي نُـقْـصَـانِ
بَـلْ بـالـذِي هُـوَ غَـيْـرُ شَـيْءٍ وَهْـوَ مَـعْـدُومٌ وإنْ يُـفْـرضْ فَـفِـي الأذْهَـانِ
فَـمَـنِ الـمـشَـبِّـهُ بـالـحَـقِـيـقَـة أنْـتُـمُ أمْ مُـثْـبِـتُ الأوصَـافِ لِـلـرَّحْـمَٰـنِ



فصلٌ

في نُكْتةٍ بديعةٍ تبينُ ميراثَ الملقّبينَ والملقَّبينَ من المشركينَ والموحدينَ

هَـذَا وَثَـمَّ لَـطِـيـفَـةٌ عَـجَـبٌ سَـأُبْـدِيـهـا لَـكُـمْ يَـا مَـعْـشَـرَ الإخْـوَانِ
فَـاسْـمَـعْ فَـذَاكَ مُـعَـطِّـلٌ وَمُـشَـبِّـهٌ وَاعْـقِـلْ فَـذَاكَ حـقِـيـقَـةُ الإنْـسَـانِ
لاَ بُـدَّ أنْ يَـرِثَ الـرَّسُـولَ وَضِـدَّهُ فِـي الـنَّـاسِ طَـائِـفَـتَـانِ مُـخْـتَـلِـفَـانِ
فَـالـوَارِثُـونَ لَـهُ عَـلَـى مِـنْـهَـاجِـهِ والـوَارِثُـونَ لِـضِـدِّه فِـئَـتَـانِ
إحْـدَاهُـمَـا حَـزْبٌ لَـهُ ولِـحِـزْبِـه مَـا عِـنْـدَهُـمْ فِـي ذَاكَ مِـنْ كِـتْـمَـانِ
فَـرمَـوْهُ مِـنْ ألْـقَـابِـهِـمْ بِـعَـظَـائِـمٍ هُـمْ أهْـلُـهَـا لاَ خِـيـرَةُ الـرَّحْـمَٰـنِ
فَـأتَـى الأُلَـى وَرِثُـوهُـمْ فَـرَمَـوْا بِـهَـا وُرَّاثَـهُ بِـالْـبَـغْـي والـعُـدْوَانِ
هَـذَا يُـحَـقِّـقُ إرْثَ كُـلٍّ مِـنْـهُـمَـا فَـاسْـمَـعْ وعِـهْ يَـا مَـنْ لَـهُ أذُنَـانِ
وَالآخَـرُونَ أُولُـو الـنِّـفَـاق فَـأضْـمَـرُوا شَـيْـئـاً وَقَـالُـوا غَـيْـرَهُ بِـلِـسَـانِ
وَكَـذَا الـمـعَـطِّـلُ مُـضْـمِـرٌ تَـعْـطِـيـلَـهُ قَـدْ أظْـهَـرَ الـتَّـنْـزِيـهَ لِـلـرَّحْـمَٰـنِ
هَـذِي مَـوَارِيـثُ الـعِـبَـادِ تَـقَـسَّـمَـتْ بَـيْـنَ الـطَّـوَائِـفِ قِـسْـمَـةَ الـمَـنَّـانِ
هَـذَا وَثَـمَّ لَـطِـيـفَـةٌ أخْـرَى بِـهَـا سُـلْـوانُ مَـنْ قَـدْ سُـبَّ بِـالـبُـهْـتَـانِ
تَـجِـدُ الـمـعَـطِّـلَ لاَعِـنـاً لِـمـجَـسِّـمٍ وَمُـشَـبِّـهٍ لِـلَّـهِ بِـالإنْـسَـانِ

وَاللَّهُ يَصْرِفُ ذَاكَ عَنْ أهْلِ الهُدَى ... كَمُحَمَّدٍ ومُذَمَّمٍ إسْمَانِ
هُمْ يَشْتُمُونَ مُذَمَّماً وَمُحَمَّدٌ ... عَنْ شَتْمِهِمْ فِي مَعْزِلٍ وَصِيَانِ
صَانَ الإلٰهُ مُحَمَّداً عَنْ شَتْمِهِمْ ... فِي اللَّفْظِ والمعْنَى هُمَا صِنْوَانِ
كَصِيَانَةِ الأتْبَاعِ عَنْ شَتْمِ المعَطْـ ... ـطِلِ لِلْمُشَبِّهِ هَكَذَا الإرْثَانِ
والسَّبُّ مَرْجِعُهُ إلَيْهِمْ إذْ هُمُ ... أهْلٌ لِكُلِّ مَذَمَّةٍ وَهَوَانِ
وَكَذَا المعَطِّلُ يَلْعَنُ اسْمَ مُشَبِّهٍ ... واسْمُ الْمُوحِّدِ فِي حِمَى الرَّحْمٰنِ
هَذِي حِسَانُ عَرَائِسٍ زُفَّتْ لَكُمْ ... وَلَدَى المعَطِّلِ هُنَّ غَيْرُ حِسَانِ
وَالعِلْمُ يَدْخُلُ قَلْبَ كُلِّ مُوَفَّقٍ ... مِنْ غَيْرِ أبْوَابٍ وَلاَ اسْتِئْذَانِ
وَيَرُدُّهُ المحْرُومُ مِنْ خِذْلاَنِهِ ... لاَ تُشْقِنَا اللَّهُمَّ بِالحِرْمَانِ
يَا فِرْقَةً نَفَتِ الإلٰهَ وَقَوْلَهُ ... وَعُلُوَّهُ بِالجَحْدِ والكُفْرَانِ
مُوتُوا بِغَيْظِكُمُ فَرَبِّي عَالِمٌ ... بِسَرَائِرٍ مِنْكُمْ وَخُبْثِ جَنَانِ
فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ ... وَرَسُولِهِ بِالعِلْمِ والسُّلْطَانِ
والحَقُّ رُكْنٌ لاَ يَقُومُ لِهَدِّهِ ... أحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلاَنِ
تُوبُوا إلَى الرَّحْمٰنِ مِنْ تَعْطِيلِكُمْ ... فَالرَّبُّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ النَّدْمَانِ
مَنْ تَابَ مِنْكُمْ فَالجِنَانُ مَصِيرُهُ ... أوْ مَاتَ جَهْمِيّاً فَفِي النِّيرَانِ



فصلٌ

في بيانِ اقتضاءِ التَّجهُّمِ والجبرِ والإرجاءِ للخروجِ عنْ جميعِ دياناتِ الأنبياءِ

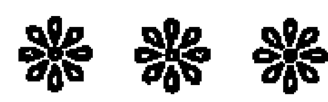
وَاسْمَعْ وعِهْ سِرّاً عَجِيباً كَانَ مَكْـ ... ـتُوماً مِنَ الأقْوَامِ مُنْذُ زَمَانِ
فَأذَعْتُهُ بَعْدَ اللَّتَيَّا والَّتِي ... نُصْحاً وَخَوْفَ مَعَرَّةِ الكِتْمَانِ
جِيمٌ وَجِيمٌ ثُمَّ جِيمٌ مَعْهُمَا ... مَقْرُونَةٌ مَعْ أحْرُفٍ بِوِزَانِ
فِيهَا لَدَى الأقْوَامِ طِلَّسْمٌ مَتَى ... تَحْلُلْهُ تَحْلُلْ ذِرْوَةَ العِرْفَانِ
فَإذَا رَأيْتَ الثَّوْرَ فِيهِ تَقَارَنَ الـ ... ـجِيمَاتُ بِالتَّثْلِيثِ شَرَّ قِرَانِ

دَلَّتْ عَلَى أنَّ النُّحُوسَ جَمِيعَهَا ... سَهْمُ الَّذِي قَدْ فَازَ بِالخِذْلاَنِ
جَبْرٌ وإرْجَاءٌ وجِيمُ تَجَهُّمٍ ... فَتَأَمَّلِ المَجْمُوعَ فِي المِيزَانِ
فاحْكُمْ بِطَالِعِهَا لِمَنْ حَصَلَتْ لَهُ ... بِخَلاَصِهِ مِنْ رِبْقَةِ الإِيمَانِ
فَاحْمِل عَلَى الأقْدَارِ ذَنْبَكَ كُلَّهُ ... حَمْلَ الجُذُوعِ عَلَى قُوَى الجُدْرَانِ
وافْتَحْ لِنَفْسِك بَابَ عُذْرٍ إذْ تَرَى الْـ ... أفْعَالَ فِعْلَ الخَالِقِ الدَّيَّانِ
فَالجَبْرُ يُشْهِدُكَ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا ... مِثْلَ ارْتِعَاشِ الشَّيْخِ ذِي الرَّجَفَانِ
لاَ فَاعِلٌ أبَداً ولاَ هُوَ قَادِرٌ ... كَالمَيْتِ أُدْرِجَ دَاخِلَ الأكْفَانِ
والأمْرُ والنَّهْيُ اللَّذَانِ تَوَجَّهَا ... فَهُمَا كَأمْرِ العَبْدِ بِالطَّيَرَانِ
وَكَأمْرِهِ الأعْمَى بِنَقْطِ مَصَاحِفٍ ... أوْ شَكْلِهَا حَذَراً مِنَ الألْحَانِ
وَإذَا ارْتَفَعْتَ دُرَيْجَةً أخْرَى رَأيْـ ... ـتَ الكُلَّ طَاعَاتٍ بِلاَ عِصْيَانِ
إنْ قِيلَ قَدْ خَالَفْتَ أمْرَ الشَّرْعِ قُلْ ... لَكِنْ أطَعْتُ إرَادَةَ الرَّحْمٰنِ
وَمُطِيعُ أمْرِ اللَّهِ مِثْلُ مُطِيعِ مَا ... يَقْضِي بِهِ وَكِلاَهُمَا عَبْدَانِ
عَبْدُ الأوَامِرِ مِثْلُ عَبْدِ مَشِيئَةٍ ... عِنْدَ المحَقِّقِ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
فانْظُرْ إلَى مَا قَادَتِ الجِيمُ الَّذِي ... لِلْجَبْرِ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ بُهْتَانِ
وَكَذَلِكَ الإرْجَاءُ حِينَ تُقِرُّ الْـ ... ـمَعْبُودِ تُصْبِحُ كَامِلَ الإيمَانِ
فَارْمِ المصَاحِفَ فِي الحُشُوشِ وَخرِّب بالْـ ... بيتَ العَتِيقَ وَجِدَّ فِي العِصْيَانِ
واقْتُلْ إذَا مَا اسْطَعْتَ كُل مُوَحِّدٍ ... وَتَمَسَّحَنْ بِالقُسِّ وَالصُّلْبَانِ
واشْتُمْ جَمِيعَ المرْسَلِينَ وَمَنْ أتَوْا ... مِنْ عِنْدِهِ جَهْراً بِلاَ كِتْمَانِ
وَإذَا رَأيْتَ حِجَارَةً فاسْجُدْ لَهَا ... بَلْ خُرَّ لِلأصْنَامِ والأوْثَانِ
وأقِرَّ أنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلاَلُهُ ... هُوَ وَحْدَهُ البَارِي لِذِي الأكْوَانِ
وأقِرَّ أنَّ رَسُولَهُ حَقّاً أتَى ... مِنْ عِنْدِهِ بِالوَحْيِ والقُرْآنِ
فَتَكُونَ حَقّاً مُؤْمِناً وَجَمِيعُ ذَا ... وِزْرٌ عَلَيْكَ وَلَيْسَ بِالكُفْرَانِ
هَذَا هُوَ الإرْجَاءُ عِنْدَ غُلاَتِهِمْ ... مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ أخِي الشَّيْطَانِ
فأضِفْ إلَى الجِيمَيْنِ جِيمَ تَجَهُّمٍ ... وَانْفِ الصِّفَاتِ وألْقِ بِالأرْسَانِ
قُلْ لَيْس فَوْقَ العَرْشِ رَبٌّ عَالِمٌ ... بِسَرَائِرٍ مِنَّا وَلاَ إعْلاَنِ

بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو سَمْعٍ ولاَ بَـصَـرٍ وَلاَ عَـدْلٍ وَلاَ إحْـسَـانِ
بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مَعْبودٌ سِوى الـ عَـدمِ الَّـذِي لاَ شَـيْءَ فِـي الأعْـيَـانِ
بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ بِـأَوَامِـرٍ وَزَوَاجِـرٍ وَقُـرَانِ
كَـلاَّ ولاَ كَـلِـمٌ إِلَـيْـهِ صَـاعِـدٌ أَبَـداً وَلاَ عَـمَـلٌ لِـذِي شُـكْـرَانِ
أَنَّـى وَحَـظُّ الْـعَـرْشِ مِـنْـهُ كَـحَـظِّ مَـا تَحْتَ الثَّرَى عِنْدَ الحَضِيضِ الدَّانِي
بَـلْ نِـسْـبَـةُ الرَّحْـمٰنِ عِـنْـدَ فَـرِيقِـهِـمْ لِـلْـعَـرْشِ نِـسْـبَـتُـهُ إِلَـى الـبُـنْـيَـانِ
فَـعَـلَـيْـهِـمَـا اسْـتَـوْلَـى جَـمِـيـعاً قُـدْرَة وَكِـلاَهُـمَـا مِـنْ ذَاتِـهِ خِـلْـوَانِ
هَـذَا الَّـذِي أَعْـطَـتْـه جـيـمُ تَـجَـهُّـمٍ حَـشْـواً بِـلاَ كَـيْـلٍ وَلاَ مِـيـزَانِ
تَـاللَّـهِ مَـا اسْـتَـجْـمَـعْـنَ عِـنْـدَ مُـعَـطِّـلٍ جِـيـمَـاتُـهَـا وَلْـدَيْـهِ مِـنْ إِيـمَـانِ
والْـجَـهْـمُ أَصَّـلَـهَـا جَـمِـيـعاً فَـاغْـتَـدَتْ مَـقْـسُـومَـةً فِـي الـنَّـاسِ بِـالـمِـيـزَانِ
وَالْـوَارِثُـونَ لَـهُ عَـلَـى الـتَّـحْـقِـيـقِ هُـمْ أَصْـحَـابُـهَـا لاَ شِـيـعَـةُ الإِيـمَـانِ
لَـكِـنْ تَـقَـسَّـمَـتِ الـطَّـوَائِـفُ قَـوْلَـهُ ذُو السَّـهْـمِ والسَّـهْـمَـيْـنِ والسُّـهْـمَـانِ
لَكِنْ نَجَا أَهْلُ الحَديثِ المحْضِ أتْـ بَـاعُ الـرَّسُـولِ وَتَـابِـعُـوا الـقُـرْآنِ
عَرفُوا الَّذِي قَدْ قَالَ مَعْ عِلمٍ بِمَا قَـالَ الـرَّسُـولُ فَـهُـمْ أولُـو الـعِـرْفَـانِ
وَسِوَاهُمُ فِي الجَهْلِ والدَّعْوَى مَعَ الـ كِـبْـرِ الـعَـظِـيـمِ وكَـثْـرَةِ الـهَـذَيَـانِ
مَـدُّوا يَـداً نَـحْـوَ الـعُـلاَ بِـتَـكَـلُّـفٍ وتَـخَـلُّـفٍ وتَـكَـبُّـرٍ وتَـوَانِ
أَتُـرَى يَـنَـالُـوهَـا وَهَـذَا شَـأْنُـهُـمْ حَـاشَـا الـعُـلاَ مِـنْ ذَا الـزَّبُـونِ الـفَـانِي

❋ ❋ ❋

فصلٌ



في جوابِ الرَّبِّ تباركَ وتعالَى يومَ القيامة إذا سألَ المعطِّلَ والمشَبِّهَ عن قولِ كلٍّ منهما

وَسَـلِ الـمـعَـطِّـلَ مَـا تَـقُـولُ إذ أتَـى فِـئَـتَـانِ عِـنْـدَ الـلَّـهِ يَـخْـتَـصِـمَـانِ
إِحْدَاهُـمَـا حَـكَـمَـتْ عَـلَـى مَـعْـبُـودِهَـا بِـعُـقُـولِـهَـا وَبِـفِـكْـرَةِ الأَذْهَـانِ
سَـمَّـتْـهُ مَـعْـقُـولاً وَقَـالَـتْ إِنَّـهُ أَوْلَـى مِـنَ الـمَـنْـصُـوصِ بِـالـبُـرْهَـانِ

والنَّصُّ قَطْعاً لاَ يُفِيدُ فَنَحْنُ أوْ ـوَلْنَا وَفَوَّضْنَا لَنَا قَوْلاَنِ
قَالَتْ وقُلْنَا فِيكَ لَسْتَ بدَاخِلٍ فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجِ الأكْوَانِ
والعَرْشَ أخْلَيْنَاهُ مِنْكَ فَلَسْتَ فَو قَ العَرْشِ لَسْتَ بقابِلٍ لمكَانِ
وَكَذَاكَ لَسْتَ بقَائلِ القُرْآنِ بَلْ قَدْ قَالَهُ بَشَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
وَنَسَبْتَهُ حَقّاً إليكَ بِنِسْبَةِ التْـ ـتَشْرِيفِ تَعْظِيماً لِذِي القُرْآنِ
وكَذَاكَ قُلنَا لَسْتَ تنزِلُ فِي الدُّجى إنَّ النُّزُولَ صِفَاتُ ذِي الجُثْمَانِ
وَكذَاكَ قلْنَا لَسْتَ ذَا وَجهٍ وَلاَ سَمْعٍ وَلاَ بَصَرٍ فَكَيْفَ يَدَانِ
وَكَذَاكَ قلْنَا لاَ تُرَى فِي هَذِهِ الدُّ نْيَا وَلاَ يَوْمَ المعَادِ الثَّانِي
وَكَذَاكَ قُلْنَا مَا لِفِعْلِكَ حِكْمَةٌ مِنْ أجْلِهَا خَصَّصْتَهُ بِزمَانِ
مَا ثَمَّ غَيرُ مَشِيئَةٍ قَدْ رَجَّحَتْ مَثَلاً عَلَى مَثَلٍ بِلاَ رُجْحَانِ
لَكِنَّ مِنَّا مَنْ يَقُولُ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ بِوَصْفٍ قَامَ بالرَّحْمٰنِ
هَذَا وَقُلْنَا مَا اقْتَضتهُ عُقُولُنا وَعُقُولُ أشْيَاخٍ ذوي عِرْفَانِ
قَالُوا لَنَا لاَ تَأْخُذُوا بِظَواهِر الـ ـوَحْيَيْنِ تَنْسَلِخُوا مِنَ الإيمَانِ
بَلْ فَكِّرُوا بِعُقُولِكُمْ إنْ شِئْتُمُ أوْ فَاقْبَلُوا آراءَ عَقْلِ فُلاَنِ
فَلأجْلِ هَذَا لَمْ نُحَكِّمْ لَفْظَ آ ثَارٍ وَلاَ خَبَرٍ وَلاَ قُرْآنِ
إذْ كُلُّ تِلْكَ أدِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ مَعْزُولَةٌ عَنْ مقْتَضَى البُرْهَانِ

❊ ❊ ❊



والآخَرُونَ أتَوْا بِمَا قَدْ قَالَه مِنْ غَيْرِ تَحرِيفٍ وَلاَ كِتْمَانِ
قَالُوا تَلَقَّيْنَا عَقِيدَتَنَا عَنِ الـ ـوَحْيَيْنِ بالأخْبَارِ والقُرْآنِ
فالحُكْمُ مَا حَكَمَا بِهِ لاَ رَأيُ أهْـ ـلِ الإخْتِلاَفِ وَظَنُّ ذِي الحُسْبَانِ
آرَاؤهُمْ أحْداثُ هَذَا الدِّينِ نَا قِضَةٌ لأصْلِ طَهَارَةِ الإيمَانِ
آرَاؤُهُمْ رِيحُ المقَاعِدِ أيْنَ تِلْـ ـكَ الرِّيحُ مِنْ رَوحٍ وَمِنْ رَيحَانِ
قَالُوا وأنتَ رَقيبُنَا وَشَهِيدُنَا مِنْ فَوْقِ عَرْشِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ

إنَّـا أَبَـيْـنَـا أنْ نَـدِيـنَ بِـبِـدْعَـةٍ وَضَـلالَـةٍ أَوْ إفْـكِ ذِي بُـهْـتَـانِ
لَـكِـنْ بِـمَـا قَـدْ قُـلْـتَـهُ أَوْ قَـالَـهُ مَـنْ قَـدْ أتَـانَـا عَـنْـكَ بـالـفُـرْقَـانِ
وَكَـذَاكَ فـارقْـنَـاهُـمُ حـيـنَ احْـتِـيَـا جِ الـنَّـاسِ لـلأنْـصَـارِ والأعْـوَانِ
كَـيْـلاَ نَـصِـيرَ مَـصِـيرَهُـمْ فِي يَـوْمِـنَـا هَـذَا وَنَـطْـمَـعُ مِـنْـكَ بـالـغُـفْـرَانِ
فَـمَـنِ الَّـذِي مِـنَّـا أَحَـقُّ بـأَمْـنِـهِ فـاخْـتَـرْ لِـنَـفْـسِـكَ يَـا أَخَـا الـعِـرْفَـانِ
لاَ بُـدَّ أنْ نَـلْـقَـاهُ نَـحْـنُ وأنْـتُـمُ فِي مَوْقِفِ الـعَـرْضِ الـعَـظِـيمِ الشَّـانِ
وهُـنَـاكَ يَـسْـأَلُـنَـا جَـمِـيـعـاً رَبُّـنَـا وَلَـدَيـهِ قَـطْـعـاً نَـحْـنُ مُـخْـتَـصِـمَـانِ
فَـنَـقُـولُ قُـلْـتَ كَـذَا وَقَـال نَـبِـيُّـنَـا أَيْـضـاً كَـذا فـإِمَـامُـنَـا الـوَحْـيَـانِ
فـافـعَـلْ بِـنَـا مَـا أَنْـتَ أهْـلٌ بَـعْـدَ ذَا نَـحْـنُ الـعَـبِـيـدُ وأنْـتَ ذُو الإِحْـسَـانِ
أَفَـتَـقْـدِرُونَ عَـلَـى جَـوَابٍ مِـثْـلَ ذَا أَمْ تَـعْـدِلُـونَ عَـلَـى جَـوَابٍ ثَـانِ
مـا فِـيـهِ قَـالَ الـلَّـهُ قَـالَ رسـولُـه بَـلْ فـيـهِ قُـلْـنَـا مـثْـلَ قـولِ فُـلانِ
وَهْـوَ الَّـذِي أَدَّتْ إِلَـيْـهِ عُـقُـولُـنَـا لَـمَّـا وَزَنَّـا الـوَحْـيَ بـالـمِـيـزَانِ
إنْ كَـانَ ذَلِـكُـمُ الـجَـوَابُ مُـخْـلَـصـاً فَـامـضُـوا عَـلَـيْـهِ يَـا ذَوِي الـعِـرْفَـانِ
تـالـلَّـهِ مَـا بَـعْـدَ الـبَـيَـانِ لـمـنْـصِـفٍ إلاَّ الـعِـنَـادُ ومَـرْكَـبُ الـخِـذْلاَنِ



فصلٌ

في تحميلِ أهلِ الإِثْبَاتِ للمعطِّلِينَ شهادَة تؤدىٰ عندَ رَبِّ العَالَمينَ

يَـا أيُّـهَـا الـبَـاغِـي عَـلَـى أَتْـبَـاعِـهِ بـالـظُّـلْـمِ والـبُـهْـتَـانِ والـعُـدْوَانِ
قَـدْ حَـمَّـلُـوكَ شَـهَـادَةً فـاشْـهَـدْ بِـهَـا إنْ كُـنْـتَ مَـقْـبُـولاً لَـدَى الـرَّحْـمٰـنِ
وَاشْـهَـدْ عَـلَـيـهِـمْ إنْ سُـئِـلْـتَ بـأنَّـهُـمْ قَـالُـوا إلـٰهُ الـعَـرْشِ والأكْـوَانِ
فَـوْقَ الـسَّـمٰـواتِ الـعُـلاَ حَـقّـاً عَـلَـى الْـ عَـرْشِ اسْتَـوى سُـبْـحَانَ ذِي السُّـلْـطَانِ
والأمْـرُ يـنْـزِلُ مِـنْـهُ ثُـمَّ يَـسِـيـرُ فِي الْـ أقْـطَـارِ سُـبْـحَـانَ الـعَـظِـيـمِ الـشَّـانِ
وإِلَـيْـهِ يَـصْـعَـدُ مَـا يَـشَـاء بـأمْـرِهِ مِـنْ طَـيِّـبَـاتِ الـقَـوْلِ والـشُّـكْـرَانِ

وإلَيْهِ قَدْ صَعِدَ الرَّسُولُ وَقَبْلَهُ … عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ كَاسِرُ الصُّلْبَانِ
وَكَذَلِكَ الأمْلاَكُ تَصْعَدُ دَائِماً … مِنْ هَا هُنَا حَقّاً عَلَى الدَّيَّانِ
وَكَذَاكَ رُوحُ العَبْدِ بَعْدَ مَمَاتِهَا … تَرْقَى إلَيْهِ وَهْوَ ذُو إيمَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّهُ سُبْحَانَهُ … مُتَكَلِّمٌ بالوَحْيِ وَالقُرْآنِ
سَمِعَ الأمِينُ كَلاَمَهُ مِنْهُ وأدْ … دَاهُ إلَى المَبْعُوثِ بِالفُرْقَانِ
هُوَ قَوْلُ ربِّ العَالَمِينَ حَقِيقَةً … لَفْظاً وَمَعْنىً لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّهُ سُبْحَانَهُ … قَدْ كَلَّمَ المَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانِ
سَمِعَ ابْنُ عِمْرَانَ الرَّسُولُ كَلاَمَهُ … مِنْهُ إلَيْهِ مَسْمَعَ الآذَانِ
واشْهَد عَلَيْهِمْ أنَّهُمْ قَالُوا بأنْ … نَ اللَّهَ نَادَاهُ بِلاَ كِتْمَانِ
واشْهَدْ عَلَيهِمْ أنَّهُمْ قَالُوا بأنْ … نَ اللَّهَ نَادَى قَبْلَهُ الأبَوَانِ
واشْهَدْ عَلَيهِمْ أنَّهُمْ قَالُوا بأنْ … نَ اللَّهَ يَسْمَعُ صَوْتَه الثَّقَلاَنِ
واللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ … إنِّي أنَا اللَّهُ العَظِيمُ الشَّانِ
واللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرسُولِهِ … اذْهَبْ إلَى فِرْعَوْنَ ذِي الطُّغْيَانِ
واللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ «حَم» مَعْ … «طَهَ» ومَعْ «يَس» قَوْلَ بَيَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنهُمْ وَصَفُوا الإلـ … ـهَ بِكُلِّ مَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ
وَبِكُلِّ مَا قَالَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً … مِنْ غَيرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ عُدْوَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّ قَوْلَ نَبِيِّهِمْ … وَكَلاَمَ رَبِّ العَرْشِ ذَا التِّبْيَانِ
نَصٌّ يُفِيدُ لَدَيْهِمْ عِلْمَ اليَقِيـ … ـنِ إفَادَةَ المَعْلُومِ بالبُرْهَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّهُمْ قَدْ قَابَلُوا التَّـ … ـعْطِيلَ والتَّمْثِيلَ بالنُّكْرَانِ
إنَّ المُعَطِّلَ وَالمُمَثِّلَ مَا هُمَا … مُتَيَقِّنِينَ عِبَادَةَ الرَّحْمَنِ
ذَا عَابِدُ المَعْدُومِ لاَ سُبْحَانَهُ … أبَداً وَهَذَا عَابِدُ الأوْثَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيهِمْ أنَّهُمْ قَدْ أثْبَتُوا الـ … أسْمَاءَ والأوْصَافَ لِلدَّيَّانِ
وَكَذَلِكَ الأحْكَامُ أحكَامُ الصِّفَا … تِ وَهَذِهِ الأرْكَانُ لِلإيمَانِ
قَالُوا عَلِيمٌ وَهْوَ ذُو عِلْمٍ وَيَعْـ … ـلَمُ غَايَةَ الإسْرَارِ والإعْلاَنِ
وكَذَا بَصِيرٌ وَهْوَ ذُو بَصَرٍ وَيُبْـ … ـصِرُ كُلَّ مَرْئِيٍّ وَذِي الأكْوَانِ

وَكَذَا سَمِيعٌ وهو ذو سمع ويَسْـ   ـمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ مِنَ الأكْوَانِ
مُتَكَلِّمٌ وَلَهُ كَلاَمٌ وَصْفُهُ   وَيكَلِّمُ المَخْصُوصَ بالرِّضْوانِ
وَهْوَ القَوِيُّ بقُوَّةٍ هِي وَصْفُهُ   وَمَلِيكُ يَقْدِرُ يا أخا السُّلْطَانِ
وَهوَ المرِيدُ لَهُ الإرَادَةُ هكَذَا   أبَداً يُرِيدُ صَنَائِعَ الإحْسَانِ
والوَصْفُ مَعْنىً قَائِمٌ بالذَّاتِ والـ   أسْمَاءُ أعْلاَمٌ لَهُ بِوِزَانِ
أسْمَاؤُهُ دَلَّتْ عَلَى أوْصَافِهِ   مُشْتَقَّةٌ مِنْهَا اشْتِقَاقَ مَعَانِ
وَصِفَاتُهُ دَلَّتْ عَلَى أسْمَائِهِ   والفِعْلُ مُرْتَبِطٌ بِهِ الأمْرَانِ
والحُكْمُ نِسْبَتُهَا إلَى مُتَعَلَّقَا   تٍ تَقْتَضِي آثَارُهَا بِبَيَانِ
وَلَرُبَّمَا يُعْنَى بِهِ الإخْبَارُ عَنْ   آثَارِهَا يُعْنَى بِهِ أمْرَانِ
والفِعْلُ إعْطَاءُ الإرَادَةِ حُكْمَهَا   مَعْ قُدْرَةِ الفَعَّالِ والإمْكَانِ
فَإذَا انْتَفَتْ أوْصَافُهُ سُبْحَانَهُ   فَجَمِيعُ هَذَا بَيِّنُ البُطْلاَنِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّهُمْ قَالُوا بِهَـ   ـذَا كُلِّهِ جَهْراً بِلاَ كِتْمَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّهُمْ بُرَآءُ مِنْ   تَأوِيلِ كُلِّ مُحَرِّفٍ شَيْطَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيهِمْ أنَّهُمْ يَتَأوَّلُو   نَ حَقِيقَةَ التَّأوِيلِ فِي القُرْآنِ
هُمْ فِي الحَقِيقَةِ أهْلُ تَأوِيلِ الَّذِي   يُعْنَى بِهِ لاَ قَائِلِ الهَذَيَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّ تَأْوِيلاَتِهِمْ   صَرْفٌ عَنِ المَرْجُوحِ لِلرُّجْحَانِ
واشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّهُمْ حَمَلُوا النُّصُو   صَ عَلَى الحَقِيقَة لاَ المجَازِ الثَّانِي
إلاَّ إذَا ما اضْطَرَّهُمْ لمجَازِهَا الـ   ـمضْطَرُّ مِنْ حِسٍّ وَمِنْ بُرْهَانِ
فَهُنَاكَ عِصْمَتُهَا إبَاحَتُهُ بِغَيْـ   ـرِ تَجَانُفٍ لِلإثْمِ والعُدْوَانِ
واشْهَدْ عَلَيهِمْ أنَّهُمْ لاَ يَكْفُرُو   نَكُمُ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الكُفْرَانِ
إذْ أنْتُمُ أهْلُ الجَهَالَةِ عِنْدَهُمْ   لَسْتُمْ أولِي كُفْرٍ وَلاَ إيمَانِ
لاَ تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الكُفْرَانِ بَلْ   لاَ تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الإيمَانِ
إلاَّ إذَا عَانَدْتُمُ وَرَدَدْتُمُ   قَوْلَ الرَّسُولِ لأجْلِ قَوْلِ فُلاَنِ
فَهُنَاكَ أنْتم أكْفَرُ الثَّقَلَيْنِ مِنْ   إنْسٍ وَجِنٍّ سَاكِنِي النِّيرانِ
واشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّهُمْ قَدْ أثْبَتُوا الـ   أقْدَارَ وَارِدَةً مِنَ الرَّحْمٰنِ

وَاشْهَدْ عَلَيْهِم أنَّ حُجَّةَ رِبِّهِمْ قَامَتْ عَلَيْهِمْ وَهْوَ ذُو غُفْرَانِ
واشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّهُمْ هُمْ فَاعِلُو نَ حَقِيقَةَ الطَّاعَاتِ والعِصْيَانِ
والجَبْرُ عِنْدَهُمْ مُحَالٌ هَكَذَا نَفْيُ القَضَاءِ فَبِئْسَتِ الرَّأيانِ
واشْهَدْ عَلَيهِمْ أنَّ إيمَانَ الوَرَى قَوْلٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ عَقْدُ جَنَانِ
وَيَزِيدُ بالطَّاعَاتِ قَطْعاً هَكَذَا بالضِّدِّ يُمْسِي وَهْوَ ذُو نُقْصَانِ
واللَّهِ مَا إيمَان عَاصِينَا كإيـ ـمَانِ الأَمِينِ مُنَزِّلِ القُرْآنِ
كَلاَّ وَلاَ إيمَانُ مُؤْمِنِنَا كإيـ ـمَانِ الرَّسُولِ مُعَلِّمِ الإيمَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّهُمْ لَمْ يُخْلِدُوا أَهْلَ الكَبَائِرِ فِي حَمِيمِ آنِ
بَلْ يَخْرجُونَ بإِذْنِهِ بِشَفَاعَةٍ وَبِدُونِهَا لِمَسَاكِنٍ بِجِنَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّ رَبَّهُمُ يُرَى يَوْمَ المَعَادِ كَمَا يُرَى القَمَرانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّ أَصْحَابَ الرَّسُو لِ خِيَارُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إنسَانِ
حَاشَا النَّبِيِّينَ الكِرامَ فإنَّهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ خِيرَةُ الرَّحْمٰنِ
وخِيَارُهُمْ خُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَخِيَارُهُمْ حَقّاً هُمَا العُمَرَانِ
والسَّابِقُونَ الأوَّلُونَ أَحَقُّ بالتَّـ ـقْدِيمِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ بِبَيَانِ
كُلٌّ بِحَسْبِ السَّبْقِ أفْضَلُ رُتبةً مِنْ لاَحِقٍ والفَضْلُ لِلْمَنَّانِ



فصلٌ

في عهودِ المثبتينَ معَ ربِّ العالمينَ

يَا نَاصِرَ الإِسْلاَمِ والسُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ المَبْعُوثِ بالقُرْآنِ
يَا مَنْ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ وَقولُهُ وَلِقَاؤُهُ ورَسُولُهُ بِبَيَانِ
اشْرَحْ لِدِينِكَ صَدْرَ كُلِّ مُوحِّدٍ شَرحاً يَنَالُ بِهِ ذُرَا الإيمَانِ
واجْعَلْهُ مؤتَمّاً بِوَحْيِكَ لاَ بِمَا قَدْ قَالَهُ ذُو الإفْكِ وَالبُهْتَانِ
وَانْصُرْ بِهِ حِزْبَ الهُدَى واكْبِت بِهِ حِزْبَ الضَّلاَلِ وَشِيعَةَ الشَّيْطَانِ
وانْعِشْ بِهِ مَنْ قَصْدُهُ إحْيَاؤه وَاعْصِمْهُ مِنْ كَيْدِ امْرِئٍ فَتَّانِ

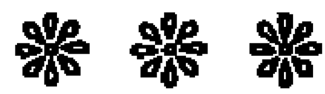
وَاضربْ بحقِّكَ عُنُقَ أهْلِ الزيغِ والتَّـ تَــبْـدِيــلِ والـتـكْـذِيبِ والطغْيَانِ
فَوَحقِّ نِعْمتِكَ التِي أوْليتَنِي وَجَعَلتَ قَلْبِي وَاعِيَ القُرآنِ
وَكَتَبْتَ فِي قَلْبِي مُتَابَعَةَ الهُدَى فَقَرأتُ فِيهِ أسْطُرَ الإيمَانِ
ونَشَلْتَنِي مِنْ حُبِّ أصْحَابِ الهَوَى بِحَبائِلٍ مِنْ مُحْكَمِ الفُرْقَانِ
وَجَعَلْتَ شِرْبِي المنْهَلَ العَذْبَ الَّذِي هُو رأسُ ماءِ الوَارِدِ الظمآنِ
وَعَصَمْتَنِي مِنْ شِرْبِ سِفْلِ المَاءِ تحْـ ـتَ نَجَاسَةِ الآرَاءِ والأذْهَانِ
وَحَفِظْتَنِي مِمَّا ابتَلَيْتَ بِهِ الأُلَى حَكَمُوا عَلَيْكَ بِشِرْعَةِ البُهْتَانِ
نَبَذُوا كِتَابَكَ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ وَتمَسَّكُوا بزَخَارِفِ الهذَيَانِ
وأرَيْتَنِي البِدَعَ المضِلَّةَ كَيْفَ يُلْـ قِيهَا مُزخْرَفَةً إلَى الإنْسَانِ
شَيْطَانُهُ فَيَظلُّ ينْقُشُهَا لَهُ نَقْشَ المشَبِّهِ صورَةً بدِهَانِ
فيَظُنُّهَا المغْرورُ حَقّاً وَهْيَ فِي التَّـ ـحْقِيق مِثْلُ الَّلالِ فِي القِيعَانِ
لأجَاهِدَنَّ عِدَاكَ مَا أبْقَيْتَنِي وَلأجْعَلَنَّ قِتَالَهُمْ دَيْدانِي
ولأفْضَحَنَّهُمُ عَلَى رُوسِ المَلاَ ولأفْرِيَنَّ أدِيمَهُمْ بِلِسَانِي
ولأكْشِفَنَّ سَرَائراً خَفِيتْ عَلَى ضُعَفَاءِ خَلقِكَ مِنْهُمُ بِبَيَانِ
ولأتبعَنَّهُمُ إلَى حَيثُ انْتَهَوْا حَتَّى يُقَالَ أبَعْدُ عبَّادَانِ
ولأرْجُمَنَّهُمُ بأعْلامِ الهُدَى رَجْمَ المرِيدِ بِثَاقِبِ الشُّبْهَانِ
ولأقْعُدَنَّ لَهُمْ مَرَاصِدَ كَيْدِهِمْ وَلأحْصُرنَّهُمُ بِكلِّ مَكَانِ
ولأجْعَلَنَّ لُحُومَهُمْ ودِمَاءَهُمْ فِي يَوْمِ نَصْرِكَ أعْظَمَ القُرْبَانِ
ولأحْمِلَنَّ عَلَيْهِمُ بعسَاكر لَيْسَتْ تَفرُّ إذَا التَقَى الزَّحْفَانِ
بعَسَاكِرِ الوَحْيَيْنِ والفِطْرَاتِ بالْـ ـمعْقُولِ والمنْقُولِ بالإحْسَانِ
حَتَّى يَبِينَ لمنْ لَهُ عَقْلٌ مَنِ الْـ أوْلَى بِحُكْمِ العَقْلِ والبرْهَانِ
ولأنْصحَنَّ اللَّهَ ثُمَّ رَسُولَهُ وكِتَابَهُ وشَرَائِعَ الإيمَانِ
إنْ شَاءَ رَبِّي ذَا يَكُونُ بحَوْلِهِ إنْ لمْ يَشَا فالأمْرُ للرَّحْمٰنِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في شهادةِ أهلِ الإثباتِ على أهلِ التعطيل أنَّه ليسَ في السَّماءِ إلهٌ يعبدُ ولاَ لله بيننا كلامٌ ولاَ في القبرِ رَسولُ اللَّهِ

إنَّـا تَـحَـمَّـلْـنَـا الـشَّـهَـادَةَ بـالَّـذِي ... قُـلْـتُـمْ نُـؤَدِّيـهَـا لَـدَى الـرَّحْـمٰـنِ
مَـا عِـنْـدكُـمْ فِـي الأَرْضِ قُـرْآنٌ كَـلا ... مُ الـلَّـهِ حَـقّـاً يَـا أُولِـي الـعُـدوَانِ
كَـلاَّ وَلاَ فَـوْقَ الـسَّـمَـٰوَاتِ الـعُـلاَ ... رَبٌّ يُـطَـاعُ بِـواجِـبِ الـشُّـكْـرَانِ
كَـلاَّ وَلاَ فِـي الـقَـبْـرِ أَيْـضـاً عِـنْـدَكُـمْ ... مِـنْ مُـرْسَـلٍ والـلَّـهِ عِـنْـد لِـسَـانِ
هَـاتِـيـكَ عَـوْرَاتٌ ثَـلاَثٌ قَـدْ بَـدَتْ ... مِـنْـكُـمْ فَـغَـطُّـوهَـا بِـلاَ رَوَغَـانِ
فَـالـرُّوحُ عِـنْـدَكُـمُ مِـنَ الأعـرَاضِ قَـا ... ئِـمَـةٌ بِـجِـسـمِ الـحَـيِّ كَـالأَلْـوَانِ
وَكَـذَا صِـفَـاتُ الـحَـيِّ قَـائِـمَـةٌ بِـهِ ... مَـشْـرُوطَـةٌ بِـحَـيَـاةِ ذِي الـجُـثْـمَـانِ
فَـإِذَا انْـتَـفَـتْ تِـلْـكَ الـحَـيَـاةُ فَـيَـنْـتَـفِـي ... مَـشْـرُوطُـهَـا بِـالـعَـقْـلِ وَالـبُـرْهَـانِ
وَرِسَـالَـةُ الـمَـبْـعُـوثِ مَـشْـرُوطٌ بِـهَـا ... كَـصِـفَـاتِـهِ بِـالْـعِـلْـمِ والإِيـمَـانِ
فَـإِذَا انْـتَـفَـتْ تِـلْـكَ الـحَـيَـاةُ فَـكُـلُّ مَـشْـ ... ـرُوطٍ بِـهَـا عَـدَمٌ لِـذِي الأَذْهَـانِ



فصلٌ

في الكلامِ في حياةِ الأنبياءِ في قبورِهِمْ

وَلأَجْـلِ هَـذَا رَامَ نَـاصِـرُ قَـوْلِـكُـم ... تَـرقِـيـعَـهُ يَـا كَـثْـرَةَ الـخُـلْـقَـانِ
قَـالَ الـرَّسُـولُ بِـقَـبْـرِهِ حَـيٌّ كَـمَـا ... قَـدْ كَـانَ فَـوْقَ الأَرْضِ والـرُّجْـمَـانِ
مِنْ فَوْقِهِ أَطْبَاقُ ذَاكَ الـتُّـرْبِ والـلَّـ ... ـبِـنَـاتُ قَدْ عُرِضَتْ عَلَى الجُدْرَانِ
لَـوْ كَـان حَـيّـاً فِـي الـضَّـرِيـحِ حَـيَـاتَـهُ ... قَـبْـلَ الـمَـمَـاتِ بِـغَـيْـرِ مَـا فُـرْقَـانِ
مَا كَـانَ تَـحْـتَ الأَرْضِ بَلْ مِنْ فَوْقِهَا ... والـلَّـهِ هَـذِي سُـنَّـةُ الـرَّحْـمٰـنِ
أَتُـرَاهُ تَـحْـتَ الأَرْضِ حَـيّـاً ثُـمَّ لاَ ... يُـفْـتِـيـهُـمُ بِـشَـرَائِـعِ الإِيـمَـانِ
وَيُـرِيـحُ أُمَّـتَـهُ مِـنَ الآرَاءِ وَالـ ... ـخُـلْـفِ الـعَـظِـيمِ وَسَائِرِ الـبُـهْـتَـانِ

أَمْ كَانَ حَيّاً عَاجِزاً عَنْ نُطْقِهِ ... وَعَنِ الْجَوَابِ لِسَائِلٍ لَهْفَانِ
وَعَنِ الْحِرَاكِ فَمَا الْحَيَاةُ الَّلاتِ قَدْ ... أَثْبَتُّمُوهَا أَوْضِحُوا بِبَيَانِ
هَذَا ولِمْ لا جَاءَهُ أَصْحَابُهُ ... يَشْكُونَ بَأْسَ الفَاجِرِ الفَتَّانِ
إذْ كَانَ ذَلكَ دَأْبَهُمْ وَنَبِيُّهُمْ ... حَيٌّ يُشَاهِدُهُمْ شُهُودَ عِيَانِ
هَلْ جَاءَكُمْ أَثَرٌ بأَنَّ صِحَابَهُ ... سَأَلُوهُ فُتْيَا وَهْوَ فِي الأَكْفَانِ
فَأَجَابَهُمْ بِجَوَابِ حَيٍّ نَاطِقٍ ... فَأْتُوا إذاً بالحَقِّ والبُرْهَانِ
هَلاَّ أَجَابَهُمُ جَوَاباً شَافِياً ... إنْ كَانَ حَيّاً نَاطِقاً بِلِسَانِ
هَذَا وَمَا شُدَّتْ رَكَائِبُهُ عَنِ الـ ... ـحُجرَاتِ لِلْقَاصِي مِنَ البُلْدَانِ
مَعَ شِدَّةِ الحِرْصِ العَظِيمِ لَهُ عَلَى ... إرْشَادِهِمْ بِطَرَائِقِ التِّبْيَانِ
أَتُرَاهُ يَشْهَدُ رَأْيَهُمْ وَخِلاَفَهُمْ ... وَيَكُونُ لِلتِّبْيَانِ ذَا كِتْمَانِ
إنْ قُلْتُمُ سَبَقَ البَيَانُ صَدَقْتُمُ ... قَدْ كَانَ بِالتَّكْرَارِ ذا إحْسَانِ
هَذَا وَكَمْ مِنْ أَمْرِ اشْكَل بَعْدَهُ ... أعْنِي عَلَى عُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانِ
أَوَ مَا تَرَى الفَارُوقَ وَدَّ بأَنَّهُ ... قَدْ كَانَ مِنْهُ العَهْدُ ذَا تِبْيَانِ
بِالجَدِّ فِي مِيرَاثِهِ وَكَلاَلَةٍ ... وَبِبَعْضِ أَبْوَابِ الرِّبَا الفَتَّانِ
قَدْ قَصَّرَ الفَارُوقُ عِنْدَ فَرِيقكُمْ ... إذْ لَمْ يَسَلْهُ وَهْوَ فِي الأَكْفَانِ
أَتَرَاهُمُ يَأْتُونَ حَوْلَ ضَرِيحِهِ ... لِسُؤَالِ أَمِّهِمُ أَعَزِّ حَصَانِ
ونَبِيُّهُمْ حَيٌّ يُشَاهِدُهُمْ وَيَسْـ ... ـمَعُهُمْ وَلاَ يَأْتِي لَهُمْ بِبَيَانِ
أَفَكَانَ يَعْجِزُ أَنْ يُجِيبَ بِقَوْلِهِ ... إنْ كَانَ حَيّاً دَاخِلَ البُنْيَانِ
يَا قَوْمَنَا اسْتَحْيُوا مِنَ العُقَلاَءِ والـ ... ـمَبْعُوثِ بالقُرْآنِ وَالرَّحْمنِ
واللَّهِ لاَ قَدْرَ الرَّسُولِ عَرَفْتُمُ ... كَلاَّ وَلاَ لِلنَّفْسِ والإنْسَانِ
مَنْ كَانَ هَذَا القَدْرُ مبلغ علمِهِ ... فَلْيَسْتَتِرْ بالصَّمْتِ وَالكِتْمَانِ
وَلَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ أَنَّ رَسُولَهُ ... مَيْتٌ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ
أَفَجَاءَ أنَّ اللَّه بَاعِثُهُ لَنَا ... فِي القَبْرِ قَبْلَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
أَثَلاَثُ مَوْتَاتٍ تَكُونُ لِرُسْلِهِ ... وَلِغَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ مَوْتَانِ
إذْ عَنْدَ نَفْخِ الصُّورِ لاَ يَبْقَى امرُؤٌ ... فِي الأَرْضِ حَيّاً قَطُّ بالبُرْهَانِ

أَفَهَلْ يَمُوتُ الرُّسْلُ أَمْ يَبْقُوا إِذَا ... مَاتَ الوَرَى أَمْ هَلْ لَكُمْ قَوْلاَنِ

فَتَكَلَّمُوا بِالعِلْمِ لاَ الدَّعْوى وَجِيـ ... ـئُوا بِالدَّلِيلِ فَنَحْنُ ذُو أَذْهَانِ

أَوَ لَمْ يَقُلْ مِنْ قَبْلِكُمْ لِلرَّافِعِي الْـ ... أَصْواتِ حَوْلَ القَبْرِ بِالنُّكْرَانِ

لاَ تَرْفَعُوا الأَصْوَاتَ حُرْمَةُ عَبْدِهِ ... مَيْتاً كَحُرْمَتِهِ لَدَى الحَيَوانِ

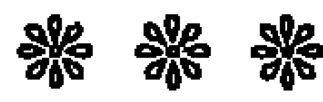
قَدْ كَان يُمْكِنُهُمْ يَقُولُوا إِنَّهُ ... حَيٌّ فَغُضُّوا الصَّوْتَ بِالإِحْسَانِ

لَكِنَّهُمْ بِاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْكُمُ ... وَرَسُولِهِ وَحَقَائِقِ الإِيمَانِ

وَلَقَدْ أَتَوْا يَوماً إِلَى العَبَّاسِ يَسْـ ... ـتَسقُونَ مِنْ قَحْطٍ وَجَدْبِ زَمَانِ

هَذَا وَبَيْنَهُمُ وَبَيْنَ نَبِيِّهِمْ ... عَرْضُ الجِدَارِ وَحُجْرَةُ النِّسْوانِ

فَنَبِيُّهُمْ حَيٌّ وَيَسْتَسْقُونَ غَيْـ ... ـرَ نَبِيِّهِمْ حَاشَا أُولِي الإِيمَانِ



فصل

فيما احتجُّوا بهِ على حياةِ الرُّسُلِ في القبورِ

فَإِنِ احْتَجَجْتُمْ بِالشَّهِيدِ بِأَنَّه ... حَيٌّ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ

وَالرُّسْلُ أَكْمَلُ حَالَةً مِنْهُ بِلاَ ... شَكٍّ وَهَذَا ظَاهِرُ التِّبْيَانِ

فَلِذَاكَ كَانُوا بِالحَيَاةِ أَحَقَّ مِنْ ... شُهَدَائِنَا بِالعَقْلِ وَالبُرْهَانِ

وبِأَنَّ عَقْدَ نِكَاحِه لَمْ يَنْفَسِخْ ... فَنِسَاؤُهُ فِي عِصْمَةٍ وَصِيَانِ

ولأَجْلِ هَذَا لَمْ يَحِلَّ لِغَيْرِهِ ... مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ مَدَى الأَزْمَانِ

أَفَلَيْسَ فِي هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ ... حَيٌّ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ

أَوَ لَمْ يَرَ المُخْتَارُ مُوسَى قَائِماً ... فِي قَبْرِهِ لِصَلاَةِ ذِي القُرْبَانِ

أَفَمَيِّتٌ يَأْتِي الصَّلاَةَ وَإِنَّ ذَا ... عَيْنُ المُحَالِ وواضِحُ البُطْلاَنِ

أَوَ لَمْ يَقُلْ إِنِّي أَرُدُّ عَلَى الذِي ... يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الإِحْسَانِ

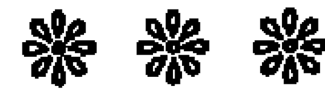
أَيَرُدُّ مَيِّتٌ السَّلاَمَ عَلَى الَّذِي ... يَأْتِي بِهِ هَذَا مِنَ البُهْتَانِ

هَذَا وَقَدْ جَاءَ الحَدِيثُ بِأَنَّهُمْ ... أَحْيَاءُ فِي الأَجْدَاثِ ذَا تِبْيَانِ

وبِأَنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ عَلَيْهِ تُعْـ ... ـرَضُ دَائِماً فِي جُمْعَةٍ يَوْمَانِ

يَوْمَ الخَمِيسِ وَيومَ الاثْنَينِ الَّذِي ... قَدْ خُصَّ بالفَضْلِ العَظِيمِ الشَّانِ

❃ ❃ ❃



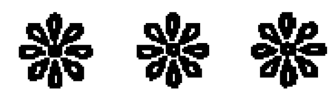
في الجوابِ عمَّا احتجُّوا بهِ في هذهِ المسألةِ

فَيُقَالُ أَصْلُ دَلِيلِكُمْ فِي ذَاكَ حُجَّـ ... ـتُنَا عَلَيْكُم وَهْيَ ذَاتُ بَيَانِ
إنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ ... لاَ بِالْقِيَاسِ القَائِمِ الأرْكَانِ
هَذَا مَعَ النَّهْيِ المؤَكَّدِ أَنَّنَا ... نَدْعُوهُ مَيْتاً ذَاكَ فِي القُرْآنِ
وَنِسَاؤُهُ حِلٌّ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ ... وَالمَالُ مَقْسُومٌ عَلَى السّهْمَانِ
هَذَا وَأَنَّ الأرْضَ تأْكُلُ لَحْمَهُ ... وَسِبَاعُهَا مَعْ أمَّةِ الدِّيدَانِ
لَكِنَّهُ مَعَ ذَاكَ حَيٌّ فَارِحٌ ... مُسْتَبْشِرٌ بِكَرَامَةِ الرَّحْمٰنِ
فَالرُّسْلُ أوْلَى بِالحَيَاةِ لَدَيْهِ مَعْ ... مَوْتِ الجُسُومِ وَهَذِهِ الأَبْدَانِ
وَهْيَ الطَّرِيَّةُ فِي التُّرَابِ وَأَكْلُهَا ... فَهوَ الحَرَامُ عَلَيْه بِالبُرْهَانِ
وَلِبعْضِ أتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا ... أَيْضاً وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأيَ عِيَانِ
فَانْظُرْ إلَى قَلْبِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِمُ ... حَرْفاً بِحَرْفٍ ظَاهِرِ التِّبْيَانِ
لَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ خُصَّ نِسَاؤُهُ ... بِخَصِيصَةٍ عَنْ سَائِرِ النِّسْوَانِ
خُيِّرْنَ بَيْنَ رَسُولِهِ وَسِوَاهُ فَاخْـ ... ـتَرْنَ الرَّسُولَ لِصِحَّةِ الإِيمَانِ
شَكَرَ الإلٰهُ لَهُنَّ ذَاكَ وَرَبُّنَا ... سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ ذُو شُكْرَانِ
قَصَرُ الرَّسُولِ عَلَى أُولَئِكَ رَحْمَةً ... مِنْهُ بِهِنَّ وَشُكْرَ ذِي الإحْسَانِ
وَكَذَاكَ أَيْضاً قَصْرُهُنَّ عَلَيْهِ مَعْـ ... ـلُومٌ بِلاَ شَكٍّ وَلاَ حُسْبَانِ
زَوْجَاتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْـ ... أُخْرَى يَقِيناً وَاضِحَ البُرْهَانِ
فَلِذَا حَرُمْنَ عَلَى سِوَاهُ بَعْدَهُ ... إِذْ ذَاكَ صَوْناً عَنْ فِرَاشٍ ثَانِ
لَكِنْ أتَيْنَ بِعِدَّةٍ شَرْعِيَّةٍ ... فِيهَا الحِدَادُ وَمُلْزَمُ الأَوْطَانِ
هَذَا وَرُؤْيَتُهُ الكَلِيمَ مُصَلِّياً ... فِي قَبْرِهِ أثَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
فِي القَلْبِ مِنْهُ حَسِيكَةٌ هَلْ قَالَهُ ... فَالحَقُّ مَا قَدْ قَالَ ذُو البُرْهَانِ

وَلِذَاكَ أَعْرَضَ فِي الصَّحِيحِ مُحَمَّدٌ   عَنْهُ عَلَى عَمْدٍ بِلاَ نِسْيَانِ
وَالدَّارَقُطْنِيُّ الإِمَامُ أَعَلَّهُ   بِرِوَايَةٍ مَعْلُومَةِ التِّبْيَانِ
أَنَسٌ يَقُولُ رَأَى الكَلِيمَ مُصَلِّياً   فِي قَبْرِهِ فَاعْجَبْ لِذَا الفُرْقَانِ
فَرَوَاهُ مَوْقُوفاً عَلَيْهِ وَلَيْسَ بِالْـ   ـمَرْفُوعِ وَاشْوَقاً إِلَى العِرْفَانِ
بَيْنَ السِّيَاقِ إِلَى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ   لاَ تَطْرَحَنْهُ فَمَا هُمَا سِيَّانِ
لَكِنْ تُقَلِّدُ مُسْلِماً وَسِوَاهُ مِمْـ   ـمَنْ صَحَّ هذا عِنْدَهُ بِبَيَانِ
فَرُوَاتُهُ الأَثْبَاتُ أَعْلاَمُ الهُدَى   حُفَّاظُ هَذَا الدِّينِ فِي الأَزْمَانِ
لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصاً بِهِ   وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانِ
فَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ الصَّدُوقُ وَغَيْرُهُ   خَبَراً صَحِيحاً عِنْدَهُ ذَا شَانِ
فِيهِ صَلاَةُ العَصْرِ فِي قَبْرِ الَّذِي   قَدْ مَاتَ وَهْوَ مُحَقِّقُ الإِيمَانِ
فَتمثَّلَ الشَّمْسَ الَّذِي قَدْ كَانَ يَرْ   عَاهَا لأَجْلِ صَلاَةِ ذِي القُرْبَانِ
عِنْدَ الغُرُوبِ يَخَافُ فَوتَ صَلاَتِهِ   فَيقُولُ لِلمَلَكَيْنِ هَلْ تَدَعَانِي
حَتَّى أُصَلِّي العَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِهَا   قَالاَ سَتَفْعَلُ ذَاكَ بَعْدَ الآنِ
هَذَا مَعَ المَوتِ المحَقَّقِ لاَ الَّذِي   حُكِيَتْ لَنَا بِثُبُوتِهِ الْقَولاَنِ
هَذَا وثَابِتٌ البُنَانِي قَدْ دَعَا الرْ   ـرَحْمنَ دَعْوَةَ صادِقِ الإِيقَانِ
أَنْ لاَ يَزَالَ مُصَلِّياً فِي قَبْرِهِ   إِنْ كَانَ أُعْطِيَ ذَاكَ مِنْ إِنْسَانِ
لَكِنَّ رُؤْيَتَهُ لِمُوسَى لَيْلَةَ الْـ   ـمِعْرَاجِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الأَكْوَانِ
يَرْوِيهِ أَصْحَابُ الصِّحَاحِ جَمِيعُهُمْ   وَالقَطْعُ مُوجِبُهُ بِلاَ نُكْرَانِ
وَلِذَاكَ ظُنَّ مُعَارِضاً لِصَلاَتِهِ   فِي قَبْرِهِ إِذْ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ أُسْرِي بِهِ   لِيَرَاهُ ثُمَّ مُشَاهِداً بِعِيَانِ
فَرَآهُ ثَمَّ وَفِي الضَّرِيحِ وَلَيْسَ ذَا   بِتَنَاقُضٍ إِذْ أَمْكَنَ الوَقْتَانِ
هَذَا وَرَدُّ نَبِيِّنَا التَّسْلِيمَ مَنْ   يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الإِحْسَانِ
مَا ذَاكَ مُخْتَصاً بِهِ أَيْضاً كَمَا   قَدْ قَالَهُ المَبْعُوثُ بِالقُرْآنِ
مَنْ زَارَ قَبْرَ أَخٍ لَهُ فَأَتَى بِتَسْـ   ـلِيمٍ عَلَيْهِ وَهْوَ ذُو إِيمَانِ
رَدَّ الإِلَهُ عَلَيْهِ حَقاً رُوحَهُ   حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ رَدَّ بَيَانِ

وَحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقُبُورِهِمْ   لَمَّا يَصِحَّ وَظَاهِرُ النُّكْرانِ
فَانظُرْ إِلَى الإِسْنَادِ تَعْرِفْ حَالَهُ   إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِهَذَا الشَّانِ
هَذَا وَنَحْنُ نَقُولُ هُمْ أَحْيَاءُ لَـ   ـكِنْ عِنْدَنَا كَحَيَاةِ ذِي الأَبْدَانِ
وَالتُّرْبُ تَحْتَهُمُ وَفَوْقَ رُؤُوسِهِمْ   وَعَنِ الشَّمَائِلِ ثُمَّ عَنْ أَيْمَانِ
مِثْلَ الَّذِي قَدْ قُلْتُمُوهُ مَعَاذَنَا   بِاللَّهِ مِنْ إِفْكٍ وَمِنْ بُهْتَانِ
بَلْ عِنْدَ رَبِّهِمُ تَعَالَى مِثْلَ مَا   قَدْ قَالَ فِي الشُّهَدَاءِ فِي القُرْآنِ
لَكِنْ حَيَاتُهُمُ أَجَلُّ وَحَالُهُمْ   أَعْلَى وَأَكْمَلُ عِنْدَ ذِي الإِحْسَانِ
هَذَا وَأَمَّا عَرْضُ أَعْمَالِ العِبَا   دِ عَلَيْهِ فَهْوَ الحَقُّ ذُو إِمْكَانِ
وَأَتَى بِهِ أَثَرٌ فَإِنْ صَحَّ الحَدِيـ   ـثُ بِهِ فَحَقٌّ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصّاً بِهِ   أَيْضاً بِآثَارٍ رُوِينَ حِسَانِ
فَعَلَى أَبِي الإِنْسَانِ يُعْرضُ سَعْيُهُ   وَعَلَى أَقَارِبِهِ مَعَ الإِخْوَانِ
إِنْ كَانَ سَعْياً صَالِحاً فَرِحُوا بِهِ   وَاسْتَبْشَرُوا يَا لَذَّةَ الفَرْحَانِ
أَوْ كَانَ سَعْياً سَيِئاً حَزِنُوا وَقَا   لُوا رَبِّ رَاجِعْهُ إِلَى الإِحْسَانِ
وَلِذَا اسْتَعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى   هَذَا الحَدِيثَ عَقِيبَهُ بِلِسَانِ
يَا رَبِّ إِنِّي عَائِذٌ مِنْ خِزْيَةٍ   أُخْرَى بِهَا عِنْدَ القَرِيبِ الدَّانِي
ذَاكَ الشَّهِيدُ المُرْتَضَى ابْنُ رَوَاحَةَ الـ   ـمَحْبُوُّ بِالغُفْرَانِ والرِّضْوَانِ
لَكِنَّ هَذَا ذُو اخْتِصَاصٍ وَالَّذِي   لِلْمُصْطَفَى مَا يَعْمَلُ الثَّقَلاَنِ
هَذِي نِهَايَاتٌ لإِقْدَامِ الوَرَى   فِي ذَا المَقَامِ الضَّنْكِ صَعْبِ الشَّانِ
وَالحَقُّ فِيهِ لَيْسَ تَحْمِلُهُ عُقُو   لُ بَنِي الزَّمَانِ لِغِلْظَةِ الأَذْهَانِ
وَلِجَهْلِهِمْ بِالرُّوحِ مَعْ أَحْكَامِهَا   وَصِفَاتِهَا لِلإِلْفِ بِالأَبْدَانِ
فَارْضَ الَّذِي رَضِيَ الإِلَهُ لَهُمْ بِهِ   أَتُرِيدُ تَنْقُضُ حِكْمَةَ الدَّيَّانِ
هَلْ فِي عُقُولِهِمُ بِأَنَّ الرُّوحَ فِي   أَعْلَى الرَّفِيقِ مُقِيمَةٌ بِجِنَانِ
وَتُرَدُّ أَوْقَاتَ السَّلاَمِ عَلَيْهِ مِنْ   أَتْبَاعِهِ فِي سَائِرِ الأَزْمَانِ
وَكَذَاكَ إِنْ زُرْتَ القُبُورَ مُسَلِّماً   رُدَّتْ لَهُمْ أَرْوَاحُهُمْ لِلآنِ
فَهُمُ يَرُدُّونَ السَّلاَمَ عَلَيْكَ لَـ   ـكِنْ لَسْتَ تَسْمَعُهُ بِذِي الأُذُنَانِ

هَذَا وَأَجْوَافُ الطُّيُورِ الخُضْرِ مَسْـ ـكَنُهَا لَدَى الجَنَّاتِ والرِّضْوَانِ
مَنْ لَيْسَ يَحْمِلُ عَقْلُهُ هَذَا فَلاَ تَظْلِمْهُ واعْذُرْهُ عَلَى النُّكْرَانِ
لِلرُّوحِ شَأْنٌ غَيرُ ذِي الأَجْسَامِ لاَ تُهمِلْهُ شَأْنُ الرُّوحِ أَعْجَبُ شَانِ
وَهْوَ الَّذِي حَارَ الوَرَى فِيهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ غَيْرُ الفَرْدِ فِي الأَزْمَانِ
هَذا وَأَمرٌ فَوْقَ ذَا لَوْ قُلْتُه بَادرتَ بالإنْكَارِ والعُدْوَانِ
فَلِذَاكَ أَمْسَكْتُ العِنَانَ وَلَوْ أَرَى ذَاكَ الرَّفِيقَ جَرَيْتُ فِي المَيْدَانِ
هَذَا وَقَوْلِي إِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ وَحُدُوثُهَا المعْلُومُ بالبُرْهَانِ
هَذَا وَقَوْلِي إِنَّهَا لَيْسَتْ كَمَا قَدْ قَالَ أَهْلُ الإِفْكِ والبُهْتَانِ
لاَ دَاخِلٌ فِينَا وَلاَ هِيَ خَارِجٌ عَنَّا كَمَا قَالُوهُ في الدَّيَّانِ
واللَّهِ لاَ الرَّحْمٰنِ أَثْبتُّم وَلاَ أَرواحَكُمْ يَا مُدَّعِي العِرْفَانِ
عَطَّلْتُمُ الأَبْدَانَ مِنْ أَرْوَاحِهَا وَالعَرْشَ عَطَّلْتُمْ مِنَ الرَّحْمٰنِ



فصلٌ

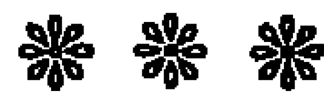
في كسرِ المنْجَنِيق الذي نَصَبهُ أهلُ التَّعطيلِ على معاقلِ الإيمَانِ وحصونِهِ جِيلاً بعد جيل

لاَ يُفْزِعَنْكَ قَعَاقِعٌ وَفَرَاقِعٌ وَجَعَاجِعٌ عَرِيَتْ عَنِ البُرْهَانِ
مَا عِنْدَهُمْ شَيءٌ يَهُولُكَ غَيْرُ ذَا ك المنْجَنِيقِ مقطِّع الأَفْخَاذِ والأَرْكَانِ
وَهْوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ التركِيبَ مَنْـ ـصُوباً عَلَى الإِثْبَاتِ مُنْذُ زَمَانِ
أَرَأَيْتَ هَذَا المنْجَنِيقَ فإِنَّهُمْ نَصَبُوهُ تَحْتَ مَعَاقِلِ الإِيمَانِ
بَلَغَتْ حِجَارَتُهُ الحُصُونَ فَهَدَّتِ الشُّـ ـشُرُفَاتِ واستَولَتْ عَلَى الجُدْرَانِ
للّهِ كَمْ حِصْنٍ عَلَيْهِ استَولَتِ الْـ ـكفَّارُ مِنْ ذَا المنْجنيقِ الجَانِي
واللَّهِ مَا نَصَبُوه حَتَّى عَبَّرُوا قَصْداً عَلَى الحِصْنِ العَظِيمِ الشَّانِ
وَمِنَ البَلِيَّةِ أَنَّ قَوماً بَيْنَ أَهْـ ـلِ الحِصْنِ وَاطُوهُمْ عَلَى العُدْوانِ
وَرَمَوْا بِهِ مَعَهُمْ وَكَانَ مُصَابُ أَهْـ ـلِ الحصْنِ مِنْهُمْ فَوْقَ ذِي الكُفْرَانِ

فَتركَّبتْ مِن كُفرِهِمْ وَوِفَاقِ مَنْ ... فِي الحِصْنِ أَنْوَاعٌ مِنَ الطُّغْيَانِ
وَجَرتْ عَلَى الإِسْلاَمِ أعْظَمُ مِحْنةٍ ... مِنْ ذَيْنِ تَقْدِيراً مِنَ الرَّحْمٰنِ
وَاللَّهِ لَوْلاَ أَنْ تَدَارَكَ دِينَهُ الرْ ... رَحْمٰنُ كَانَ كَسَائِرِ الأَدْيَانِ
لَكِنْ أَقَامَ لَهُ الإِلٰهُ بِفَضْلِهِ ... يَزَكاً مِنَ الأَنْصَارِ والأَعْوَانِ
فَرَمَوْا عَلَى ذَا المنْجَنِيقِ صَوَاعِقاً ... وَحِجَارَةً هَدَّتْهُ لِلأَرْكَانِ
فَاسْأَلْهُمُ مَاذَا الَّذِي يَعْنُونَ بالتْـ ... ـتَركِيبِ فالتَّركِيبُ سِتُّ مَعَانِ
إِحدَى مَعَانِيهِ هُوَ التَّركِيبُ مِنْ ... مُتَبَايِنٍ كَتَرَكُّبِ الحَيَوَانِ
مِنْ هَذِهِ الأَعْضَا كَذَا أَعْضَاؤُهُ ... قَدْ رُكِّبَتْ مِنْ أَرْبَعِ الأَرْكَانِ
أَفَلاَزِمٌ ذَا لِلصِّفَاتِ لِرَبِّنَا ... وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
وَلَعَلَّ جَاهِلَكُمْ يَقُولُ مُبَاهِتاً ... ذَا لاَزِمُ الإِثْبَاتِ بِالبُرْهَانِ
فَالبَهْتُ عِنْدَكُمُ رَخِيصٌ سِعْرُهُ ... حَثْواً بِلاَ كَيْلٍ وَلاَ مِيزَانِ
هَذا وَثَانِيهَا فَتَرْكِيبُ الجِوَا ... رِ وَذَاكَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَفْتَرِقَانِ
كَالجِسْرِ والبَابِ الذِي تركِيبُه ... بِجِوَارِهِ لِمحِلَّةٍ مِنْ بَانِ
والأَوَّلُ المدْعُوُّ تَرْكِيبُ امتِزَا ... جٍ واختِلاطٍ وَهْوَ ذُو تِبْيَانِ
أَفَلاَزِمٌ ذَا مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ ... أَيضاً تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
والثَّالِثُ التَّرْكِيبُ مِنْ مُتَمَاثِلٍ ... يُدْعَى الجَوَاهِرَ فَرْدَةَ الأَكْوَانِ
والرَّابِعُ الجِسْمُ المرَكَّبُ مِنْ هَيُو ... لاَهُ وَصُورَتِهِ لِذِي اليُونَانِ
والجِسْمُ فَهْوَ مرَكَّبٌ مِنْ ذَينِ عِنْـ ... ـدَ الفَيْلَسُوفِ وَذَاكَ ذُو بُطْلاَنِ
وَمِنَ الجَواهِرِ عِنْدَ أربَابِ الكَلاَ ... مِ وَذَاكَ أَيْضاً وَاضِحُ البُطْلاَنِ
فالمثْبِتُونَ الجَوْهَرَ الفَرْدَ الَّذِي ... زَعَمُوهُ أَصْلَ الدِّينِ والإِيمَانِ
قَالُوا بِأَنَّ الجِسْمَ مِنْهُ مُرَكَّبٌ ... وَلَهُمْ خِلاَفٌ وَهْوَ ذُو أَلْوَانِ
هَلْ يُمكِنُ التَّركِيبُ مِنْ جُزأَينِ أَوْ ... مِنْ أَرْبَعٍ أَوْ سِتَّةٍ وثَمَانِ
أَوْ سِتَّ عَشْرَةَ قَدْ حَكَاهُ الأَشْعَرِيْـ ... ـيُ لِذي مقالاَتٍ على التِّبْيَانِ
أَفَلاَزِمٌ ذَا مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ ... وَعُلُوِّهِ سُبْحَانَ ذِي السُّبْحَانِ
وَالحَقُّ أَنَّ الجِسْمَ لَيْسَ مُرَكَّباً ... مِنْ ذَا وَلاَ هَذَا هُمَا عَدَمَانِ

وَالجَوْهَرُ الفَرْدُ الَّذِي قَدْ أَثْبَتُو ... هُ فِي الحَقِيقَةِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ
لَوْ كَانَ ذَلِكَ ثَابِتاً لَزِمَ المحَا ... لُ لِوَاضِحِ البُطْلاَنِ والبُهْتَانِ
مِنْ أَوْجُهٍ شَتَّى وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا ... جِدّاً لأَجْلِ صُعُوبَةِ الأَوْزَانِ
أَتكُونُ خَرْدَلَةٌ تُسَاوِي الطَّودَ فِي الـ ... أَجْزَاءِ فِي شَيءٍ مِنَ الأَذْهَانِ
إِذْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَجْزَاؤهُ ... لاَ تَنْتَهِي بِالعَدِّ والحُسْبَانِ
وَإِذَا وَضَعْتَ الجَوْهَرَيْنِ وَثَالِثاً ... فِي الوَسْطِ وَهْوَ الحَاجِزُ الوسْطَانِي
فَلأَجْلِهِ افْتَرَقَا فَلاَ يَتَلاَقَيَا ... حَتَّى يَزُولَ إِذاً فَيلْتَقِيَانِ
مَا مَسَّه إِحْدَاهُمَا مِنْهُ هُوَ الـ ... مَمْسُوسُ لِلثَّانِي بِلاَ فُرْقَانِ
هَذا مُحَالٌ أَوْ تَقُولُ بِغَيْرِهِ ... فَهوَ انْقِسَامٌ وَاضِحُ التِّبْيَانِ
وَالخَامِسُ التَّركيبُ مِنْ ذَاتٍ مَعَ الـ ... أَوْصَافِ هَذَا بِاصْطِلاَحٍ ثَانِ
سَمَّوهُ تَرْكِيباً وَذَلِكَ وَضعُهُمْ ... مَا ذَاكَ فِي عُرْفٍ وَلاَ قُرْآنِ
لَسْنَا نُقِرُّ بِلَفْظَةٍ مَوْضُوعَةٍ ... فِي الاصْطِلاَحِ لِشِيعَةِ اليُونَانِ
أَوْ مَنْ تَلَقَّى عَنْهُمُ مِنْ فِرْقَةٍ ... جَهْمِيَّةٍ لَيْسَتْ بِذِي عِرْفَانِ
مِنْ وَصْفِهِ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الـ ... عُلْيَا وَيتْرُكُ مُقْتَضَى القُرْآنِ
وَالعَقْلُ والفِطْرَاتُ أَيْضاً كُلُّهَا ... قَبْلَ الفَسَادِ وَمُقْتَضَى البُرْهَانِ
سَمُّوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأنُ فِي الـ ... أَسْمَاءِ بِالأَلْقَابِ ذَاتِ الشَّانِ
هَلْ مِنْ دَلِيلٍ يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا التْـ ... تَرْكِيبِ مِنْ عَقْلٍ وَمِنْ فُرْقَانِ
واللَّهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوخُكُمُ لَمَا ... قَدَرُوا عَلَيْهِ لَوْ أَتَى الثَّقَلانِ
وَالسَّادِسُ التَّرْكِيبُ مِنْ مَاهِيَّةٍ ... وَوُجُودُهَا مَا هَا هُنَا شَيْئَانِ
إِلاَّ إِذَا اخْتَلَفَ اعْتِبَارُهُمَا فَذَا ... فِي الذِّهْنِ والثَّانِي فَفِي الأَعْيَانِ
فَهُنَاكَ يَعْقِلُ كَوْنُ ذَا غَيراً لِذَا ... فَعَلى اعْتِبَارِهِمَا هُمَا غَيْرَانِ
أَمَّا إِذَا اتَّحَدَا اعْتِبَاراً كَانَ نَفْـ ... سُ وُجُودِهَا هُوَ ذَاتُهَا لاَ ثَانِ
مَنْ قَال شَيْئاً غَيرَ ذَا كَانَ الَّذِي ... قَدْ قَالَهُ ضَرْباً مِنَ الهَذَيَانِ
هَذَا وَكَمْ خَبْطٍ هُنَا قَدْ زَال بِالتْـ ... تَفْصِيلِ وَهْوَ الأَصْلُ فِي العِرْفَانِ
وَابْنُ الخَطِيبِ وَحِزْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ ... لَمْ يَهْتَدُوا لِمَوَاقِعِ الفُرْقَانِ

بَلْ خَبَّطُوا نَقْلاً وَبَحْثاً أَوْجَبَا ... شَكّاً لِكُلِّ مُلَدِّدٍ حَيْرَانِ
هَلْ ذَاتُ رَبِّ العَالَمِينَ وُجُودُهُ ... أَمْ غَيْرُهُ فَهُمَا إذاً شَيْئَانِ
فَيَكُونُ تَرْكِيباً مُحَالاً ذَاكَ إنْ ... قُلْنَا بِهِ فَيَصِيرُ ذَا إمْكَانِ
وَإذَا نَفَيْنَا ذَاكَ صَارَ وُجُودُهُ ... كَالمطْلَقِ المَوْجُودِ فِي الأذْهَانِ
وَحَكَوْا أَقَاوِيلاً ثَلاثاً ذَيْنِكَ الـ ... قَوْلَيْنِ إطْلاقاً بِلاَ فُرْقَانِ
الثَّالِثُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الوَاجِبِ الـ ... أعْلَى وَبَيْنَ وُجُودِ ذِي الإمْكَانِ
وَسَطَوْا عَلَيْهَا كُلِّهَا بالنَّقْضِ والـ ... إبْطَالِ والتَّشْكِيكِ لِلإنسَانِ
حَتَّى أَتَى مِنْ أَرْضِ آمَدَ آخِراً ... ثَورٌ كَبِيرٌ بَلْ حَقِيرُ الشَّانِ
قَالَ الصَّوَابُ الوَقْفُ فِي ذَا كُلِّهِ ... والشَّكُّ فِيهِ ظَاهِرُ التِّبْيَانِ
هَذَا قُصَارَى بَحْثِهِ وَعُلُومِهِ ... أنْ شَكَّ فِي اللَّهِ العَظِيمِ الشَّانِ



فصلٌ

في أحكام هذِهِ التَّراكيبِ السِّتةِ

فَالأوَّلاَنِ حَقِيقَةُ التَّرْكِيبِ لاَ ... تَعْدُوهُمَا فِي اللَّفْظِ والأذْهَانِ
وَكَذلِكَ الأَعْيَانُ أَيْضاً إنمَا التَّـ ... ـرْكِيبُ فِيهَا ذَانِكَ النَّوْعَانِ
والأوْسَطَانِ هُمَا اللَّذَانِ تَنَازَعَا الـ ... ـعُقَلاَءُ فِي تَرْكِيبِ ذِي الجُثْمَانِ
وَلَهُمْ أَقَاوِيلٌ ثَلاَثٌ قَدْ حَكَيْـ ... ـنَاهَا وَبيَّنَّا أتمَّ بَيَانِ
وَالآخَرَانِ هُمَا اللَّذَانِ عَلَيهِمَا ... دَارَتْ رَحَى الحَرْبِ الَّتِي تَرَيَانِ
أَنتُمْ جَعَلْتُمْ وَصْلَهُ سُبْحَانَهُ ... بِعُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الأكْوَانِ
وَصِفَاتِهِ العُلْيَا الَّتِي ثبتَتْ لَهُ ... بِالعَقْلِ وَالمنقُولِ ذِي البُرْهَانِ
مِنْ جُمْلَةِ التَّرْكِيبِ ثُمَّ نَفَيْتُمُ ... مَضْمُونَهَا مِنْ غَيرِ مَا بُرْهَانِ
لَكِنْ إذَا قِيلَ اصْطِلاَحٌ حَادِثٌ ... لاَ حَجْرَ فِي هَذَا عَلَى إنسَانِ
فَنَقُولُ نَفْيُكُمُ بِهَذَا الاصْطِلاَ ... حِ صِفَاتِهِ هُوَ أَبْطَلُ البُطْلاَنِ
وَكَذَاكَ نَفْيُكُمُ بِهِ لِعُلُوِّهِ ... فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ

وَكَـذَاكَ نَـفْـيُـكُـمُ بِـهِ لِـكَـلاَمِـهِ بِـالـوَحْـي كَـالـتَّـورَاةِ والـقُـرآنِ
وَكَـذَاكَ نَـفْـيُـكُـمُ لـرؤيـتِـنَـا لَـهُ يَـوْمَ الـمـعَـادِ كَـمَـا يُـرَى الْـقَـمَـرَانِ
وكَـذَاكَ نَـفـيـكُـمُ لِـسَـائِـرِ مَـا أَتَـى فِـي الـنَّـقْـلِ مِـنْ وَصْـفٍ بِـغَـيْـرِ مَـعَـانِ
كَـالـوَجْـهِ والْـيَـدِ والأَصَـابعِ والَّـذِي أبَـداً يَـسُـوءُكُـم بِـلاَ كِـتْـمَـانِ
وَيَـوُدُّكُـمْ لَـوْ لَـمْ يَـقُـلْـهُ رَبُّـنَـا وَرَسُـولُـهُ الـمَـبْـعُـوثُ بِـالـبُـرْهَـانِ
وَيَـوُدُّكُـمْ والـلَّـهِ لَـمَّـا قَـالـهَـا أنْ لَـيْـسَ يَـدْخُـلُ مَـسْـمَـعَ الإِنْـسَـانِ
قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى اسْتِنَادِ الْكَوْنِ أَجْـ ـمَـعِـهِ إِلَـى خَـلاَّقِـهِ الـرَّحْـمٰـنِ
مَـا قَـامَ قَـطُّ عَـلَـى انْـتِـفَـاءِ صِـفَـاتِـهِ وَعُـلُـوِّهِ مِـنْ فَـوْقِ ذِي الأَكْـوَانِ
هُـوَ وَاحِـدٌ فِـي وَصْـفِـهِ وَعُـلُـوِّهِ مَـا لِـلْـوَرَى رَبٌّ سِـوَاهُ ثَـانِ
فَـلأَيِّ مَـعْـنـىً تَـجْـحَـدُونَ عُـلُـوَّهُ وَصِـفَـاتِـهِ بِـالـفَـشْـرِ والـهَـذَيَـانِ
هَـذَا وَمَـا الـمَـحْـذُورُ إِلاَّ أَنْ يُـقَـا لَ مَـعَ الإِلَـهِ لَـنَـا إِلَـهٌ ثَـانِ
أَوْ أَنْ يُـعَـطَّـلَ عَـنْ صِـفَـاتِ كَـمَـالِـهِ هَـذَانِ مَـحْـذُورَانِ مَـحْـظُـورَانِ
أَمَّـا إِذَا مَـا قِـيـلَ رَبٌّ وَاحِـدٌ أَوْصَـافُـهُ أَربـت عَـلَـى الـحُـسْـبَـانِ
وَهُـوَ الـقَـدِيـمُ فَـلَـمْ يَـزَلْ بِـصِـفَـاتِـهِ مُـتَـوحِّـداً بَـلْ دَائِـمَ الإِحْـسَـانِ
فَـبِـأَيِّ بُـرْهَـانٍ نَـفَـيْـتُـمْ ذَا وَقُـلْـ ـتُـمْ لَـيْـسَ هَـذَا قَـطُّ فِـي الإِمْـكَـانِ
فَـلـئِـنْ زَعَـمْـتُـمْ أَنَّـهُ نَـقْـصٌ فَـذَا بـهْـتٌ فَـمَـا فِـي ذَاكَ مِـنْ نُـقْـصَـانِ
الـنَّـقْـصُ فِـي أَمْـرَيْـنِ سَـلْـبُ كَـمَـالِـهِ أَوْ شِـرْكَـةٌ بِـالـوَاحِـدِ الـرَّحْـمٰـنِ
أَتـكُـونُ أَوْصَـافُ الـكَـمَـالِ نَـقِـيـصَـةً فِـي أَيِّ عَـقْـلٍ ذَاكَ أَمْ قُـرْآنِ
إِنَّ الـكَـمَـال بِـكَـثْـرَةِ الأَوْصَـافِ لاَ فِـي سَـلْـبِـهَـا ذَا وَاضِـحُ الـبُـرْهَـانِ
مَا النَّقْصُ غَيْرُ السَّلْبِ حَسْبُ وكُلُّ نَقْـ ـصٍ أَصْلُهُ سَلْبٌ وَهَذَا وَاضِحُ التِّبْيَانِ
فَالجَهْلُ سَلْبُ العِلْمِ وَهُوَ نَقِيصَةٌ وَالظُّلْمُ سَلْبُ العَدْلِ والإِحْسَانِ
مُتَنَقِّصُ الرَّحْمٰنِ سَالِبُ وَصْفِهِ حَـقّـاً تَـعَـالَـى الـلَّـهُ عَـنْ نُـقْـصَـانِ
وَكَـذَا الـثَّـنَـاءُ عَـلَـيْـهِ ذِكْـرُ صِـفَـاتِـهِ وَالـحَـمْـدُ والـتَّـمْـجِـيـدُ كُـلَّ أَوَانِ
وَلِـذَاكَ أَعْـلَـمُ خَـلْـقِـهِ أَدْرَاهُـمُ بِـصِـفَـاتِـهِ مَـنْ جَـاءَ بِـالْـقُـرْآنِ
وَلَـهُ صِـفَـاتٌ لَـيْـسَ يُـحْـصِـيـهَـا سِـوَا هُ مِـنْ مَـلاَئِـكَـةٍ وَلاَ إِنْـسَـانِ

وَلِذَاكَ يُثْنِي فِي القِيَامَةِ سَاجِداً لَمَّا يَرَاهُ المصْطَفَى بِعَيَانِ
بِثَنَاءِ حَمْدٍ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدْ دُنْيَا لِيُحْصِيه مَدَى الأَزْمَانِ
أَنْ لاَ تَوَالُدَ فِي الجِنَانِ رَوَاهُ تَعْ لِيقاً مُحَمَّدٌ العَظِيمُ الشَّانِ
وَحَكَاهُ عَنْهُ التِّرمِذِيُّ وَقَال إِسْ حَاقُ بْنُ إِبراهِيمَ ذُو الإِتْقَانِ
لاَ يَشْتَهِي وَلَداً بِهَا وَلَو اشْتَهَا هُ لَكَانَ ذَاكَ مُحَقَّقَ الإِمْكَانِ
وَرَوَى هِشَامٌ لابنِهِ عَنْ عَامِرٍ عَنْ نَاجٍ عَنْ سَعْدٍ هُوَ بْنِ سِنَانِ
أَنَّ المنَعَّمَ بالجِنَانِ إِذَا اشْتَهَى الْ وَلَدَ الذِي هُوَ نُسْخَةُ الإِنْسَانِ
فَالحَمْلُ ثُمَّ الوَضْعُ ثُمَّ السِّنُّ فِي فَرْدٍ مِنَ السَّاعَاتِ فِي الأَزْمَانِ
إسنَادُهُ عِنْدِي صَحِيحٌ قَدْ رَوَا هُ التِرمِذيُّ وأَحْمَدُ الشَّيبَانِي
ورِجَالُ ذَا الإِسْنَادِ مُحْتَجٌّ بِهِمْ فِي مُسْلِمٍ وَهُمُ أولُو إتْقَانِ
لَكِنْ غَرِيبٌ مَا لَهُ مِنْ شَاهِدٍ فَرْدٌ بِذَا الإِسْنَادِ لَيسَ بِثَانِ
لَوْلاَ حَدِيثُ أَبِي رَزِينٍ كَانَ ذَا كَالنَّصِ يَقْرُبُ مِنْهُ فِي التِّبْيَانِ
وَلِذَاكَ أَوَّلَهُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بالشْ شَرْطِ الَّذِي هُوَ مُنْتَفِي الوِجْدَانِ
وَبِذَاكَ رَامَ الجَمْعَ بَيْنَ حَدِيثِهِ وَأبِي رزِينٍ وَهُو ذُو إِمْكَانِ
هَذَا وَفِي تَأْويلِهِ نَظَرٌ فإِنْ نَ إِذَا لِتَحْقِيقٍ وَذِي إِتْقَانِ
ولرُبَّمَا جَاءَتْ لِغَيْرِ تَحَقُّقٍ وَالعَكْسُ فِي إِنْ ذَاكَ وَضْعُ لِسَانِ
وَاحْتَجَّ مَنْ نَصَرَ الوِلاَدَةَ أَنَّ فِي الْ جَنَّاتِ سَائِرَ شَهْوَةِ الإِنْسَانِ
واللَّهُ قَدْ جَعَلَ البَنِينَ مَعَ النِّسَا مِنْ أَعْظَمِ الشَّهَوَاتِ فِي القُرآنِ
فَأُجِيبَ عَنْهُ بأنَّه لاَ يَشْتَهِي وَلَداً وَلاَ حَبَلاً مِنَ النِّسْوانِ
وَاحْتَجَّ مَنْ مَنَعَ الوِلاَدَةَ أَنَّهَا مَلْزُومَةٌ أمْرَيْنِ مُمْتَنِعَانِ
حَيْضٌ وإنْزَالُ المنِيِّ وَذَانِكَ الْ أمْرَانِ فِي الجَنَّاتِ مَفْقُودَانِ
وَرَوَى صُدَيٌّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أنْ نَ مَنِيَّهُمْ إِذْ ذَاكَ ذُو فِقْدَانِ
بَلْ لاَ مَنِيَّ وَلاَ مَنِيَّةَ هَكَذَا يَرْوِي سُلَيْمَانٌ هُوَ الطَّبرانِي
وَأُجِيبَ عَنْهُ بأَنَّهُ نَوْعٌ سِوَى الْ معْهُودِ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّسوانِ
فالنَّفْيُ لِلمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْ إيلاَدِ والإِثْبَاتُ نَوْعٌ ثَانِ

والـلَّـهُ خَـالِـقُ نَـوْعِـنَـا مِـنْ أَرْبَـعٍ مُـتَـقَـابِـلاَتٍ كُـلُّـهَـا بِـوِزَانِ
ذَكَـرٌ وأُنْـثَـى وَالَّـذِي هُـوَ ضِـدُّهُ وَكَـذَاكَ مِـنْ أُنْـثَـى بِـلاَ نُـكْـرَانِ
وَثَـنَـاؤُهُ بِـصِـفَـاتِـهِ لاَ بِـالـسُّـلُـو بِ كَـمَـا يَـقُـولُ الـعَـادِمُ الـعِـرْفَـانِ
وَالـعَـقْـلُ دَلَّ عَـلَـى انْتِهَـاءِ الْكَوْنِ أَجْـ ـمَـعِـهِ إِلَـى رَبٍّ عَـظِـيـمِ الـشَّـانِ
وَثُـبُـوتِ أَوْصَـافِ الـكَـمَـالِ لِـذَاتِـهِ لاَ يَـقْـتَـضِـي إِبـطَـالَ ذَا الـبُـرْهَـانِ
وَالـكَـوْنُ يَـشْـهَـدُ أَنَّ خَـالِـقَـهُ تَـعَـا لَـى ذُو الـكَـمَـالِ وَدَائِـمُ الـسُّـلْـطَـانِ
وَكَـذَاكَ يَـشْـهَـدُ أَنَّـهُ سُـبْـحَـانَـهُ فَـوْقَ الـوُجُـودِ وَفَـوقَ كُـلِّ مَـكَـانِ
وَكَـذَاكَ يَـشْـهَـدُ أَنَّـهُ سُـبْـحَـانَـهُ الـ ـمَـعْـبُـودُ لاَ شَـيْءٌ مِـنَ الأَكْـوَانِ
وَكَـذَاكَ يَـشْـهَـدُ أَنَّـهُ سُـبْـحَـانَـهُ ذُو حِـكْـمَـةٍ فِـي غَـايَـةِ الإِتْـقَـانِ
وَكَـذَاكَ يَـشْـهَـدُ أَنَّـهُ ذُو قُـدْرَةٍ حَـيٌّ عَـلِـيـمٌ دَائِـمُ الإِحْـسَـانِ
وَكَـذَاكَ يَـشْـهَـدُ أَنَّـهُ الـفَـعَّـالُ حَـقْـ ـقـاً كُـلَّ يَـوْمٍ رَبُّـنَـا فِـي شَـانِ
وَكَـذَاكَ يَـشْـهَـدُ أَنَّـهُ الـمُـخْـتَـارُ فِـي أَفْـعَـالِـهِ حَـقّـاً بِـلاَ نُـكْـرَانِ
وَكَـذَاكَ يَـشْـهَـدُ أَنَّـهُ الـحَـيُّ الَّـذِي مَـا لِـلْـمَـمَـاتِ عَـلَـيْـهِ مِـنْ سُـلْـطَـانِ
وَكَـذَاكَ يَـشْـهَـدُ أَنَّـهُ الـقَـيُّـومُ قَـا مَ بِـنَـفْـسِـهِ وَمُـقِـيـمُ ذِي الأَكْـوَانِ
وَكَـذاكَ يَـشْـهَـدُ أَنَّـهُ ذُو رَحْـمَـةٍ وإِرَادَةٍ وَمَـحَـبَّـةٍ وَحَـنَـانِ
وَكَـذَاكَ يَـشْـهَـدُ أَنَّـهُ سُـبْـحَـانَـهُ مُـتَـكَـلِّـمٌ بِـالـوَحْـيِ والـقُـرْآنِ
وَكـذاكَ يَـشْـهَـدُ أَنَّـهُ سُـبْـحَـانَـهُ الـ ـخَـلاَّقُ بَـاعِـثُ هَـذِهِ الأَبْـدَانِ
لاَ تَـجْـعَـلُـوهُ شَـاهِـداً بِـالـزُّورِ والـتَّـ ـعْـطِـيـلِ تِـلْـكَ شَـهَـادَةُ الـبُـطْـلاَنِ
وَإِذَا تَـأَمَّـلْـتَ الـوُجُـودَ رَأَيـتَـهُ إِنْ لَـمْ تَـكُـنْ مِـنْ زُمْـرَةِ الـعُـمْـيَـانِ
بِـشَـهَـادَةِ الإِثْـبَـاتِ حَـقّـاً قَـائِـمـاً لِـلَّـهِ لاَ بِـشَـهَـادَةِ الـنُّـكْـرَانِ
وَكَـذاكَ رُسْـلُ الـلَّـهِ شَـاهِـدَةٌ بِـهِ أَيْـضـاً فَـسَـلْ عَـنْـهُـمْ عَـلِـيـمَ زَمَـانِ
وَكَـذَاكَ كُـتْـبُ الـلَّـهِ شَـاهِـدَةٌ بِـهِ أَيْـضـاً فَـهَـذَا مُـحْـكَـمُ الـقُـرْآنِ
وَكَـذَلِـكَ الـفِـطَـرُ الَّـتِـي مَـا غُـيِّـرَتْ عَـنْ أَصْـلِ خِـلْـقَـتِـهَـا بِـأَمْـرٍ ثَـانِ
وَكَـذَا الـعُـقُـولُ الـمُـسْـتَـنِـيرَاتُ الَّـتِـي فِـيـهَـا مَـصَـابِـيـحُ الـهُـدَى الـرَّبَّـانِـي
أَتَـرَوْنَ أَنَّـا تَـارِكُـو ذَا كُـلِّـهِ لِـشَـهَـادَةِ الـجَـهْـمِـيِّ والْـيُـونَـانِـي

هَذِي الشُّهودُ فإنْ طَلَبْتُمْ شَاهِداً ... مِنْ غَيْرِهَا سَيَقُومُ بعْدَ زَمَانِ
إذْ ينجلي هَذَا الغُبَارُ فيظْهَرُ الْـ ... حَقُّ المبِينُ مُشَاهَداً بِعِيَانِ
فَإذَا نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ إنَّهُ ... مَلْزُومُ تَرْكِيبٍ فَمَنْ يَلْحَانِي
إنْ قُلتُ لاَ عَقْلٌ وَلا سَمعٌ لَكُمْ ... وَصَرَخْتُ فِيمَا بَيْنكُمْ بِأذَانِ
هَلْ يُجْعَلُ الملْزُومُ عينَ اللاَّزِمِ الْـ ... ـمَنْفِيِّ هَذَا بَيِّنُ البُطْلاَنِ
فَالشَّيءُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يُنْفَى لَدَى ... عَقْلٍ سَلِيمٍ يَا ذوِي العِرْفَانِ
قُلْتُمْ نَفَيْنَا وَصْفَهُ وَعُلُوَّهُ ... مِنْ خِشْيَةِ التَّرْكِيبِ والإمْكَانِ
لَوْ كَانَ مَوْصُوفاً لَكَانَ مُرَكَّباً ... فَالْوَصْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّحِدَانِ
أَوْ كَانَ فَوْقَ العَرْشِ كَانَ مُرَكَّباً ... فَالفَوْقُ والتَّرْكِيبُ مُتَّفِقَانِ
فَنَفَيْتُمُ التَّرْكِيبَ بالتَّرْكِيبِ مَعْ ... تَغْيِيرِ إحْدَى اللفْظَتَيْنِ بِثَانِ
بَلْ صُورَةُ البُرْهَانِ أَصْبَحَ شَكْلُهَا ... شَكْلاً عَقِيماً لَيْسَ ذَا بُرْهَانِ
لَوْ كَانَ مَوْصُوفاً لَكَانَ كَذَاكَ مَوْ ... صُوفاً وَهَذَا حَاصِلُ البُرْهَانِ
فَإذَا جَعَلْتُمْ لَفْظَةَ التَّرْكِيبِ بالْـ ... ـمَعْنَى الصَّحِيحِ أمَارَةَ البُطْلاَنِ
جِئْنَا إلَى المَعْنَى فَخَلَّصْنَاهُ مِنْـ ... ـهَا واطَّرَحْنَاهَا اطِّرَاحَ مُهَانِ
هِيَ لَفْظَةٌ مَقْبُوحَةٌ بِدْعِيَّةٌ ... مَذْمُومَةٌ مِنَّا بِكُلِّ لِسَانِ
وَاللَّفْظُ بالتَّوْحِيدِ نَجْعَلُهُ مَكَا ... نَ اللَّفْظِ بالتَّرْكِيبِ فِي التِّبْيَانِ
وَاللَّفْظُ بالتَّوحيد أوْلَى بِالصِّفَا ... تِ وَبِالْعُلُوِّ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
هَذَا هُوَ التَّوحِيدُ عِنْدَ الرُّسْلِ لاَ ... أَصْحَابِ جَهْمٍ شِيعَةِ الكُفْرانِ



فصلٌ

في أقسامِ التوحيدِ والفرقِ بين توحيدِ المرسلينَ وتوحيدِ النفاةِ المعطلينَ

فَاسْمَعْ إذاً أنواعَهُ هِيَ خَمْسَةٌ ... قَدْ حُصِّلَتْ أَقْسَامُهَا بِبَيَانِ
تَوحِيدُ أتْبَاعِ ابن سِينَا وَهْوَ مَنْـ ... ـسُوبٌ لأرسطو مِنَ الْيُونَانِ

مَـا لِـلإِلَـهِ لَـدَيْـهِـمْ مَـاهِـيَّـةٌ غَـيْـرُ الـوُجُـودِ الـمـطْـلَـقِ الـوِحْـدَانِ
مَسْلُوبُ أَوْصَافِ الكَمَالِ جَمِيعِهَا لَـكِـنْ وجُـودٌ حَـسْـبُ لَـيْـسَ بِـفَـانِ
مَـا إِنْ لَـهُ ذَاتٌ سِـوَى نَـفْـسِ الـوُجُـو دِ الـمـطْـلَـقِ الـمَـسْـلُـوبِ كـلِّ مَـعَـانِ
فَـلِـذَاكَ لاَ سَـمْـعٌ وَلاَ بَـصَـرٌ وَلاَ عِـلْـمٌ وَلاَ قَـوْلٌ مِـنَ الـرَّحْـمَـنِ
وَلِـذَاكَ قَـالُـوا لَـيْـسَ ثَـمَّ مَـشِـيـئَـةٌ وَإِرَادَةٌ لِـلْـوُجُـودِ ذِي الأَكْـوَانِ
بَـلْ تِـلْـكَ لازِمَـةٌ لَـهُ بِـالـذَّاتِ لَـمْ تَـنْـفَـكَّ عَـنْـهُ قَـطُّ فِـي الأَزْمَـانِ
مَـا اخْـتَـارَ شَـيْـئـاً قَـطُّ يَـفْـعَـلُـهُ وَلاَ هَـذَا لَـهُ أَبَـداً بِـذِي إِمْـكَـانِ
وَبَنَوْا عَلَى هَذَا اسْتِحَالَةَ خَرْقِ ذِي الْـ أَفْـلاَكِ يَـوْمَ قِـيَـامَـةِ الأَبْـدَانِ
ولِـذَاكَ قَـالُـوا لَـيْـسَ يَـعْـلَـمُ قَـطُّ شَـيْـ ئـاً مَـا مِـنَ الـمَـوْجُـودِ فِـي الأَعْـيَـانِ
لاَ يَـعْـلَـمُ الأَفْـلاَكَ كَـمْ أَعْـدَادُهَـا وَكَـذا الـنُّـجُـومُ وَذَانِـكَ الـقَـمَـرَانِ
بَلْ لَيْسَ يَسْمَعُ صَوْتَ كُلِّ مُصَوِّتٍ كَـلاَّ وَلَـيْـسَ يَـرَاهُ رَأْيَ عِـيَـانِ
بَلْ لَيْسَ يَعْلَمُ حَالَةَ الإِنْسَانِ تَفْـ ـصِـيـلاً مِـنَ الـطَّـاعَـاتِ وَالـعِـصْـيَـانِ
كَـلاَّ وَلاَ عِـلْـمٌ لَـهُ بِـتَـسَـاقُـطِ الْـ أَوْرَاقِ أَوْ بِـمَـنَـابِـتِ الأَغْـصَـانِ
عِلْماً عَلَى التفْصِيل هَذَا عِنْدَهُمْ عَـيْـنُ الـمُـحَـالِ وَلاَزِمُ الإِمْـكَـانِ
بَـلْ نَـفْـسُ آدَمَ عِـنْـدَهُـمْ عَـيْـنُ الـمـحَـا لِ وَلَـمْ يـكُـنْ فِـي سَـالِـفِ الأَزْمَـانِ
مَـا زَالَ نَـوْعُ الـنَّـاسِ مَـوْجُـوداً ولاَ يَـفْـنَـى كَـذاكَ الـدَّهْـرُ والـمـلْـوَانِ
هَـذَا هُـوَ الـتَّـوْحِـيـدُ عِـنْـدَ فَـرِيـقِـهِـمْ مِـثْـلِ ابْـنِ سِـيـنَـا والـنَّـصِـيـرِ الـثَّـانِـي
قَالُوا وأَلْجَأَنَا إِلَى ذَا خَشْيَـةُ الـتَّـ ـرْكِـيـبِ والـتـجْـسِـيـمِ ذِي الـبُـطْـلاَنِ
وَلِـذَاكَ قُـلْـنَـا مَـالَـهُ سَـمْـعٌ وَلاَ بَـصَـرٌ وَلاَ عِـلْـمٌ فَـكَـيْـفَ يَـدَانِ
وَكَـذَاكَ قُـلْـنَـا لَـيْـس فَـوْقَ الـعَـرْشِ إِلْـ ـهٌ لا الـمُـسْـتَـحِـيـلُ وَلَـيْـسَ ذَا إِمْـكَـانِ
جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ كِلاَ الجِسْمَيْنِ مَحْـ ـدُودٌ يَـكُـونُ كِـلاَهُـمَـا صِـنْـوَانِ
فَـبِـذَاكَ حَـقـاً صَـرَّحُـوا فِـي كُـتْـبِـهِـمْ وَهُـمُ الـفُـحُـولُ أَئِـمَّـةُ الـكُـفْـرانِ
لَيْسُوا مَخَانِيثَ الوُجودِ فَلاَ إِلَى الـ ـكُـفْـرَانِ يَـنْـحَـازُوا وَلاَ الإِيـمَـانِ
والـشِّـرْكُ عِـنْـدَهُـمُ ثُـبُـوتُ الـذَّاتِ وَالْـ أَوْصَـافِ إِذْ يَـبْـقَـى هُـنَـاكَ اثْـنَـانِ
غَـيْـرُ الـوُجُـودِ فَـصَـارَ ثَـمَّ ثَـلاثَـةٌ فَـلِـذَا نَـفَـيْـنَـا اثْـنَـيـنِ بِـالـبُـرْهَـانِ

نَفْيُ الوُجُودِ فَلاَ يُضَافُ إِلَيهِ شَيـ ءٌ غَيْرُهُ فَيَصِيرَ ذَا إِمْكَانِ

فصلٌ

في النوعِ الثاني منْ أنواعِ التَّوحيدِ لأهلِ الإلحادِ

هَذَا وَثَانِيهَا فَتَوحِيدُ ابْنِ سَبْـ ـعِينٍ وَشِيعَتِهِ أولِي البُهْتَانِ
كُلٌّ اتِّحَادِيٌّ خَبِيثٌ عِنْدَهُ مَعْبُودُهُ مَوْطُوءُهُ الحَقَّانِي
تَوْحِيدُهُمْ أنَّ الإلٰهَ هُوَ الوُجُو دُ المطْلَقُ المبثُوثُ فِي الأَعْيَانِ
هُوَ عَيْنُهَا لاَ غَيْرُهَا مَا هَا هُنَا رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَفْتَرِقَانِ
لَكِنَّ وَهْمَ العَبْدِ ثُمَّ خَيَالَهُ فِي ذِي المظَاهِرِ دَائِماً يَلِجَانِ
فَلِذَاكَ حُكْمُهُمَا عَلَيْهِ نَافِذٌ فَابْنُ الطَّبِيعَةِ ظَاهِرُ النُّقْصَانِ
فَإِذَا تَجَرَّدَ عِلْمُهُ عَنْ حِسِّهِ وَخَيَالِهِ بَلْ ثمَّ تَجْرِيدَانِ
تَجْرِيدُهُ عَنْ عَقْلِهِ أيْضاً فإِنْـ ـنَ العَقْلَ لاَ يُدْنِيهِ مِنْ ذَا الشَّانِ
بَلْ يَخْرِقُ الحُجُبَ الكَثِيفَةَ كُلَّهَا وَهْماً وَحِسّاً ثُمَّ عَقْلٌ وَانِ
فَالوَهْمُ مِنْهُ وَحِسُّهُ وَخَيَالُهُ وَالعِلْمُ والمعْقُولُ فِي الأذْهَانِ
حُجُبٌ عَلَى ذَا الشَّانِ فاخْرِقْهَا وإِلْـ ـلاَ كُنْتَ مَحْجُوباً عَنِ العِرْفَانِ
هَذا وأَكْثَفُهَا حِجَابُ الحِسِّ والْـ ـمعْقُولُ ذَانِكَ صَاحِبُ الفُرْقَانِ
فَهُنَاكَ صِرْتَ مَوحِّداً حَقّاً تَرَى هَذَا الوُجُودَ حَقِيقَةَ الدَّيَّانِ
والشِّرْكُ عِنْدَهُمُ فَتنْوِيعُ الوُجُو دِ وَقَولُنَا إِنَّ الوُجُودَ اثْنَانِ
وَاحْتَجَّ يَوْماً بِالكِتَابِ عَلَيْهِمُ شَخْصٌ فَقَالُوا الشِّرْكُ فِي القُرْآنِ
لَكِنَّمَا التَّوحِيدُ عِنْدَ القَائِلِيـ ـنَ بِالاتِّحَادِ فَهُمْ أُولُو العِرْفَانِ
رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ ذَاكَ وإِنَّمَا الْـ ـموْجُودُ فَرْدٌ مَا لَهُ مِنْ ثَانِ

فصلٌ

في النَّوعِ الثالثِ مِنَ التَّوحيدِ لأهلِ الإلحادِ

هَذَا وثَالِثُهَا هُوَ التَّوحِيدُ عِنْـ ـدَ الجَهْمِ تَعْطِيلٌ بِلا إيمَانِ

نَفْيُ الصِّفَاتِ مَعَ العُلُوِّ كَذاكَ نَفْـ ـيُ كَلاَمِهِ بِالوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
فَالعَرشُ لَيْسَ عَلَيهِ شَيءٌ بَتَّةً لَكِنَّهُ خِلْوٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ
مَا فَوْقَهُ رَبٌّ يُطَاعُ وَلاَ عَلَيْـ ـهِ لِلوَرَى مِنْ خَالِقٍ رَحْمٰنِ
بَلْ حَظُّ عرشِ الرَّبِّ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ مِنْهُ كَحَظِّ الأَسْفَلِ التَّحْتَانِي
فَهوَ المعَطِّلُ عَنْ نُعُوتِ كَمَالِهِ وَعنِ الكَلاَمِ وَعَنْ جَمِيعِ مَعَانِ
وَانظرْ إلَى مَا قَدْ حَكَينَا عَنهُ فِي مَبْدا القَصِيدِ حِكَايَةَ التِّبْيَانِ
هَذَا هُوَ التَّوحيدُ عِنْدَ فَرِيقهِمْ تِلْوَ الفُحولِ مُقَدِّمِي البُهتَانِ
وَالشِّرْكُ عِنْدَهُمُ فإِثْبَاتُ الصِّفَا تِ لِربِّنَا ونِهَايةُ الكُفْرَانِ
إنْ كَانَ شِرْكٌ ذَا وَكُلُّ الرُّسْلِ قَدْ جَاؤوا بِهِ يَا خَيْبَةَ الإِنْسَانِ



فصلٌ

في النَّوعِ الرَّابعِ مِنْ أنواعِهِ

هَذَا وَرَابِعُهَا فَتَوْحِيدٌ لَدَى جَبْرِيِّهِمْ هُوَ غَايَةُ العِرْفَانِ
العَبْدُ مَيْتٌ مَا لَهُ فِعلٌ وَلَـ ـكِنْ مَا تَرَى هُوَ فِعْلُ ذِي السُّلْطَانِ
واللَّهُ فَاعِلُ فِعْلِنا مِنْ طَاعَةٍ وَمِن الفُسوقِ وَسائِر العِصْيَانِ
هِيَ فِعلُ رَبِّ العَالَمِينَ حَقِيقَةً لَيْسَتْ بِفِعْلٍ قَطُّ لِلإِنْسَانِ
فَالعَبْدُ مَيْتٌ وَهْوَ مَجْبُورٌ عَلَى أَفْعَالِهِ كالمَيْتِ فِي الأَكْفَانِ
وَهْوَ الملُومُ عَلَى فِعَالِ إلٰهِهِ فِيهِ وَدَاخِلُ جَاحِمِ النِّيرَانِ
يَا وَيْحَهُ المسْكِينُ مَظْلُومٌ يُرَى فِي صُورَةِ العَبْدِ الظَّلُومِ الجَانِي
لَكِنْ نَقُولُ بِأَنَّهُ هُوَ ظَالِمٌ فِي نَفْسِهِ أَدَباً مَعَ الرَّحْمٰنِ
هَذا هُوَ التَّوحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ مِنْ كُلِّ جَبْرِيٍّ خَبِيثٍ جَنَانِ
والكُلُّ عِنْدَ غُلاَتِهِمْ طَاعَاتُنا مَا ثَمَّ فِي التحْقِيقِ مِنْ عِصْيَانِ
والشِّرْكُ عِنْدَهُمُ اعتِقَادُكَ فَاعِلاً غَيْرَ الإِلٰهِ المالِكِ الدَّيَّانِ
فَانظُرْ إِلَى التَّوحِيدِ عِند القَوْمِ مَا فِيهِ مِنَ الإِشْرَاكِ والكُفْرَانِ

مَـا عِـنْـدَهُـمْ والـلَّـهِ شَـيءٌ غَـيْـرَهُ   هَـاتِـيـكَ كُـتْـبُـهُـمُ بِـكُـلِّ مَـكَـانِ

أَتَـرى أَبَـا جَـهْـلٍ وَشِـيـعَـتَـهُ رَأَوْا   مِـنْ خَـالِـقٍ ثَـانٍ لِـذِي الأَكْـوَانِ

أَمْ كُـلُّـهُـمْ جَـمْـعـاً أَقَـرُّوا أَنَّـهُ   هُـوَ وَحْـدَهُ الـخَـلاَّقُ لـلإِنْـسَـانِ

فَـإِذَا ادَّعَـيْـتُـمْ أَنَّ هَـذَا غَـايَـةُ الـتَّـ   ـوْحِـيـدِ صَـارَ الـشِّـرْكُ ذَا بُـطْـلاَنِ

فَـالـنَّـاسُ كُـلُّـهُـمُ أَقَـرُّوا أَنَّـهُ   هُـوَ وَحْـدَهُ الـخَـلاَّقُ لَـيْـسَ اثْـنَـانِ

إلاَّ الـمَـجُـوسَ فَـإِنَّـهُـمْ قَـالُـوا بِـأَنَّـ   ـنَ الـشَّـرَّ خَـالِـقُـهُ إِلـٰهٌ ثَـانِ



فصلٌ

في بيانِ توحيدِ الأنبياءِ والمرسلينَ ومخالفتهِ لتوحيدِ الملاحدةِ والمعطلينَ

فَاسْمَعْ إِذاً تَوْحِيدَ رُسْلِ اللَّهِ ثُـمْـ   ـمَ اجْـعَـلْـهُ دَاخِلَ كِفَّةِ المِيزَانِ

مَـعْ هَـذِهِ الأَنْـواعِ وَانْـظُـرْ أَيُّـهَـا   أَوْلَـى لَـدَى الـمِـيـزَانِ بِـالـرُّجْـحَـانِ

تَـوْحِـيـدُهُـمْ نَـوْعَـانِ قَـوْلِـيٌّ وَفِـعْـ   ـلِـيٌّ كِـلاَ نَـوْعَـيْـهِ ذُو بُـرْهَـانِ

فَـالأَولُ الـقَـوْلِـيُّ ذُو نَـوْعَـيْـنِ أَيْـ   ـضـاً فِـي كِـتَـابِ الـلَّـهِ مَـوْجُـودَانِ

إِحْـدَاهُـمَـا سَـلْـبٌ وَذَا نَـوْعَـانِ أَيْـ   ـضـاً فِـيـهِ حَـقّـاً فِـيـهِ مَـذْكُـورَانِ

سَلْبُ النَّقَائِصِ وَالعُيُوبِ جَمِيعِهَا   عَـنْـهُ هُـمَـا نَـوْعَـانِ مَـعْـقُـولاَنِ

سَـلْـبٌ لِـمـتَّـصِـلٍ وَمـنْـفَـصِـلٍ هُـمَـا   نَـوْعَـانِ مَـعْـرُوفَـانِ أَمَّـا الـثَّـانِـي

سَلْبُ الشَّرِيكِ مَعَ الظَّهِيرِ مَعَ الشَّفِيـ   ـعِ بِـدُونِ إِذْنِ الـخَـالِـقِ الـدَّيَّـانِ

وَكَـذَاكَ سَـلْـبُ الـزَّوجِ والـوَلَـدِ الَّـذِي   نَـسَـبُـوا إِلَـيْـهِ عَـابِـدُو الـصُّـلْـبَـانِ

وَكَـذَاكَ نَـفْـيُ الـكُـفْءِ أَيْـضـاً وَالـولِـيْـ   ـيِ لَنَا سِوَى الرَّحْمٰنِ ذِي الغُفْرَانِ

وَالأَوَّلُ الـتَّـنْـزِيـهُ لِـلـرَّحْـمٰـنِ عَـنْ   وَصْـفِ الـعُـيُـوبِ وَكُـلِّ ذِي نُـقْـصَـانِ

كَـالـمَـوتِ والإِعْـيَـاءِ والـتَّـعَـبِ الـذِي   يَـنْـفِـي اقْـتِـدَارَ الـخَـالِـقِ الـدَّيَّـانِ

والـنَّـومِ والـسِّـنَـةِ الـتِـي هِـيَ أَصْـلُـهُ   وَعُـزُوبِ شَـيءٍ عَـنْـهُ فِـي الأَكْـوَانِ

وَكَـذَلِـكَ الـعَـبَـثُ الَّـذِي تَـنْـفِـيـهِ حِـكْـ   ـمَـتُـهُ وَحَـمْـدُ الـلَّـهِ ذِي الإِتْـقَـانِ

وَكَذَاكَ تَرْكُ الخَلْقِ إهْمَالاً سُدىً ... لاَ يُبْعَثُونَ إلَى مَعَادٍ ثَانِ
كَلاَّ وَلاَ أمْرٌ وَلاَ نَهْيٌ عَلَيْـ ... ـهِمْ مِنْ إلَـهٍ قَادِرٍ دَيَّانِ
وَكَذَاكَ ظُلْمُ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَنِيْـ ... ـيُ فَمَا لَهُ والظُّلْمِ لِلإنْسَانِ
وَكَذَاكَ غَفْلَتُهُ تَعَالَى وَهْوَ عَلْـ ... ـلاَمُ الغُيُوبِ فَظَاهِرُ البُطْلاَنِ
وَكَذَلِكَ النِّسْيَانُ جَلَّ إلَهُنَا ... لاَ يَعْتَرِيهِ قَطُّ مِنْ نِسْيَانِ
وَكَذَاكَ حَاجَتُهُ إلَى طَعْمٍ وَرِزْ ... قٍ وَهْوَ رَزَّاقٌ بِلاَ حُسْبَانِ
هَذَا وَثَانِي نَوْعَيِ السَّلْبِ الَّذِي ... هُوَ أوَّلُ الأنْوَاعِ فِي الأوْزَانِ
تَنْزِيهُ أوْصَافِ الكَمَالِ لَهُ عَنِ التْـ ... ـتَشْبِيهِ والتَّمْثِيلِ والنُّكْرَانِ
لَسْنَا نُشَبِّهُ وَصْفَهُ بِصِفَاتِنَا ... إنَّ المُشَبِّهَ عَابِدُ الأوْثَانِ
كَلاَّ وَلاَ نُخْلِيهِ مِنْ أوْصَافِهِ ... إن المُعَطِّلَ عَابِدُ البُهْتَانِ
مَنْ مَثَّلَ اللَّهَ العَظِيمَ بِخَلْقِهِ ... فَهُوَ النَّسِيبُ لِمُشْرِكٍ نَصْرَانِي
أوْ عَطَّلَ الرَّحْمَنَ مِنْ أوْصَافِهِ ... فَهُوَ الكَفُورُ ولَيْسَ ذَا إيمَانِ



فصلٌ

في النوعِ الثانِي من النوعِ الأوَّلِ وهو الثبوتُ

هَذَا وَمِنْ تَوحِيدِهِمْ إثْبَاتُ أوْ ... صَافِ الكَمَالِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ
كَعُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَـ ... ـوَاتِ العُلاَ بَلْ فَوْقَ كُلِّ مَكَانِ
فَهُوَ العَلِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ ... إذْ يَسْتَحِيلُ خِلاَفُ ذَا بِبَيَانِ
وَهْوَ الَّذِي حَقّاً عَلَى العَرْشِ اسْتَوى ... قَدْ قَامَ بالتَّدْبِيرِ لِلأكْوَانِ
حَيٌّ مُرِيدٌ قَادرٌ متكلمٌ ... ذو رحمةٍ وإرادةٍ وحَنَانِ
هُوَ أوَّلٌ هُوَ آخِرٌ هُوَ ظَاهِرٌ ... هو بَاطِنٌ هيَ أربَعٌ بِوِزَانِ
مَا قَبْلَهُ شَيءٌ كَذَا مَا بَعْدَهُ ... شَيءٌ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
مَا فَوْقَهُ شَيءٌ كَذَا مَا دُونَهُ ... شَيءٌ وَذَا تَفْسِيرُ ذِي البُرْهَانِ
فَانْظُرْ إلَى تَفْسِيرِهِ بِتَدَبُّرٍ ... وَتَبَصُّرٍ وَتَعَقُّلٍ لِمَعَانِ

وَانـظُـرْ إلَـى مَـا فِـيـهِ مِـنْ أنـوَاعِ مَـعْـ ـرِفَـةٍ لـخَـالِـقِـنَـا الـعـظِـيـم الـشَّـانِ
وَهُـوَ الـعَـلِـيُّ فَـكُـلُّ أنْـوَاعِ الـعُـلُـوْ ـوِ لَـهُ فَـثَـابِـتَـةٌ بِـلاَ نُـكْـرَانِ
وَهُوَ العَظِيمُ بِكلِّ معْنىً يُوجِبُ التـْ ـتَـعْـظِـيـمَ لاَ يُـحْـصِـيـهِ مِنْ إنسَانِ
وَهُـوَ الـجَـلِـيـلُ فَـكُـلُّ أَوصَـافِ الـجَـلاَ لِ لَـهُ مُـحَـقَّـقَـةٌ بِـلاَ بُـطْـلاَنِ
وَهُوَ الجَميلُ عَلَى الحَقِيقَةِ كَيْفَ لاَ وَجَـمَـالُ سَـائِـرِ هَـذِهِ الأكْـوَانِ
مِـنْ بَـعْـضِ آثَـارِ الـجَـمِـيـلِ فَـرَبُّـهَـا أوْلَـى وأجْـدَرُ عِـنْـدَ ذِي الـعِـرْفَـانِ
فَـجَـمَـالُـهُ بَـالـذَّاتِ والأوْصَـافِ والْـ أفْـعَـالِ والأسْـمَـاءِ بِـالـبُـرْهَـانِ
لاَ شَـيءَ يُـشْـبِـهُ ذَاتَـهُ وَصِـفَـاتِـهِ سُـبْـحَـانَـهُ عَـنْ إفْـكِ ذِي بُـهْـتَـانِ
وَهُـوَ الـمَـجِيدُ صِفَـاتُـهُ أوْصَـافُ تَـعْـ ـظِـيـم فَـشَـأْنُ الْـوَصْـفِ أعْـظَـمُ شَـانِ
وَهُـوَ الـسَّـمِـيـعُ يَرى ويَـسـمَـعُ كُـلَّ مَـا فِـي الـكَـوْنِ مِـنْ سِـرٍّ وَمِـنْ إعْـلاَنِ
وَلِـكُـلِّ صَـوْتٍ مِـنْـهُ سَـمْـعٌ حَـاضِـرٌ فَـالـسِّـرُّ والإعْـلاَنُ مُـسْـتَـوِيَـانِ
والـسَّـمْـعُ مِـنْـهُ واسِـعُ الأصْـواتِ لاَ يَـخْـفَـى عَـلَـيْـهِ بَـعِـيـدُهَـا والـدَّانِـي
وَهُوَ الـبَـصِيرُ يَرَى دَبِيبَ الـنَّـمْـلَـةِ الـسَّـ ـوْدَاءِ تَـحْـتَ الـصَّـخْـرِ والـصَّـوَّانِ
وَيَرى مَجَارِي الـقُـوتِ فِـي أعْـضَـائِـهَـا وَيَـرَى نِـيَـاطَ عُـرُوقِـهَـا بِـعِـيَـانِ
وَيرى خِـيَـانَـاتِ الـعُـيُـونِ بِـلَـحْـظِـهَـا وَيَـرَى كَـذَاكَ تَـقَـلُّـبَ الأجْـفَـانِ
وَهُـوَ الـعَـلِـيـمُ أحَـاطَ عِـلْـمـاً بِـالَّـذِي فِـي الـكَـوْنِ مِـنْ سِـرٍّ وَمِـنْ إعْـلاَنِ
وَبِـكُـلِّ شَـيْءٍ عِـلْـمُـهُ سُـبْـحَـانَـهُ فَـهُـوَ الـمُـحِـيـطُ ولَـيـسَ ذَا نِـسْـيَـانِ
وَكَـذَاكَ يَـعْـلَـمُ مَـا يَـكُـونُ غَـداً وَمَـا قَـدْ كَـانَ والـمَـوْجُـودَ فِـي ذَا الآنِ
وَكَـذَاكَ أمْـرٌ لَـمْ يَـكُـنْ لَـوْ كَـان كَـيْـ ـفَ يَـكُـونُ ذَا إمْـكَـانِ

❋ ❋ ❋



فصلٌ

وَهُـوَ الـحَـمِـيـدُ فَـكُـلُّ حَـمْـدٍ وَاقِـعٌ أوْ كَـانَ مَـفْـرُوضـاً مَـدَى الأزْمَـانِ
مَـلأَ الـوُجُـودَ جَـمِـيـعَـهُ ونَـظِـيـرَهُ مِـنْ غَـيْـرِ مَـا عَـدٍّ وَلاَ حُـسْـبَـانِ
هُـوَ أهْـلُـهُ سُـبْـحَـانَـهُ وَبِـحَـمْـدِهِ كُـلُّ الـمَـحَـامِـدِ وَصْـفُ ذِي الإحْـسَـانِ

فصلٌ

وَهوَ المُكَلِّمُ عَبْدَهُ مُوسَى بِتَكْـ ـلِيمِ الخِطَابِ وَقَبْلَهُ الأَبَوَانِ
كَلِمَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الإِحْصَاءِ والـتـ ـتَعْدَادِ بَلْ عَنْ حَصْرِ ذِي الحُسْبَانِ
لَوْ أنَّ أشْجَارَ البِلاَدِ جَمِيعَهَا الـ أقْلاَمُ تَكْتُبُهَا بِكُلِّ بَنَانِ
وَالبَحْرَ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ لِكِتَابَةِ الكَلِمَاتِ كُلَّ زَمَانِ
نَفِدتْ وَلَمْ تَنْفَدْ بِهَا كَلِمَاتُهُ لَيْسَ الكَلامُ مِنَ الإِلَهِ بِفَانِ
وَهوَ القَدِيرُ وَلَيْسَ يُعْجِزُهُ إذَا مَا رَامَ شَيْئاً قَطُّ ذُو سُلْطَانِ
وَهوَ القَوِيُّ لَهُ القُوَى جَمْعاً تَعَا لَى اللَّهُ ذُو الأكْوَانِ والسُّلْطَانِ
وَهوَ الغَنِيُّ بِذَاتِهِ فِغِنَاهُ ذَا تِيٌّ لَهُ كَالجُودِ والإِحْسَانِ
وَهوَ العَزِيزُ فَلَنْ يُرام جَنَابُهُ أنَّى يُرامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ
وَهوَ العَزِيزُ القَاهِرُ الغَلاَّبُ لَمْ يَغْلِبْهُ شَيءٌ هَذِهِ صِفَتَانِ
وَهوَ العَزِيزُ بقوةٍ هِي وَصْفُهُ فَالعِزُّ حِينَئِذٍ ثَلاَثُ مَعَانِ
وَهيَ الَّتي كَمُلَتْ لَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ عَادِمِ النُّقْصَانِ
وَهو الحَكِيمُ وَذَاكَ مِنْ أوْصَافِهِ نَوعَانِ أيْضاً مَا هُمَا عَدَمَانِ
حُكْمٌ وإحْكَامٌ فكلٌّ مِنْهُمَا نَوْعَانِ أيْضاً ثَابِتَا البُرْهَانِ
والحُكْمُ شَرْعِيٌّ وكَوْنِيٌّ وَلاَ يَتَلاَزَمَانِ وَمَا هُمَا سِيَّانِ
بَلْ ذَاكَ يُوجَدُ دُونَ هَذَا مُفْرداً وَالعَكْسُ أيْضاً ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ
لَنْ يَخْلُوَ المربُوبُ مِنْ إحْدَاهُمَا أو مِنْهُمَا بَلْ لَيسَ يَنْتَفِيَانِ
لَكِنَّمَا الشَّرْعِيُّ مَحْبُوبٌ لَهُ أبَداً وَلَنْ يَخْلُو مِنَ الأكْوَانِ
هُوَ أمرُهُ الدِّينيُّ جاءَتْ رُسْلُهُ بِقِيَامِهِ فِي سَائِرِ الأَزْمَانِ
لَكِنَّما الكَوْنيُّ فَهْوَ قَضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ بِالعَدْلِ والإِحْسَانِ
هُوَ كُلُّهُ حَقٌّ وعَدْلٌ ذُو رِضاً والشَّأنُ فِي المقْضِيِّ كلَّ الشَّانِ
فَلذَاكَ نَرْضَى بالقَضَاءِ ونَسْخَطُ الـ ـمقْضِيَّ حِينَ يَكُونُ بالعِصْيَانِ
فاللَّهُ يَرْضَى بالقَضَاءِ وَيَسْخَطُ الـ ـمقْضِيَّ مَا الأمْرَانِ مُتَّحِدَانِ
فَقَضَاؤُهُ صِفَةٌ بِهِ قَامَتْ وَمَا الـ ـمَقْضِيُّ إلاَّ صَنْعَةُ الرحْمنِ

هَـذَا الـبَـيَـانُ يُـزِيـلُ لَـبْـساً طَـالَـمَـا ... هَـلَـكَـتْ عَـلَـيْـهِ الـنـاسُ كُـلَّ زَمَـانِ
وَيـحِـلُّ مَـا قَـدْ عَـقَّـدُوا بـأُصُـولِـهِـمْ ... وبُـحُـوثِـهِـمْ فـافْـهَـمْـهُ فَـهْـم بَـيَـانِ
مَـنْ وَافَـقَ الـكَـوْنِـيَّ وَافَـقَ سُـخْـطَـهُ ... إنْ لَـمْ يُـوافِـقْ طَـاعَـةَ الـدَّيَّـانِ
فَـلِـذَاكَ لاَ يَـعْـدُوهُ ذَمٌّ أوْ فَـوَا ... تُ الـحَـمْـدِ مَـعْ أجـرٍ ومَـعْ رِضْـوَانِ
وَمُـوافِـقُ الـدِّيـنِـيِّ لاَ يَـعْـدُوهُ أجْـ ... ـرٌ بَـلْ لَـهُ عِـنْـدَ الـصَّـوابِ اثْـنَـانِ



فصل

والـحِـكْـمَـةُ الـعُـلْـيَـا عَـلَـى نَـوْعَـيـنِ أيْـ ... ـضـاً حُـصِّـلاَ بَـقَـواطِـع الـبُـرْهَـانِ
إحْـدَاهُـمَـا فِـي خَـلْـقِـهِ سُـبْـحَـانَـهُ ... نَـوْعَـانِ أيْـضـاً لَـيْـسَ يـفْـتَـرِقَـانِ
أحـكَـامُ هَـذَا الـخَـلْـقِ إذْ إيـجَـادُهُ ... فِـي غَـايَـةِ الإحْـكَـام والإتْـقَـانِ
وَصُـدُورُهُ مِـنْ أجـلِ غَـايَـاتٍ لَـهُ ... وَلَـهُ عَـلَـيْـهَـا حَـمْـدُ كُـلِّ لِـسَـانِ
والـحِـكـمـةُ الأخْـرَى فـحِـكْـمَـةُ شَـرْعِـهِ ... أيـضـاً وفِـيـهَـا ذَانِـكَ الـوَصْـفَـانِ
غَـايَـاتُـهَـا الَّـلائِـي حُـمِـدْنَ وَكَـوْنُـهَـا ... فِـي غَـايَـةِ الإتْـقَـانِ والإحْـسَـانِ

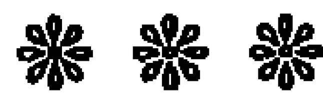


فصل

وَهـوَ الْـحَـيِـيُّ فَـلَـيْـسَ يَـفْـضَـحُ عَـبْـدَهُ ... عِـنْـدَ الـتَـجَـاهُـرِ مِـنْـهُ بـالـعِـصْـيَـانِ
لَـكِـنَّـهُ يُـلْـقِـي عَـلَـيْـهِ سَـتْـرَهُ ... فَـهـوَ الـسَّـتِـيـرُ وصَـاحِـبُ الـغُـفْـرَانِ
وَهْـوَ الـحَـلِـيـمُ فَـلاَ يُـعَـاجِـلُ عَـبْـدَهُ ... بِـعُـقـوبَـةٍ لِـيَـتُـوبَ مِـنْ عِـصْـيَـانِ
وَهْـوَ الـعَـفُـوُّ فَـعَـفْـوُهُ وَسِـعَ الـورَى ... لَـولاهُ غَـارَ الأرضُ بـالـسُّـكَّـانِ
وَهـوَ الـصَّـبُـورُ عَـلَـى أذَى أعْـدَائِـهِ ... شَـتَـمُـوهُ بَـلْ نَـسَـبُـوهُ لـلـبُـهْـتَـانِ
قَـالُـوا لَـهُ وَلَـدٌ وَلَـيْـسَ يُـعِـيـدُنَـا ... شَـتْـمـاً وتَـكْـذِيـبـاً مِـنَ الإنْـسَـانِ
هَـذَا وَذَاكَ بِـسَـمْـعِـهِ وبِـعِـلْـمِـهِ ... لَـوْ شَـاءَ عَـاجَـلَـهُـمْ بِـكُـلِّ هَـوَانِ
لَـكِـنْ يُـعَـافِـيـهِـمْ ويَـرْزُقُـهُـمْ وَهُـمْ ... يُـؤْذُونَـهُ بـالـشِّـرْكِ والـكُـفْـرَانِ

فصلٌ

وَهوَ الرَّقِيبُ عَلَى الخَوَاطِرِ واللَّوا ... حِظِ كَيْفَ بالأفْعَالِ بالأرْكَانِ
وَهوَ الْحَفِيظُ عَليهِمُ وَهْوَ الكَفِيـ ... ـلُ بِحِفْظِهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَانِ
وَهوَ اللَّطِيفُ بِعَبْدِهِ ولِعَبْدِهِ ... واللُّطْفُ فِي أوْصَافِهِ نَوْعَانِ
إدرَاكُ أَسْرارِ الأمُورِ بِخِبْرَةٍ ... واللُّطْفُ عِنْدَ مَواقِعِ الإحْسَانِ
فيُرِيكَ عِزَّتَهُ وَيبْدي لُطْفَهُ ... والعَبْدُ فِي الغَفَلاتِ عَنْ ذَا الشَّانِ



فصلٌ

وَهْوَ الرَّفِيقُ يُحبُّ أَهْلَ الرِّفقِ بَلْ ... يُعْطِيهُمُ بالرِّفْقِ فَوْقَ أمَانِ
وَهْوَ القَرِيبُ وقُرْبُهُ المخْتَصُّ بالدَّا ... عِي وعَابِدِه عَلَى الإيمَانِ
وَهْوَ المجِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْـ ... ـهُ أَنَا المجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي
وَهوَ المُجِيبُ لِدَعْوةِ الْمُضْطَرِّ إذْ ... يَدْعُوهُ فِي سِرٍّ وَفِي إعْلاَنِ
وَهوَ الجَوَادُ فجُودُهُ عَمَّ الوُجُو ... دَ جَمِيعَهُ بالفَضْلِ والإحْسَانِ
وَهوَ الجَوَادُ فَلاَ يُخَيِّبُ سَائِلاً ... وَلَوَ انَّه مِنْ أمَّةِ الكُفْرَانِ
وَهوَ المغِيثُ لِكُلِّ مَخْلُوقَاتِه ... وَكَذَا يُجِيبُ إغَاثَةَ اللَّهْفَانِ



فصلٌ

وَهوَ الوَدُودُ يحِبُّهُمْ ويحِبُّهُ ... أحْبَابُهُ والفَضْلُ لِلمنَّانِ
وَهوَ الَّذِي جَعَلَ المحبَّةَ فِي قُلو ... بِهِمُ وَجَازَاهُمْ بحُبٍّ ثَانِ
هَذَا هُوَ الإحْسَانُ حَقّاً لاَ مُعَا ... وَضَةً وَلاَ لِتَوَقُّعِ الشُّكْرَانِ
لَكِنْ يُحِبُّ شُكُورَهُمْ ... لاَ لاِحْتِيَاجٍ مِنْهُ لِلشُّكْرَانِ
وَهوَ الشَّكُورُ فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ ... لَكِنْ يُضَاعِفُهُ بِلاَ حُسْبَانِ
مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ... هُوَ أوْجَبَ الأجْرَ العَظِيمَ الشَّانِ

كَـلاَّ وَلاَ عَـمَـلٌ لَـديْـهِ ضَـائِـعٌ إنْ كَـانَ بـالإخْـلاَصِ والإِحْـسَـانِ
إنْ عُـذِّبُـوا فـبِـعَـدلِـه أو نُـعِّـمُـوا فـبِـفَـضْـلِـهِ والـحَـمْـدُ لـلـمـنَّـانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

وَهُـوَ الـغَـفُـورُ فَـلَـوْ أتَـى بِـقُـرَابِـهَـا مِـنْ غَـيْـرِ شِـرْكٍ بَـلْ مِـنَ الـعِـصْـيَـانِ
لأَتَـاهُ بـالـغُـفْـرانِ مِـلْء قُـرَابِـهَـا سُـبْـحَـانَـهُ هُـوَ وَاسِـعُ الـغُـفْـرَانِ
وَكَـذَلِـكَ الـتَّـوابُ مِـنْ أوْصَـافِـهِ والـتَّـوْبُ فِـي أوْصَـافِـهِ نَـوْعَـانِ
إذْنٌ بِـتَـوْبَـةِ عَـبْـدِهِ وَقَـبُـولِـهَـا بَـعْـدَ الـمـتَـابِ بِـمِـنَّـةِ الـمـنَّـانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

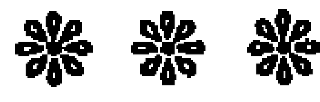
وَهُـوَ الإلـهُ الـسَّـيِّـدُ الـصَّـمَـدُ الَّـذِي صَـمَـدَتْ إلَـيْـهِ الـخَـلْـقُ بـالإذْعَـانِ
الـكَـامِـلُ الأوْصَـافِ مِـنْ كُـلِّ الـوُجُـو هِ كَـمَـالُـهُ مَـا فِـيـهِ مِـنْ نُـقْـصَـانِ
وَكَـذَلِـكَ الـقَـهَّـارُ مِـنْ أوْصَـافِـهِ فَـالـخَـلْـقُ مَـقْـهُـورُونَ بـالـسُّـلْـطَـانِ
لَـوْ لَـمْ يَـكُـنْ حَـيّـاً عَـزِيـزاً قَـادِراً مَـا كَـانَ مِـنْ قَـهْـرٍ وَمِـنْ سُـلْـطَـانِ
وَكَـذَلِـكَ الـجَـبَّـارُ مِـنْ أوْصَـافِـهِ وَالـجَـبْـرُ فِـي أوْصَـافِـهِ نَـوْعَـانِ
جَـبْـرُ الـضَّـعِـيـفِ وَكُـلُّ قَـلْـبٍ قَـدْ غَـدَا ذَا كَـسْـرَةٍ فـالـجَـبْـرُ مِـنْـهُ دَانِ
والـثَّـانِ جَـبْـرُ الـقَـهْـرِ بـالـعِـزِّ الـذِي لاَ يَـنْـبَـغِـي لِـسِـوَاهُ مِـنْ إنْـسَـانِ
وَلَـهُ مَـسَـمّـىً ثَـالِـثٌ وَهـوَ الْـعُـلُـوْ وُ فَـلَـيْـسَ يَـدْنُـو مِـنْـهُ مِـنْ إنْـسَـانِ
مِـنْ قَـوْلِـهِـمْ جَـبَّـارَةٌ لـلـنَّـخْـلـةِ الْـ عُـلْـيَـا الـتِـي فَـاتَـتْ لِـكُـلِّ بَـنَـانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

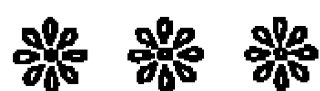
وَهُـوَ الـحَـسِـيـبُ حِـمَـايَـةً وكِـفَـايَـةً والـحَـسْـبُ كَـافِـي الـعَـبْـد كُـلَّ أوَانِ
وَهُـوَ الـرشِـيـدُ فَـقـولُـهُ وَفِـعَـالُـهُ رُشْـدٌ وَرَبُّـكَ مُـرشِـدُ الـحـيـرانِ

وَكِلاَهُمَا حَقٌّ فَهذَا وَصْفُهُ وَالفِعْلُ لِلإرْشَادِ ذَاكَ الثَّانِي
والعَدْلُ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ وَمَقَالِهِ والحُكْمِ فِي المِيزَانِ
فَعَلَى الصِّراطِ المُسْتقيمِ إلٰهُنَا قَوْلاً وفِعلاً ذَاكَ فِي القُرآنِ



فصلٌ

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ القُدُّوس ذُو الـتـ ـتَنْزِيهِ بالتَّعظيمِ للرَّحْمٰنِ
وَهوَ السَّلاَمُ عَلَى الحَقِيقَةِ سَالِمٌ مِنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
وَالبِرُّ فِي أَوْصَافِهِ سُبْحَانَهُ هُوَ كَثْرةُ الخَيْراتِ والإحْسَانِ
صَدَرَتْ عَنِ البرِّ الَّذِي هُوَ وَصْفُهُ فَالبِرُّ حِينَئِذٍ لَهُ نَوْعَانِ
وَصْفٌ وَفِعْلٌ فَهْوَ بَرٌّ مُحْسِنٌ مُولِي الجَمِيلِ ودَائِمُ الإحْسَانِ
وَكَذَلِكَ الوَهَّابُ مِنْ أَسْمَائِهِ فَانْظُرْ مَواهِبَهُ مَدَى الأزمَانِ
أَهْلُ السَّمٰواتِ العلَى والأرضِ عَنْ تِلْكَ المواهِبِ لَيْسَ ينْفَكَّانِ
وَكَذَلِك الفَتَّاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَالفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أمْرَانِ
فَتْحٌ بِحُكْمٍ وَهْوَ شَرْعُ إلٰهِنَا والفَتحُ بالأَقْدَارِ فَتْحٌ ثَانِ
والرَّبُّ فَتَّاحٌ بِذَيْنِ كِلَيْهِمَا عَدْلاً وإحْسَاناً مِنَ الرَّحْمٰنِ
وكَذَلِكَ الرزَّاقُ مِنْ أَسْمَائِهِ والرِّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوْعَانِ
رِزْقٌ عَلَى يدِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَوْعَانِ أَيْضاً ذَانِ مَعْرُوفَانِ
رِزْقُ القُلُوبِ العِلْمَ والإيمَانَ وَالـ ـرِّزْقُ المُعَدُّ لِهذِهِ الأبْدَانِ
هَذا هُوَ الرِّزْقُ الحَلاَلُ وَرَبُّنَا رَزَّاقُهُ والفَضْلُ للمَنَّانِ
والثانِ سَوْقُ القُوتِ للأَعْضَاءِ فِي تِلْكَ المجَارِي سَوْقَهُ بِوزَانِ
هَذَا يَكُونُ مِنَ الحَلاَلِ كَمَا يَكُو نُ مِنَ الحَرامِ كِلاَهُمَا رِزْقَانِ
واللهُ رَازِقُهُ بِهَذا الاعْتِبَا رِ وَلَيْسَ بالإطْلاَقِ دُونَ بَيَانِ



فصلٌ

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ القَيُّومُ والْـ قَيُّومُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ

إِحدَاهُمَا القَيُّومُ قَامَ بِنَفْسِهِ وَالكَوْنُ قَامَ بِهِ هُمَا الأَمْرَانِ

فَالأَوَّلُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ غَيْرِهِ وَالفَقْرُ مِنْ كُلٍّ إِلَيْهِ الثَّانِي

وَالوَصْفُ بِالْقَيُّومِ ذُو شَأْنٍ كَذَا مَوْصُوفُهُ أَيْضاً عَظِيمُ الشَّانِ

وَالحَيُّ يَتْلُوهُ فَأَوْصَافُ الكَمَا لِ هُمَا لأُفْقِ سَمَائِهَا قُطْبَانِ

فَالحَيُّ وَالقَيُّومُ لَنْ تَتَخَلَّفَ الْـ أَوْصَافُ أَصْلاً عَنْهُمَا بِبَيَانِ

هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ هُوَ رَافِعٌ بِالعَدْلِ والإِحْسَانِ

وَهُوَ المُعِزُّ لأَهْلِ طَاعَتِهِ وَذَا عِزٌّ حَقِيقِيٌّ بِلاَ بُطْلاَنِ

وَهُوَ المُذِلُّ لِمَنْ يَشَاءُ بِذِلَّةِ الدْ دَارَيْنِ ذُلَّ شَقَا وَذُلَّ هَوَانِ

هُوَ مَانِعٌ مُعْطٍ فَهَذَا فَضْلُهُ وَالْمَنْعُ عَيْنُ العَدْلِ لِلْمَنَّانِ

وَهمَا صِفَاتُ الذَّاتِ أَيْضاً إِذْ هُمَا بِالذَّاتِ لاَ بِالغَيْرِ قَائِمَتَانِ

وَلِذَاكَ قَدْ غَلِطَ المقَسِّمُ حِينَ ظَنْـ ـنَ صِفَاتِهِ نَوْعَانِ مختَلِفَانِ

إِنْ لَمْ يُرِدْ هَذَا ولَكِنْ قَدْ أَرَا دَ قِيَامَهَا بِالفِعْلِ ذِي الإِمْكَانِ

والفِعْلُ والمفْعُولُ شَيءٌ وَاحِدٌ عِنْدَ المُقَسِّمِ ما هُمَا شَيْئَانِ

فَلِذَاكَ وصْفُ الفِعْلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِلْـ ـلاَ نِسْبَةٌ عَدَمِيَّةٌ بِبَيَانِ

فَجَمِيعُ أَسْمَاءِ الفِعَال لَدَيْهِ لَيْـ ـسَتْ قَطُّ ثَابِتَةً ذَوَاتِ مَعَانِ

مَوْجُودَةٌ لَكِنْ أُمُورٌ كُلُّهَا نِسَبٌ تُرَى عَدَمِيَّةَ الوِجْدَانِ

هَذَا هُوَ التَّعْطِيلُ لِلأَفْعَالِ كَالتْـ ـتَعْطِيلِ لِلأَوْصَافِ بِالمِيزَانِ

فالحقُّ أَنَّ الوَصْفَ لَيْسَ بِمَورِدِ التْـ ـتَقْسِيمِ هَذَا مُقْتَضَى البُرْهَانِ

بَلْ مَورِدُ التَّقْسِيمِ مَا قَدْ قَامَ بِالذْ ـذَاتِ التِي لِلْوَاحِدِ الرَّحْمٰنِ

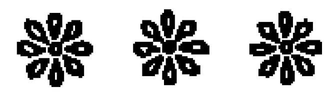
فَهُمَا إِذاً نَوْعَانِ أَوْصَافٌ وأَفْـ ـعَالٌ فَهَذِي قِسْمَةُ التِّبْيَانِ

فَالوَصْفُ بِالأَفْعَالِ يَسْتَدْعِي قِيَا مَ الفِعْلِ بِالْمَوْصُوفِ بِالبُرْهَانِ

كَالوَصْفِ بِالمعْنَى سِوَى الأَفْعَالِ مَا إِنْ بَيْنَ ذَيْنِكَ قَطُّ مِنْ فُرْقَانِ

وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّهُمْ رَدُّوا عَلَى مَنْ أَثْبَتَ الأَسْمَاءَ دُونَ مَعَانِ

قَامتْ بِـمَـنْ هِـيَ وصْـفُـهُ هَـذَا مُـحَـا ... لٌ غَـيْـرُ مـعْـقـولٍ لـذِي الأذْهَـانِ
وأتَوْا إلى الأوْصَافِ باسْمِ العَقْلِ قَا ... لُـوا لَـمْ تَـقُـمْ بـالـوَاحِـدِ الـدَّيَّـانِ
فـانظُرْ إلـيهِمْ أبطَلُوا الأصْلَ الَّذِي ... رَدُّوا بِـهِ أقْـوالَـهُـمْ بـوِزَانِ
إنْ كَـانَ هَـذَا مُـمْـكِـنـاً فَـكَـذَاكَ قَـوْ ... لُ خُـصُـومِـكُـمْ أيـضـاً فَـذُو إمْـكَـانِ
والـوَصْـفُ بـالـتَّـقْـديم والـتـأخـيرِ كَـوْ ... نِـيٌّ ودِيـنِـيٌّ هُـمَـا نَـوْعَـانِ
وَكِـلاهُـمَـا أمْـرٌ حَـقِـيـقِـيٌّ ونِـسْـ ... ـبِـيٌّ وَلاَ يَـخْـفَـى عَـلَـى الأذْهَـانِ
والـلَّـهُ قَـدَّرَ ذَاكَ أجْـمَـعَـهُ بـإحْـ ... ـكَـامٍ وإتْـقَـانٍ مِـنَ الـرَّحْـمٰـنِ



فصلٌ

هَـذَا وَمِـنْ أَسْـمَـائِـهِ مَـا لَـيْـسَ يُـفْـ ... ـرَدُ بـلْ يـقَـالُ إذَا أَتَـى بـقِـرَانِ
وَهـيَ الـتِـي تُـدْعَـى بِـمـزْدَوَجَـاتِـهَـا ... إفْـرادُهَـا خَـطَـرٌ عَـلَـى الإنْـسَـانِ
إذْ ذَاكَ مُـوهِـمُ نَـوْعِ نَـقْـصٍ جـلَّ رَبْـ ... ـبُ الـعَـرْشِ عَـنْ عَـيْـبٍ وَعَـنْ نـقْـصَـانِ
يُـعْـطِـي بِـرَحْـمَـتِـهِ وَيَـمْـنَـعُ مَـنْ يَـشَـا ... ءُ بـحِـكْـمَـةٍ والـلَّـهُ ذُو سُـلْـطَـانِ
فَـبِـهِ اسْـتَـنَـارَ الـعَـرْشُ والـكُـرْسِـيُّ مَـعْ ... سَـبْـعِ الـطِّـبَـاقِ وَسَـائِـرِ الأكْـوَانِ
وَكِـتَـابُـهُ نُـورٌ كَـذَلِـكَ شَـرْعُـهُ ... نُـورٌ كَـذَا الـمَـبْـعُـوثُ بـالـفُـرْقَـانِ
وَكَـذَلِـكَ الإيـمَـانُ فِـي قَـلْـبِ الـفَـتَـى ... نُـورٌ عَـلَـى نُـورٍ مَـعَ الـقُـرْآنِ
وَحِـجَـابُـهُ نُـورٌ فَـلَـوْ كُـشِـفَ الـحِـجَـا ... بُ لأحْـرَقَ الـسُّـبُـحَـاتُ لـلأكْـوَانِ
وَإذَا أَتَـى لِـلْـفَـصْـلِ يُـشْـرِقُ نُـورُهُ ... فِـي الأرْضِ يَـوْمَ قِـيَـامَـةِ الأبْـدَانِ
وَكَـذَاكَ دَار الـرَّبِّ جَـنَّـاتُ الـعُـلاَ ... نُـورٌ تـلألأ لَـيْـسَ ذَا بُـطْـلاَنِ
وَالـنُّـورُ ذُو نَـوعَـيْـنِ مَـخْـلُـوقٌ وَوَصْـ ... ـفٌ مَـا هُـمَـا والـلَّـه مُـتَّـحِـدَانِ
وَكَـذَلِـكَ الـمَـخْـلُـوقُ ذُو نَـوْعَـيْـنِ مَـحْـ ... ـسُـوسٌ ومَـعْـقُـولٌ هُـمَـا شَـيْـئَـانِ
احْـذَرْ تَـزِلَّ فَـتَـحْـتَ رِجْـلِـكَ هُـوَّةٌ ... كَـمْ قَـدْ هَـوَى فِـيـهَـا عَـلَـى الأزْمَـانِ
مَـنْ عَـابِـدٍ بـالـجَـهْـلِ زَلَّـتْ رِجْـلُـهُ ... فَـهَـوى إلَـى قَـعْـرِ الـحَـضِـيـضِ الـدَّانِـي
لاَحَـتْ لَـهُ أنْـوَارُ آثَـارِ الـعِـبَـا ... دَةِ ظَـنَّـهَـا الأنْـوَارَ لـلـرَّحْـمٰـنِ

فَـأَتَـى بِـكُـلِّ مُـصِـيـبَـةٍ وَبَـلِـيَّـةٍ ... مَـا شِئْـتَ مِـنْ شَـطْحٍ وَمِـنْ هَـذَيَـانِ
وَكَـذَا الـحُـلُـولـيُّ الَّـذِي هُـوَ خِـدْنُـهُ ... مِـنْ هَـا هُـنَـا حَـقَّـاً هُـمَـا أَخَـوَانِ
وَيـقَـابِـلُ الرَّجُـلَـيْـنِ ذُو الـتَّـعْـطِـيـلِ والْـ ... ـحُـجُـبِ الـكَـثِـيـفَـةِ مـا هُـمـا سِـيَّـانِ
ذَا فِـي كَـثَـافَـةِ طَـبْـعِـهِ وظَـلاَمِـهِ ... وَبِـظُـلْـمَـةِ الـتَّـعْـطِـيـلِ هَـذَا الـثَّـانِـي
والـنُّـورُ مَـحْـجُـوبٌ فَـلاَ هَـذَا وَلاَ ... هَـذَا لَـهُ مِـنْ ظُـلْـمَـةٍ يَـرَيَـانِ



فصلٌ

وَهُـوَ الـمـقـدِّمُ والـمؤَخِّـرُ ذَانِـكَ الـصِّـ ... ـفَـتَـانِ لـلأَفْـعَـالِ تَـابِـعَـتَـانِ
كَـالـمـانِـعِ الـمـعْـطِـي وكَـالـضَّـارِ الَّـذِي ... هُـوَ نَـافِـعٌ وكَـمَـالُـهُ الأَمْـرَانِ
وَنَـظِـيرُ هَـذَا القَـابِضُ المقْرُونُ باسْـ ... ـمِ البَـاسِـطِ الـلَّـفْـظَـانِ مـقْـتَـرِنَـانِ
وَكَـذَا الـمـعِـزُّ مَـعَ الـمـذِلّ وخَـافِـضٌ ... مَـعْ رَافِـعٍ لَـفْـظَـانِ مُـزْدَوَجَـانِ
وَحَـديـثُ إِفـرادِ اسْـمِ مُـنْـتَـقِـمٍ فَـمَـوْ ... قُـوفٌ كَـمَـا قَـدْ قَـالَ ذُو الـعِـرْفَـانِ
مَـا جَـاءَ فِـي الـقُـرْآنِ غَـيـرَ مـقـيَّـدٍ ... بـالـمـجْـرِمِـيـنَ وَجَـا بِـذُو نَـوْعَـانِ



فصلٌ

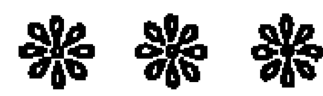
وَالـنُّـورُ مِـنْ أَسْـمَـائِـهِ أَيْـضـاً وَمِـنْ ... أَوْصَـافِـهِ سُـبْـحَـانَ ذِي الـبُـرْهَـانِ
قَـالَ ابْـنُ مَـسْـعُـودٍ كَـلاَمـاً قَـدْ حَـكَـا ... هُ الـدَّارِمِـيْ عَـنْـهُ بِـلاَ نُـكْـرَانِ
مَـا عِـنْـدَهُ لَـيْـلٌ يَـكُـونُ وَلاَ نَـهَـا ... رٌ قُـلْـتُ تَـحْـتَ الـفُـلْـكِ يُـوجَـدُ ذَانِ
نُـورُ الـسَّـمٰـواتِ الـعُـلاَ مِـنْ نُـورِهِ ... والأَرْضِ كَـيْـفَ الـنَّـجْـمُ والـقَـمَـرَانِ
مِـنْ نُـورِ وَجْـهِ الـرَّبِّ جَـلَّ جَـلاَلُـه ... وَكَـذَا حَـكَـاهُ الـحَـافِـظُ الـطَّـبَـرَانِـي



فصلٌ

وَدِلاَلَـةُ الأَسْـمَـاءِ أَنْـوَاعٌ ثَـلاَ ... ثٌ كُـلُّـهَـا مَـعْـلُـومـةٌ بِـبَـيَـانِ

دَلَّتْ مُطَابَقَةً كَذَاكَ تَضَمُّناً ... وَكَذَا الْتِزَاماً وَاضِحَ الْبُرْهَانِ
أَمَّا مُطَابَقَةُ الدِّلاَلَةِ فَهْيَ أَنْـ ... ـنَ الاسْمَ يُفْهَمُ مِنْهُ مَفْهُومَانِ
ذَاتُ الإِلٰهِ وَذَلِكَ الْوَصْفُ الَّذِي ... يُشْتَقُ مِنْهُ الاسْمُ بِالْمِيزَانِ
لَكِنْ دِلاَلَتُهُ عَلَى إِحْدَاهُمَا ... بِتَضَمُّنٍ فَافْهَمْهُ فَهْمَ بَيَانِ
وَكَذَا دِلاَلَتُهُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي ... مَا اشْتُقَّ مِنْهَا فَالْتِزَامٌ دَانِ
وَإِذَا أَرَدْتَ لِذَا مِثَالاً بَيِّناً ... فَمِثَالُ ذَلِكَ لَفْظَةُ الرَّحْمٰنِ
ذَاتُ الإِلٰهِ وَرَحْمَةٌ مَدْلُولُهَا ... فَهُمَا لِهَذَا اللَّفْظِ مَدْلُولاَنِ
إِحْدَاهُمَا بَعْضٌ لِذَا الْمَوْضُوعِ فَهْـ ... ـيَ تَضَمُّنٌ ذَا وَاضِحُ التِّبْيَانِ
لَكِنَّ وَصْفَ الْحَيِّ لاَزِمُ ذَلِكَ الْـ ... ـمَعْنَى لُزُومَ الْعِلْمِ لِلرَّحْمٰنِ
فَلِذَا دِلاَلَتُهُ عَلَيْهِ بِالْتِزَا ... مٍ بَيِّنٍ وَالْحَقُّ ذُو تِبْيَانِ



فصلٌ

في بيانِ حقيقةِ الإلحادِ في أسماءِ ربِّ العالمينَ وذكرِ انقسامِ الملحدينَ

أَسْمَاؤُهُ أَوْصَافُ مَدْحٍ كُلُّهَا ... مُشْتَقَّةٌ قَدْ حُمِّلَتْ لِمَعَانِ
إِيَّاكَ وَالإِلْحَادَ فِيهَا إِنَّهُ ... كُفْرٌ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ كُفْرَانِ
وَحَقِيقَةُ الإِلْحَادِ فِيهَا الْمَيْلُ بِالْـ ... إِشْرَاكِ وَالتَّعْطِيلِ وَالنُّكْرَانِ
فَالْمُلْحِدُونَ إِذاً ثَلاَثُ طَوَائِفٍ ... فَعَلَيْهِمُ غَضَبٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ
الْمُشْرِكُونَ لأَنَّهُمْ سَمَّوا بِهَا ... أَوْثَانَهُمْ قَالُوا إِلٰهٌ ثَانِ
هُمْ شَبَّهُوا الْمَخْلُوقَ بِالْخَلاَّقِ عَكْـ ... ـسَ مُشَبِّهِ الْخَلاَّقِ بِالإِنْسَانِ
وَكَذَاكَ أَهْلُ الاتِّحَادِ فَإِنَّهُمْ ... إِخْوَانُهُمْ مِنْ أَقْرَبِ الإِخْوَانِ
أَعْطَوا الْوُجُودَ جَمِيعَهُ أَسْمَاءَهُ ... إِذْ كَانَ عَيْنَ اللَّهِ ذِي السُّلْطَانِ
وَالْمُشْرِكُونَ أَقَلُّ شِرْكاً مِنْهُمُ ... هُمْ خَصَّصُوا ذَا الاسْمَ بِالأَوْثَانِ
وَلِذَاكَ كَانُوا أَهْلَ شِرْكٍ عِنْدَهُمْ ... لَوْ عَمَّمُوا مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ

والمُلْحِدُ الثَّانِي فَذُو التَّعْطِيلِ إذْ ... يَنْفِي حَقَائِقَهَا بِلاَ بُرْهَانِ
مَا ثَمَّ غَيْرُ الاسْمِ أوَّلَه بِمَا ... يَنْفِي الحَقِيقَةَ نَفْيَ ذِي بُطْلاَنِ
فَالقَصْدُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَعْنَى الحَقِيـ ... ـقَةِ فَاجْتَهِدْ فِيهِ بِلَفْظِ بَيَانِ
عَطِّلْ وَحَرِّفْ ثُمَّ أوِّلْ وانْفِهَا ... واقْذِفْ بِتَجْسِيمٍ وبالكُفْرَانِ
لِلْمُثْبِتِينَ حَقَائِقَ الأَسْمَاءِ والْـ ... أوْصَافِ بالأخْبَارِ والقُرْآنِ
فإذَا هُمُ احْتَجُّوا عَلَيْك فقلْ لَهُمْ ... هَذَا مَجَازٌ وَهْوَ وضْعٌ ثَانِ
فإذَا غُلِبْتَ عَلَى المجَازِ فَقُلْ لَهُمْ ... لاَ يُسْتَفَادُ حَقِيقَةُ الإيقَانِ
أنَّى وَتِلْكَ أدِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ ... عُزِلَتْ عَنِ الإيقَانِ مُنْذُ زَمَانِ
فَإذَا تَضَافَرَتِ الأدِلَّةُ كَثْرَةً ... وَغُلِبْتَ عَنْ تَقْرِيرِ ذَا بِبَيَانِ
فَعَلَيْكَ حِينَئِذٍ بِقَانُونٍ وضَعْـ ... ـنَاهُ لِدَفْعِ أدِلَّةِ القُرْآنِ
وَلِكُلِّ نَصٍّ لَيْسَ يَقْبَلُ أَنْ يُؤَوْ ... وَلَ بِالمَجَازِ وَلاَ بِمَعْنىً ثَانِ
قُلْ عَارَضَ المنْقُولَ مَعْقُولٌ وَمَا الْـ ... أمْرَانِ عِنْدَ العَقْلِ يَتَّفِقَانِ
مَا ثَمَّ إلاَّ وَاحِدٌ مِنْ أرْبَعٍ ... مُتَقَابِلاَتٍ كُلُّهَا بِوِزَانِ
إعْمَالُ ذَيْنِ وَعكْسُهُ أوْ تُلْغِيَ الْـ ... مَعْقُولَ مَا هَذَا بِذِي إمْكَانِ
العَقْلُ أَصْلُ النَّقْلِ وَهْوَ أبُوهُ إنْ ... تُبْطِلْهُ يَبْطُلْ فَرْعُهُ التَّحْتَانِي
فَتَعَيَّنَ الإعْمَالُ لِلْمَعْقُولِ والْـ ... إلْغَاءُ لِلْمَنْقُولِ بالبُرْهَانِ
إعْمَالُهُ يُفْضِي إلَى إلْغَائِهِ ... فاهْجُرْهُ هَجْرَ التَّرْكِ والنِّسْيَانِ
وَاللَّهِ لَمْ نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ إنَّنَا ... وَهُمُ لَدَى الرَّحْمٰنِ مُخْتَصِمَانِ
وَهُنَاكَ يُجْزَى الملْحِدُونَ وَمَنْ نَفَى الْـ ... إلْحَادَ يُجْزَى ثَمَّ بالغُفْرَانِ
فاصْبِرْ قَلِيلاً إنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ ... يَا مُثْبِتَ الأوْصَافِ لِلرَّحْمٰنِ
فَلَسَوْفَ تَجْنِي أجْرَ صَبْرِكَ حِينَ يَجْـ ... ـنِي الغَيْرُ وِزْرَ الإثْمِ وَالعُدْوَانِ
فاللَّه سَائِلُنَا وَسَائِلُهُمْ عَنِ الْـ ... إثْبَاتِ والتَّعْطِيلِ بَعْدَ زَمَانِ
فَأعِدَّ حِينَئِذٍ جَوَاباً كَافِياً ... عِنْدَ السُّؤالِ يَكُونُ ذَا تِبْيَانِ
هَذَا وثَالِثُهُمْ فَنَافِيهَا وَنَا ... فِي مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ بالبُهْتَانِ
ذَا جَاحِدُ الرَّحْمٰنِ رَأساً لَمْ يُقِرْ ... رَ بِخَالِقٍ أبَداً وَلاَ رَحْمٰنِ

هَـذَا هُـوَ الإلْـحَـادُ فَـاحْـذَرْهُ لـعَـلْـ ـلَ الـلَّـهَ أن يُـنْـجِـيـكَ مِـنْ نِـيـرانِ
وَتَـفُـوزَ بـالـزُّلْـفَـى لَـديـهِ وَجَـنّـةِ الْـ ـمَـأْوَى مَـعَ الـغُـفْـرانِ والـرِّضْـوَانِ
لاَ تُـوحِـشَـنَّـكَ غُـرْبَـةٌ بَـيْـنَ الـوَرَى فَـالـنَّـاسُ كَـالأمـواتِ فِـي الـحُـسْـبَـانِ
أوَ مَـا عَـلِـمْـتَ بـأنَّ أَهْـلَ الـسُّـنَّـةِ الْـ ـغُـرَبَـاءُ حَـقّـاً عِـنْـدَ كُـلِّ زَمَـانِ
قُلْ لِي مَتَى سَلِمَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ وَالـتَّـابِـعُـونَ لَـهُـمْ عَـلَـى الإحْـسَـانِ
مِـنْ جَـاهِـلٍ وَمُـعَـانِـدٍ وَمُـنَـافِـقٍ وَمُـحَـارِبٍ بِـالـبَـغْـيِ والـطُّـغْـيَـانِ
وَتَـظُـنُّ أنَّـكَ وَارِثٌ لَـهُـمُ وَمَـا ذُقْـتَ الأذَى فِـي نُـصْـرَةِ الـرَّحْـمٰـنِ
كَـلاَّ وَلاَ جَـاهَـدْتَ حَـقَّ جِـهَـادِهِ فِـي الـلَّـهِ لاَ بِـيَـدٍ وَلاَ بِـلِـسَـانِ
مَنَّتْكَ وَاللَّهِ المحَالَ النفسُ فَاسْـ ـتَحدِثْ سِوَى ذَا الرَّأْيِ وَالحُسْبَانِ
لَـو كُـنْـتَ وَارِثَـهُ لآذاكَ الأُلَـى وَرِثُـوا عِـدَاهُ بِـسَـائِـرِ الألْـوَانِ

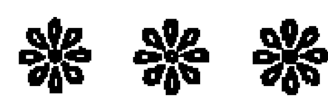
***



في النَّوعِ الثَّانِي مِنْ نوعي توحيدِ الأنبياءِ والمرسلينَ المخالفِ لتوحيدِ المعطلينَ والمشركينَ

هَـذا وَثَـانِـي نَـوعَـي الـتَّـوْحِـيـد تَـوْ حِـيـدُ الـعِـبَـادَةِ مِـنْـكَ لِـلـرَّحْـمٰـنِ
ألاَّ تَـكُـونَ لِـغَـيْـرِهِ عَـبْـداً وَلاَ تَـعْـبُـدْ بِـغَـيْـرِ شَـرِيـعَـةِ الإيـمَـانِ
فَـتَـقُـومَ بـالإسْـلاَمِ والإيـمَـانِ وَالْـ إحْـسَـانِ فِـي سِـرٍّ وَفِـي إعْـلاَنِ
وَالصدْقُ والإخْلاَصُ رُكْنَا ذَلِكَ التَّـ ـوحِـيـدِ كـالـرُّكْـنَـيْـنِ لـلـبُـنْـيَـانِ
وَحَـقِـيـقَـةُ الإخْـلاَصِ تَـوْحِـيـدُ الـمُـرا دِ فَـلاَ يُـزَاحِـمُـهُ مُـرَادٌ ثَـانِ
لَـكِـنْ مُـرادُ الـعَـبْـدِ يَـبْـقَـى وَاحِـداً مَـا فِـيـهِ تَـفْـرِيـقٌ لَـدَى الإنْـسَـانِ
إنْ كَـانَ رَبُّـكَ وَاحِـداً سُـبْـحَـانَـهُ فَـاخْـصُـصْـهُ بِـالـتَّـوْحِـيـدِ مَـعْ إحـسَـانِ
أَوْ كَـانَ رَبُّـكَ وَاحِـداً أنْـشَـاكَ لَـمْ يُـشْـرِكْـهُ إذْ أنْـشَـاكَ رَبٌّ ثَـانِ
فَـكَـذَاكَ أيْـضـاً وَحْـدَهُ فَـاعْـبُـدْهُ لاَ تَـعْـبُـدْ سِـوَاهُ يَـا أخَـا الـعِـرْفَـانِ
وَالـصِّـدْقُ تَـوْحِـيـدُ الإرَادَةِ وَهْـوَ بَـذْ لُ الـجَـهْـدِ لاَ كَـسَـلاً وَلاَ مُـتَـوانِ

وَالسّنَّةُ المثلَى لِسَالِكِهَا فَتَوْ   حِيدُ الطَّرِيقِ الأَعْظَمِ السُّلْطَانِي
فَلِواحِدٍ كُنْ وَاحِداً فِي وَاحِدٍ   أَعْنِي سَبِيلَ الحَقِّ وَالإِيمَانِ
هَذِي ثَلاثٌ مُسْعِدَاتٌ لِلَّذِي   قَدْ نَالَهَا وَالفَضْلُ لِلمَنَّانِ
فَإِذَا هِيَ اجْتَمَعَتْ لِنَفسٍ حُرَّةٍ   بَلَغَتْ مِنَ العَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ
للَّهِ قَلْبٌ شَامَ هَاتِيكَ البُرُو   قَ مِنَ الخِيَامِ فَهَمَّ بالطَّيَرانِ
لَوْلاَ التَّعَلُّلُ بِالرجَاءِ تَصَدَّعَتْ   أَعْشَارُهُ كَتَصَدُّعِ البُنْيَانِ
وَتَراهُ يَبْسُطُهُ الرَّجَاءُ فَيَنْثَنِي   مُتَمَايِلاً كَتَمَايُلِ النَّشْوَانِ
وَيَعُودُ يَقْبِضُهُ الإِيَاسُ لِكَوْنِهِ   مُتَخَلِّفاً عَنْ رُفْقَةِ الإِحْسَانِ
فَتَراهُ بَيْنَ القَبْضِ والبَسْطِ اللَّذَيْـ   ـنِ هُمَا لأُفْقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ
وَبَدَا لَهُ سَعْدُ السُّعُودِ فَصَارَ مَسْـ   ـرَاهُ عَلَيْهِ لاَ عَلَى الدَّبَرَانِ
للَّهِ ذَيَّاكَ الفَرِيقُ فَإِنَّهُمْ   خُصُّوا بِخَالِصَةٍ مِنَ الرحْمٰنِ
شُدَّتْ رَكَائِبُهمْ إِلَى مَعْبُودِهِمْ   وَرَسُولِهِ يَا خَيْبَةَ الكَسْلاَنِ



فصل

وَالشِّرْكَ فَاحْذَرْهُ فَشِرْكٌ ظَاهِرٌ   ذَا القِسْمُ لَيْسَ بِقَابِلِ الغُفْرَانِ
وَهْوَ اتِّخَاذُ النِّدِّ للرَّحْمٰنِ أَيْـ   ـيَاً كَانَ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إِنْسَانِ
يَدْعُوهُ أَوْ يَرْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ   وَيُحِبُّهُ كَمَحَبَّةِ الدَّيَّانِ
وَاللَّهِ مَا سَاوَوهُمُ باللَّهِ فِي   خَلْقٍ وَلاَ رِزْقٍ وَلاَ إِحْسَانِ
فَاللَّهُ عِنْدَهُمُ هُوَ الخلاَّقُ والرْ   رَازِقُ مُولِي الفَضْلِ والإِحْسَانِ
لَكِنَّهُمْ سَاوَوْهُمُ باللَّهِ فِي   حُبٍّ وَتَعْظِيمٍ وَفِي إِيمَانِ
جَعَلُوا مَحَبَّتَهُمْ مَعَ الرَّحْمٰنِ مَا   جَعَلُوا المحَبَّةَ قَطُّ للرَّحْمٰنِ
لَوْ كَانَ حُبُّهُمُ لأَجْلِ اللَّهِ مَا   عَادَوا أَحِبَّتَهُ عَلَى الإِيمَانِ
وَلَمَا أَحَبُّوا سُخْطَهُ وَتَجَنَّبُوا   مَحْبُوبَهُ وَمَوَاقِعَ الرِّضْوَانِ
شَرْطُ المحَبَّةِ أَنْ تُوافِقَ مَنْ تُحِبْـ   ـبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ بِلاَ عِصْيَانِ

فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ المَحَبَّةَ مَعْ خِلاَ   فِكَ مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بُهْتَانِ
أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الحَبِيبِ وَتَدَّعِي   حُبّاً لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ
وَكَذَا تُعَادِي جَاهِداً أَحْبَابَهُ   أَيْنَ المَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ
لَيْسَ العِبَادَةُ غَيْرَ تَوْحِيدِ المَحَبْـ   ـبَةِ مَعْ خُضُوعِ القَلْبِ والأَرْكَانِ
والحُبُّ نَفْسُ وِفَاقِهِ فِيمَا يُحِبْـ   ـبُ وَبُغْضُ مَا لاَ يَرْتَضِي بِجَنَانِ
وَوِفَاقُهُ نَفْسُ اتِّبَاعِكَ أَمْرَهُ   وَالقَصْدُ وَجْهُ اللَّه ذِي الإِحْسَانِ
هَذَا هُوَ الإِحْسَانُ شَرْطٌ فِي قَبُو   لِ السَّعْيِ فَافْهَمْهُ مِنَ القُرْآنِ
وَالاِتِّبَاعُ بِدُونِ شَرْعِ رَسُولِهِ   عَيْنُ المُحَالِ وأَبْطَلُ البُطْلاَنِ
فَإِذَا نَبَذْتَ كِتَابَهُ وَرَسُولَهُ   وتَبِعْتَ أَمْرَ النَّفْسِ والشَّيْطَانِ
وَتَخَذْتَ أَنْداداً تُحِبُّهُمُ كَحُبْـ   ـبِ اللَّهِ كُنْتَ مُجَانِبَ الإِيمَانِ
ولَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ يَدَّعِي الْـ   إِسْلاَمَ شِرْكاً ظَاهِرَ التِّبْيَانِ
جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ وَالَوْهُمْ وَسَوْ   ـوَوهُمْ بِهِ فِي الحُبِّ لاَ السُّلْطَانِ
واللَّهِ مَا سَاوَوْهُمُ بِاللَّهِ بَلْ   زَادُوا لَهُمْ حُبّاً بِلا كِتْمَانِ
واللَّهِ مَا غَضِبُوا إِذَا انْتُهِكَتْ مَحَا   رِمُ رَبِّهِمْ فِي السِّرِّ والإِعْلاَنِ
حَتَّى إِذَا مَا قِيلَ فِي الوَثَنِ الَّذِي   يَدْعُونَهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ
فَأَجَارَكَ الرَّحْمٰنُ مِنْ غَضَبٍ وَمِنْ   حَرْبٍ وَمِنْ شَتْمٍ وَمِنْ عُدْوَانِ
وَأَجَارَكَ الرَّحْمٰنُ مِنْ ضَرْبٍ وتَعْـ   ـزِيرٍ وَمِنْ سَبٍّ وَمِنْ تَسْجَانِ
وَاللَّهِ لَوْ عَطَّلْتَ كُلَّ صِفَاتِهِ   مَا قَابَلُوكَ بِبَعْضِ ذَا العُدْوَانِ
وَاللَّهِ لَوْ خَالَفْتَ نَصَّ رَسُولِهِ   نَصّاً صَرِيحاً وَاضِحَ التِّبْيَانِ
وَتَبِعْتَ قَوْلَ شُيُوخِهِمْ أَوْ غَيْرِهِمْ   كُنْتَ المُحَقِّقَ صَاحِبَ العِرْفَانِ
حَتَّى إِذَا خَالَفْتَ آرَاءَ الرِّجَا   لِ لِسُنَّةِ المَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ
نَادَوْا عَلَيْكَ بِبِدْعَةٍ وَضَلاَلَةٍ   قَالُوا وَفِي تَكْفِيرِهِ قَوْلاَنِ
قَالُوا تَنَقَّصْتَ الكِبَارَ وَسَائِرَ الْـ   ـعُلَمَاءِ بَلْ جَاهَرْتَ بِالبُهْتَانِ
هَذَا وَلَمْ تَسْلُبْهُمُ حَقّاً لَهُمْ   لِيَكُونَ ذَا كَذِبٍ وَذَا عُدْوَانِ
وَإِذَا سَلَبْتَ صِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ   وَكَلاَمَهُ جَهْراً بِلاَ كِتْمَانِ

لَمْ يَغْضَبُوا بَلْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عيْنَ الصَّوابِ وَمُقْتَضَى الإِحْسَانِ
والأمرُ واللَّهِ العَظِيمِ يَزِيدُ فَوْ قَ الوَصْفِ لاَ يَخْفَى عَلَى العُمْيَانِ
وإذا ذَكَرْتَ اللَّه تَوْحِيداً رَأَيْـ ـتَ وُجُوهَهُمْ مَكْسُوفَةَ الأَلْوَانِ
بَلْ يَنْظُرونَ إليكَ شَزْراً مِثْلَ مَا نَظَرَ التُّيوسُ إِلَى عَصَا الجوبَانِ
وَإِذَا ذَكَرْتَ بِمِدْحَةٍ شُرَكَاءَهُمْ يَتَباشَرونَ تَبَاشُرَ الفَرْحَانِ
واللَّهِ مَا شَمُّوا رَوَائِحَ دِينِهِ يَا زَكْمَةً أَعْيَتْ طَبِيبَ زَمَانِ

فصلٌ

في صَفِّ العسكرينِ وتقابلِ الصفينِ واستدارةِ رحى الحرب العوانِ وتصاولِ الأقرانِ

يَا مَنْ يُشِبُّ الحربَ جَهْلاً مَا لَكُمْ بِقِتَالِ حِزْبِ اللَّهِ قَطُّ يَدَانِ
أَنَّى تَقُومُ جُنُودُكُمْ لِجُنُودِهِمْ وَهُمُ الهُداةُ ونَاصِرُو الرحْمٰنِ
وجُنُودُكُمْ مَا بَيْنَ كَذَّابٍ وَدَجْـ ـجَالٍ وَمُحْتَالٍ وَذِي بُهْتَانِ
مِنْ كُلِّ أزْعَنَ يَدَّعِي المعْقُولَ وَهْـ ـوَ مُجَانِبٌ لِلعَقْلِ والإِيمَانِ
أَوْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ وَجَهْمِيٍّ غَدَا فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنَ القُرْآنِ
أَوْ كُلِّ مَنْ قَدْ دَانَ دِينَ شُيُوخِ أَهْـ ـلِ الاعْتِزَالِ البَيِّنَ البُطْلاَنِ
أَوْ قَائِلٍ بِالاتِّحَادِ وَإِنَّهُ عَيْنُ الإِلـٰهِ وَمَا هُنَا شَيْئَانِ
أَوْ مَنْ غَدَا فِي دِينِهِ مُتَحَيِّراً أَتْبَاعَ كُلِّ مُلَدَّدٍ حَيْرَانِ
وَجُنُودُهُمْ جِبْرِيلُ مَعْ مِيكَالَ مَعْ بَاقِي الملائِكِ نَاصِري القُرآنِ
وَجميعُ رُسْلِ اللَّهِ مِنْ نُوحٍ إِلَى خَيرِ الوَرَى المبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ
فَالقلْبُ خَمْسَتُهُمْ أُولو الْعَزْمِ الأُوْلَى فِي سُورةِ الشُّورَى أَتَوا بِبَيَانِ
فِي أولِ الأحْزَابِ أيضاً ذِكرهُمْ هُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إنسَانِ
وَلِوَاؤُهُمْ بِيَدِ الرَّسُولِ عِصَابَةُ الْـ إِسْلاَمِ أهلُ العِلْمِ والإِيمَانِ
والتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإحْسَانٍ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ فِي سَائِرِ الأزْمَانِ
أَهْلُ الحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ وأئِمةُ الْـ فَتْوَى وَأَهْلُ حَقَائِقِ العِرْفَانِ

العَارِفُونَ بِربِّهِمْ ونَبِيِّهِمْ ... وَمَراتِبِ الأعْمَالِ فِي الرُّجْحَانِ
صُوفِيّةٌ سُنِّيَّةٌ نَبَوِيّةٌ ... لَيْسُوا أُولي شَطْحٍ وَلاَ هَذَيَانِ
هَذَا كَلاَمُهُمُ لَدَيْنَا حَاضِرٌ ... مِنْ غَيْرِ مَا كَذِبٍ وَلاَ كِتْمانِ
فَاقْبَلْ حِوَالَةَ مَنْ أَحَالَ عَلَيْهِمُ ... هُمْ أمْلِيَاؤُهُمُ أُولُو إمْكَانِ
فَإذَا بَعَثْنَا غَارَةً مِنْ أخْرَيَا ... تِ العَسْكَرِ المنْصُورِ بالقُرْآنِ
طَحَنَتْكُمُ طَحْنَ الرَّحَى لِلْحَبِّ حَتْـ ... ـتَى صِرْتُمُ كَالبَعْر فِي القِيعانِ
أنَّى يُقَاوِمُ ذِي العَسَاكِرَ طُمْطُمٌ ... أَوْ تَنْكَلُوشَا أَوْ أَخُو اليُونَانِ
أَعْنِي أرِسْطُو عَابِدَ الأوثَانِ أوْ ... ذَاكَ الكَفُورَ مُعَلِّمَ الألْحَانِ
ذَاكَ المعلِّمَ أولاً لِلْحَرْفِ وَالثْـ ... ـثَانِي لِصَوْتِ بِئْسَتِ العِلْمَانِ
هَذَا أسَاسُ الفِسْقِ والحَرْفُ الَّذِي ... وَضَعُوا أسَاسُ الكُفْرِ والهَذَيانِ
أوْ ذَلِكَ المخْدُوعَ حَامِلَ رَايَةِ الْـ ... إلْحَادِ ذَاكَ خَلِيفَةُ الشَّيْطَانِ
أعْنِي ابْنَ سِينَا ذَلِكَ المَحْلُولَ مِنْ ... أَدْيَانِ أهْلِ الأرْضِ ذَا الكُفْرَانِ
وَكَذَا نَصِيرَ الشِّرْكِ فِي أتبَاعِهِ ... أَعْدَاءِ رُسْلِ اللَّهِ والإيمَانِ
نَصَرُوا الضَّلاَلَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ ... وَغَزَوا جُيُوشَ الدِّينِ وَالإيمَانِ
فَجَرى عَلَى الإسْلاَمِ مِنْهُمْ مِحْنَةٌ ... لَمْ تَجْرِ قَطُّ بِسَالِفِ الأزْمَانِ
أَوْ جَعْدٌ أوْ جَهْمٌ وأَتْبَاعٌ لَهُ ... هُمْ أمَّةُ التعْطِيل والبُهْتَانِ
أوْ حَفْصُ أو بِشْرٌ أو النَّظَّامُ ذَا ... كَ مُقَدَّمُ الفُسَّاقِ والمجَّانِ
وَالجَعْفَرَانِ كَذَاكَ شَيْطَانٌ وَيُدْ ... عَى الطَّاقَ لاَ حُيِّيتَ مِنْ شَيْطَانِ
وكذلِكَ الشَّحَّامُ والعَلاَّفُ والنْـ ... ـنَجَّارُ أهْلُ الجَهْلِ بِالقُرْآنِ
واللَّهِ مَا فِي القَوْم شَخْصٌ رَافِعٌ ... بِالوَحْي رَأْساً بَلْ بِرَأي فُلاَنِ
وَخِيَارُ عَسْكَرِكُمْ فَذَاكَ الأشْعَرِيْـ ... ـيُ القَرْمُ ذَاكَ مُقَدَّمُ الفُرْسَانِ
لَكِنَّكُمْ واللَّهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى ... إثْبَاتِهِ والحَقُّ ذوُ بُرْهَانِ
هُوَ قَالَ إنَّ اللَّه فَوْقَ العَرْشِ وَاسْـ ... ـتَوْلَى مَقَالَةَ كُلِّ ذِي بُهْتَانِ
فِي كُتْبِهِ طُرّاً وَقَرَّرَ قَوْلَ ذِي الْـ ... إثْبَاتِ تَقْرِيراً عَظِيمَ الشَّانِ
لَكِنَّكُمْ أكْفَرْتُمُوهُ وَقُلْتُمُ ... مَنْ قَالَ هَذَا فَهْوَ ذوُ كُفْرَانِ

فَخِيَارُ عَسْكَرِكُمْ فَأَنْتُمْ مِنْهُمُ بُرَآءُ إذْ قَرِبُوا مِنَ الإيمَانِ
هَذِي العَسَاكِر قَدْ تَلاقَتْ جَهْرةً وَدَنَا القِتَالُ وَصِيحَ بالأقْرَانِ
صُفُّوا الجُيُوشَ وَعبِّئُوهَا وابرُزُوا لِلْحَرْبِ واقْتربُوا مِنَ الفُرْسَانِ
فَهُمُ إلَى لُقيَاكُمُ بِالشَّوْقِ كَيْ يُوفُوا بِنَذْرِهِمُ مِنَ القُرْبَانِ
وَلَهُمْ إلَيْكُمْ شَوْقُ ذِي قَرَم فَمَا يَشْفِيهِ غَيْرُ مَوَائِدِ اللُّحْمَانِ
تَبّاً لَكُمْ لَوْ تَعْقِلُونَ لَكُنْتُمُ خَلْفَ الخُدُورِ كأضْعَفِ النِّسْوَانِ
مِنْ أينَ أنتم والحَدِيثُ وَأهْلُهُ والوَحْيُ والمعْقُولُ بالبُرْهَانِ
مَا عِنْدَكُم إلاَّ الدَّعَاوَى والشَّكَا وَى أوْ شَهَادَاتٌ عَلَى البُهْتَانِ
هَذَا الذِي واللَّهِ نِلْنَا مِنْكُمُ فِي الحَرْبِ إذْ يتقَابَلُ الصَّفَّانِ
وَاللَّهِ مَا جِئْتُم بِقَالَ اللَّه أوْ قَالَ الرَّسولُ وَنحنُ فِي المَيْدَانِ
إلا بِجَعْجَعَةٍ وَفَرْقَعَةٍ وَغَمْـ غَمَةٍ وَقَعْقَعَةٍ بِكُلِّ لِسَانِ
وَيَحِقُّ ذاكَ لَكُمْ وأنْتُمْ أهْلُهُ أنْتُمْ بحَاصِلِكُمْ أولُو عِرْفَانِ
وَبِحقِّكُمْ تَحْمُوا مَنَاصِبَكُمْ وأنْ تَحْمُوا مَآكِلَكُمْ بِكُلِّ سِنَانِ
وَبحَقِّنَا نَحْمِي الهُدَى وَنذُبُّ عَنْ سُنَنِ الرَّسُولِ وَمُقْتَضَى القُرْآنِ
قَبَحَ الإلهُ مَنَاصِباً ومآكِلاً قَامَتْ عَلَى العُدْوانِ والطُّغْيَانِ
واللَّهِ لَوْ جِئْتُمْ بِقَالَ اللَّهُ أوْ قَالَ الرَّسُولُ كَفِعْلِ ذِي الإيمَانِ
كُنَا لَكُمْ شَاوِيشَ تَعْظِيمٍ وإجْـ ـلاَلٍ كَشَاوِيشٍ لِذِي سُلْطَانِ
لَكِنْ هَجَرْتُمْ ذَا وَجِئْتُمْ بِدْعَةً وأرَدْتُمُ التَّعْظِيمَ بالبُهْتَانِ

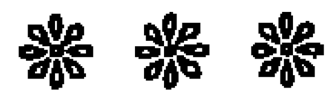
❋ ❋ ❋

فصل



العِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أولُو العِرْفَانِ
مَا العِلْمُ نَصْبُكَ لِلخِلاَفِ سَفَاهَةً بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلانِ
كَلاَّ وَلاَ جَحْدُ الصِّفَاتِ لِرَبِّنَا فِي قَالَبِ التَّنْزِيهِ وَالسُّبْحَانِ
كَلاَّ وَلاَ نَفْيُ العُلُوِّ لِفَاطِرِ الْـ أكْوَانِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الأكْوَانِ

كَـلاَّ وَلاَ عَـزْلُ الـنُّـصُـوص وأَنَّـهَـا لَـيْـسَـتْ تُـفِـيـدُ حَـقَـائِـقَ الإِيـمَـانِ
إذْ لاَ تُـفـيـدُكُـمْ يَـقـيـنـاً لاَ ولاَ عِـلْـمـاً فَـقَـدْ عُـزِلَـتْ عَـنِ الإِيـقَـانِ
وَالـعِـلْـمُ عِـنْـدَكُـمُ يُـنَـالُ بِـغَـيْـرِهَـا بِـزِبَـالَـةِ الأَفْـكَـارِ والأَذْهَـانِ
سَـمَّـيْـتُـمُـوهُ قَـوَاطِـعـاً عَـقْـلِـيَّـةً تَـنْـفِـي الـظَّـوَاهِـرَ حَـامِـلاَتِ مَـعَـانِ
كَـلاَّ وَلاَ إِحْـصَـاءُ آراءِ الـرِّجَـا لِ وَضَـبْـطُـهَـا بِـالْـحَـصْـرِ والـحُـسْـبَـانِ
كَـلاَّ وَلاَ الـتَّـأْوِيـلُ وَالـتَّـبْـدِيـلُ والـتْـ ـتَـحْـرِيـفُ لِـلْـوَحْـيَـيْـنِ بـالـبُـهْـتَـانِ
كَـلاَّ وَلاَ الإشْـكَـالُ والـتـشْـكِـيـكُ والـ ـوَقْـفُ الَّـذِي مَـا فِـيـهِ مِـنْ عِـرْفَـانِ
هَـذِي عُـلُـومُـكُـمُ الـتـي مِـنْ أَجْـلِـهَـا عَـادَيْـتُـمُـونَـا يَـا أولِـي الـعِـرْفَـانِ



فصلٌ

في عقدِ الهدنةِ والأمانِ الواقعِ بينَ المعطلةِ وأهلِ الإلحادِ حزبِ جنكزخانَ

يَـا قَـوْمُ صَـالَـحْـتُـمْ نُـفَـاةَ الـذَّاتِ والْـ أَوْصَـافِ صُـلْـحـاً مُـوجِـبـاً لأمَـانِ
وَأَغـرتُـمُ وَهْـنـاً عَـلَـيْـهِـمْ غَـارَةً فَـعْـقَـعْـتُـمُ فِـيـهَـا لَـهُـمْ بِـشـنَـانِ
مَـا كَـانَ فِـيـهَـا مِـنْ قَـتِـيـلٍ مِـنْـهُـمُ كَـلاَّ وَلا فِـيـهَـا أَسِـيـرٌ عَـانِ
وَلَـطَـفْـتُـمُ فِـي الـقَـوْلِ أَوْ صَـانَـعْـتُـمُ وَأَتَـيْـتُـمُ فِـي بَـحْـثِـكُـمْ بِـدِهَـانِ
وَجَـلَـسْـتُـمُ مَـعَـهُـمْ مَـجَـالِـسَـكُـمْ مَـع الْـ أُسْـتَـاذِ بِـالآدَابِ والـمِـيـزَانِ
وَضَـرَعْـتُـمُ لِـلْـقَـوْمِ كُـلَّ ضَـرَاعَـةٍ حَـتَّـى أَعَـارُوكُـمْ سِـلاحَ الـجَـانِـي
فَـغَـزَوْتُـمُ بِـسِـلاَحِـهِـمْ لِـعَـسَـاكِـرِ الْـ إثْـبَـاتِ والآثَـارِ والـقُـرْآنِ
ولأجْـلِ ذَا صَـانَـعْـتُـمُـوهُـمْ عِـنْـدَ حَـرْ بِـكُـمُ لَـهُـمْ بِـالـلُّـطْـفِ والإِذْعَـانِ
وَلأجْـلِ ذَا كُـنْـتُـمْ مَـخَـانِـيـثـاً لَـهُـمْ لَـمْ تَـنْـفَـتِـخْ مِـنْـكُـمْ لَـهُـمْ عَـيْـنَـانِ
حَـذراً مِـنَ اسْـتِـرْجَـاعِـهِـمْ لِـسِـلاَحِـهِـمْ فَـتُـرَوْنَ بَـعْـدَ الـسَّـلْـبِ كَـالـنِّـسْـوَانِ
وَبَـحَـثْـتُـمُ مَـع صَـاحِـبِ الإِثْـبَـاتِ بـالـتْـ ـتَـكْـفِـيـرِ والـتَّـضْـلِـيـلِ والـعُـدْوَانِ
وَقَـلَـبْـتُـمُ ظَـهْـرَ الـمِـجَـنِّ لَـهُ وأجْـ ـلَـبْـتُـمْ عَـلَـيْـهِ بِـعَـسْـكَـرِ الـشَّـيْـطَـانِ

والـلّـهِ هَـذِي رِيـبَـةٌ لاَ يَـخْـتَـفِـي مَـضْـمُـونُـهَـا إلاَّ عَـلَـى الثِّـيـرَانِ
هَـذَا وَبـيْـنَـهُـمَـا أشَـدُّ تَـفَـاوُتٍ فِـئَـتَـانِ فِـي الـرَّحْـمٰـنِ يَـخْـتَـصِـمَـانِ
هَـذَا نَـفَـى ذَاتَ الإلٰـهِ وَوَصْـفَـهُ نَـفْـيـاً صَـرِيـحـاً لَـيْـسَ بِـالـكِـتْـمَـانِ
لَـكِـنْ إذا وَصَـفَ الإلٰـه بِـكُـلِّ أَوْ صَـافِ الـكَـمَـالِ الـمُـطْـلَـقِ الـرَّبَّـانِـي
وَنَفَى النَّقَائِصَ وَالعُيُوبَ كَنَفْيِهِ التَّـ ـشْـبِـيـهَ لِـلـرَّحْـمٰـنِ بـالإنْـسَـانِ
فَـلأَيِّ شَـيْءٍ كَـانَ حِـزْبُـكُـمُ لَـهُ بِـالـحَـدِّ دُونَ مُـعَـطِّـلِ الـرحْـمٰـنِ
قُـلْـنَـا نَـعَـمْ هَـذَا الـمـجَـسِّـمُ كَـافِـرٌ أَفَـكَـانَ ذَلِـكَ كَـامِـلَ الإيـمَـانِ
لاَ تَـنْـطَـفِـي نِـيـرَانُ غَـيْـظِـكُـمُ عَـلَـى هَـذَا الـمـجَـسِّـمِ يـا أولِـي الـنِّـيـرانِ
فـالـلَّـهُ يُـوقِـدُهَـا وَيُـصْـلِـي حَـرَّهَـا يَـوْمَ الـحِـسَـابِ مُـحَـرِّفَ الـقُـرْآنِ
يَـا قَـوْمَـنَـا لَـقَـدِ ارْتَـكَـبْـتُـمْ خُـطَّـةً لَـمْ يَـرْتَـكِـبْـهَـا قَـطُّ ذُو عِـرْفَـانِ
وَأَعَـنْـتُـمُ أعْـدَاءَكُـمْ بِـوِفَـاقِـكُـمْ لَـهُـمُ عَـلَـى شَـيْءٍ مِـنَ الـبُـطْـلاَنِ
أَخَـذُوا نَـواصِـيَـكُـمْ بِـهَـا وَلِـحَـاكُـمُ فَـغَـدَتْ تُـجَـرُّ بِـذِلَّـةٍ وَهَـوَانِ
قُـلْـتُـمْ بِـقَـوْلِـهِـمُ وَرُمْـتُـمْ كَـسْـرَهُـمْ أنَّـى وَقَـدْ غَـلَـقُـوا لَـكُـمْ بِـرهَـانِ
وَكَـسَـرْتُـمُ الـبَـابَ الَّـذِي مِـنْ خَـلْـفِـهِ أعْـدَاءُ رُسْـلِ الـلَّـهِ والإيـمَـانِ
فَـأَتَـى عَـدُوٌّ مَـا لَـكُـمْ بِـقِـتَـالِـهِـمْ وَبِـحَـرْبِـهِـمْ أبَـدَ الـزَّمَـانِ يَـدَانِ
فَـغَـدَوْتُـمُ أسْـرَى لَـهُـمْ بِـحِـبَـالِـهِـمْ أيْـدِيـكُـمُ شُـدَّتْ إلَـى الأذْقَـانِ
حَمَلُوا عَلَيْكُمْ كَالسِّبَاعِ اسْتَقْبَلَتْ حُـمُـراً مُـعَـقَّـرَةً ذَوِي أرْسَـانِ
صَـالُـوا عَـلَـيْـكُـمْ بـالَّـذِي صُـلْـتُـمْ بِـهِ أنْـتُـمْ عَـلَـيْـنَـا صَـوْلَـةَ الـفُـرْسَـانِ
لَـوْلاَ تَـحَـيُّـزُكُـمْ إلَـيْـنَـا كُـنْـتُـمُ وَسْـطَ الـعَـرِيـنِ مُـمَـزَّقِـي الـلُّـحْـمَـانِ
لَـكِـنْ بِـنَـا اسْـتَـنْـصَـرْتُـمُ وَبِـقَـوْلِـنَـا صُـلْـتُـمْ عَـلَـيْـهِـمْ صَـوْلَـةَ الـشُّـجْـعَـانِ
وَالَـيْـتُـمُ الإثْـبَـات إذْ صُـلْـتُـمْ بِـهِ وَعَـزَلْـتُـمُ الـتَّـعْـطِـيـلَ عَـزْلَ مُـهَـانِ
وَأتَـيْـتُـمُ تَـغْـزُونَـنَـا بِـسَـرِيَّـةٍ مِـنْ عَـسْـكَـرِ الـتَّـعْـطِـيـلِ والـكُـفْـرَانِ
مَـنْ ذَا بِـحَـقِّ الـلَّـهِ أجْـهَـلُ مِـنْـكُـمُ وأحَـقُّـنَـا بِـالـجَـهْـلِ والـعُـدْوَانِ
تَـالـلَّـهِ مَـا يَـدْرِي الـفَـتَـى بِـمُـصَـابِـهِ وَالـقَـلْـبُ تَـحْـتَ الـخَـتْـمِ والـخُـذْلاَنِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

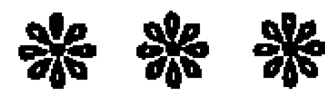
في مصارعِ النفاةِ والمعطلينَ بأسنةِ أمراءِ الإثباتِ الموحدينَ

وَإِذَا أَرَدْتَ تَـرَى مَـصَـارِعَ مَـنْ خَـلاَ ... مِـنْ أُمَّـةِ الـتَّـعْـطِـيـلِ والـكُـفْـرَانِ
وَتَـراهُـمْ أَسْـرَى حَـقِـيـرٌ شَـأْنُـهُـمْ ... أَيْـدِيـهُـمْ غُـلَّـتْ إِلَـى الأَذْقَـانِ
وَتَـرَاهُـمُ تَـحْـتَ الـرِّمَـاحِ دَرِيـئَـةً ... مَـا فِـيـهِـمُ مِـنْ فَـارِسٍ طَـعَّـانِ
وَتَـراهُـمُ تَـحْـتَ الـسُّـيُـوفِ تَـنُـوشُـهُـمْ ... مَـنْ عَـنْ شَـمَـائِـلِـهِـمْ وَعَـنْ أَيْـمَـانِ
وَتَـرَاهُـمُ انْـسَـلَـخُـوا مِـنَ الـوَحْـيَـيْـنِ والْـ ... ـعَـقْـلِ الـصَّـحِـيـحِ وَمُـقْـتَـضَـى الـقُـرْآنِ
وَتَـرَاهُـمْ والـلَّـهِ ضُـحْـكَـةَ سَـاخِـرٍ ... وَلَـطَـالَـمَـا سَـخِـرُوا مِـنَ الإِيـمَـانِ
قَـدْ أَوحِـشَـتْ مِـنْـهُـمْ رُبُـوعٌ زَادَهَـا الْـ ... ـجَـبَّـارُ إِيـحَـاشـاً مِـنَ الأَزْمَـانِ
وَخَـلَـتْ دِيَـارُهُـمْ وَشُـتِّـتَ شَـمْـلُـهُـمْ ... مَـا فِـيـهِـمُ رَجُـلاَنِ مُـجْـتَـمِـعَـانِ
قَـدْ عَـطَّـلَ الـرَّحْـمٰـنُ أَفْـئِـدَةً لَـهُـمْ ... مِـنْ كُـلِّ مَـعْـرِفَـةٍ وَمِـنْ إِيـمَـانِ
إِذْ عَـطَّـلُـوا الـرَّحْـمٰـنَ مِـنْ أَوْصَـافِـهِ ... والـعَـرْشَ أَخْـلَـوْهُ مِـنَ الـرَّحْـمٰـنِ
بَـلْ عَـطَّـلُـوهُ عَـنِ الـكَـلاَمِ وَعَـنْ صِـفَـا ... تِ كَـمَـالِـهِ بِـالـجَـهْـلِ والـبُـهْـتَـانِ
فَـاقْـرأْ تَـصَـانِـيـفَ الإِمَـامِ حَـقِـيـقَـةً ... شَـيْـخِ الـوُجُـودِ الـعَـالِـمِ الـرَّبَّـانِـي
أَعْـنِـي أَبَـا الـعَـبَّـاسِ أَحْـمَـدَ ذَلِـكَ الْـ ... ـبَـحْـرَ الـمـحِـيـطَ بِـسَـائِـرِ الـخُـلْـجَـانِ
وَاقْـرأْ كِـتَـابَ الـعَـقْـلِ والـنَّـقْـلِ الَّـذِي ... مَـا فِـي الـوُجُـودِ لَـهُ نَـظِـيـرٌ ثَـانِ
وَكَـذَاكَ مِـنْـهَـاجٌ لَـهُ فِـي رَدِّهِ ... قَـوْلَ الـرَّوَافِـضِ شِـيـعَـةِ الـشَّـيْـطَـانِ
وَكَـذَاكَ أَهْـلُ الإِعْـتِـزَالِ فَـإِنَّـهُ ... أَرْدَاهُـمُ فِـي حُـفْـرَةِ الـجَـبَّـانِ
وَكَـذَلِـكَ الـتَّـأْسِـيـسُ أَصْـبَـحَ نَـقْـضُـهُ ... أُعْـجُـوبَـةً لِـلْـعَـالِـمِ الـرَّبَّـانِـي
وَكَـذَاكَ أَجْـوِبَـةٌ لَـهُ مِـصْـرِيَّـةٌ ... فِـي سِـتِّ أَسْـفَـارٍ كُـتِـبْـنَ سِـمَـانِ
وَكَـذَا جَـوَابٌ لِـلـنَّـصَـارَى فِـيـهِ مَـا ... يَـشْـفِـي الـصُّـدُورَ وإِنَّـهُ سِـفْـرَانِ
وكَـذَاكَ شَـرْحُ عَـقِـيـدَةٍ لـلأَصْـبَـهَـا ... نِـيْ شَـارِحِ الـمَـحْـصُـول شَـرْحَ بَـيَـانِ
فِـيـهَـا الـنُّـبُـوَّاتُ الـتِـي إِثْـبَـاتُـهَـا ... فِـي غَـايَـةِ الـتَّـقْـرِيـرِ والـتِـبْـيَـانِ
والـلَّـهِ مَـا لأُولِـي الـكَـلاَمِ نَـظِـيـرُهُ ... أَبَـداً وَكُـتْـبُـهُـمُ بِـكُـلِّ مَـكَـانِ

وَكَذَا حُدُوثُ العَالَمِ العُلْوِيِّ والسُّـ ـسُـفْـلِـيِّ فِـيـهِ فِي أَتَمِّ بَيَانِ
وَكَـذَا قَـوَاعِـدُ الاسْـتِـقَـامَـةِ إنَّـهَـا سِـفْـرَانِ فِـيـمَـا بَـيْـنَـنَـا ضَـخْـمَـانِ
وَقَـرأتُ أكْـثَـرَهَـا عَـلَـيْـهِ فَـزَادَنِـي وَالـلَّـهِ فِـي عِـلْـمٍ وَفِـي إيـمَـانِ
هَـذَا وَلَـوْ حَـدَّثْـتُ نَـفْـسِـي أَنَّـهُ قَـبْـلِـي يَـمُـوتُ لَـكَـانَ هَـذَا الـشَّـانِ
وَكَـذَاكَ تَـوْحِـيـدُ الـفَـلاَسِـفَـةِ الأُلَـى تَـوْحِـيـدُهُـمْ هُـوَ غَـايَـةُ الـكُـفْـرانِ
سِفْرٌ لَطِيفٌ فِيهِ نَقْضُ أصُولِهِمْ بِـحَـقِـيـقَـةِ الـمَـعْـقُـولِ والـبُـرْهَـانِ
وَكَـذَاكَ تَـسْـعِـيـنِـيَّـةٌ فِـيـهَـا لَـهُ رَدٌّ عَـلَـى مَـنْ قَـالَ بِـالـنَّـفْـسَـانِـي
تِـسْـعُـونَ وَجْـهـاً بَـيَّـنَـتْ بُـطْـلانَـهُ أَعْـنِـي كَـلاَمَ الـنَّـفْـسِ ذَا الـوِحْـدانِ
وَكَـذَا قَـوَاعِـدُهُ الـكِـبَـارُ وإنَّـهَـا أَوْفَـى مِـنَ الـمِـائَـتَـيْـنِ فِـي الـحُـسْـبَـانِ
لَـمْ يَـتَّـسِـعْ نَـظْـمِـي لَـهَـا فَـأَسُـوقُـهَـا فَـأَشَـرْتُ بَـعْـضَ إشَـارَةٍ لِـبَـيَـانِ
وَكَـذَا رَسَـائِـلُـهُ إلَـى الـبُـلْـدَانِ والأَ طْـرَافِ والأَصْـحَـابِ والإخْـوَانِ
هِـيَ فِـي الـوَرَى مَـبْـثُـوثَـةٌ مَـعْـلُـومَـةٌ تُـبْـتَـاعُ بِـالـغَـالِـي مِـنَ الأثْـمَـانِ
وَكَـذَا فَـتَـاوَاهُ فَـأَخْـبَـرَنِـي الَّـذِي أَضْـحَـى عَـلَـيْـهَـا دَائِـمَ الـطَّـوَفَـانِ
بَـلَـغَ الَّـذِي أَلْـفَـاهُ مِـنْـهَـا عِـدَّةَ الأَ يَّـامِ مِـنْ شَـهْـرٍ بِـلاَ نُـقْـصَـانِ
سِـفْـرٌ يُـقَـابِـلُ كُـلَّ يَـوْمٍ وَالَّـذِي قَـدْ فَـاتَـنِـي مِـنْـهَـا بِـلاَ حُـسْـبَـانِ
هَـذَا وَلَـيْـسَ يُـقَـصِّـرُ الـتـفْـسِـيـرُ عَـنْ عَـشْـرٍ كِـبَـارٍ لَـيْـسَ ذَا نُـقْـصَـانِ
وَكَـذَا الـمـفَـارِيـدُ الَّـتِـي فِـي كُـلِّ مَـسْـ أَلَـةٍ فَـسِـفْـرٌ وَاضِـحُ الـتِّـبْـيَـانِ
مَـا بَـيْـنَ عَـشْـرٍ أَوْ تَـزِيـدُ بِـضِـعْـفِـهَـا هِـيَ كَـالـنُّـجُـومِ لِـسَـالِـكٍ حَـيْـرانِ
وَلَـهُ الـمـقَـامَـاتُ الـشَّـهِـيـرَةُ فِـي الـوَرَى قَـدْ قَـامَـهَـا لِـلَّـهِ غَـيْـرَ جَـبَـانِ
نَـصْـرَ الإلَـهِ وَدِيـنَـهُ وَكِـتَـابَـهُ وَرَسُـولَـهُ بِـالـسَّـيْـفِ والـبُـرْهَـانِ
أَبْـدَى فَـضَـائِـحَـهُـمْ وَبَـيَّـنَ جَـهْـلَـهُـمْ وَأرَى تَـنَـاقُـضَـهُـمْ بِـكُـلِّ زَمَـانِ
وَأَصَـارَهُـمْ والـلَّـهِ تَـحْـتَ نِـعَـالِ أَهْـ ـلِ الـحَـقِّ بَـعْـدَ مَـلاَبِـسِ الـتِّـيـجَـانِ
وَأَصَـارَهُـمْ تَـحْـتَ الـحَـضِـيـضِ وَطَـالَـمَـا كَـانُـوا هُـمُ الأعْـلاَمَ لِـلْـبُـلْـدَانِ
وَمِـنَ الـعَـجَـائِـبِ أَنَّـهُ بِـسِـلاَحِـهِـمْ أَرْدَاهُـمُ تَـحْـتَ الـحَـضِـيـضِ الـدَّانِـي
كَـانَـتْ نَـوَاصِـيـنَـا بِـأَيْـدِيـهِـمْ فَـمَـا مِـنَّـا لَـهُـمْ إلاَّ أَسِـيـرٌ عَـانِ

فَغَدَتْ نَواصِيهِمْ بأَيْدِينَا فَمَا ... يَلْقَوْنَنَا إلاَّ بِحَبْلِ أَمَانِ
وَغَدَتْ مُلُوكُهُمُ مَمَالِيكاً لأنْـ ... ـصَارِ الرَّسُولِ بِمِنَّةِ الرَّحْمٰنِ
وَأَتَتْ جُنُودُهُمُ الَّتِي صَالُوا بِهَا ... مُنْقَادَةً لِعَسَاكِرِ الإِيمَانِ
يَدْرِي بِهَذَا مَنْ لَهُ خَبَرٌ بِمَا ... قَدْ قَالَهُ فِي رَبِّهِ الفِئَتَانِ
والفَدْمُ يُوحِشُنَا وَلَيْسَ هُنَاكُمُ ... فَحُضُورُهُ وَمَغِيبُهُ سِيَّانِ

❋ ❋ ❋



في بيانِ أنَّ المصيبةَ التي حلَّتْ بأهلِ التعطيلِ والكفرانِ من جهةِ الأسماءِ التي ما أنزلَ اللَّهُ بهَا من سلطانِ

يَا قَوْمُ أَصْلُ بَلائِكُمْ أَسْمَاءُ لَمْ ... يُنزِلْ بِهَا الرَّحْمٰنُ مِنْ سُلْطَانِ
هِيَ عَكَّسَتْكُمْ غَايَةَ التَّعْكِيسِ واقْـ ... ـتَلَعَتْ دِيَارَكُمُ مِنَ الأَرْكَانِ
فَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ القُصُورُ وَأَوْحَشَتْ ... مِنْكُمْ رُبُوعُ العِلْمِ والإِيمَانِ
والذَّنْبُ ذَنْبُكُمُ قَبِلْتُمْ لَفْظَهَا ... مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ وَلاَ فُرْقَانِ
وَهِي الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى أَمْرَيْنِ مِنْ ... حَقٍّ وأَمْرٍ وَاضِحِ البُطْلاَنِ
سَمَّيْتُمُ عَرْشَ المُهَيْمِنِ حَيِّزاً ... والإِسْتِوَاءَ تَحَيُّزاً بِمَكَانِ
وَجَعَلْتُمُ فَوْقَ السَّمَواتِ العُلاَ ... جِهَةً وَسُقْتُمْ نَفْيَ ذَا بِوِزَانِ
وَجَعَلْتُمُ الإِثْبَاتَ تَشْبِيهاً وَتَجْـ ... ـسِيماً وَهَذا غَايَةُ البُهْتَانِ
وَجَعَلْتُمُ المَوْصُوف جِسْماً قَابِلَ الْـ ... أَعْرَاضِ والأَكْوَانِ والأَلْوَانِ
وَجَعَلْتُمُ أَوْصَافَهُ عَرَضاً وَهَـ ... ـذَا كُلُّهُ جِسْرٌ إِلَى النُّكْرَانِ
وَكَذَاكَ سَمَّيْتُمْ حُلُولَ حَوَادِثٍ ... أَفْعَالَهُ تَلْقِيبَ ذِي عُدْوَانِ
إِذْ تَنْفِرُ الأَسْمَاعُ مِنْ ذَا اللَّفْظِ نُفْـ ... ـرَتَهَا مِنَ التَّشْبِيهِ والنُّقْصَانِ
فَكَسَوْتُمُ أَفْعَالَهُ لَفْظَ الحَوَا ... دِثِ ثُمَّ قُلْتُمْ قَوْلَ ذِي بُطْلاَنِ
لَيْسَتْ تَقُومُ بِهِ الحَوَادِثُ والمرا ... دُ النَّفْيُ لِلأَفْعَالِ لِلدَّيَّانِ

فَإِذَا انتَفَتْ أَفْعَالُهُ وَصِفَاتُهُ   وَكَلاَمُهُ وَعُلُوُّ ذِي السُّلْطَانِ
فَبِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَبّاً عِنْدَكُمْ   يَا فِرْقَةَ التَّحْقِيقِ والعِرْفَانِ
والقَصْدُ نَفْيُ فِعَالِهِ عَنْهُ بِذَا التْـ   ـتَلْقِيبِ فِعْلَ الشَّاعِرِ الفَتَّانِ
وَكَذَاكَ حِكْمَةُ رَبِّنَا سَمَّيْتُمُ   عِلَلاً وأَغْرَاضاً وَذَانِ اسْمَانِ
لاَ يُشْعِرَانِ بِمِدْحَةٍ بَلْ ضِدُّهَا   فَيَهُونُ حِينَئِذٍ عَلَى الأَذْهَانِ
نَفْيُ الصِّفَاتِ وَحِكْمَةِ الخَلاَّقِ والْـ   أَفْعَالِ إِنْكَاراً لِهَذَا الشَّانِ
وَكَذَا اسْتِواءُ الرَّبِّ فَوْقَ العَرْشِ قُلْـ   ـتُمْ إِنهُ التَّرْكِيبُ ذُو بُطْلاَنِ
وَكَذَاكَ وَجْهُ الرَّبِّ جَلَّ جَلاَلُهُ   وَكَذَاكَ لَفْظُ يَدٍ وَلَفْظُ يَدَانِ
سَمَّيْتُمُ ذَا كُلَّهُ الأَعْضَاءَ بَلْ   سَمَّيْتُمُوهُ جَوَارِحَ الإِنْسَانِ
وَسَطَوْتُمُ بِالنَّفْيِ حِينَئِذٍ عَلَيْـ   ـهِ كَنَفْيِنَا لِلْعَيْبِ مَعْ نُقْصَانِ
قُلْتُمْ نُنَزِّهُهُ عَنِ الأَعْرَاضِ وَالْـ   أَغْرَاضِ والأَبْعَاضِ والجُثْمَانِ
وَعَنِ الحَوَادِثِ أَنْ تَحِلَّ بِذَاتِهِ   سُبْحَانَهُ مِنْ طَارِقِ الحِدْثَانِ
وَالقَصْدُ نَفْيُ صِفَاتِهِ وَفِعَالِهِ   وَالاِسْتِوَاءِ وَحِكْمَةِ الرَّحْمٰنِ
وَالنَّاسُ أَكثرُهُمْ بِسِجْنِ اللَّفْظِ مَسْـ   ـجُونُونَ خَوْفَ مَعَرَّةِ السَّجَّانِ
والكُلُّ إِلاَّ الفَرْدَ يَقْبَلُ مَذْهَباً   فِي قَالَبٍ وَيَرُدُّهُ فِي ثَانِ
وَالقَصْدُ أَنَّ الذَّاتَ والأَوْصَافَ وَالْـ   أَفْعَالَ لاَ تُنْفَى بِذَا الهَذَيَانِ
سَمُّوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْـ   أَسْمَاءِ بَلْ فِي مَقْصِدٍ وَمَعَانِ
كَمْ ذَا تَوَسَّلْتُمْ بِلَفْظِ الجِسْمِ وَالتْـ   ـتَجْسِيمِ لِلتَّعْطِيلِ وَالكُفْرَانِ
وَجَعلْتُمُوهُ التُّرْسَ إِنْ قُلْنَا لَكُمْ   اللَّهُ فَوْقَ العَرْشِ والأَكْوَانِ
قُلْتُمْ لَنَا جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ تَعَا   لَى اللَّهُ عَنْ جِسْمٍ وَعَنْ جُثْمَانِ
وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا القُرَانُ كَلاَمُهُ   مِنْهُ بَدَا لَمْ يَبْدُ مِنْ إِنْسَانِ
كَلاَّ وَلاَ مَلَكٌ ولاَ لَوْحٌ وَلَـ   ـكِنْ قَالَهُ الرَّحْمٰنُ قَوْلَ بَيَانِ
قُلْتُمْ لَنَا إِنَّ الكَلاَمَ قِيَامُهُ   بِالجِسْمِ أَيْضاً وَهْوَ ذُو حَدَثَانِ
عَرَضٌ يَقُوم بِغَيْرِ جِسْمٍ لَمْ يَكُنْ   هَذَا بِمَعْقُولٍ لِذِي الأَذْهَانِ
وَكَذَاكَ حِينَ نَقُولُ يَنْزِلُ رَبُّنَا   فِي ثُلْثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِ

قُلْتُمْ لَنَا إنَّ النُّزُولَ لِغَيْرِ أجْـ … ـسَامٍ مُحَالٌ لَيْسَ ذَا إمْكَانِ
وَكَذَاكَ إنْ قُلْنَا يُرَى سُبْحَانَهُ … قُلْتُمْ أَجِسْمٌ كَيْ يُرَى بِعِيَانِ
أمْ كَانَ ذَا جِهَةٍ تَعَالَى رَبُّنَا … عَنْ ذَا فَلَيْسَ يَرَاهُ مِنْ إنْسَانِ
أمَّا إذَا قُلْنَا لَهُ وَجْهٌ كَمَا … فِي النَّصِّ أوْ قُلْنَا كَذَاكَ يَدَانِ
وَكَذَاكَ إنْ قُلْنَا كَمَا فِي النَّصِّ إنْـ … ـنَ القَلْبَ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ
وَكَذَاكَ إنْ قُلْنَا الأصَابِعُ فَوْقَهَا … كُلُّ العَوَالِمِ وَهْيَ ذُو رَجَفَانِ
وَكَذَاكَ إنْ قُلْنَا يَدَاهُ لأرْضِهِ … وَسَمَائِهِ فِي الحَشْرِ قَابِضَتَانِ
وَكَذَاكَ إنْ قُلْنَا سَيَكْشِفُ سَاقَهُ … فَيَخِرُّ ذَاكَ الجَمْعُ لِلأذْقَانِ
وَكَذَاكَ إنْ قُلْنَا يَجِيءُ لِفَصْلِهِ … بَيْنَ العِبَادِ بِعَدْلِ ذِي سُلْطَانِ
قَامَتْ قِيَامَتُكُمْ كَذاكَ قِيَامَةُ الْـ … آتِي بِهَذَا القَوْلِ فِي الرَّحْمٰنِ
واللَّهِ لَوْ قُلْنَا الَّذِي قَالَ الصَّحَا … بَةُ والأُلَى مِنْ بَعْدِهِمْ بِلِسَانِ
لَرَجَمْتُمُونَا بِالحِجَارَةِ إنْ قَدَرْ … تُمْ بَعْدَ رَجْمِ الشَّتْمِ والعُدْوَانِ
واللَّهِ قَدْ كَفَّرْتُمُ مَنْ قَالَ بَعْـ … ـضَ مَقَالِهِمْ يَا أُمَّةَ العُدْوَانِ
وَجَعَلْتُمُ الجِسْمَ الَّذِي قَدَّرْتُمُ … بُطْلانَهُ طَاغُوتَ ذَا البُطْلانِ
وَوَضَعْتُمُ لِلْجِسْمِ مَعْنىً غَيْرَ مَعْـ … ـرُوفٍ بِهِ فِي وَضْعِ كُلِّ لِسَانِ
وبَنَيْتُمُ نَفْيَ الصِّفَاتِ عَلَيْهِ فَاجْـ … ـتَمَعَتْ لَكُمْ إذْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ
كَذِبٌ عَلَى لُغَةِ الرَّسُولِ وَنَفْيُ إثْـ … ـبَاتِ العُلُوِّ لِفَاطِرِ الأكْوَانِ
وَرَكِبْتُمُ إذْ ذَاكَ تَحْرِيفَيْنِ تَحْـ … ـرِيفَ الحَدِيثِ ومُحْكَمِ القُرْآنِ
وَكَسَبْتُمُ وِزْرَيْنِ وِزْرَ النَّفْيِ والتْـ … ـتَحْرِيفِ فَاجْتَمَعَتْ لَكُمْ كِفْلانِ
وَعَدَاكُمُ أجْرَانِ أجْرُ الصِّدْقِ والْـ … إيمَانِ حَتَّى فَاتَكُمْ حَظَّانِ
وَكَسَبْتُمُ مَقْتَيْنِ مَقْتَ إلٰهِكُمْ … وَالمؤمِنِينَ فَنَالَكُمْ مَقْتَانِ
وَلَبِسْتُمُ ثَوْبَيْنِ ثَوْبَ الجَهْلِ والظْـ … ـظُلْمِ القَبِيحِ فَبِئْسَتِ الثَّوْبَانِ
وَتَخِذْتُمُ طَرْزَيْنِ طَرْزَ الكِبْرِ والتْـ … ـتِيهِ العَظِيمِ فَبِئْسَتِ الطَّرْزَانِ
وَمَدَدْتُمُ نَحْوَ العُلَى بَاعَيْنِ لَـ … ـكِنْ لَمْ تَطُلْ مِنْكُمْ لَهَا البَاعَانِ
وَأتَيْتُمُوهَا مِنْ سِوَى أَبْوَابِهَا … لَكِنْ تَسَوَّرْتُمْ مِنَ الحِيطَانِ

وَغَلَقْتُمُ بَابَيْنِ لَوْ فُتِحَا لَكُمْ ... فُزْتُمْ بِكُلِّ بِشَارَةٍ وَتَهَانِ
بَابَ الحَدِيثِ وَبَابَ هَذَا الوَحِي مَنْ ... يَفْتَحْهُمَا فَلْيَهْنِهِ البَابَانِ
وَفَتحْتُمُ بَابَيْنِ مَنْ يَفْتَحْهُمَا ... تُفْتَحْ عَلَيْهِ مَوَاهِبُ الشَّيْطَانِ
بَابَ الكَلامِ وَقَدْ نُهِيتُمْ عَنْهُ وَالْـ ... ـبَابَ الحَرِيقَ فمنطِقُ اليُونَانِ
فَدَخَلْتُمُ دَارَيْنِ دَارَ الجَهْلِ فِي الدْ ... دُنْيَا وَدَارَ الخِزْيِ فِي النِّيرَانِ
وَطعِمْتُمُ لَوْنَينِ لَوْنَ الشَّكُّ والتْـ ... ـتَشْكِيكِ بَعْدُ فَبِئْسَتِ اللَّوْنَانِ
وَرَكِبْتُمُ أَمْرَيْنِ كَمْ قَدْ أَهْلَكَا ... مِنْ أُمَّةٍ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ
تَقْدِيمَ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَى الَّذِي ... قَالَ الرَّسُولُ وَمحْكَمِ القُرْآنِ
وَالثَّانِ نِسْبَتُهُمْ إِلَى الأَلْغَازِ وَالتْـ ... ـتَلْبِيسِ والتَّدْلِيسِ وَالكِتْمَانِ
وَمَكَرْتُمُ مَكْرَيْنِ لَوْ تَمَّا لَكُمْ ... لتَفَصَّمَتْ فِينَا عُرَى الإِيمَانِ
أَطفَأْتُمُ نُورَ الكِتَابِ وَسُنَّةِ الْـ ... ـهَادِي بِهَذَا التَّحْرِيفِ والهَذَيَانِ
لَكِنَّكُمْ أَوْقَدْتُمُو لِلْحَرْبِ نَا ... راً بَينَ طَائِفَتَيْنِ مُخْتَلِفَانِ
واللَّهُ مُطْفِيهَا بِأَلْسِنَةِ الأُلَى ... قَدْ خَصَّهُمْ بِالعِلْمِ والإِيمَانِ
واللَّهِ لَوْ غَرِقَ المجَسِّمُ فِي دَمِ التْـ ... ـتَجْسِيمِ مِنْ قَدَمٍ إِلَى الآذَانِ
فَالنصُّ أَعْظَمُ عِنْدَهُ وأَجَلُّ قَدْ ... راً أَنْ يُعَارِضَهُ بِقَولِ فُلاَنِ

فصلٌ

في كسرِ الطاغوتِ الذي نفوا به صفاتِ ذي الملكوتِ والجبروتِ

أَهْونْ بِهَذَا الطَّاغُوتِ لاَ عَزَّ اسْمُهُ ... طَاغُوتُ ذِي التَّعْطِيلِ وَالكُفْرَانِ
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ بَلْ جَرِيحٍ بَلْ قَتِيـ ... ـلٍ تَحتَ ذَا الطَّاغُوتِ فِي الأَزْمَانِ
وَتَرى الجَبَانَ يَكَادُ يُخلَعُ قَلْبُهُ ... مِنْ لَفْظِهِ تَبّاً لِكُلِّ جَبَانِ
وَتَرَى المخَنَّثَ حِينَ يَقْرَعُ سَمْعَهُ ... تَبْدُو عَلَيْهِ شَمَائِلُ النِّسْوَانِ
وَيَظَلُّ مَنْكُوحاً لِكُلِّ معَطِّلٍ ... وَلِكُلِّ زِنْدِيقٍ أَخِي كُفْرَانِ
وَتَرى صَبِيَّ العَقْلِ يُفزِعُهُ اسْمُهُ ... كَالغُولِ حِينَ يقَالُ لِلصِّبْيَانِ
كُفْرَانَ هَذَا الإِسْمِ لاَ سُبْحَانَهُ ... أَبَداً وسُبْحَانَ العَظِيمِ الشَّانِ

كَمْ ذَا التَّتَرُّسُ بِالمحَالِ أَمَا تَرَى قَدْ مزَّقَتْهُ كَثْرَةُ السّهْمَانِ
جِسْمٌ وَتَجْسِيمٌ وَتَشْبِيهٌ أَمَا تَعْيُونَ مِنْ قِشْرٍ وَمِنْ هَذَيَانِ
أَنتُمْ وَضَعْتُمْ ذَلِكَ الطَّاغوتَ ثُمْـ ـمَ بِهِ نَفَيْتُمْ مُوجِبَ القُرآنِ
وَجَعَلْتُمُوهُ شَاهِداً بَلْ حَاكِماً هَذَا عَلَى مَنْ يَا أولِي العُدْوَانِ
أَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ بِاللَّهِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمٰنِ
فَقَضَاؤُهُ بِالجَوْرِ وَالعُدْوانِ مِثْـ ـلُ قِيَامِهِ بِالزُّورِ والعُدْوَانِ
وَقِيَامُهُ بِالزُّورِ مِثْلُ قَضَائِهِ بِالجَوْرِ والعُدْوَانِ والبُهْتَانِ
كَمْ ذِي الجعَاجعُ لَيْسَ شَيءٌ تَحْتَهَا إلاَّ الصَّدَى كَالبُومِ فِي الخِرْبَانِ
ونَظِيرِ هَذَا قَولُ مُلْحِدِكُمْ وَقَدْ جَحَدَ الصِّفَاتِ لِفَاطِرِ الأَكْوانِ
لَوْ كَانَ مَوْصُوفاً لَكَانَ مُرَكَّباً فَالوَصْفُ والتَّرْكِيبُ متَّحِدَانِ
ذَا المنجنيقُ وذَلِكَ الطَّاغُوتُ قَدْ هَدَمَا دِيَارَكُمُ إِلَى الأَرْكَانِ
واللَّهُ رَبِّي قَدْ أعَانَ بِكَسْرِ ذا وَبِقَطْعِ ذَا سُبْحَانَ ذِي الإِحْسَانِ
فَلَئِنْ زَعَمْتُمْ أنَّ هَذَا لازِمٌ لِمقَالِكُمْ حَقّاً لُزُومَ بَيَانِ
فَلَنَا جَوَابَاتٌ ثَلاَثٌ كُلُّهَا مَعْلُومَةُ الإيضَاحِ والتِّبْيَانِ
مَنْعُ اللُّزومِ وَمَا بِأيْدِيكُمْ سِوَى دَعْوَى مُجَرَّدَةٍ عَنِ البُرْهَانِ
لاَ يَرْتَضِيهَا عَالِمٌ أَوْ عَاقِلٌ بَلْ تِلْكَ حِيلَةُ مُفْلِسٍ فَتَّانِ
فَلَئِنْ زَعَمْتُم أَنَّ مَنْعَ لُزُومِهِ مِنْكُم مكَابَرةٌ عَلَى البُطْلاَنِ
فَجَوابُنَا الثَّانِي امْتِنَاعُ النفْي فِي مَا تَدَّعُونَ لُزُومَهُ بِبَيَانِ
إنْ كَانَ ذَلِكَ لازِماً لِلنَّصِّ والْـ ـملْزُومُ حَقٌّ وَهْوَ ذُو بُرْهَانِ
والحَقُّ لاَزِمُهُ فَحقٌّ مِثْلُهُ أَنَّى يَكُونُ الشيءُ ذَا بُطْلاَنِ
وَيكُونُ مَلْزوماً بِهِ حَقّاً فَذَا عَيْنُ المحَالِ وَلَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
فَتَعَيَّنَ الإِلْزَامُ حِينَئِذٍ عَلَى قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ القُرْآنِ
وَجَعَلْتُمُ أَتْبَاعَهُ مَانَسْتُراً خَوْفاً مِنَ التصريحِ بالكُفْرَانِ
واللَّهِ مَا قُلْنَا سِوَى مَا قَالَهُ هَذِي مَقَالَتُنَا بِلاَ كِتْمَانِ
فَجَعَلْتُمُوهَا جُنَّةً والقَصْدُ مَفْـ ـهُومٌ فَنَحْنُ وِقَايَةُ القُرْآنِ

هَـذَا وَثَـالِـثُ مَا نُـجِيبُ بِـهِ هُـوَ اسْـ ... تِـفْـسَـارُكُـمْ يَـا فِـرْقَـةَ الـعِـرْفَـانِ
مَـاذَا الَّـذِي تَعْنُـونَ بِـالـجِسْـمِ الَّـذِي ... أَلْـزَمْـتُـمُـونَـا أَوْضِـحُـوا بِـبَـيَـانِ
تَـعْـنُـونَ مَـا هُـوَ قَـائِـمٌ بِـالـنـفْـسِ أَوْ ... عَـالٍ عَـلَـى الـعَـرْشِ الـعَـظِـيـمِ الشَّـانِ
أَوْ ذَا الَّـذِي قَـامَـتْ بِـهِ الأَوْصَـافُ أَوْ ... صَـافُ الـكَـمَـالِ عَـدِيـمَـةُ الـنـقْـصَـانِ
أَوْ مَـا تَـرَكَّـبَ مِـنْ جَـوَاهِـرَ فَـرْدَةٍ ... أَوْ صُـورَةٍ حَـلَّـتْ هَـيُـولَـى ثَـانِ
أَوْ مَا هُوَ الجسْمُ الَّذِي فِي العُرْفِ أو ... فِـي الـوَضْـعِ عـنْـدَ تَـخَـاطُـبٍ بِلِسَانِ
أَوْ مَا هُوَ الجسْمُ الَّذِي فِي الذِّهْنِ ذَا ... كَ يُـقَـالُ تَـعْـلِـيـمٌ لِـذِي الأَذْهَـانِ
مَـاذَا الَّـذِي فِـي ذَاكَ يَـلْـزَمُ مِـنْ ثُـبُـو ... تِ عُـلُـوِّهِ مِـنْ فَـوْقِ كُـلِّ مَـكَـانِ
فَـأْتُـوا بِـتَـعْـيِـيـنِ الَّـذِي هُـوَ لاَزِمٌ ... فَـإِذَا تَـعَـيَّـنَ ظَـاهِـرِ الـتِّـبْـيَـانِ
فَـأْتُـوا بِـبُـرْهَـانَـيـنِ بُـرْهَـانِ الـلـزُو ... مِ وَنَـفْـي لاَزِمِـهِ فَـذَانِ اثْـنَـانِ
والـلَّـهِ لَـوْ نُـشِـرَتْ لَـكُـمْ أَشْـيَـاخُـكُـمْ ... عَـجَـزُوا وَلَـوْ وَاطَـاهُـمُ الـثَّـقَـلاَنِ
إِنْ كُـنْـتُـمُ أَنْـتُـمْ فُـحُـولاً فَـابْـرُزُوا ... وَدَعُـوا الـشَّـكَـاوِي حِـيـلَـةَ الـنِّـسْـوَانِ
وَإِذَا اشْتَكَيْتُمْ فاجْعَلُوا الشَّكْوَى إلى الْـ ... ـوَحْـيَـيْـنِ لاَ الـقَـاضِـي وَلاَ الـسُّـلْـطَـانِ
فَـنُـجِـيـبُ بِـالـتَّـرْكِـيـبِ حِـيـنَـئِـذٍ جَـوَا ... بـاً شَـافِـيـاً فِـيـهِ هُـدَى الـحَـيْـرَانِ
الـحَـقُّ إِثْـبَـاتُ الـصِّـفَـاتِ وَنَـفْـيُـهَـا ... عَـيْـنُ الـمـحَـالِ وَلَـيْـسَ فِـي الإِمْـكَـانِ
فَـالـجِـسْـمُ إِمَّـا لاَزِمٌ لِـثُـبُـوتِـهَـا ... فَـهُـوَ الـصَّـوَابُ وَلَـيْـسَ ذَا بُـطْـلاَنِ
أَوْ لَـيْـسَ يَـلْـزَمُ مِـنْ ثُـبُـوتِ صِـفَـاتِـهِ ... فَـشَـنَـاعَـةُ الإِلْـزَامِ بِـالـبُـهْـتَـانِ
فَـالـمَـنْـعُ فـي إِحـدَى الـمـقَـدِّمَـتَـيْـنِ مَـعْـ ... ـلُـومُ الـبَـيَـانِ إِذاً بِـلاَ نُـكْـرَانِ
فَـالـمَـنْـعُ إِمَّـا فِـي الـلُّـزُومِ أَوْ انْـتِـفَـا ... ءِ الـلاَّزِمِ الـمـنْـسُـوبِ لِـلْـبُـطْـلاَنِ
هَـذَا هُـوَ الـطَّـاغُـوتُ قَـدْ أَضْـحَـى كَـمَـا ... أَبْـصَـرْتُـمُـوهُ بِـمِـنَّـةِ الـرَّحْـمٰـنِ

فصلٌ

في مبدأ العداوةِ الواقعةِ بينَ المثبتينَ الموحدينَ وبينَ النفاةِ المعطلين

يَـا قَـوْمُ تَـدْرُونَ الْـعَـدَاوَةَ بَـيْـنَـنَـا ... مِـنْ أَجْـلِ مَـاذَا فِـي قَـدِيـمِ زَمَـانِ

إنَّا تَحَيَّزْنا إلَى القُرآنِ والـنـ ـنَقْلِ الصَّحِيحِ مُفَسِّرِ القُرآنِ
وَكَذَا إلَى العَقْلِ الصَّرِيحِ وَفطرَة الرَّ ـرَحْمٰنِ قَبْلَ تَغَيُّرِ الإنْسَانِ
هِيَ أربعٌ متَلازِمَاتٌ بَعْضُهَا قَدْ صَدَّقَتْ بَعْضاً عَلَى مِيزَانِ
واللَّهِ مَا اجْتَمعَتْ لَدَيكُمْ هَذِهِ أَبداً كَمَا أقْرَرْتُمُ بِلِسَانِ
إذْ قُلْتُمُ العَقْلُ الصَّحِيحُ يُعَارِضُ الْمَـ ـنْقُولَ مِنْ أثَرٍ وَمِنْ قُرآنِ
فَنُقَدِّمُ المَعْقُولَ ثم نُصَرِّفُ الْـ ـمَنْقُولَ بالتَّأويلِ ذِي الألْوَانِ
فَإِذَا عَجَزْنَا عَنْهُ أَلْقَيْنَاهُ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ قَصْداً إلَى الإحْسَانِ
وَلَكُمْ بِذَا سَلَفٌ لَهُمْ تَابَعْتُمُ لَمَّا دَعَوْا لِلأَخْذِ بِالقُرآنِ
صَدُّوا فلمَّا أن أصِيبُوا أقْسَمُوا لمرَادُنا توفِيقُ ذِي الإحْسَانِ
وَلَقَدْ أصِيبُوا فِي قُلُوبِهِمُ وَفِي تِلْكَ العُقُولِ بغَايَةِ النقْصَانِ
فَأَتَوْا بأقْوَالٍ إذَا حَصَّلْتَهَا أسْمِعْتَ ضَحْكَةَ هَازِلٍ مَجَّانِ
هَذَا جَزَاءُ المعْرِضِينَ عَن الهُدَى مُتَعَوِّضِينَ زَخَارِفَ الهَذَيَانِ
وَاضربْ لَهُمْ مَثَلاً بِشَيْخِ القَوْمِ إذْ يَأبَى السُّجُودَ بِكبرٍ ذِي طُغْيَانِ
ثُمَّ ارْتَضَى أنْ صَارَ قَوَّاداً لأرْ بَابِ الفُسُوقِ وَكلُّ ذِي عِصْيَانِ
وَكَذَاكَ أَهْلُ الشِّرْكِ قَالُوا كَيْفَ ذَا بَشَرٌ أتَى بالوَحْيِ والقُرآنِ
ثُمَّ ارْتَضَوْا أنْ يَجْعَلُوا مَعْبُودَهُمْ مِنْ هذِه الأحْجَارِ والأوْثَانِ
وَكَذَاكَ عُبَّادُ الصَّلِيبِ حَمُوا بَتَا رِكَهُمْ مِنَ النِّسْوَانِ والولْدَانِ
وَأتَوْا إلَى رَبِّ السَّمٰوَاتِ العُلَى جَعَلُوا لَهُ وَلَداً مِنَ الذكْرَانِ
وَكَذَلِكَ الجَهْمِيُّ نَزَّهَ رَبَّهُ عَنْ عَرْشِهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الأكْوَانِ
حَذَراً مِنَ الحَصْرِ الَّذِي فِي ظَنِّهِ أوْ أنْ يُرَى مُتَحَيِّزاً بِمَكَانِ
فَأصَارَهُ عَدَماً وَلَيْسَ وُجُودُهُ مُتَحَقِّقاً فِي خَارِجِ الأذْهَانِ
وَرَمَيْتُمُ أهلَ الحَدِيثِ بأسْهُمٍ عَنْ قَوْسِ مَوْتُورِ الفُؤادِ جَبَانِ
فتترَّسُوا بالوَحْيِ والسُّنَنِ الَّتِي تَتْلُوهُ نِعْمَ التُّرْسُ للشُّجْعَانِ
هُوَ تُرْسُهُمْ واللَّهِ مِنْ عُدْوَانِكُمْ والتُّرسُ يَوْمَ البَعْثِ مِنْ نِيرَانِ
أفَتَارِكُوهُ لِفَشْرِكمْ وَمُحَالِكُمْ لاَ كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمٰنِ

وَدَعَوْتُمُونَا لِلَّذِي قُلْتُمْ بِهِ   قُلْنَا مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ خُذْلاَنِ
فَاشْتَدَّ ذَاكَ الحَرْبُ بَيْنَ فَرِيقِنَا   وَفَرِيقِكُمْ وَتَفَاقَمَ الأَمْرَانِ
وَتَأَصَّلَتْ تِلْكَ العَدَاوَةُ بَيْنَنَا   مِنْ يَوْمِ أَمْرِ اللَّهِ لِلشَّيْطَانِ
بِسُجُودِهِ فَعَصَى وَعَارَضَ أَمْرَهُ   بِقِيَاسِهِ وَبِعَقْلِهِ الخَوَّانِ
فَأتَى التَّلامِيذُ الوِقَاحُ فعَارَضُوا   أَخْبَارَهُ بِالفَشْرِ والهَذَيَانِ
وَمُعَارِضٌ لِلأَمْرِ مِثْلَ مُعَارِضِ الْـ   أَخْبَارِ هُمْ فِي كُفْرِهِمْ صِنْوَانِ
مَنْ عَارَضَ المنصُوصَ بالمعْقولِ قِدْ   مَاً أَخْبِرُونَا يَا أولِي العِرْفَانِ
أَوَ مَا عَرَفْتُمْ أنَّه القَدَرِيُّ والْـ   جَبْرِيُّ أَيْضاً ذَاكَ فِي القُرْآنِ
إذْ قَالَ قَدْ أَغْوَيْتَنِي وفَتَنْتَنِي   لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ مَدَى الأزْمَانِ
فَاحْتَجَّ بِالمقْدُورِ ثُمَّ أَبَانَ أَنْـ   نَ الفِعْلَ مِنْهُ بِغَيَّةٍ وَزِيَانِ
فَانْظُرْ إِلَى مِيرَاثِهِمْ ذَا الشَّيْخَ بالتْـ   تَعْصِيبِ والمِيرَاثِ بالسُّهْمَانِ
فَسَأَلْتُكُمْ بِاللَّهِ مَنْ وُرَّاثُهُ   مِنَّا وَمِنْكُمْ بَعْدَ ذَا التِّبْيَانِ
هَذَا الَّذِي أَلْقَى العَدَوَاةَ بَيْنَنَا   إِذْ ذَاكَ واتَّصَلَتْ إِلَى ذَا الآنِ
أَصَّلْتُمُ أَصْلاً وأَصَّلَ خَصْمُكُمْ   أَصْلاً فَحِينَ تَقَابَلَ الأَصْلاَنِ
ظَهَرَ التَّبَايُنُ فَانْتَشَتْ مَا بَيْنَنَا الْـ   حَرْبُ العَوَانُ وَصِيحَ بِالأَقْرانِ
أَصَّلْتُمُ آرَا الرِّجَالِ وَخَرْصَهَا   مِنْ غَيْرِ بُرْهَانٍ وَلاَ سُلْطَانِ
هَذَا وَكَمْ رَأيٍ لَهُمْ فَبِرَأْيِ مَنْ   نَزِنُ النُّصُوصَ فأوْضِحُوا بِبَيَانِ
كُلٌّ لَهُ رَأْيٌ وَمَعْقُولٌ لَهُ   يَدْعُو ويَمْنَعُ أَخْذَ رَأيِ فُلاَنِ
وَالْخَصْمُ أَصَّلَ مُحْكَمَ القُرْآنِ مَعْ   قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِطْرَةِ الرَّحْمٰنِ
وَبَنَى عَلَيْهِ فَاعْتَلَى بُنْيَانُهُ   نَحْوَ السَّمَا أَعْظِمْ بِذَا البُنْيَانِ
وَعَلَى شَفَا جُرُفٍ بَنَيْتُمْ أَنْتُمُ   فَأَتَتْ سُيُولُ الوَحْيِ والإِيمَانِ
قَلَعَتْ أَسَاسَ بِنَائِكُمْ فتهَدَّمَتْ   تِلْكَ السُّقُوفُ وخرَّ لِلأَرْكَانِ
اللَّهُ أَكْبَرُ لو رأيتُمْ ذَلِكَ الْـ   بُنْيَانَ حِينَ عَلاَ كَمِثْلِ دُخَانِ
تَسْمُو إِلَيهِ نَوَاظِرٌ مِنْ تَحْتِهِ   وَهُوَ الوَضِيعُ وَلَوْ يُرَى بِعِيَانِ
فَاصْبِرْ لهُ وَهْناً وَرُدَّ الطَّرْفَ تَلْـ   قَاهُ قَرِيباً فِي الحَضِيضِ الدَّانِي

فصلٌ

في بيانِ أنَّ التعطيلَ أساسُ الزندقةِ والكفرانِ والإثباتَ أساسُ العلمِ والإيمانِ

مَنْ قَالَ إنَّ اللَّه لَيْسَ بِفَاعِلٍ ... فِعْلاً يَقُومُ بِهِ قِيَامَ مَعَانِ

كَلاً وَلَيْسَ الأمْرُ أيْضاً قَائِماً ... بِالرَّبِّ بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الأكْوَانِ

كَلاً وَلَيْسَ اللَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ ... بَلْ عَرْشُهُ خِلْوٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ

فَثَلاَثَةٌ واللَّهِ لاَ تُبْقِي مِنَ الْـ ... إيـمَـانِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ بِوزَانِ

وَقَدِ اسْتَرَاحَ مُعَطِّلٌ هَذِي الثَّلاَ ... ثَ مِنَ الإلَهِ وَجُمْلَةِ القُرآنِ

وَمِنَ الرَّسُولِ وَدِينِهِ وَشَرِيعَةِ الْـ ... إسْلاَمِ بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الأدْيَانِ

وَتَمَامُ ذَاكَ جُحُودُهُ لِصِفَاتِهِ ... وَالذاتُ دُونَ الوَصْفِ ذُو بُطْلاَنِ

وتَمَامُ ذَا الإيمَانِ إقْرَارُ الفَتَى ... بِاللَّهِ فَاطِرِ هَذِهِ الأكْوَانِ

فَإذَا أَقَرَّ بِهِ وَعَطَّلَ كُلَّ مَفْـ ... ـرُوضٍ وَلَمْ يَتَوَقَّ مِنْ عِصْيَانِ

لَمْ يَنْقُصِ الإيمَانُ حَبَّةَ خَرْدَلٍ ... أنَّى وَلَيْسَ بِقَابِلِ النُّقْصَانِ

وَتَمَامُ هَذَا قَوْلُهُ أنَّ النُّبُوْ ... ـوَةَ لَيْسَ وَصْفاً قَامَ بالإنْسَانِ

لَكِنْ تَعَلُّقُ ذَلِكَ المَعْنَى القَدِيـ ... ـمِ بِوَاحِدٍ مِنْ جُمْلَةِ الإنسانِ

هَذَا ومَا ذاكَ التَّعَلُّقُ ثَابِتاً ... فِي خَارِجٍ بَلْ ذَاكَ فِي الأذْهَانِ

فَتَعَلُّقُ الأقْوَالِ لاَ يُعْطِي الَّذِي ... وقَفَتْ عَلَيهِ الكونُ فِي الأعْيَانِ

هَذَا إذا مَا حَصَّلَ المَعْنَى الَّذِي ... قُلْتُمْ هُوَ النَّفْسِيُّ فِي البُرْهَانِ

لَكِنَّ جُمْهُورَ الطَّوائِفِ لَمْ يَروْا ... ذَا مُمْكِناً بَلْ ذَاكَ ذُو بُطْلاَنِ

مَا قَالَ هَذَا غَيْرُكُمْ مِنْ سَائِرِ النُّـ ... ـظَّارِ فِي الآفَاقِ والأزْمَانِ

تِسْعُونَ وَجْهاً بَيَّنَتْ بُطْلاَنَهُ ... لَوْلاَ القَرِيضُ لَسُقْتُهَا بِوزَانِ

يَا قَوْمُ أيْنَ الرَّبُّ أيْنَ كَلاَمُهُ ... أيْنَ الرَّسُولُ فَأوْضِحُوا بِبَيَانِ

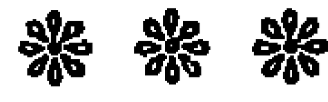
مَا فَوْقَ عَرْشِ الرَّبِّ مَنْ هُوَ قَائِلٌ ... طَهَ وَلاَ حَرْفاً مِنَ القُرْآنِ

وَلَقَدْ شَهِدتُمْ أنَّ هَذَا قَوْلُكُمْ ... واللَّهُ يَشْهَدُ مَعْ أولِي الإيمَانِ

وَارَحْمَتَاهُ لَكُمْ غَبِنْتُمْ حَظَّكُمْ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيمَانِ
ونَسَبْتُمُ لِلْكُفْرِ أَوْلَى مِنْكُمُ بِاللَّهِ والإِيمَانِ والقُرْآنِ
هَذِي بِضَاعَتُكُمْ فَمَنْ يَسْتَامُهَا فَقَدِ ارْتَضَى بِالجَهْلِ والخُسْرَانِ
وَتَمَامُ هَذَا قَوْلُكُم فِي مَبْدإٍ وَمَعَادِنَا أَعْنِي المَعَادَ الثَّانِي
وَتَمَامُ هَذَا قَوْلُكُمْ بِفَنَاءِ دَا رِ الخُلْدِ فَالدَّارَانِ فَانِيَتَانِ
يَا قَوْمَنَا بَلَغَ الوُجودُ بأسرِهِ الدُّ نْيَا مَعَ الأُخْرَى مَعَ الإِيمَانِ
والخَلْقَ والأَمْرَ المنزَّلَ والجزَا وَمَنَازِلَ الجَنَّاتِ والنِّيرَانِ
والنَّاسُ قَدْ ورِثُوهُ بَعْدُ فَمِنْهُمُ ذُو السَّهْمِ والسَّهْمينِ والسُّهْمَانِ
بِئْسَ الموَرِّثُ والموَرَّثُ والتُّرا ثُ ثَلاثَةٌ أَهْلٌ لِكُلِّ هَوَانِ
يَا وَارِثِينَ نَبِيَّهُمْ بُشْرَاكُمُ مَا إِرْثُكُمْ مَعَ إِرْثِهِمْ سِيَّانِ
شَتَّانَ بَيْنَ الوَارِثِينَ وَبَيْنَ مَوْ رُوثَيْهِمَا وَسِهَامِ ذِي سَهْمَانِ
يَا قَوْمَ ما صَاحَ الأَئِمَّةُ جَهْدَهُمْ بِالجَهْمِ مِنْ أَقْطَارِهَا بِأَذَانِ
إلاَّ لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ أَقْوَالِهِ وَمآلِهَا بِحَقِيقَةِ العِرْفَانِ
قَولُ الرسُولِ وقولُ جَهْمٍ عِنْدَنَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجتَمِعَانِ
نَصَحُوكُمُ واللَّهِ جَهْدَ نَصِيحَةٍ مَا فِيهِمُ واللَّهِ مِنْ خوَّانِ
فَخُذُوا بِهَدْيِهِمُ فَرِبِّي ضَامِنٌ وَرَسُولُهُ أَنْ تَفْعَلُوا بِجِنَانِ
فَإِذَا أَبِيتُمْ فَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وانْقَادَ لِلقُرْآنِ
سِيرُوا عَلَى نُجُبِ العَزَائِمِ وَاجْعَلُوا بِظُهُورِهَا المسْرَى إِلَى الرَّحْمٰنِ
سَبَقَ المفَرِّدُ وَهْوَ ذَاكِرُ رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ لَيْسَ ذَا نِسْيَانِ
لَكِنْ أَخُو الغَفَلاتِ مُنْقَطِعٌ بِهِ بَيْنَ المفَاوِزِ تَحْتَ ذِي الغِيلاَنِ
صَيْدُ السِّبَاعِ وَكُلِّ وَحْشٍ كَاسِرٍ بِئسَ المضِيفُ لأَعْجَزِ الضِيفَانِ
وَكَذلِكَ الشَّيْطَانُ يَصْطَادُ الَّذِي لاَ يَذْكُرُ الرحْمٰنَ كُلَّ أَوَانِ
والذكْرُ أَنْوَاعٌ فَأَعْلَى نَوعِهِ ذِكْرُ الصِّفَاتِ لِربِّنَا المنَّانِ
وثُبُوتُهَا أَصْلٌ لِهَذَا الذكرِ والنْـ ـنَافِي لَهَا دَاعٍ إِلَى النِّسْيَانِ
فَلِذَاكَ كَانَ خَلِيفَةَ الشَّيْطَانِ ذَا لاَ مَرْحَباً بِخَلِيفَةِ الشَّيْطَانِ

والذَّاكِرُونَ عَلَى مَراتِبِهِمْ فأعْـ   ـلاَهُمْ أولُو الإِيمَانِ والعرْفَانِ
بِصِفَاتِه العُلْيَا إذا قَامُوا بِحَمْـ   ـدِ اللَّه فِي سرٍّ وفَي إعْلاَنِ
وَأخَصُّ أَهْلِ الذِّكْرِ بالرَّحْمٰنِ أَعْـ   ـلَمُهُمْ بِهَا هُمْ صَفْوَةُ الرَّحْمٰنِ
وَكَذَاكَ كَانَ محمَّدٌ وأبُوهُ إبْـ   ـرَاهِيمُ والمولُودُ مِنْ عِمْرَانِ
وَكَذَاكَ نُوحٌ وَابْنُ مَرْيَمَ عِنْدَنَا   هُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنَ الإِنْسَانِ
وُهُمُ أولُو العزْمِ الذين بِسُورةِ الْـ   أَحْزَابِ والشُّورَى أَتَوْا بِبَيَانِ
وَكذلِكَ القُرْآنُ مَمْلوءٌ مِنَ الْـ   أَوْصَافِ وَهْيَ القَصْدُ بالقُرْآنِ
لِيَصِيرَ مَعْرُوفاً لَنَا بِصِفَاتِهِ   وَيَصِيرَ مَذْكُوراً لَنَا بِجَنَانِ
وَلِسَانِ ايْضاً مَعْ مَحبَّتِنَا لَهُ   فلأجْلِ ذَا الإِثْبَاتُ فِي الإِيمَانِ
مِثْلُ الأسَاسِ مِنَ البِنَاءِ فَمَنْ يرُمْ   هَدْمَ الأَسَاسِ فكيفَ بالبُنْيَانِ
واللَّهِ مَا قَامَ البِنَاءُ لِدِينِ رُسْـ   ـلِ اللَّهِ بالتَّعْطِيلِ للديَّانِ
مَا قَامَ إلاَّ بالصِّفَاتِ مُفَصَّلاً   إثْباتُهَا تَفْصِيلَ ذِي عِرْفَانِ
فَهِيَ الأَسَاسُ لدِينِنَا ولِكُلِّ ديـ   ـنٍ قَبْلَهُ مِنْ سَائِرِ الأدْيَانِ
وَكَذَاكَ زَنْدَقَةُ العِبَادِ أَسَاسُهَا التَّـ   ـعْطِيلُ يَشْهَدُ ذَا أولُو العِرْفَانِ
وَاللَّهِ مَا فِي الأرْضِ زَنْدَقَةٌ بدَتْ   إلا مِنَ التَّعْطِيلِ والنُّكْرانِ
واللَّهِ مَا فِي الأرضِ زنْدَقَةٌ بَدَتْ   مِنْ جَانِبِ الإثْبَاتِ والقُرْآنِ
هَذِي زَنَادِقَةُ العِبَادِ جَمِيعُهُمْ   وَمُصَنَّفَاتُهُمْ بِكُلِّ مَكَانِ
مَا فِيهِمُ أحَدٌ يَقُولُ اللَّهُ فو   قَ العَرْشِ مُسْتَولٍ عَلَى الأكْوانِ
وَيقولُ إنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلالُهُ   مُتَكَلِّمٌ بالوَحْيِ والقُرْآنِ
وَيقولُ إنَّ اللَّهَ كَلَّمَ عَبْدَهُ   مُوسَى فأَسْمَعَهُ بِذِي الآذَانِ
وَيقُولُ إنَّ النَّقْلَ غَيْرُ مُعَارِضٍ   لِلعَقْلِ بَلْ أمْرَانِ متَّفِقَانِ
والنَّقْلُ جَاءَ بِمَا يَحَارُ العقْلُ فِيـ   ـهِ لاَ بالمحَالِ البيِّنِ البُطْلاَنِ
فانظُرْ إلَى الجَهْمِيِّ كَيْفَ أَتَى إلَى   أسِّ الهُدَى وَمعَاقِلِ الإِيمَانِ
بِمعَاوِلِ التَّعْطِيلِ يقْطَعُهَا فَمَا   يُبْقِي عَلَى التَّعْطِيلِ مِنْ إيمَانِ
يَدْرِي بِهَذا عَارفٌ بِمآخِذِ الْـ   أَقْوَالِ مُضْطَلِعٌ بِهَذَا الشَّانِ

والـلَّـهِ لـوْ حَـدَّقْـتـمْ لـرَأيـتُـمُ ... هَـذَا وأعْـظَـمَ مِـنْـهُ رَأيَ عِـيَـانِ
لَـكِـنْ عَـلَـى تِـلْـكَ الـعُـيُـونِ غِـشَـاوَةٌ ... مَـا حِـيـلَـةُ الـكَـحَّـالِ فِـي الـعُـمْـيَـانِ



فصلٌ

في بهتِ أهلِ الشركِ والتعطيلِ في رميهم أهلَ التوحيدِ والإثباتِ بتنقيصِ الرسولِ

قَـالُـوا تَـنَـقَّـصْـتُـمْ رَسُـولَ الـلَّـهِ وَا ... عَـجَـبـاً لِـهَـذَا الـبَـغْـيِ والـبُـهْـتَـانِ
عَـزَلُـوهُ أَنْ يُـحْـتَـجَّ قَـطُّ بِـقَـوْلِـهِ ... فِـي الـعِـلْـمِ بـالـلَّـهِ الـعَـظِـيـمِ الـشَّـانِ
عَـزَلُـوا كَـلاَمَ الـلَّـهِ ثـمَّ رَسُـولِـهِ ... عَـنْ ذَاكَ عَـزْلاً لَـيْـسَ ذَا كِـتْـمَـانِ
جَـعَـلُـوا حَـقِـيـقَـتَـهُ وَظَـاهِـرَهُ هُـوَ الْـ ... كُـفْـرُ الـصَّـرِيـحُ الـبـيِّـنُ الـبُـطْـلاَنِ
قَـالـوا وَظَـاهِـرُهُ هُـوَ الـتَّـشْـبِـيـهُ والـتْـ ... تَـجْـسِـيـمُ حَـاشَـا ظَـاهِـرَ الـقُـرْآنِ
مَنْ قَـالَ فِـي الـرَّحْـمٰـنِ مَـا دلَّـتْ عَـلـيـ ... ـهِ حَـقِـيـقَـةُ الأَخْـبَـارِ والـفُـرْقَـانِ
فَـهـوَ الـمـشَـبِّـهُ والـمـمَـثِّـلُ والـمـجَـسْـ ... ـسِـمُ عَـابِـدُ الأوثَـانِ لاَ الـرَّحْـمٰـنِ
تَـالـلَّـهِ قَـدْ مُـسِـخَـتْ عُـقُـولُـكُـمُ فَـلَـيْـ ... ـسَ وَرَاءَ هَـذَا قَـطُّ مِـنْ نُـقْـصَـانِ
وَرَمَـيْـتُـمُـو حِـزْبَ الـرسُـولِ وَجُـنْـدَهُ ... بِـمُـصَـابِـكُـمْ يَـا فِـرْقَـةَ الـبُـهْـتَـانِ
وجَـعَـلْـتُـمُ الـتَّـنْـقِـيـصَ عَـيْـنَ وِفَـاقِـهِ ... إذْ لَـمْ يُـوافِـقْ ذَاكَ رَأْيَ فُـلاَنِ
أَنْـتُـمْ تَـنَـقَّـصْـتُـمْ إلٰـهَ الـعَـرْشِ والـ ... قُـرْآنَ والـمـبـعُـوثَ بـالـقُـرْآنِ
نَـزَّهْـتُـمُـوهُ عَـنْ صِـفَـاتِ كَـمَـالِـهِ ... وَعَـنِ الـكَـلاَمِ وَفَـوْقَ كُـلِّ مَـكَـانِ
وَجَـعَـلْـتُـمُ ذَا كـلَّـهُ الـتَّـشْـبِـيـهَ والـتْـ ... تَـمْـثِـيـلَ والـتَّـجْـسِـيـمَ ذَا الـبطْـلاَنِ
وَكـلامـكُـمْ فِـيـهِ الـشِّـفَـاءُ وغَـايَـةُ الـتْـ ... تَـحْـقِـيـقِ يَـا عَـجَـبـاً لِـذَا الـخُـذْلاَنِ
جَـعَـلُـوا عُـقُـولَـهُـمُ أحَـقَّ بـأخْـذِ مَـا ... فِـيـهَـا مِـنَ الأخْـبَـارِ والـقُـرْآنِ
وَكَـلاَمُـهُ لاَ يُـسْـتَـفَـادُ بِـهِ الـيَـقِـيـ ... ـنُ لأجْـلِ ذَا لاَ يَـقْـبَـلُ الـخَـصْـمَـانِ
تَـحْـكِـيـمَـهُ عِـنْـدَ اخْـتِـلاَفِـهِـمَـا بَـلِ الْـ ... ـمَـعْـقُـولَ ثـمَّ الـمـنْـطِـقَ الـيُـونَـانِـي
أيُّ الـتَّـنـقُّـصِ بَـعْـدَ ذَا لـوْلاَ الـوَقَـا ... حَـةُ والـجَـرَاءَةُ يـا أولِـي الـعُـدْوانِ

يَـا مَـنْ لَـهُ عَـقْـلٌ ونُـورٌ قَـدْ غَـدَا ... يَـمْشِـي بِـهِ فِـي النَّـاسِ كُـلَّ زَمَـانِ

لَـكِـنَّـنَـا قُـلْـنَـا مَـقَـالَـةَ صَـارِخٍ ... فِـي كُـلِّ وَقْـتٍ بَـيْـنَـكُـمْ بـأذَانِ

الـرَّبُّ رَبٌّ والـرَّسُـولُ فَـعَـبْـدُهُ ... حَـقّـاً وَلَـيْـسَ لَـنَـا إِلَـهٌ ثَـانِ

فَلِذَاكَ لَمْ نَعْبُدْهُ مِثْلَ عِبَادَةِ الرْ ... رَحْمٰنِ فِعْلِ المشْرِكِ النَّصْرانِي

كَلاًّ وَلَمْ نَغْلُ الغُلُوَّ كَمَا نَهَى ... عَنْهُ الرَّسُولُ مَخَافَةَ الكُفْرانِ

لِلَّهِ حَقٌّ لاَ يَكُونُ لِغَيْرِهِ ... وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ هُمَا حَقَّانِ

لاَ تَجْعَلُوا الحَقَّيْنِ حَقّاً وَاحِداً ... مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ وَلاَ فُرْقَانِ

فَالحَجُّ لِلرَّحْمٰنِ دُونَ رَسُولِهِ ... وَكَذَا الصَّلاَةُ وذبحُ ذَا القُرْبانِ

وَكَذَا السُّجُودُ وَنَذْرُنَا ويَمِينُنَا ... وَكَذَا مَتَابُ العَبْدِ مِنْ عِصْيَانِ

وَكَذَا التَّوَكُّلُ والإِنَابَةُ والتُّقَى ... وَكَذَا الرَّجَاءُ وَخَشْيَةُ الرَّحْمٰنِ

وكَذَا العِبَادَةُ واسْتِعانَتُنَا بِهِ ... إياكَ نَعْبُدُ ذَانِ تَوْحِيدَانِ

وَعَلَيْهِمَا قَامَ الوُجُودُ بِأَسْرِهِ ... دُنْيَا وأُخْرَى حَبَّذَا الرُّكْنَانِ

وَكذلِكَ التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ والتْ ... تَهْلِيلُ حَقُّ إِلٰهِنَا الدَّيَّانِ

لكنَّمَا التَّعْزِيرُ والتَّوقِيرُ حَقْ ... قٌ لِلرَّسُولِ بِمقْتَضَى القُرْآنِ

والحُبُّ والإِيمَانُ والتَّصْدِيقُ لاَ ... يَخْتَصُّ بَلْ حقَّانِ مشْتَرِكَانِ

هَذِي تَفَاصِيلُ الحُقُوقِ ثَلاَثَةٌ ... لاَ تَجْهَلُوهَا يَا أُولِي العُدْوانِ

حَقُّ الإِلٰهِ عِبَادَةٌ بِالأَمْرِ لاَ ... بِهَوَى النُّفُوسِ فَذَاكَ لِلشَّيْطَانِ

مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكٍ بِهِ شَيْئاً هُمَا ... سَبَبَا النَّجَاةِ فَحَبَّذَا السَّبَبَانِ

ورَسُولُهُ فهْوَ المُطَاعُ وقَوْلُهُ الْـ ... ـمَقْبُولُ إِذْ هُوَ صَاحِبُ البُرْهَانِ

والأَمْرُ مِنْهُ الحَتْمُ لاَ تَخْيِيرَ فِيـ ... ـهِ عِنْدَ ذِي عَقْلٍ وَذِي إِيمَانِ

مَنْ قَالَ قَوْلاً غَيْرَهُ قُمْنَا عَلَى ... أَقْوَالِهِ بِالسَّبْرِ والمِيزَانِ

إنْ وَافَقَتْ قَولَ الرسُولِ وحُكْمَهُ ... فَعَلَى الرؤوس تُشَالُ كالتِّيجَانِ

أَوْ خَالَفَتْ هَذَا رَدَدْنَاهَا عَلَى ... مَنْ قَالَهَا مَنْ كَانَ مِنَ إنسَانِ

أَوْ أُشْكِلَتْ عَنَّا تَوَقَّفْنَا وَلَمْ ... نَجْزِمْ بِلاَ عِلْمٍ وَلاَ بُرْهَانِ

هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ عِلْمُنَا ... وَبِهِ نَدِينُ اللَّهَ كُلَّ أَوَانِ

فَهوَ المطَاعُ وأمرُهُ العَالِي عَلَى أمْرِ الوَرَى وأوَامِرِ السُّلْطَانِ
وَهُوَ المقَدَّمُ فِي مَحبَّتِنَا عَلَى الْـ أهلِينَ والأزوَاجِ والوِلْدَانِ
وَعَلَى العِبَادِ جَمِيعِهِمْ حَتَّى عَلَى النْـ ـنَفْسِ التِي قَدْ ضَمَّهَا الجَنْبَانِ
وَنظِيرُ هَذَا قَوْلُ أَعْدَاءِ المسِيـ ـحِ مِنَ النَّصَارى عَابِدِي الصُّلْبَانِ
إنَّا تَنَقَّصْنَا المسِيحَ بِقَوْلِنَا عَبْدٌ وذَلِكَ غَايَةُ النقْصَانِ
لَوْ قُلْتُمُ وَلَدٌ إلهٌ خَالِقٌ وَفَّيتُمُوهُ حَقَّهُ بِوزَانِ
وَكَذاكَ أشْبَاهُ النَّصَارى قَدْ غَلَوْا فِي دِينِهِمْ بالجَهْلِ والطُّغيَانِ
صَاروا مُعَادِينَ الرَّسُولَ وَدِينَنَا فِي صُورَةِ الأحْبَابِ والإِخْوَانِ
فانظُرْ إلَى تَبْدِيلِهِمْ تَوْحِيدَهُ بالشِّرْكِ والإِيمَان بالكُفْرَانِ
وانظُرْ إلَى تَجْرِيدِهِ التَّوحِيدَ مِنْ أسْبَابِ كُلِّ الشِّرْكِ بالرَّحْمنِ
وَاجمعْ مَقَالَتَهُمْ وَمَا قَدْ قَالَهُ وَاسْتَدعِ بالنُّقَّادِ والوَزَّانِ
عَقْلٍ وَفِطْرَتِكَ السَّلِيمَةِ ثُم زِنْ هَذَا وذَا لاَ تَطْغَ فِي الميزَانِ
فَهُنَاكَ تَعْلَمُ أيُّ حِزْبَيْنَا هُوَ الـ ـمتَنَقِّصُ المنصُوصُ ذُو العُدْوانِ
رَامِي البَرِيءِ بدَائِهِ ومُصَابِهِ فِعْلَ المُبَاهِتِ أوْقَحِ الحَيَوانِ
كمعيِّرٍ للنَّاسِ بالزغَلِ الَّذِي هُوَ ضَرْبُهُ فاعْجَبْ لِذِي البُهْتَانِ
يا فِرقَةَ التَّنقِيصِ بَلْ يا أُمَّةَ الدْ دَعْوَى بِلاَ عِلْمٍ وَلاَ عِرْفَانِ
وَاللَّهِ مَا قدَّمتُمُ يَوماً مَقَا لَتَهُ عَلَى التَّقْلِيدِ للإِنْسَانِ
واللَّهِ مَا قَالَ الشُّيوخ وَقَالَ إلْـ ـلاَ كُنتُمُ مَعَهُمْ بِلاَ كِتْمَانِ
واللَّهِ أَغْلاَطُ الشُّيوخِ لَدَيْكُمُ أوْلَى مِنَ المعْصُوم بالبُرْهَانِ
وَكَذَا قَضَيْتُمْ بالَّذِي حَكَمَتْ بِهِ جهْلاً عَلَى الأخْبَارِ والقُرْآنِ
واللَّهِ إنَّهُمُ لَدَيْكُمْ مِثْلُ مَعْـ ـصُوم وَهَذَا غَايَةُ الطُّغيَانِ
تَبّاً لَكُمْ مَاذَا التَّنَقُّصُ بَعْدَ ذَا لَوْ تَعْرِفُونَ العَدْلَ مِنْ نُقْصَانِ
واللَّهِ مَا يُرْضِيهِ جَعْلُكُمُ لَهُ تُرْساً لِشِرْكِكُمُ ولِلْعُدْوانِ
وَكَذَاكَ جَعْلُكُمُ المشَايِخَ جُنَّةً بخِلاَفِهِ والقَصْدُ ذُو تبيَانِ
واللَّهُ يَشْهَدُ ذَا بِجِذْرِ قلُوبِكُمْ وَكَذَاكَ يشْهَدُهُ أولُو الإِيمَانِ

وَاللَّهِ مَا عَظَّمْتُمُوهُ طَاعَةً … وَمَحَبَّةً يَا فِرْقَةَ العِصْيَانِ
أَنَّى وَجَهْلُكُمُ بِهِ وَبِدِينِهِ … وَخِلاَفُكُمْ لِلوَحْيِ مَعْلُومَانِ
أَوْصَاكُمُ أَشْيَاخُكُمْ بِخِلاَفِهِمْ … لِوِفَاقِهِ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ
خَالَفْتُمُ قَولَ الشُّيوخِ وَقَوْلَهُ … فَغَدَا لَكُمْ خُلْفَانِ مُتَّفِقَانِ
وَاللَّهِ أَمْرُكُمُ عَجِيبٌ مُعْجِبٌ … ضِدَّانِ فِيكُمْ لَيْسَ يَتَّفِقَانِ
تَقْدِيمُ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَيْهِ مَعْ … هَذَا الغُلُوِّ فَكَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
كَفَّرتُمُ مَنْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ جَهْـ … ـلاً مِنْكُمُ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ
لَكِنْ تَجَرَّدْتُم لِنَصْرِ الشِّرْكِ وَالْـ … ـبِدَعِ المُضِلَّةِ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ
وَاللَّهِ لَمْ نَقصِدْ سِوَى التَّجْرِيدِ لِلتَّـ … ـوحِيدِ ذَاكَ وَصِيَّةُ الرَّحْمَٰنِ
وَرِضَا رَسُولِ اللَّهِ مِنَّا لاَ غُلُوْ … ـوَ الشِّرْكِ أَصْلِ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ
وَاللَّهِ لَوْ يَرْضَى الرَّسُولُ دُعَاءَنَا … إِيَّاهُ بَادَرْنَا إِلَى الإِذْعَانِ
وَاللَّهِ لَوْ يَرْضَى الرَّسُولُ سُجُودَنَا … كُنَّا نَخِرُّ لَهُ عَلَى الأَذْقَانِ
وَاللَّهِ مَا يُرْضِيهِ مِنَّا غَيْرُ إِخْـ … ـلاَصٍ وَتَحْكِيمٍ لِذَا القُرْآنِ
وَلَقَدْ نَهَى ذَا الخَلْقَ عَنْ إِطْرَائِهِ … فِعْلَ النَّصَارَى عَابِدِي الصُّلْبَانِ
وَلَقَدْ نَهَانَا أَنْ نُصَيِّرَ قَبْرَهُ … عِيداً حَذَارِ الشِّرْكِ بِالرَّحْمَٰنِ
وَدَعَا بِأَلاَّ يُجْعَلَ القَبْرُ الَّذِي … قَدْ ضَمَّهُ وَثَناً مِنَ الأَوْثَانِ
فَأَجَابَ رَبُّ العَالَمِينَ دُعَاءَهُ … وَأَحَاطَهُ بِثَلاَثَةِ الجُدْرَانِ
حَتَّى اغْتَدَتْ أَرْجَاؤُهُ بِدُعَائِهِ … فِي عِزَّةٍ وَحِمَايَةٍ وَصِيَانِ
وَلَقَدْ غَدَا عِنْدَ الوَفَاةِ مُصَرِّحاً … بِاللَّعْنِ يَصْرُخُ فِيهِمُ بِأَذَانِ
وَعَنَى الأُلَى جَعَلُوا القُبُورَ مَسَاجِداً … وَهُمُ اليَهُودُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانِ
وَاللَّهِ لَوْلاَ ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ … لَكِنَّهُمْ حَجَبُوهُ بِالحِيطَانِ
قَصَدُوا إِلَى تَسنِيمِ حُجْرَتِهِ لِيَمْـ … ـتَنِعَ السُّجُودُ لَهُ عَلَى الأَذْقَانِ
قَصَدُوا مُوَافَقَةَ الرَّسُولِ وَقَصْدَهُ التَّـ … ـجْرِيدَ لِلتَّوْحِيدِ لِلرَّحْمَٰنِ
يَا فِرْقَةً جَهِلَتْ نُصُوصَ نَبِيِّهِمْ … وَقُصُودَهُ وَحَقِيقَةَ الإِيمَانِ
فَسَطَوْا عَلَى أَتْبَاعِهِ وَجُنُودِهِ … بِالبَغْيِ وَالعُدْوانِ وَالبُهْتَانِ

لاَ تعجَلوا وتَبَيَّنُوا وَتَثَبَّتُوا … فمُصَابُكُمْ مَا فِيهِ مِنْ حَيْرَانِ
قُلْنَا الَّذِي قَالَ الأئمَةُ قَبْلَنَا … وَبِهِ النُّصُوصُ أتَتْ عَلَى التِّبْيَانِ
القَصْدُ حَجُّ البيْتِ وَهْوَ فَرِيضَةُ الرْ … ـرَحْمٰنِ وَاجِبَةٌ عَلَى الأعْيَانِ
وَرِحَالُنَا شُدَّتْ إِلَيْهِ مِنْ بِقَا … عِ الأَرْضِ قَاصِيهَا كَذَاكَ الدَّانِي
مَنْ لَمْ يَزُرْ بَيْتَ الإلٰهِ فَمَا لَهُ … مِنْ حَجِّهِ سَهْمٌ وَلاَ سَهْمَانِ
وَكَذَا نَشُدُّ رِحَالَنَا لِلمَسْجِدِ النْـ … ـنَبَوِيِّ خَيْرِ مَسَاجِدِ البُلْدَانِ
مِنْ بَعْدِ مَكَّةَ أَوْ عَلَى الإِطْلاَقِ فِيـ … ـهِ الخُلْفُ بَيْنَ القَوْمِ مُنْذُ زَمَانِ
وَنَراهُ عِنْدَ النَّذْرِ فَرْضاً لكِنِ النْـ … ـنُعْمَانُ يَأبَى ذَا ولِلنُّعْمَانِ
أَصْلٌ هُوَ النَّافِي الوُجُوبَ فإنَّهُ … مَا جِنْسُهُ فرْضاً عَلَى الإنْسَانِ
وَلَنَا بَراهِينٌ تَدُلُّ بأنَّهُ … بالنَّذْرِ مُفْتَرَضٌ عَلَى الإنْسَانِ
أَمْرُ الرَّسُولِ لِكُلِّ نَاذِرِ طَاعَةٍ … بِوفَائِهِ بالنَّذْرِ بالإِحْسَانِ
وَصَلاتُنَا فِيهِ بِألْفٍ مِنْ سِوَا … هُ مَا خَلاَ ذَا الحِجْرِ والأرْكَانِ
وَكَذَا صَلاةٌ فِي قِبَا فَكَعُمْرَةٍ … فِي أجْرِهَا والفَضْلُ لِلمنَّانِ
فإذَا أَتَيْنَا المسْجِدَ النَّبوِيَّ صلْـ … ـلَيْنَا التَّحِيَّةَ أَوَّلاً ثِنْتَانِ
بِتَمَامِ أرْكَانٍ لَهَا وَخُشُوعِهَا … وحُضُورِ قَلْبٍ فِعْلَ ذِي الإحْسَانِ
ثمَّ انْثَنَيْنَا لِلزِيَارةِ نَقْصِدُ الْـ … قَبْرَ الشَّرِيفَ وَلوْ عَلَى الأجْفَانِ
فَنَقُومُ دُونَ القَبْرِ وَقْفَةَ خَاضِعٍ … مُتَذَلِّلٍ فِي السِّرِّ والإعْلاَنِ
فَكَأنَّهُ فِي القَبْرِ حيٌّ نَاطِقٌ … فَالوَاقِفُونَ نَوَاكِسُ الأذْقَانِ
مَلَكَتْهُمُ تِلْكَ المهَابَةُ فاعْتَرَتْ … تِلْكَ القَوَائِمَ كَثْرَةُ الرَّجفَانِ
وَتَفَجَّرتْ تِلْكَ العُيُونُ بِمَائِهَا … وَلَطَالَمَا غَاضَتْ عَلَى الأزْمَانِ
وَأتَى المسَلِّمُ بالسَّلاَمِ بِهَيْبَةٍ … وَوَقَارِ ذِي عِلْمٍ وذِي إيمَانِ
لَمْ يَرْفَعِ الأصْوَاتَ حَوْلَ ضَرِيحِهِ … كَلاًّ وَلَمْ يَسْجُدْ عَلَى الأذْقَانِ
كَلاًّ وَلَمْ يُرَ طَائِفاً بِالقَبْرِ أسْـ … ـبُوعاً كَأنَّ القَبْرَ بَيْتٌ ثَانِ
ثُمَّ انْثَنَى بِدُعَائِهِ مُتَوجِّهاً … لِلّهِ نَحْوَ البيْتِ ذِي الأرْكَانِ
هـٰذِي زِيَارَةُ مَنْ غَدَا مُتَمَسِّكاً … بِشَرِيعَةِ الإسْلاَمِ والإِيمَانِ

مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ هَاتِيكَ الزِّيَا … رَةُ وَهْيَ يَوْمَ الحَشْرِ فِي المِيزَانِ
لاَ تَلْبِسُوا الحَقَّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ … سُنَنُ الرَّسُولِ بِأعظَمِ البُرْهَانِ
هَذِي زِيَارَتُنَا وَلَمْ نُنْكِر سِوَى الـ … بِدَعِ المضِلَّةِ يَا أُولِي العُدْوانِ
وَحَدِيثُ شَدِّ الرَّحْلِ نَصٌّ ثَابِتٌ … يَجِبُ المصِيرُ إِلَيْهِ بِالبُرْهَانِ



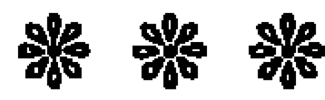
فصلٌ

في تعيين أنَّ اتِّباعَ السُّنَّةِ والقرآنِ طريقة النَّجاةِ منَ النِّيرَانِ

يَا مَنْ يُرِيدُ نَجَاتَهُ يَوْمَ الحِسَا … بِ مِنَ الجَحِيمِ وَمُوقَدِ النِّيرَانِ
اتْبَعْ رَسُولَ اللَّهِ فِي الأَقْوَالِ والْـ … أَعْمَالِ لاَ تَخْرُجْ عَنِ القُرآنِ
وَخُذِ الصَّحِيحَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا لِعِقْـ … دِ الدِّينِ والإِيمَانِ وَاسِطَتَانِ
وَاقْرأهُمَا بَعْدَ التَّجرُّدِ مِنْ هَوىً … وَتَعَصُّبٍ وَحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ
وَاجْعَلْهُمَا حَكَماً وَلاَ تَحْكُمْ عَلَى … مَا فِيهِمَا أَصْلاً بِقَوْلِ فُلاَنِ
وَاجْعَلْ مَقَالَتَهُ كَبَعْضِ مَقَالَةِ الْـ … أَشْيَاخِ تَنْصُرُهَا بِكُلِّ أَوانِ
وَانْصُرْ مَقَالَتَهُ كَنَصْرِكَ لِلَّذِي … قَلَّدْتَهُ مِنْ غَيْرِ مَا بُرْهَانِ
قَدْرُ رَسُولِ اللَّهِ عِنْدَكَ وَحْدَهُ … وَالقَوْلُ مِنْهُ إِلَيْكَ ذُو تِبْيَانِ
مَاذَا تَرَى فَرْضاً عَلَيْكَ مُعَيَّناً … إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَذَا إِيمَانِ
عَرْضَ الَّذِي قَالُوا عَلَى أَقْوَالِهِ … أَوْ عَكْسَ ذَاكَ فَذَانِكَ الأَمْرَانِ
هِيَ مَفْرِقُ الطُّرقَاتِ بَيْنَ طَرِيقِنَا … وَطَرِيقِ أَهْلِ الزَّيْغِ والعُدْوَانِ
قَدْرُ مَقَالاَتِ العِبَادِ جَمِيعِهِمْ … عَدَماً وَرَاجِعْ مَطْلَعَ الإِيمَانِ
واجْعَلْ جُلُوسَكَ بَيْنَ صَحْبِ مُحَمدٍ … وَتَلَقَّ مَعْهُمْ عَنْهُ بِالإِحْسَانِ
وَتَلَقَّ عَنْهُمْ مَا تَلَقَّوْهُ هُمُ … عَنْهُ مِنَ الإِيمَانِ والعِرْفَانِ
أَفَلَيْسَ فِي هَذَا بَلاَغُ مُسَافِرٍ … يَبْغِي الإلهَ وَجَنَّةَ الحَيَوانِ
لَولاَ التنَاوُشُ بَيْنَ هَذا الخَلْقِ مَا … كَانَ التفرُّقُ قَطُّ فِي الحُسْبَانِ

فَالرَّبُّ رَبٌّ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُ ... حَقٌّ وَفَهْمُ الحَقِّ مِنْهُ دَانِ
وَرَسُولُهُ قَدْ أَوْضَحَ الحَقَّ المبِيـ ... ـنَ بِغَايَةِ الإِيضَاحِ والتِّبْيَانِ
مَا ثَمَّ مِنْهُ فَوقَ كُلِّ نَصِيحَةٍ ... يَحْتَاجُ سَامِعُهَا إِلَى تِبْيَانِ
والنُّصْحُ مِنْهُ فَوْقَ كُلِّ نَصِيحَةٍ ... والعِلْمُ مأْخُوذٌ عَنِ الرحْمٰنِ
فلأَيِّ شيءٍ يَعْدِلُ البَاغِي الهُدَى ... عَنْ قَوْلِهِ لَوْلاَ عَمَى الخُذْلاَنِ
فَالنَّقْلُ عَنْهُ مُصَدَّقٌ وَالقَوْلُ مِنْ ... ذِي عِصْمَةٍ مَا عِنْدَنَا قَوْلاَنِ
وَالعَكْسُ عِنْدَ سِوَاهُ فِي الأمرَيْنِ يَا ... مَنْ يَهْتَدِي هَلْ يَسْتَوِي النَّقْلاَنِ
تَاللَّهِ قَدْ لاَحَ الصَّبَاحُ لِمِنْ لَهُ ... عَيْنَانِ نَحْوَ الفَجْرِ نَاظِرَتَانِ
وأَخُو العَمَايَةِ فِي عَمَايتِهِ يَقُو ... لُ اللَّيْلُ بَعْدُ أَيَسْتَوِي الرَّجُلاَنِ
تَاللَّهِ قَدْ رُفِعَتْ لَكَ الأعْلاَمُ إِنْ ... كُنْتَ المُشَمِّرَ نِلْتَ دَارَ أَمَانِ
وَإِذَا جَبُنْتَ وَكُنْتَ كَسْلاَنَاً فَمَا ... حُرِمَ الوُصُولَ إِلَيْه غَيْرُ جَبَانِ
فاقْدِمْ وَعِذْ بالوَصْلِ نَفْسَكَ واهْجُرِ الْـ ... ـمَقْطُوعَ مِنْهُ قَاطِعَ الإِنْسَانِ
عَنْ نَيْلِ مَقْصِدِهِ فَذَاكَ عَدُوُّهُ ... وَلَوَ انَّهُ مِنْهُ القَرِيبُ الدَّانِي

* * *



فصلٌ
في تيسيرِ السَّيرِ إلى اللَّهِ على المثبتينَ الموحدينَ وامتناعِهِ على المعطِّلينَ والمشركينَ

يَا قَاعِداً سَارَتْ بِهِ أَنْفَاسُهُ ... سَيْرَ البَرِيدِ وَلَيْسَ بِالذَّمَلاَنِ
حَتَّى مَتَى هَذا الرُّقَادُ وَقَدْ سَرَى ... وَفْدُ المَحَبَّةِ مَعْ أُولِي الإِحْسَانِ
وَحَدَتْ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ العُلَى ... لاَ حَادِيَ الرُّكْبَانِ والأَظْعَانِ
رَكِبُوا العَزَائِمَ واعْتَلَوْا بِظُهُورِها ... وَسَرَوْا فَمَا حَنُّوا إِلَى نُعْمَانِ
سَارُوا رُوَيْداً ثُمَّ جَاؤوا أَوَّلاً ... سَيْرَ الدَّلِيلِ يَؤمُّ بِالرُّكْبَانِ

سَارُوا بِإثْبَاتِ الصِّفَاتِ إلَيْهِ لاَ التْـ ـتَـعْـطِيـلِ والتَّحْرِيفِ والنُّكْرَانِ
عَرَفُوهُ بالأوصَافِ فامتَلأَتْ قُلُو بُـهُـمُ لَـهُ بالحُبِّ والإيـمَـانِ
فَتَطايَرتْ تِلكَ القُلُوبُ إلَيْهِ بالْـ أشْوَاقِ إذْ مُلِئَتْ مِنَ العِرْفَانِ
وَأشَدُّهُمْ حُبّاً لَـهُ أدراهُـمُ بِصِفَاتِهِ وحَقَائِقِ القُرْآنِ
فالحُبُّ يَتْبَعُ لِلشُّعورِ بِحَسْبِهِ يَقْوَى وَيَضعُفُ ذَاكَ ذُو تِبْيَانِ
وَلِذَاكَ كَانَ العَارِفُونَ صِفَاتِهِ أحْبَابَهُ هُمْ أهْلُ هَذَا الشَّانِ
وَلِذَاكَ كَانَ العَالِمونَ بِرَبِّهِمْ أحْبَابَهُ وَبِشِرْعَةِ الإيـمَانِ
وَلِذاكَ كَانَ المنكِرونَ لَهَا هُمُ الْـ أعْداءُ حَقّاً هُمْ أولُو الشَّنآنِ
وَلِذَاكَ كَانَ الجَاهِلُونَ بِذَا وذَا بُغَضَاءَهُ حَقّاً ذَوِي شَنآنِ
وحَيَاةُ قَلْبِ العَبْدِ فِي شَيْئينِ مَنْ يُرزَقْهُمَا يَحْيَا مَدَى الأزْمَانِ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الأخْرَى يَكُو نُ الحَيَّ ذَا الرِّضْوَانِ والإحْسَانِ
ذِكْرُ الإلـٰهِ وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ إشْـ رَاكٍ بِهِ وَهُمَا فَمُمْتَنِعَانِ
مِنْ صَاحِب التَّعْطِيلِ حَقّاً كَامْتِنَا عِ الطَّائِرِ المقْصُوصِ مِنْ طَيَرانِ
أيُحِبُّه مَنْ كَانَ يُنْكِرُ وَصْفَهُ وَعُلُوَّهُ وَكَلاَمَهُ بِقُرَانِ
لاَ وَالَّذِي حَقّاً عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى مُتَكَلِّماً بالوَحْيِ والفُرْقَانِ
اللَّهُ أكْبَرُ ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْ تِيهِ لِمَنْ يَرْضَى بِلاَ حُسْبَانِ
وَتَرَى المخَلَّفَ فِي الدِّيَارِ تَقُولُ ذَا إحْدَى الأثَافِي خُصَّ بالحِرْمَانِ
اللَّهُ أكْبَرُ ذَاكَ عَدْلُ اللَّهِ يَقْـ ـضِيهِ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ إنْسَانِ
وَلَهُ عَلَى هَذَا وَهَذَا الحَمْدُ فِي الْـ أولَى وفِي الأُخْرَى هُمَا حَمْدَانِ
حَمْدُ لِذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلاَلُهُ وَكَذَاكَ حَمْدُ العَدْلِ والإحْسَانِ
يَا مَنْ تَعِزُّ عَلَيْهِمُ أروَاحُهُمْ وَيَرَوْنَ غَبْناً بَيْعَهَا بِهَوَانِ
وَيَرَوْنَ خُسْراناً مُبِيناً بَيْعَهَا فِي إثْرِ كُلِّ قَبِيحَةٍ وَمُهَانِ
وَيَرَوْنَ مَيْدانَ التَّسَابُقِ بَارِزاً فيتارِكُونَ تَقَحُّمَ المَيْدَانِ
وَيَرَوْنَ أنْفَاسَ العِبَادِ عَلَيْهِمُ قَدْ أُحْصِيَتْ بالعَدِّ والحُسْبَانِ
وَيَرَوْنَ أنَّ أمَامَهُمْ يَوْمَ اللِّقَا لِلَّهِ مَسْألَتَانِ شَامِلَتَانِ

مَـاذَا عَـبَـدْتُـمْ ثُـمَّ مَـاذَا قَـدْ أَجَـبْـ ... ـتُـمْ مَـنْ أَتَـى بِـالـحَـقِّ والـبُـرْهَـانِ
هَـاتُـوا جَـوَابـاً لـلـسُّـؤَالِ وَهـيِّـئُـوا ... أَيْـضـاً صَـوَابـاً لـلـجَـوَابِ يَـدَانِ
وَتَـيـقَّـنُـوا أَنْ لَـيْـسَ يُـنْـجِـيـكُـمْ سِـوَى ... تَـجْـرِيـدِكُـمْ لِـحَـقَـائـقِ الإِيـمَـانِ
تَـجـرِيـدُكُـمْ تَـوْحِـيـدَهُ سُـبْـحَـانَـهُ ... عَـنْ شِـرْكَـةِ الـشَّـيْـطَـانِ والأَوْثَـانِ
وَكَـذَاكَ تَـجْـرِيـدُ اتِّـبَـاعِ رَسُـولِـهِ ... عَـنْ هَـذِهِ الآرَاءِ والـهَـذَيَـانِ
والـلَّـهُ مَـا يُـنْـجِـي الـفَـتَـى مِـنْ رَبِّـهِ ... شَـيءٌ سِـوَى هَـذَا بِـلاَ رَوَغَـانِ
يَـا ربِّ جَـرِّدْ عَـبْـدَكَ الـمِـسْـكِـيـنَ رَا ... جِي الفَضْلِ مِنْكَ وأَضْعَفَ العُبْدانِ
لَـمْ تَـنْـسَـهُ وَذَكَـرْتَـهُ فَـاجْـعَـلْـهُ لاَ ... يَـنْـسَـاكَ أَنْـتَ بَـدَأْتَ بِـالإِحْـسَـانِ
وبِه خَتَمْتَ فكُنْتَ أولَى بالجَمِيـ ... ـلِ وَبِالـثَّـنَـاءِ مِنَ الـجَـهُـولِ الـجَـانِي
فَـالـعَـبْـدُ لَـيْـسَ يَـضِـيـعُ بَـيْـنَ فَـوَاتِـحٍ ... وَخَـوَاتِـمٍ مِـنْ فَـضْـلِ ذِي الـغُـفْـرَانِ
أَنْـتَ الـعَـلِـيـمُ بِـهِ وَقَـدْ أَنْـشَـأْتَـهُ ... مِـنْ تُـرْبَـةٍ هِـيَ أَضْـعَـفُ الأَرْكَـانِ
كُـلٌّ عَـلَـيْـهَـا قَـدْ عَـلاَ وَهَـوتْ إِلَـى ... تَـحْـتَ الـجَـمِـيـعِ بِـذِلَّـةٍ وَهَـوَانِ
وَعَـلَـتْ عَـلَـيْـهَـا الـنَّـارُ حَـتَّـى ظَـنَّ أَنْ ... يَـعْـلُـو عَـلَـيْـهَـا الـخَـلْـقُ مِـنْ نِـيـرانِ
وَأَتَـى إِلَـى الأَبَـوَيْـنِ ظَـنّـاً أَنَّـهُ ... سَـيُـصَـيِّـرُ الأَبَـوَيْـنِ تَـحْـتَ دُخَـانِ
فَسَعَتْ إِلَى الأَبَوَيْنِ رحْمَتُكَ التي ... وَسِـعَـتْـهُـمَـا فَـعَـلاَ بِـكَ الأَبَـوَانِ
هَـذَا وَنَـحْـن بَـنُـوهُـمَـا وَحُـلُـومُـنَـا ... فِـي جَـنْـبِ حِـلْـمِـهِـمَـا لَـدَى الـمِـيـزَانِ
جُـزْءٌ يَـسِـيـرٌ والـعَـدُوُّ فَـوَاحِـدٌ ... لَـهُـمَـا وَأَعْـدَانَـا بِـلاَ حُـسْـبَـانِ
وَالضَّعْفُ مسْتَوْلٍ عَلَيْنَا مِنْ جَمِيـ ... ـعِ جِـهَـاتِـنَـا سِـيـمَـا مِـنَ الأَيـمَـانِ
يَـا رَبِّ مَـعْـذِرَةً إِلَـيْـكَ فَـلَـمْ يَـكُـنْ ... قَـصْـدُ الـعِـبَـادِ رُكُـوبَ ذَا الـعِـصْـيَـانِ
لَـكِـنْ نُـفُـوسٌ سَـوَّلَـتْـهُ وَغَـرَّهَـا ... هَـذَا الـعَـدُوُّ لَـهَـا غُـرُورَ أَمَـانِ
فَـتَـيـقَّـنَـتْ يَـا رَبِّ أَنَّـكَ وَاسِـعُ الْـ ... ـغُـفْـرَانِ ذُو فَـضْـلٍ وَذُو إِحْـسَـانِ
وَمَـقَـالُـنَـا مَـا قَـالَـهُ الأَبَـوَانِ قَـبْـ ... ـلِ مَـقَـالَـةِ الـعَـبْـدِ الـظَّـلُـوم الـجَـانِـي
نَحْنُ الأُلَى ظَلَمُوا وإِنْ لَمْ تَغْفِرِ الذْ ... ـذَنْـبَ الـعَـظِـيـمَ فَـنَـحْـنُ ذُو خُـسْـرَانِ
يَـا رَبِّ فَـانْـصُـرنَـا عَـلَـى الـشَّـيْـطَـانِ لَـيْـ ... ـسَ لَـنَـا بِـهِ لَـوْلاَ حِـمَـاكَ يَـدَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في ظهورِ الفرقِ بينَ الطائفتينِ وعدمِ التِبَاسِهِ إلا على مَنْ ليسَ بذي عينينِ

وَالفَرْقَ بَيْنَكُمُ وَبَيْنَ خُصُومِكُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ثَابِتٌ بِبَيَانِ
مَا أَنْتُمُ مِنْهُمْ وَلاَ هُمْ مِنْكُمُ شَتَّانَ بَيْنَ السَّعْدِ والدَّبْرَانِ
فَإِذَا دَعَوْنَا لِلقُرَانِ دَعَوْتُمُ لِلرَّأْيِ أَيْنَ الرَّأْيُ مِنْ قُرْآنِ
وَإذَا دَعَوْنَا لِلْحَدِيثِ دَعَوْتُمُ أَنْتُمْ إِلَى تَقْلِيدِ قَوْلِ فُلانِ
وَكذَا تَلَقَّيْنَا نُصُوصَ نَبِيِّنَا بِقَبُولِهَا بِالحَقِّ والإِذْعَانِ
مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ جَحْدٍ وَلاَ تَفْوِيضِ ذِي جَهْلٍ بِلاَ عِرْفَانِ
لَكِنْ بِإِعْرَاضٍ وَتَجْهِيلٍ وتأ وِيلٍ تَلَقَّيْتُمْ مَعَ النُّكْرَانِ
أنْكَرْتُمُوهَا جَهْدَكُمْ فَإِذَا أَتَى مَا لاَ سَبِيلَ لَهُ إِلَى نُكْرَانِ
أَعْرَضْتُمُ عَنْهُ وَلَمْ تَسْتَنْبِطُوا مِنْهُ هُدىً لِحَقَائِقِ الإِيمَانِ
فَإِذَا ابْتُلِيتُمْ مُكْرَهِينَ بِسَمْعِهَا فَوَّضْتُمُوهَا لاَ عَلَى العِرْفَانِ
لَكِنْ بِجَهْلٍ لِلَّذِي سِيقَتْ لَهُ تَفْوِيضَ إعْرَاضٍ وَجَهْلِ مَعَانِ
فَإِذَا ابْتُلِيتُمْ بِاحْتِجَاجِ خُصُومِكُمْ أوَّلْتُمُوهَا دَفْعَ ذِي صَولاَنِ
فَالجَحْدُ والإِعْرَاضُ والتَّأْوِيلُ والتـ ـتَجْهِيلُ حَظُّ النَّصِّ عِنْدَ الجَانِي
لَكِنْ لَدَيْنَا حَظُّهُ التَّسْلِيمُ مَعْ حُسْنِ القَبُولِ وَفَهْمِ ذِي الإِحْسَانِ



فصلٌ

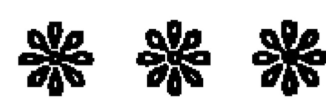
في التَّفاوتِ بينَ حظِّ المثبتينَ والمعطِّلينَ من وحي ربِّ العالمينَ

ولَنَا الحَقِيقَةُ مِنْ كَلاَمِ إلٰهِنَا وَنَصِيبُكُمْ مِنْهُ المَجَازُ الثَّانِي
وَقَوَاطِعُ الوَحْيَيْنِ شَاهِدَةٌ لَنَا وَعَلَيْكُمُ هَلْ يَسْتَوِي الأَمْرَانِ

وَأدِلَّةُ المَعْقُولِ شَاهِدَةٌ لَنَا أيضاً فَقَاضُونَا إلَى البُرْهَانِ
وَكَذاكَ فِطْرةُ رَبِّنَا الرحْمٰنِ شَاهِدَةٌ لَنَا أيضاً شُهُودَ بَيَانِ
وَكَذَاكَ إجْمَاعُ الصَّحَابَةِ والأُلَى تَبِعُوهُمُ بالعِلْمِ والإحْسَانِ
وَكَذاكَ إجْمَاعُ الأئِمَّةِ بَعْدَهُمْ هَذَا كَلامُهُمُ بِكُلِّ مَكَانِ
هَذِي الشهودُ فَهَلْ لَدَيْكُمْ أنْتُمُ مِنْ شَاهِدٍ بالنَّفْيِ والنُّكْرَانِ
وَجُنُودُنَا مَنْ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ وَجُنُودُكُمْ فَعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ
وَخِيَامُنَا مَضْرُوبَةٌ بِمَشَاعِرِ الْوَحْيَيْنِ مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرآنِ
وَخِيَامُكُمْ مَضْرُوبَةٌ بالتِّيهِ فالشُّكَّانُ كُلُّ مُلَدَّدٍ حَيْرَانِ
هَذِي شَهَادَتُهُمْ عَلَى مَحْصُولِهِمْ عِنْدَ المَمَاتِ وَقَوْلُهُمْ بِلِسَانِ
والله يَشْهَدُ أنَّهُمْ أيضاً كَذَا تَكْفِي شَهَادَةُ رَبِّنَا الرَّحْمٰنِ
وَلَنَا المَسَانِدُ والصِّحَاحُ وَهَذِهِ السُّنَنُ الَّتِي نَابَتْ عَنِ القُرْآنِ
وَلَكُمْ تَصَانِيفُ الكَلامِ وَهذِه الْآرَاءُ وَهْيَ كَثِيرَةُ الهَذَيَانِ
شُبَهٌ يُكَسِّرُ بَعْضُهَا بَعْضاً كَبَيْتٍ مِنْ زُجَاجٍ خَرَّ لِلأرْكَانِ
هَلْ ثَمَّ شَيءٌ غَيْرَ رأيٍ أوْ كَلاَم بَاطِلٍ أوْ مَنْطِقِ اليُونانِ
وَنَقُولُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ فِي كُلِّ تَصْنِيفٍ وَكُلِّ مَكَانِ
لَكِنْ تَقُولُوا قَالَ آرسْطُو وَقَالَ ابنُ الخَطِيبِ وَقَال ذُو العِرْفَانِ
شَيْخٌ لَكُمْ يُدْعَى ابنَ سِينَا لَمْ يَكُنْ مُتَقَيِّداً بالدِّينِ والإيمَانِ
وَخِيَارُ مَا تَأْتُونَ قَالَ الأشْعَرِيُّ وَتَشْهَدُونَ عَلَيْهِ بالبُهْتَانِ
فَالأشْعَرِيُّ مُقَرِّرٌ لِعُلُوِّ رَبِّ العَرْشِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الأكْوَانِ
فِي غَايَةِ التَّقْرِيرِ بالمَعْقُولِ والمَنْقُولِ ثُمَّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمٰنِ
هَذَا وَنَحْنُ فَتَارِكُو الآرَاء لِلنَّقْلِ الصَّحِيحِ وَمُحْكَمِ الفُرْقَانِ
لَكِنَّكُمْ بالعَكْسِ قَدْ صَرَّحْتُمُ وَوَضَعْتُمُ القَانُونَ ذَا البُهْتَانِ
وَالنَّفْيُ عِنْدَكُمُ عَلَى التَّفصِيلِ والْإثْبَاتُ إجْمَالاً بِلاَ نُكْرَانِ
وَالمثْبِتُونَ طَرِيقُهُمْ نَفْيٌ عَلَى الْإجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ بالتِّبْيَانِ
فَتَدبَّرُوا القُرْآنَ مَعْ مَنْ مِنْكُمَا وَشَهَادَةَ المَبْعُوثِ بالقُرْآنِ

وَعَرَضْتُمُ قَوْلَ الرَّسُولِ عَلَى الَّذِي قَالَ الشُّيُوخُ وَمُحْكَمَ الفُرْقَانِ
فَالمُحْكَمُ النَّصُّ الموَافِقُ قَوْلَهُمْ لاَ يَقْبَلُ التَّأويلَ فِي الأذْهَانِ
لَكِنَّمَا النَّصُّ المخَالِفُ قَوْلَهُمْ مُتَشَابِهٌ مُتَأَوَّلٌ بِمَعَانِ
وَإِذَا تَأَدَّبْتُمْ تَقُولُوا مُشْكِلٌ أَفَوَاضِحٌ يَا قَوْمُ رأيُ فَلانِ
وَاللَّهِ لَوْ كَانَ المُوَافِقُ لَمْ يَكُنْ مُتَشَابِهاً مُتَأَوَّلاً بِلِسَانِ
لَكِنْ عَرَضْنَا نَحْنُ أَقْوَالَ الشُّيُو خِ عَلَى الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الوَحْيَانِ
مَا خَالَفَ النَّصَّيْنِ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ شَيْئاً وقُلْنَا حَسْبُنَا النَّصَّانِ
وَالمشْكِلُ القَوْلُ المخَالِفُ عِنْدَنَا فِي غَايَةِ الإِشْكَالِ لاَ التِّبْيَانِ
وَالعَزْلُ والإِبقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى الْـ آرَاءِ عِنْدَكُمُ بِلاَ كِتْمَانِ
لَكِنْ لَدَيْنَا ذَاكَ مَرْجِعُهُ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ القُرْآنِ
وَالْكُفْرُ وَالإِسْلاَمُ عَيْنُ خِلاَفِهِ وِوِفَاقُهُ لاَ غَيْرُ بِالْبُرْهَانِ
وَالكُفْرُ عِنْدَكُمُ خِلاَفُ شُيُوخِكُمْ وِوِفَاقُهُمْ فَحَقِيقَةُ الإِيمَانِ
هَذِي سَبِيلُكُمُ وَتِلْكَ سَبِيلُنَا وَالموعِدُ الرَّحْمٰنُ بَعْدَ زَمَانِ
وَهُنَاكَ يُعْلَمُ أيُّ حِزْبَيْنَا عَلَى الْـ حَقِّ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الدَّيَّانِ
فَاصْبِرْ قَلِيلاً إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ فَإِذَا أُصِبْتَ فَفِي رِضَا الرَّحْمٰنِ
فَالقَوْمُ مِثْلُكَ يَأْلَمُونَ وَيَصْبِرُو نَ وَصَبْرُهُمْ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ

❋ ❋ ❋



في بيَانِ الاستغنَاءِ بالوحي المنزَّلِ من السماءِ عنْ تقليدِ الرِّجالِ والآراءِ

يَا طَالِبَ الحَقِّ المُبِينِ وَمُؤْثِراً عِلْمَ اليَقِينِ وَصِحَّةَ الإِيمَانِ
اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ خَبرَ الَّذِي عِنْدَ الوَرَى مُذْ شَبَّ حَتَّى الآنِ
مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ قَدْ شَدَّ مِيزَرهُ إِلَى الرَّحْمٰنِ
وَتَخَلُّلُ الفَتَرَاتِ لِلْعَزَمَاتِ أَمْـ ـرٌ لاَزِمٌ لِطَبِيعَةِ الإِنْسَانِ

وَتَوَلُّدُ النُّقْصَانِ مِنْ فَتَراتِهِ ... أَوَ لَيْسَ سَائِرُنَا بَنِي النُّقْصَانِ
طَافَ المذَاهِبَ يَبْتَغِي نُوراً لِيَهْـ ... ـدِيَهُ وَيُنْجِيَهُ مِنَ النِّيرانِ
وَكأنَّهُ قَدْ طَافَ يَبْغِي ظُلْمَةَ اللَّـ ... ـيْلِ البَهِيمِ وَمَذْهَبَ الحَيْرَانِ
وَاللَّيْلُ لاَ يَزْدَادُ إلا قُوَّةً ... وَالصُّبْحُ مَقْهُورٌ بِذِي السُّلْطَانِ
حَتَّى بَدَتْ فِي سَيْرِهِ نَارٌ عَلَى ... طُورِ المَدِينَةِ مَطْلَعِ الإِيمَانِ
فَأَتَى لِيقْبِسَهَا فَلَمْ يُمْكِنْهُ مَعْ ... تِلْكَ القُيُودِ مَنَالُهَا بِأَمَانِ
لَولاَ تَدَارَكَهُ الإِلهُ بِلُطْفِهِ ... وَلَّى عَلَى العَقِبَيْنِ ذَا نُكْصَانِ
لَكِنْ تَوَقَّفَ خَاضِعاً مُتَذَلِّلاً ... مُسْتَشْعِرَ الإِفْلاسِ مِنْ أَثْمَانِ
فَأَتَاهُ جُنْدٌ حَلَّ عَنْهُ قُيُودَهُ ... فَامْتَدَّ حِينَئِذٍ لَهُ البَاعَانِ
وَاللَّهِ لَوْلاَ أَنْ تُحَلَّ قُيُودُهُ ... وَتَزُولَ عَنْهُ رِبْقَةُ الشَّيْطَانِ
كَانَ الرُّقِيُّ إِلَى الثُّرَيَّا مُصْعِداً ... مِنْ دُونِ تِلْكَ النَّارِ فِي الإمْكَانِ
فَرَأَى بِتِلْكَ النَّارِ آطَامَ المدِيـ ... ـنَةِ كَالخِيَامِ تَشُوفُهَا العَيْنَانِ
وَرَأَى هُنَالِكَ كُلَّ هَادٍ مُهْتَدٍ ... يَدْعُو إِلَى الإِيمَانِ وَالإِيقَانِ
فَهُنَاكَ هَنَّأَ نَفْسَهُ مُتَذَكِّراً ... مَا قَالَهُ المشْتَاقُ مُنْذُ زَمَانِ
وَالمسْتَهَامُ عَلَى المحَبَّةِ لَمْ يَزَلْ ... حَاشَا لِذِكْرَاكُمْ مِنَ النِّسْيَانِ
لَوْ قِيلَ مَا تَهْوَى لَقَالَ مُبَادِراً ... أَهْوَى زِيَارَتَكُمْ عَلَى الأَجْفَانِ
تَاللَّهِ إنْ سَمَحَ الزَّمَانُ بِقُرْبِكُمْ ... وَحَلَلْتُ مِنْكُمْ بِالمَحَلِّ الدَّانِي
لأُعَفِّرَنَّ الخَدَّ شُكْراً فِي الثَّرى ... وَأَكَحِّلَنَّ بِتُرْبِكُمْ أَجْفَانِي
إنْ رُمْتَ تُبْصِرُ مَا ذَكَرْتَ فَغُضَّ طَرْ ... فاً عَنْ سِوَى الآثارِ والقُرْآنِ
واتْرِكْ رُسُومَ الخَلْقِ لاَ تَعْبأْ بِهَا ... فِي السَّعْدِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ دَبْرَانِ
حَدِّقْ لِقَلبكَ فِي النُّصُوصِ كَمِثْلِ مَا ... قَدْ حَدَّقُوا فِي الرَّأْيِ طُولَ زَمَانِ
وَاكحَلْ جُفُونَ القَلْبِ بِالوَحْيَينِ وَاحْـ ... ـذَرْ كُحْلَهُمْ يَا كَثْرَةَ العُمْيَانِ
فَاللَّهُ بَيَّنَ فِيهِمَا طُرُقَ الهُدَى ... لِعِبَادِهِ فِي أَحْسَنِ التِّبْيَانِ
لَمْ يُحْوِجِ اللَّهُ الخَلائِقَ مَعْهُمَا ... لِخَيَالِ فَلْتَانٍ وَرَأْيِ فُلاَنِ
فَالوَحْيُ كَافٍ لِلَّذِي يُعْنَى بِهِ ... شَافٍ لِدَاءِ جَهَالَةِ الإِنْسَانِ

وَتَفَاوُتُ العُلَمَاءِ فِي أَفْهَامِهِمْ   لِلْوَحْيِ فَوْقَ تَفَاوُتِ الأَبْدَانِ
وَالجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَشِفَاؤُهُ   أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيبِ مُتَّفِقَانِ
نَصٌّ مِنَ القُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةٍ   وَطَبِيبُ ذَاكَ العَالِمُ الرَّبَّانِي
وَالعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلاَثٌ مَا لَهَا   مِنْ رَابِعٍ وَالحَقُّ ذُو تِبْيَانِ
عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الإِلٰهِ وَفِعْلِهِ   وَكَذلِكَ الأَسْمَاءُ لِلرَّحْمٰنِ
وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ   وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ المَعَادِ الثَّانِي
وَالكُلُّ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي   جَاءَتْ عَنِ المَبْعُوثِ بِالفُرْقَانِ
وَاللَّهِ مَا قَالَ امْرُؤٌ مُتَحَذْلِقٌ   بِسِوَاهُمَا إِلاَّ مِنَ الهَذَيَانِ
إِنْ قُلْتُمُ تَقْرِيرُهُ فَمُقَرَّرٌ   بِأَتَمِّ تَقْرِيرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ
أَوْ قُلْتُمُ إِيضَاحُهُ فَمُبَيَّنٌ   بِأَتَمِّ إِيضَاحٍ وَخَيْرِ بَيَانِ
أَوْ قُلْتُمُ إِيجَازُه فَهوَ الَّذِي   فِي غَايَةِ الإِيجَازِ والتِّبْيَانِ
أَوْ قُلْتُمُ مَعْنَاهُ هَذَا فَاقْصِدُوا   مَعْنَى الخِطَابِ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ
أَوْ قُلْتُمُ نَحْنُ التَّرَاجِمُ فَاقْصِدُوا الـ   ـمَعْنَى بِلاَ شَطَطٍ وَلاَ نُقْصَانِ
أَوْ قُلْتُمُ بِخِلاَفِهِ فَكَلاَمُكُمْ   فِي غَايَةِ الإِنْكَارِ والبُطْلاَنِ
أَوْ قُلْتُمُ قِسْنَا عَلَيْهِ نَظِيرَهُ   فَقِيَاسُكُمْ نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ
نَوْعٌ يُخَالِفُ نَصَّهُ فَهوَ المُحَا   لُ وَذَاكَ عِنْدَ اللَّهِ ذُو بُطْلاَنِ
وَكَلاَمُنَا فِيهِ وَلَيْسَ كَلاَمُنَا   فِي غَيْرِهِ أَعْنِي القِيَاسَ الثَّانِي
مَا لاَ يُخَالِفُ نَصَّهُ فالنَّاسُ قَدْ   عَمِلُوا بِهِ فِي سَائِرِ الأَزْمَانِ
لَكِنَّهُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ لاَ يُصَا   رُ إِلَيْهِ إِلاَّ بَعْدَ ذَا الفِقْدَانِ
هَذَا جَوَابُ الشَّافِعِيِّ لأَحْمَدٍ   لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ إِمَامِ زَمَانِ
وَاللَّهِ مَا اضْطُرَّ العِبَادُ إِلَيهِ فِيـ   ـمَا بَيْنَهُمْ مِنْ حَادِثٍ بِزَمَانِ
فَإِذَا رَأَيْتَ النَّصَّ عَنْهُ سَاكِتاً   فَسُكُوتُهُ عَفْوٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ
وَهوَ المُبَاحُ إِبَاحَةَ العَفْوِ الَّذِي   مَا فِيهِ مِنْ حَرَجٍ وَلاَ نُكْرَانِ
فَأَضِفْ إِلَى هَذَا عُمُومَ اللَّفْظِ والْـ   ـمَعْنَى وَحُسْنَ الفَهْمِ فِي القُرْآنِ
فَهُنَاكَ تُصْبِحُ فِي غِنىً وَكِفَايَةٍ   عَنْ كُلِّ ذِي رَأْيٍ وَذِي حُسْبَانِ

وَمقَدَّرَاتُ الذِّهْنِ لَمْ يَضْمَنْ لَنَا ... تِبْيَانُهَا بالنَّصِّ والقُرآنِ
وَهيَ الَّتِي فِيهَا اعْتَراكَ الرأيِ مِنْ ... تَحْتِ العَجاجِ وَجَوْلَةِ الأذْهَانِ
لَكِنْ هُنَا أمْرَانِ لَوْ تَمَّا لَمَا احْـ ... تَجْنَا إلَيْهِ فَحَبَّذَا الأمْرَانِ
جَمْعُ النُّصُوصِ وَفَهْمُ مَعْنَاهَا المُرا ... دِ بِلَفْظِهَا وَالفَهْمُ مَرْتَبتَانِ
إحْدَاهُمَا مَدْلُولُ ذَاكَ اللَّفظ وَضْـ ... ـعاً أوْ لُزُوماً ثُمَّ هَذَا الثَّانِي
فِيهِ تَفَاوَتَتِ الفُهُومُ تَفَاوُتاً ... لَمْ يَنْضَبِطْ أبَداً لَهُ طَرَفَانِ
فَالشَّيءُ يَلْزَمُهُ لَوازِمُ جَمَّةٌ ... عِنْدَ الخَبِيرِ بِهِ وَذِي العِرْفَانِ
فَبِقَدْرِ ذَاكَ الخبرِ يُحْصِي مِنْ لَوَا ... زِمِهِ وَهَذَا وَاضِحُ التُّبْيَانِ
وَلِذَاكَ مَنْ عَرَفَ الكِتَابَ حَقِيقَةً ... عَرَفَ الوُجُودَ جَمِيعَهُ بِبَيَانِ
وَكَذَاكَ يَعْرِفُ جُمْلَةَ الشَّرْعِ الَّذِي ... يَحْتَاجُهُ الإنْسَانُ كُلَّ زَمَانِ
عِلْماً بِتَفْصِيلٍ وَعِلماً مُجْمَلاً ... تَفْصِيلُهُ أيْضاً بِوَحْيٍ ثَانِ
وَكِلاَهُمَا وَحْيَانِ قَدْ ضَمِنَا لَنَا ... أعْلَى العُلُومِ بِغَايَةِ التُّبْيَانِ
وَلِذَاكَ يُعرَفُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَالْـ ... أفْعَالِ والأسْمَاءِ ذِي الإحْسَانِ
مَا لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ كِتَابٍ غَيْرِهِ ... أبداً وَلاَ مَا قَالَتِ الثَّقَلاَنِ
وَكَذَاكَ يُعْرَفُ مِنْ صِفَاتِ البَعْثِ بالتْـ ... ـتَفْصِيلِ والإجْمَالِ فِي القُرْآنِ
مَا يَجْعَلُ اليَوْمَ العَظِيمَ مُشَاهَداً ... بِالقَلْبِ كالمَشْهُودِ رَأْيَ عِيَانِ
وَكَذَاكَ يُعْرَفُ مِنْ حَقِيقَةِ نَفْسِهِ ... وَصِفَاتِهَا بِحَقِيقَةِ العِرْفَانِ
يَعْرِفُ لَوَازِمَهَا وَيَعْرِفُ كَوْنَهَا ... مَخْلُوقَةً مَرْبُوبَةً بِبَيَانِ
وَكَذَاكَ يَعْرِفُ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الْـ ... ـحَاجَاتِ والإعْدَامِ والنُّقْصَانِ
وَكَذَاكَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَصِفَاتِهِ ... أيْضاً بِلاَ مِثْلٍ وَلاَ نُقْصَانِ
وَهُنَا ثَلاَثَةُ أوْجُهٍ فَافْطِنْ لَهَا ... إنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَذَا عِرْفَانِ
بِالضِّدِّ والأوْلَى كَذَا بِالامْتِنَا ... عِ لِعِلْمِنَا بِالنَّفْسِ والرَّحْمٰنِ
فَالضِّدُّ مَعْرِفَةُ الإلٰهِ بِضِدِّ مَا ... فِي النَّفْسِ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
وَحَقِيقَةُ الأوْلَى ثُبُوتُ كَمَالِهِ ... إذْ كَانَ مُعْطِيهِ عَلَى الإحْسَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في بيانِ شروطِ كفايةِ النصَّينِ والاستغناءِ بالوحيينِ

وَكِفَايَةُ النَّصَّيْنِ مَشْرُوطٌ بِتَجْـ ـرِيدِ التَّلَقِّي عَنْهُمَا لِمَعَانِ
وَكَذَاكَ مَشْرُوطٌ بِخَلْعِ قُيُودِهِمْ فَقُيُودُهُمْ غُلٌّ إِلَى الأَذْقَانِ
وَكَذَاكَ مَشْرُوطٌ بِهَدْمِ قَوَاعِدٍ مَا أُنْزِلَتْ بِبَيَانِهَا الوَحْيَانِ
وَكَذَاكَ مَشْرُوطٌ بِإِقْدَامٍ عَلَى الْـ آرَاءِ إِنْ عَرِيَتْ عَنِ البُرْهَانِ
بِالرَّدِّ والإِبْطَالِ لاَ تَعْبَأْ بِهَا شَيْئاً إِذَا مَا فَاتَهَا النَّصَّانِ
لَوْلاَ القَوَاعِدُ والقُيُودُ وهَذِهِ الْـ آرَاءُ لاتَّسَعَتْ عُرَى الإِيمَانِ
لَكِنَّهَا واللَّهِ ضَيِّقَةُ العُرَى فَاحْتَاجَتِ الأَيْدِي لِذَاكَ تَوَانِ
وَتَعَطَّلَتْ مِنْ أَجْلِهَا واللَّهِ أَعْـ ـدَادٌ مِنَ النَّصَّيْنِ ذَاتُ بَيَانِ
وَتضَمَّنَتْ تَقْيِيدَ مُطْلَقِهَا وإِطْـ ـلاَقَ المُقَيَّدِ وَهْوَ ذُو مِيزَانِ
وَتَضَمَّنَتْ تَخْصِيصَ مَا عَمَّتْه والتْـ ـتَعْمِيمُ لِلمَخْصُوصِ بالأَعْيَانِ
وَتَضَمَّنَتْ تَفْرِيقَ مَا جَمَعَتْ وَجَمْـ ـعاً لِلَّذِي وَسَمَتْهُ بِالفُرْقَانِ
وَتَضَمَّنَتْ تَضْيِيقَ مَا قَدْ وسَّعَتْـ ـهُ وَعَكْسَهُ فَلْتَنْظُرِ النَّوْعَانِ
سَكَتَتْ وَكَانَ سُكُوتُهَا عَفْواً فَلَمْ تَعْفُ القَوَاعِدُ باتِّسَاعِ بِطَانِ
وَتَضَمَّنَتْ إِهْدَارَ مَا اعْتَبَرتْ كَذَا بِالعَكْسِ وَالأَمْرَانِ مَحْذُورَانِ
وَتَضَمَّنَتْ أَيْضاً شُروطاً لَمْ تكُنْ مَشْرُوطَةً شَرْعاً بِلاَ بُرْهَانِ
وَتَضَمَّنَتْ أَيْضاً مَوانِعَ لَمْ تَكُنْ مَمْنُوعَةً شَرْعاً بِلاَ تِبْيَانِ
إِلاَّ بِأَقْيِسَةٍ وَآرَاءٍ وَتَقْـ ـلِيدٍ بِلاَ عِلْمٍ أَوِ اسْتِحْسَانِ
عَمَّنْ أَتَتَ هَذِي القَوَاعِدُ مِنْ جَمِيـ ـعِ الصَّحْبِ والأَتْبَاعِ بِالإِحْسَانِ
مَا أَسَّسُوا إلا اتِّبَاعَ نَبِيِّهِمْ لاَ عَقْلَ فَلْتَانٍ وَرَأْيَ فُلاَنِ
بَلْ أَنْكَرُوا الآرَاءَ نُصْحاً مِنْهُمُ لِلَّهِ والدَّاعِي وَلِلْقُرْآنِ
أَوَ لَيْسَ فِي خُلْفٍ بِهَا وَتَنَاقُضٍ مَا دَلَّ ذَا لُبٍّ وَذَا عِرْفَانِ

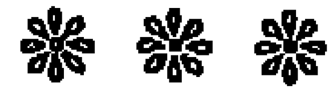
واللَّهِ لَوْ كَانَتْ مِنَ الرَّحْمٰنِ مَا انْخـ … ـتَلَفَتْ وَلاَ انْتَقَضَتْ مَدَى الأزْمَانِ
شُبَهٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا … حَقاً وَقَدْ سَقَطَتْ عَلَى صَفْوَانِ
واللَّهِ لاَ يَرْضَى بِهَا ذُو هِمَّةٍ … عَلْيَاءَ طَالِبَةٍ لِهَذَا الشَّانِ
فَمِثَالُهَا واللَّهِ فِي قَلْبِ الفَتَى … وَثَبَاتُهَا فِي مَنْبَتِ الإِيمَانِ
كَالزَّرْعِ يَنْبتُ حَوْلَهُ دَغَلٌ فَيَمْـ … ـنَعُهُ النَّمَا فَتَرَاهُ ذَا نُقْصَانِ
وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِ الفَتَى … غَرْسٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ فِي الإِنْسَانِ
والنَّفْسُ تُنبتُ حَوْلَه الشَّهَوَاتِ والشُّـ … ـبُهَاتِ وَهْيَ كَثِيرَةُ الأَفْنَانِ
فَيَعُودُ ذَاكَ الغَرْسُ يَبْساً ذَاوِياً … أوْ نَاقِصَ الثَّمَراتِ كُلَّ أَوَانِ
فَتَرَاهُ يَحْرُثُ دَائِباً ومَغَلُّهُ … نَزْرٌ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الخُسْرَانِ
وَاللَّهِ لَوْ نكشَ النَّبَاتَ وَكَانَ ذَا … بَصَرٍ لِذَاكَ الشَّوْكِ والسَّعْدَانِ
لأَتَى كَأمْثَالِ الجِبَالِ مَغَلُّهُ … وَلَكَانَ أَضْعَافاً بِلاَ حُسْبَانِ



فصلٌ

هَذَا وَلَيْسَ الطَّعْنُ بالإِطْلاَقِ فِيـ … ـهَا كُلِّهَا فِعْلَ الجَهُولِ الجَانِي
بَلْ فِي الَّتِي قَدْ خَالَفَتْ قَوْلَ الرَّسُو … لَ وَمُحْكَمَ الإِيمَانِ والفُرْقَانِ
أَو فِي الَّتِي مَا أنزَلَ الرَّحْمٰنُ فِي … تَقْرِيرِهَا يَا قَوْمُ مِنْ سُلْطَانِ
فَهيَ الَّتِي كَمْ عَطَّلَتْ مِنْ سُنَّةٍ … بَلْ عَطَّلَتْ مِنْ مُحْكَمِ القُرْآنِ
هَذَا وَتَرْجُو أنَّ وَاضِعَهَا فَلاَ … يَعْدُوهُ أَجْرٌ أوْ لَهُ أَجْرَانِ
إذْ قَالَ مَبْلَغُ عِلْمِهِ مِنْ غَيْرِ إِيـ … ـجَابِ القَبُولِ لَهُ عَلَى إنْسَانِ
بَلْ قَدْ نَهَانَا عَنْ قَبُولِ كَلاَمِهِ … نَصّاً بِتَقْلِيدٍ بِلاَ بُرْهَانِ
وَكَذَاكَ أوْصَانَا بِتَقْدِيمِ النُّصُو … صِ عَلَيْهِ مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرآنِ
نَصَحَ العِبَادَ بِذَا وَخَلَّصَ نَفْسَهُ … عِنْدَ السُّؤَالِ لَهَا مِنَ الدَّيَّانِ
وَالخَوْفُ كلُّ الخَوْفِ فَهْوَ عَلَى الَّذِي … تَرَكَ النُّصُوصَ لأجْلِ قَوْلِ فُلاَنِ
وَإِذَا بَغَى الإِحْسَانَ أوَّلَهَا بِمَا … لَوْ قَالَهُ خَصْمٌ لَهُ ذُو شَانِ

لَرَمَاهُ بِالدَّاءِ العُضَالِ مُنَادِياً   بِفَسَادِ مَا قَدْ قَالَهُ بِأَذَانِ



فصلٌ

في لازمِ المذهبِ هلْ هُوَ مَذْهبٌ أمْ لاَ

وَلَوَازِمُ المَعْنَى تُرادُ بِذِكْرِهِ   مِنْ عَارِفٍ بِلُزُومِهَا الحقَّانِي
وَسِوَاهُ لَيْسَ بِلاَزِمٍ فِي حَقِّهِ   قَصْدَ اللَّوازِمِ وَهْيَ ذُو تِبْيَانِ
إذْ قَدْ يَكُونُ لُزُومُهَا المجْهُول أوْ   قَدْ كَانَ يَعْلَمُهُ بِلاَ نُكْرانِ
لَكِنْ عَرَتْهُ غَفْلَةٌ بِلُزُومِهَا   إذْ كَانَ ذَا سَهْوٍ وَذَا نِسْيَانِ
وَلِذَاكَ لَمْ يَكُ لاَزِماً لِمَذَاهِبِ الـ   ـعُلَمَاءِ مَذْهَبُهُمْ بِلاَ بُرْهَانِ
فَالمقْدِمُونَ عَلَى حِكَايَةِ ذَاكَ مَذْ   هَبُهُمْ أولُو جَهْلٍ مَعَ العُدْوانِ
لاَ فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ   قَدْ يَذْهَلُونَ عَنِ اللزومِ الدَّانِي
سِيمَا إذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِلاَزِمٍ   لَكِنْ يُظَنُّ لُزُومُهُ بِجَنَانِ
لاَ تَشْهَدُوا بِالزُّورِ وَيْحَكُمُ عَلَى   مَا تُلْزِمُونَ شَهَادَةَ البُهْتَانِ
بِخِلاَفِ لاَزِمِ مَا يَقُولُ إلٰهُنَا   وَنَبِيُّنَا المعْصُومُ بِالبُرْهَانِ
فَلِذَا دَلاَلاَتُ النُّصُوصِ جَلِيَّةٌ   وَخَفِيَّةٌ تَخْفَى عَلَى الأَذْهَانِ
واللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ الفَهْمَ فِي   آيَاتِهِ رِزْقاً بِلاَ حُسْبَانِ
وَاحْذَر حِكَايَاتٍ لأَرْبَابِ الكَلاَ   مِ عَنِ الخُصُومِ كَثِيرَةِ الهَذَيَانِ
فَحَكَوْا بِمَا ظَنُّوهُ يُلْزِمُهُمْ فَقَا   لُوا ذَاكَ مَذْهَبُهُمْ بِلاَ بُرْهَانِ
كَذَبُوا عَلَيْهِمْ بَاهِتِينَ لَهُمْ بِمَا   ظَنُّوهُ يُلْزِمُهُمْ مِنَ البُهْتَانِ
فَحَكَى المُعَطِّلُ عَنْ أُولِي الإِثْبَاتِ قَوْ   لَهُمُ بِأَنَّ اللَّهَ ذُو جُسْمَانِ
وَحَكَى المعطِّلُ أنَّهُمْ قَالُوا بِأنْـ   ـنَ اللَّه لَيْسَ يُرَى لَنَا بِعِيَانِ
وَحكَى المعَطِّلُ أنَّهُمْ قَالُوا يَجُو   زُ كَلاَمُهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ مَعَانِ
وَحكَى المعطِّلُ أنَّهُمْ قَالُوا بِتَحْـ   ـيِيزِ الإِلٰهِ وَحَصْرِهِ بِمَكَانِ
وَحكَى المعَطِّلُ أنَّهُمْ قَالُوا لَهُ الـ   أَعْضَاءُ جَلَّ اللَّهُ عَنْ بُهْتَانِ

وَحكَى المعَطِّلُ أنَّ مَذْهَبَهُمْ هُوَ التَّـ … ـتَشْبِيهُ لِلخَلاَّقِ بالإنْسَانِ

وَحكَى المعَطِّلُ عَنهُمُ مَا لَمْ يَقُو … لُوه وَلاَ أشْيَاخُهُمْ بِلِسَانِ

ظَنَّ المعَطِّلُ أنَّ هَذَا لاَزِمٌ … فَلِذَا أتَى بالزُّورِ والعُدْوَانِ

فَعَلَيْهِ فِي هَذَا مَعَاذِيرٌ ثَلاَ … ثٌ كُلُّهَا مُتَحَقِّقُ البُطْلاَنِ

ظَنُّ اللزُومِ وَقَذْفُهُمْ بِلُزُومِهِ … وَتَمَامُ ذَاكَ شَهَادَةُ الكُفْرَانِ

يَا شَاهِداً بالزُّورِ وَيْحَكَ لَمْ تَخَفْ … يَوْمَ الشَّهَادَةِ سَطْوَةَ الدَّيَّانِ

يَا قَائِلَ البُهْتَانِ غَطِّ لَوَازِماً … قَدْ قُلْتَ مَلْزُومَاتِهَا بِبَيَانِ

وَاللَّهِ لاَزِمُهَا انْتِفَاءُ الذَّاتِ والْـ … أوْصَافِ والأفْعَالِ لِلرَّحْمٰنِ

واللَّهِ لاَزِمُهَا انْتِفَاءُ الدِّينِ وَالْـ … قُرْآنِ والإسْلاَمِ والإيمَانِ

وَلُزُومُ ذَلِكَ بَيِّنٌ جِدّاً لِمَنْ … كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ وَاعِيَتَانِ

واللَّهِ لَوْلاَ ضِيقُ هَذَا النَّظْمِ بَيْـ … ـيَنْتُ اللُّزُومَ بأوْضَحِ التِّبْيَانِ

وَلَقدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مَا يَكْفِي لمنْ … كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ نَاظِرَتَانِ

إنَّ الذَّكِيَّ بِبَعْضِ ذَلِكَ يَكْتَفِي … وَأخُو البَلاَدَةِ سَاكِنُ الجَبَّانِ

يَا قَوْمَنَا اعْتَبِروا بِجَهْلِ شُيُوخِكُمْ … بِحَقَائِقِ الإيمَانِ والقُرْآنِ

أو مَا سَمِعْتُمْ قَولَ أفْضَلِ وَقْتِهِ … فِيكُمْ مَقَالَة جَاهِلٍ فَتَّانِ

إنَّ السَّمٰواتِ العُلَى والأرْضَ قَبْـ … ـلَ العَرْشِ بالإجْمَاعِ مَخْلُوقَانِ

واللَّهِ مَا هَذِي مَقَالَةُ عَالِمٍ … فَضْلاً عَنِ الإجْمَاعِ كُلَّ زَمَانِ

مَنْ قَالَ ذَا قَدْ خَالَفَ الإجْمَاعَ والْـ … ـخَبَرَ الصَّحِيحَ وَظَاهِرَ القُرْآنِ

فَانْظُرْ إلَى ما جَرَّهُ تَأوِيلُ لَفْـ … ـظِ الإسْتِوَاءِ بِظَاهِرِ البُطْلاَنِ

زَعَمَ المعَطِّلُ أنَّ تَأوِيلَ اسْتَوَى … بالخَلْقِ والإقْبَالِ وَضْعَ لِسَانِ

كَذَبَ المعَطِّلُ لَيْسَ ذَا لُغَةَ الأُلَى … قَدْ خُوطِبُوا بالوَحْيِ والقُرآنِ

فَأحَارَهُ هَذَا إلَى أنْ قَالَ خَلْـ … ـقُ العَرْشِ بَعْدَ جَمِيعِ ذِي الأكْوَانِ

يَهْنِيهِ تَكْذِيبُ الرَّسُولِ لَهُ وإجْـ … ـمَاعِ الهُدَاةِ ومُحْكَمِ القُرْآنِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في الرَّدِّ عليهمْ في تكفيرِهمْ أهلَ العلمِ والإيمانِ وذكرِ انقسامِهمْ إلى أهلِ الجهلِ والتَّفريطِ والبدعِ والكفرانِ

وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّكُمْ كَفَّرْتُمُ ... أَهْلَ الحَدِيثِ وَشِيعَةَ القُرْآنِ
إِذْ خَالَفُوا رَأْياً لَهُ رَأْيٌ يُنَا ... قِضُهُ لأَجْلِ النَّصِّ والبُرْهَانِ
وَجَعَلْتُمُ التَّكْفِيرَ عَيْنَ خِلاَفِكُمْ ... وَوِفَاقُكُمْ فَحَقِيقَةُ الإِيمَانِ
فَوِفَاقُكُمْ مِيزَانُ دِينِ اللَّهِ لاَ ... مَنْ جَاءَ بِالبُرْهَانِ والفُرْقَانِ
مِيزَانُكُمْ مِيزَانُ بَاغٍ جَاهِلٍ ... وَالعَوْلُ كُلُّ العَوْلِ فِي المِيزَانِ
أَهْوِنْ بِهِ مِيزَانَ جَوْرٍ عَائِلٍ ... بِيَدِ المُطَفِّفِ وَيْلَ ذَا الوَزَّانِ
لَوْ كَانَ ثَمَّ حَيَاً وأَدْنَى مُسْكَةٍ ... مِنْ دِينِ أَوْ عِلْمٍ وَمِنْ إِيمَانِ
لَمْ تَجْعَلُوا آرَاءَكُمْ مِيزَانَ كُفْـ ... ـرِ النَّاسِ بِالبُهْتَانِ والعُدْوانِ
هَبْكُمْ تَأَوَّلْتُمْ وَسَاغَ لَكُم أَيكْـ ... ـفُرُ مَنْ يُخَالِفُكُمْ بِلاَ بُرْهَانِ
هَذِي الوقَاحَةُ والجَرَاءَةُ والجَهَا ... لَةُ وَيْحَكُمْ يا فِرْقَةَ الطُّغْيَانِ
اللَّهُ أَكْبَرُ ذَا عُقُوبَةُ تَارِكِ الْـ ... ـوَحْيَيْنِ للآرَاءِ والهَذَيَانِ
لَكِنَّنَا نَأْتِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ ... فِيكُمْ لأَجْلِ مَخَافَةِ الرَّحْمٰنِ
فَاسْمَعْ إِذاً يا مُنْصِفاً حُكْمَيْهِمَا ... وَانْظُرْ إِذاً هَلْ يَسْتَوِي الحُكْمَانِ
هُمْ عِنْدَنَا قِسْمَانِ أَهْلُ جَهَالَةٍ ... وَذَوُو العِنَادِ وَذَلِكَ القِسْمَانِ
جَمْعٌ وَفَرْقٌ بَيْنَ نَوْعَيْهِمْ هُمَا ... فِي بِدْعَةٍ لاَ شَكَّ يَجْتَمِعَانِ
وَذَوو العِنَادِ فَأَهْلُ كُفْرٍ ظَاهِرٍ ... وَالجَاهِلُونَ فَإِنَّهُمْ نَوْعَانِ
مُتَمَكِّنُونَ مِن الهُدَى والعِلْم بِالْـ ... أَسْبَاب ذَاتِ اليُسْرِ والإِمْكَانِ
لَكِنْ إِلَى أَرْضِ الجَهَالَةِ أَخْلَدُوا ... وَاسْتَسْهَلُوا التَّقْلِيدَ كَالعُمْيَانِ
لَمْ يَبْذُلُوا المَقْدُورَ فِي إِدْرَاكِهِمْ ... لِلحَقِّ تَهْوِيناً بِهَذَا الشَّانِ
فَهُمُ الأُلَى لاَ شَكَّ فِي تَفْسِيقِهِمْ ... وَالكُفْرُ فِيهِ عِنْدَنَا قَوْلانِ
وَالوَقْفُ عِنْدِي فِيهِمُ لَسْتُ الَّذِي ... بِالكُفْرِ أَنْعَتُهُمْ وَلاَ الإِيمَانِ

والـلَّـهُ أَعْـلَـمُ بِـالـبِـطَـانَـةِ مِـنْـهُـمُ ... وَلَـنَـا ظَـهَـارةُ حُـلَّـةِ الإِعْـلاَنِ
لَـكِـنَّـهُـمْ مُـسْـتَـوْجِـبُـونَ عِـقَـابَـهُ ... قَـطْـعـاً لأجْـلِ الـبَـغْـيِ والـعُـدْوَانِ
هَـبْـكُـمْ عُـذِرْتُـمْ بِـالـجَـهَـالَـةِ إِنَّـكُـمْ ... لَـنْ تُـعْـذَرُوا بِـالـظُّـلْـمِ والـطُّـغْـيَـانِ
وَالـطَّـعْـنِ فِـي قَـوْلِ الـرَّسُـولِ وَدِيـنِـهِ ... وَشَـهَـادَةٍ بِـالـزُّورِ والـبُـهْـتَـانِ
وَكَـذَلِـكَ اسْـتِـحْـلاَلُ قَـتْـلِ مُـخَـالِـفِـيـ ... ـكُـمْ قَـتْـلَ ذِي الإِشْـرَاكِ والـعُـدْوَانِ
إِنَّ الـخَـوَارِجَ مَـا أَحَـلُّـوا قَـتْـلَـهُـمْ ... إِلاَّ لِـمَـا ارْتَـكَـبُـوا مِـنَ الـعِـصْـيَـانِ
وَسَـمِـعْـتُـمُ قَـوْلَ الـرَّسُـولِ وحُـكْـمَـهُ ... فِـيـهِـمْ وَذَلِـكَ وَاضِـحُ الـتِّـبْـيَـانِ
لَـكِـنَّـكُـمْ أَنْـتُـمْ أَبَـحْـتُـمْ قَـتْـلَـهُـمْ ... بِـوِفَـاقِ سُـنَّـتِـهِ مَـعَ الـقُـرْآنِ
والـلَّـهِ مَـا زَادُوا الـنَّـقِـيـرَ عَـلَـيْـهِـمَـا ... لَـكِـنْ بِـتَـقْـرِيـرٍ مَـعَ الإِيـمَـانِ
فَـبِـحَـقٍّ مَـنْ قَـدْ خَـصَّـكُـمْ بِـالْـعِـلْـمِ والـتَّـ ... ـحْـقِـيـقِ والإِنْـصَـافِ والـعِـرْفَـانِ
أَنْـتُـمْ أَحَـقُّ أَمِ الـخَـوَارِجُ بِـالَّـذِي ... قَـالَ الـرَّسُـولُ فَـأَوْضِـحُـوا بِـبَـيَـانِ
هُـمْ يَـقْـتُـلُـونَ لِـعَـابِـدِ الـرَّحْـمٰـنِ بَـلْ ... يَـدْعُـونَ أَهْـلَ عِـبَـادَةِ الأَوْثَـانِ
هَـذَا وَلَـيْـسُـوا أَهْـلَ تَـعْـطِـيـلٍ وَلاَ ... عَـزْلِ الـنُّـصُـوصِ الـحَـقِّ بِـالـبُـرْهَـانِ

***



فصلٌ

وَالآخَـرُونَ فَـأَهْـلُ عَـجْـزٍ عَـنْ بُـلُـو ... غِ الـحَـقِّ مَـعْ قَـصْـدٍ وَمـعْ إِيـمَـانِ
بِـالـلَّـهِ ثُـمَّ رَسُـولِـهِ وَلِـقَـائِـهِ ... وَهُـمُ إِذَا مَـيَّـزْتَـهُـمْ ضَـرْبَـانِ
قَـوْمٌ دَهَـاهُـمْ حُـسْـنُ ظَـنِّـهِـمُ بِـمَـا ... قَـالَـتْـهُ أَشْـيَـاخٌ ذَوُو أَسْـنَـانِ
وَدِيَـانَـةٍ فِـي الـنَّـاسِ لَـمْ يَـجِـدُوا سِـوَى ... أَقْـوَالِـهِـمْ فَـرَضُـوا بِـهَـا بِـأَمَـانِ
لَـوْ يَـقْـدِرونَ عَـلَـى الـهُـدَى لَـمْ يَـرْتَـضُـوا ... بَـدَلاً بِـهِ مِـنْ قَـائِـلِ الـبُـهْـتَـانِ
فَـأولاَءِ مَـعْـذُورُونَ إِنْ لَـمْ يَـظْـلِـمُـوا ... وَيُـكَـفِّـرُوا بِـالـجَـهْـلِ وَالـعُـدْوَانِ
والآخَـرُونَ فَـطَـالِـبُـونَ الـحَـقَّ لَـ ... ـكِـنْ صَـدَّهُـمْ عَـنْ عِـلْـمِـهِ شَـيْـئَـانِ
مَـعْ بَـحْـثِـهِـمْ وَمُـصَـنَّـفَـاتٍ قَـصْـدُهُـمْ ... مِـنْـهَـا وَصُـولُـهُـمُ إِلَـى الـعِـرْفَـانِ
إِحْـدَاهُـمَـا طَـلَـبُ الـحَـقَـائِـقِ مِـنْ سِـوَى ... أَبْـوَابِـهَـا مُـتَـسَـوِّرِي الـجُـدْرَانِ

وَسُلُوكُ طُرْقٍ غَيْرِ مُوصِلَةٍ إِلَى ... دَرْكِ اليَقِينِ وَمَطْلَعِ الإِيمَانِ
فَتَشَابَهَتْ تِلْكَ الأُمُورُ عَلَيْهِمُ ... مِثْلَ اشْتِبَاهِ الطُّرْقِ بِالحَيْرانِ
فَتَرى أَفَاضِلَهُمْ حَيَارَى كُلُّهَا ... فِي التِّيهِ يَقْرَعُ نَاجِذَ النَّدْمَانِ
وَيَقُولُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الطُّرْقُ لا ... أَدْرِي الطَّرِيقَ الأَعْظَمَ السُّلْطَانِي
بَلْ كُلُّهُمْ طُرقٌ مَخُوفَاتٌ بِهَا الْـ ... آفَاتُ حَاصِلَةٌ بِلاَ حُسْبَانِ
فَالوَقْفُ غَايَتُهُ وآخِرُ أَمْرِهِ ... مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ فِي الرَّحْمٰنِ
أَوْ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ ... وَلِقَائِهِ وَقِيَامَةِ الأَبْدَانِ
فَأُولاَءِ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالأَجْرَيْنِ أَوْ ... إِحْدَاهُمَا أَوْ وَاسِعِ الغُفْرَانِ
فَانْظُرْ إِلَى أَحْكَامِنَا فِيهِمْ وَقَدْ ... جَحَدُوا النُّصُوصَ وَمُقْتَضَى القُرْآنِ
وَانْظُر إِلَى أَحْكَامِهِمْ فِينَا لأَجْـ ... ـلِ خِلاَفِهِمْ إِذْ قَادَهُ الوَحْيَانِ
هَلْ يَسْتَوِي الحُكْمَانِ عِنْدَ اللَّهِ أَوْ ... عِنْدَ الرسُولِ وَعِنْدَ ذِي إِيمَانِ
الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ ... بِالنَّصِّ يَثْبتُ لاَ بِقَوْلِ فُلاَنِ
مَنْ كَانَ رَبُّ العَالَمِينَ وَعَبْدُهُ ... قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَاكَ ذُو الكُفْرَانِ
فَهَلُمَّ وَيْحَكُمُ نُحَاكِمْكُمْ إِلَى النْـ ... ـنَصَّيْنِ مِنْ وَحْيٍ وَمِنْ قُرْآنِ
وَهُنَاكَ يُعْلَمُ أَيُّ حِزْبَيْنَا عَلَى الْـ ... ـكُفْرانِ حَقّاً أَوْ عَلَى الإِيمَانِ
فَلْيَهْنِكُمْ تَكْفِيرُ مَنْ حَكَمَتْ بِإسْـ ... ـلاَمِ وإِيمَانٍ لَهُ النَّصَّانِ
لَكِنَّ غَايَتَهُ كَغَايَةِ مَنْ سِوَى الْـ ... ـمَعْصُومِ غَايَةِ نَوْعِ ذَا الإِحْسَانِ
خَطَأً يُصِيرُ الأجرِ أَجْراً وَاحِداً ... إِنْ فَاتَهُ مِنْ أَجْلِهِ الكِفْلاَنِ
إِنْ كَانَ ذَاكَ مُكَفَّراً يَا أُمَّةَ الْـ ... ـعُدْوانِ مَنْ هَذَا عَلَى الإِيمَانِ
قَدْ دَارَ بَيْنَ الأَجْرِ والأَجْرَيْنِ والتَّـ ... ـتَكْفِيرِ بِالدَّعْوَى بِلاَ بُرْهَانِ
كَفَّرْتُمُ واللَّهِ مَنْ شَهِدَ الرَّسُو ... لُ بِأَنَّهُ حَقّاً عَلَى الإِيمَنِ
ثِنْتَانِ مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ وَخِصْلَةٌ ... مِنْ عِنْدِكُمْ أَفَأَنْتُمَا عِدْلاَنِ

فصلٌ

في تلاعبِ المكفِّرينَ لأهلِ السُّنَّةِ والإيمَانِ بالدِّينِ كتلاعبِ الصِّبيانِ

كَمْ ذَا التَّلاعُبُ مِنْكُمُ بالدِّينِ وَالْـ ... إيمَانِ مِثْلَ تَلاَعُبِ الصِّبْيَانِ
خُسِفَتْ قُلُوبُكُمُ كَمَا خُسِفَتْ عُقُو ... لُكُمُ فَلاَ تَزْكُو عَلَى القُرْآنِ
كَمْ ذَا تَقُولُوا مُجْمَلٌ وَمُفَصَّلٌ ... وَظَوَاهِرٌ عُزِلَتْ عَنِ الإِيقَانِ
حَتَّى إذَا رَأْيُ الرجَالِ أَتَاكُمُ ... فَاسْمَعْ لِمَا يُوحَى بِلاَ بُرْهَانِ
مِثْلَ الخَفَافِيشِ الَّتِي إنْ جَاءَهَا ... ضَوْءُ النَّهَارِ فَفِي كُوَى الحِيطَانِ
عَمِيَتْ عَنِ الشَّمْسِ المُنِيرَةِ لاَ تُطِيـ ... ـقُ هَدَايَةً فِيهَا إِلَى الطَّيَرَانِ
حَتَّى إذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلاَمُهُ ... جَالَتْ بِظُلْمَتِهِ بِكُلِّ مَكَانِ
فَتَرى المُوَحِّدَ حِينَ يَسْمَعُ قَوْلَهُمْ ... وَيَرَاهُمُ فِي مِحْنَةٍ وهَوَانِ
وَا رَحْمَتَاه لِعَيْنِهِ وَلأُذْنِهِ ... يَا مِحْنَةَ العَيْنَيْنِ والأُذُنَانِ
إنْ قَالَ حَقّاً كَفَّرُوهُ وإنْ يَقُو ... لُوا بَاطِلاً نَسَبُوهُ لِلإِيمَانِ
حَتَّى إذَا مَا رَدَّهُ عَادَوهُ مِثْـ ... ـلَ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِلإِنْسَانِ
قَالُوا لَهُ خَالَفْتَ أقْوَالَ الشُّيُو ... خِ وَلَمْ يُبَالُوا الخُلْفَ لِلْفُرْقَانِ
خَالَفْتُ أَقْوَالَ الشُّيوخِ فَأَنْتُمُ ... خَالَفْتُمُ مَنْ جَاءَ بِالقُرْآنِ
خَالَفْتُمُ قَوْلَ الرَّسُولِ وإنَّمَا ... خَالَفْتُ مِنْ جَرَّاهُ قَوْلَ فُلاَنِ
يَا حَبَّذَا ذَاكَ الخِلاَفُ فَإنَّهُ ... عَيْنُ الوِفَاقِ لِطَاعَةِ الرَّحْمٰنِ
أَوَ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أعْدَاءَ الرسو ... لِ عَلَيْهِ عَابُوا الخُلْفَ بالبُهْتَانِ
لِشُيُوخِهِمْ وَلِمَا عَلَيْهِ قَدْ مَضَى ... أَسْلاَفُهُمْ فِي سَالِفِ الأزْمَانِ
مَا العَيْبُ إلاَّ فِي خِلاَفِ النَّصِّ لاَ ... رَأْيِ الرِّجَالِ وَفِكْرَةِ الأذْهَانِ
أَنْتُمْ تَعِيبُونَا بِهَذَا وَهْوَ مِنْ ... تَوْفِيقِنَا وَالفَضْلُ لِلمَنَّانِ
فَليهْنِكُمْ خُلْفُ النُّصُوصِ ويَهْنِنَا ... خُلْفُ الشُّيُوخِ أَيَسْتَوِي الخُلْفَانِ
وَاللَّهِ مَا تَسْوى عُقُولُ جَمِيعِ أهْـ ... ـلِ الأَرْضِ نَصّاً صَحَّ ذَا تِبْيَانِ

حَتَّى نُقَدِّمَهَا عَلَيْهِ مُعْرِضِيـ ـنَ مُؤَوِّلِينَ مُحَرِّفِي القُرْآنِ
وَاللَّهِ إِنَّ النَّصَّ فِيمَا بَيْنَنَا لأَجَلُّ مِنْ آرَاءِ كُلِّ فُلاَنِ
وَاللَّهِ لَمْ يَنْقِمْ عَلَيْنَا مِنْكُمُ أَبَداً خِلاَفَ النَّصِّ مِنْ إِنْسَانِ
لَكِنْ خِلاَفَ الأَشْعَرِيِّ بِزَعْمِكُمْ وَكَذَبْتُمُ أَنْتُمْ عَلَى الإِنْسَانِ
كَفَّرْتُمُ مَنْ قَالَ مَا قَدْ قَالَهُ فِي كُتْبِهِ حَقّاً بِلاَ كِتْمَانِ
هَذَا وَخَالَفْنَاهُ فِي القُرْآنِ مِثْـ ـلَ خِلاَفِكُمْ فِي الفَوْقِ لِلرَّحْمٰنِ
فَالأَشْعَرِيُّ مُصَرِّحٌ بِالاِسْتِوَا ءِ وَبِالْعُلُوِّ بِغَايَةِ التِّبْيَانِ
وَمُصَرِّحٌ أَيْضاً بِإِثْبَاتِ اليَدَيْـ ـنِ وَوَجْهِ رَبِّ العَرْشِ ذِي السُّلْطَانِ
وَمُصَرِّحٌ أَيْضاً بِأَنَّ لِرَبِّنَا سُبْحَانَهُ عَيْنَانِ نَاظِرَتَانِ
وَمُصَرِّحٌ أَيْضاً بِإِثْبَاتِ النُّزُو لِ لِرَبِّنَا نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي
وَمُصَرِّحٌ أَيْضاً بِإِثْبَاتِ الأَصَا بِعِ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ ذُو البُرْهَانِ
وَمُصَرِّحٌ أَيْضاً بِأَنَّ اللَّهَ يَوْ مَ الحَشْرِ يُبْصِرُهُ أُولُو الإِيمَانِ
جَهْراً يَرَوْنَ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ رُؤْيَا العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
وَمُصَرِّحٌ أَيْضاً بِإِثْبَاتِ المَجِي ءِ وَأَنَّهُ يَأْتِي بِلاَ نُكْرَانِ
وَمُصَرِّحٌ بِفَسَادِ قَوْلِ مُؤَوِّلٍ لِلاِسْتِوَاءِ بِقَهْرِ ذِي سُلْطَانِ
وَمُصَرِّحٌ أَنَّ الأُلَى قَالُوا بِذَا التْـ ـتَأْوِيلِ أَهْلُ ضَلاَلَةٍ بِبَيَانِ
وَمُصَرِّحٌ أَنَّ الَّذِي قَدْ قَالَهُ أَهْلُ الحَدِيثِ وَعَسْكَرُ القُرْآنِ
هُوَ قَوْلُهُ يَلْقَى عَلَيْهِ رَبَّهُ وَبِهِ يَدِينُ اللَّهَ كُلَّ أَوَانِ
لَكِنَّهُ قَدْ قَالَ إِنَّ كَلاَمَهُ مَعْنىً يَقُومُ بِرَبِّنَا الرَّحْمٰنِ
فِي القَوْلِ خَالَفْنَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمُ فِي الفَوْقِ وَالأَوْصَافِ لِلدَّيَّانِ
لِمَ كَانَ نَفْسُ خِلاَفِنَا كُفْراً وَكَا نَ خِلاَفُكُمْ هُوَ مُقْتَضَى الإِيمَانِ
هَذَا وَخَالَفْتُمْ لِنَصٍّ حِينَ خَا لَفْنَا لِرَأْيِ الجَهْمِ ذِي البُهْتَانِ
وَاللَّهِ مَا لَكُمُ جَوَابٌ غَيْرُ تَكْـ ـفِيرٍ بِلاَ عِلْمٍ وَلاَ إِيقَانِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ لَكُمْ جَوَا بٌ غَيْرُ ذَا الشَّكْوَى إِلَى السُّلْطَانِ
فَهُوَ الجَوَابُ لَدَيْكُمُ وَلَنَحْنُ مُنْـ ـتَظِرُوهُ مِنْكُمْ يَا أُولِي البُرْهَانِ

وَاللَّهِ لاَ لِلأَشْعَرِيِّ تَبِعْتُمُ … كَلاً وَلاَ لِلنَّصِّ بِالإِحْسَانِ
يَا قَوْمُ فَانْتَبِهُوا لأَنْفُسِكُمْ وَخَلْـ … ـلُوا الجَهْلَ والدعْوَى بِلاَ بُرْهَانِ
مَا فِي الرِّيَاسَةِ بِالجَهَالَةِ غَيْرُ ضُحْـ … ـكَةِ عَاقِلٍ مِنْكُمْ مَدَى الأَزْمَانِ
لاَ تَرْتَضُوا بِرِيَاسَةِ البَقَرِ الَّتِي … رُؤَسَاؤهَا مِنْ جُمْلَةِ الثِّيرَانِ



فصل

في أنَّ أهلَ الحديثِ همْ أنصارُ رسولِ اللَّهِ صلّى اللَّهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلم وخاصَّته ولاَ يبغضُ الأنصارَ رجلٌ يؤمنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ

يَا مُبْغِضاً أَهْلَ الحَدِيث وَشَاتِماً … أَبْشِرْ بِعَقْدِ وَلاَيَةِ الشَّيْطَانِ
أَو مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ أَنْصَارُ دِيـ … ـنِ اللَّهِ والإِيمَانِ والقُرْآنِ
أَو مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَنْصَارَ الرَّسُو … لِ هُمُ بِلاَ شَكٍّ وَلاَ نُكْرَانِ
هَلْ يُبغِضُ الأَنْصَارَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ … أَوْ مُدْرِكٌ لِرَوَائِحِ الإِيمَانِ
شَهِدَ الرَّسُولُ بِذَاكَ وَهْيَ شَهَادَةٌ … مِنْ أَصْدَقِ الثَّقَلَيْنِ بِالبُرْهَانِ
أَو مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ خَزْرَجَ دِينِهِ … والأَوْسَ هُمْ أَبَداً بِكُلِّ زَمَانِ
مَا ذَنْبُهُمْ إِذْ خَالَفُوكَ لِقَوْلِهِ … مَا خَالَفُوهُ لأَجْلِ قَوْلِ فُلاَنِ
لَو وَافَقُوكَ وَخَالَفُوهُ كُنْتَ تَشْـ … ـهَدُ أَنَّهُمْ حَقّاً أُولُو الإِيمَانِ
لَمَّا تَحَيَّزْتُمْ إِلَى الأَشْيَاخِ وَانْـ … ـحَازُوا إِلَى المَبْعُوثِ بِالقُرآنِ
نَسَبُوا إِلَيْهِ دُونَ كُلِّ مَقَالَةٍ … أَوْ حَالَةٍ أَوْ قَائِلٍ وَمَكَانِ
هَذَا انْتِسَابُ أُولِي التَّفَرُّقِ نِسْبَةً … مِنْ أَرْبَعٍ مَعْلُومَةِ التِّبْيَانِ
فَلِذَا غَضِبْتُمْ حِيْنَمَا انْتَسَبُوا إِلَى … خَبَرِ الرَّسُولِ بِنِسْبَةِ الإِحْسَانِ
فَوَضَعْتُمُ لَهُمُ مِنَ الأَلْقَابِ مَا … تَسْتَقْبِحُونَ وَذَا مِنَ العُدْوَانِ
هُمْ يُشْهِدونَكُمُ عَلَى بُطْلاَنِهَا … أَفَتُشْهِدُونَهُمُ عَلَى البُطْلاَنِ
مَا ضَرَّهُمْ واللَّهِ بُغْضُكُمُ لَهُمْ … إِذْ وَافَقُوا حَقّاً رِضَا الرَّحْمٰنِ

يَا مَنْ يُعَادِيهِمْ لأجْلِ مَآكِلٍ ... وَمنَاصِبٍ وَرِيَاسَةِ الإخْوَانِ
تَهْنِيكَ هَاتِيكَ العَدَاوَةُ كَمْ بِهَا ... مِنْ حَسْرَةٍ وَمَذَلَّةٍ وَهَوَانِ
وَلَسَوْفَ تَجْنِي غِبَّهَا وَاللَّهِ عَنْ ... قُرْبٍ وَتَذْكُرُ صِدْقَ ذِي الإِيمَانِ
فَإِذَا تَقَطَّعَتِ الوَسَائِلُ وَانْتَهَتْ ... تِلْكَ المَآكِلُ فِي سَرِيعِ زَمَانِ
فَهُنَاكَ تَقْرَعُ سِنَّ نَدْمَانٍ عَلَى التْـ ... ـتَفْرِيطِ وَقْتَ السَّيْرِ وَالإمْكَانِ
وَهُنَاكَ تَعْلَمُ مَا بِضَاعَتُكَ الَّتِي ... حَصَّلْتَهَا فِي سَالِفِ الأزْمَانِ
إلاَّ الوَبَالُ عَلَيْكَ وَالحَسَرَاتُ وَالْـ ... ـخُسْرَانُ عِنْدَ الوَضْعِ فِي المِيزَانِ
قِيلٌ وَقَالٌ مَا لَهُ مِنْ حَاصِلٍ ... إلاَّ العَنَاءُ وَكُلُّ ذِي الأذْهَانِ
وَاللَّهِ مَا يُجْدِي عَلَيْكَ هُنَاكَ إلْـ ... ـلَا ذَا الَّذِي جَاءتْ بِهِ الوَحْيَانِ
وَاللَّهِ ما يُنْجِيكَ مِنْ سِجْنِ الجَحِيـ ... ـمِ سِوَى الحَدِيثِ وَمُحْكَمِ القُرْآنِ
وَاللَّهِ لَيْسَ النَّاسُ إلاَّ أهْلَهُ ... وَسِوَاهُمُ مِنْ جُمْلَةِ الحَيَوانِ
وَلَسَوْفَ تَذْكُرُ بَرَّ ذِي الإيمَانِ عَنْ ... قُرْبٍ وَتَقْرَعُ نَاجِذَ النَّدْمَانِ
رَفَعُوا بِهِ رَأْساً وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ ... أهْلُ الكَلاَمِ وَمَنْطِقِ اليُونَانِ
فَهُمُ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ مُمَثِّلاً ... بِالمَاءِ مَهْبِطَهُ عَلَى القِيعَانِ
لاَ المَاءُ تُمْسِكُهُ وَلاَ كَلأً بِهَا ... يَرْعَاهُ ذُو كَبِدٍ مِنَ الحَيَوانِ
هَذَا إذَا لَمْ يَحْرِقِ الزَّرْعَ الَّذِي ... بِجِوَارِهَا بِالنَّارِ أَوْ بِدُخَانِ
وَالجَاهِلُونَ بِذَا وَهَذَا هُمْ زَوَا ... نُ الزَّرْعِ إيْ وَاللَّهِ شَرُّ زَوَانِ
وَهُمُ لَدى غَرْسِ الإلهِ كَمِثْلِ غَرْ ... سِ الدُّلْبِ بَيْنَ مَغَارِسِ الرُّمَّانِ
يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعْ تَضْيِيقِهِ ... أَبَداً عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قِنْوَانِ
ذَا حَالُهُمْ مَع حَالِ أَهْلِ العِلْمِ أَنْـ ... ـصَارِ الرَّسُولِ فَوَارِسِ الإيمَانِ
فَعَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الإلهِ تَحِيَّةٌ ... وَاللَّهُ يُبْقِيهِ مَدَى الأزْمَانِ
لَوْلاَهُ مَا سُقِيَ الغِراسُ فَسَوْقُ ذَا ... كَ المَاءِ لِلدُّلْبِ العَظِيمِ الشَّانِ
فَالغَرْسُ دُلْبٌ كُلُّهُ وَهوَ الَّذِي ... يُسْقَى وَيُحْفَظُ عِنْدَ أهْلِ زَمَانِ
فَالغَرْسُ فِي تِلْكَ الحَضَارَةِ شَارِبٌ ... فَضْلَ المِيَاهِ مَصَارُهُ البُسْتَانِ
لَكِنَّمَا البَلْوَى مِنَ الحَطَّابِ قَطْـ ... ـطَاعِ الغِراسِ وَعَاقِرِ الحِيطَانِ

بِالفَوسِ يَضرِبُ فِي أُصُولِ الغَرْسِ كَيْ ... يَـجْـتَـثَّـهَـا وَيُـظَـنُّ ذَا إِحْـسَـانِ
وَيَظَلُّ يَحْلِفُ كَاذِباً لَمْ أَعْتَمِدْ ... فِي ذَا سِوَى التَّثْبِيتِ لِلعِيدَانِ
يَا خَيْبَةَ البُسْتَانِ مِنْ حَطَّابِهِ ... مَا بَعْدَ ذَا الحَطَّابِ مِنْ بُسْتَانِ
فِي قَلْبِهِ غِلٌّ عَلَى البُسْتَانِ فَهْـ ... ـوَ مُوَكَّلٌ بِالقَطْعِ كُلَّ أَوَانِ
فَالجَاهِلُونَ شِرَارُ أَهْلِ الحَقِّ وَالْـ ... ـعُلَمَاءُ سَادَتُهُمْ أُولُو الإِحْسَانِ
والجَاهِلُونَ خِيَارُ أَحْزَابِ الضَّلاَ ... لِ وَشِيعَةُ الكُفْرانِ والشَّيْطَانِ
وَشِرَارُهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ هُمْ شَرُّ خَلْـ ... ـقِ اللَّهِ آفَةُ هَذِهِ الأَكْوَانِ



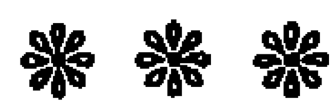
فصل

في تعيُّنِ الهجرةِ من الآراءِ والبدعِ إلى سُنَّتِهِ كَما كانت فرضاً مِنَ الأمصارِ إلى بلدتِهِ عليه الصلاة والسلام

يَا قَوْمُ فَرْضُ الهِجْرَتَيْنِ بِحَالِهِ ... واللَّهِ لَمْ يُنْسَخْ إِلَى ذَا الآنِ
فَالهِجْرَةُ الأُولَى إِلَى الرحْمٰنِ بالْـ ... إِخْلاَصِ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلاَنِ
حَتَّى يَكُونَ القَصْدُ وَجْهَ اللَّه بالْـ ... أَقْوَالِ والأَعْمَالِ والإِيمَانِ
وَيَكُونَ كُلُّ الدِّينِ لِلرَّحْمٰنِ مَا ... لِسِوَاهُ شَيءٌ فِيهِ مِنْ إِنْسَانِ
والحُبُّ والبُغْضُ اللَّذَانِ هُمَا ... لِكُلِّ وَلاَيَةٍ وَعَدَاوَةٍ أَصْلاَنِ
لِلَّهِ أَيْضاً هَكَذَا الإِعْطَاءُ والْـ ... ـمَنْعُ اللَّذانِ عَلَيْهِمَا يَقِفَانِ
واللَّهِ هَذَا شَطْرُ دِينِ اللَّهِ وَالتَّـ ... ـحْكِيمُ لِلمُخْتَارِ شَطْرٌ ثَانِ
وَكِلاهُمَا الإِحْسَانُ لَنْ يَتَقَبَّلَ الرَّ ... حْمٰنُ مِنْ سَعْيٍ بِلاَ إِحْسَانِ
وَالهِجْرَةُ الأُخرَى إِلَى المبْعُوثِ بالْـ ... إِسْلاَمِ والإِيمَانِ والإِحْسَانِ
أَتَرونَ هَذِي هِجْرَةَ الأَبْدَانِ لاَ ... واللَّهِ بَلْ هِيَ هِجْرَةُ الإِيمَانِ
قَطْعُ المسَافةِ بالقُلُوبِ إِلَيْهِ فِي ... دَركِ الأُصُولِ مَعَ الفُرُوعِ وَذَانِ
أَبَداً إِلَيْهِ حُكْمُهَا لاَ غَيْرُهُ ... فَالحُكْمُ مَا حَكَمَتْ بِهِ النَّصَّانِ
يا هِجْرَةً طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى ... كَسْلاَنَ مَنْخُوبِ الفُؤَادِ جَبَانِ

يَـا هِـجْـرَةً والـعَـبْـدُ فَـوْقَ فِـرَاشِـهِ سَـبَـقَ الـسُّـعَـاةَ لـمـنـزلِ الـرِّضْـوانِ
سَـاروا أَحَـثَّ الـسَّـيْـرِ وَهْـوَ فَـسَـيْـرُهُ سَـيْـرُ الـدَّلاَلِ وَلَـيْـسَ بـالـذَّمَـلانِ
هَـذَا وَتَـنْـظُـرُه أَمَـامَ الـرَّكْـبِ كَـالْـ ـعَـلـمِ الـعَـظِـيـمِ يُشَـافُ فِـي الـقِـيـعَـانِ
رُفِـعَـتْ لَـهُ أَعْـلاَمُ هَـاتِـيـكَ الـنُّـصُـو صِ رؤوسُـهَـا شَـابَـتْ مِـنَ الـنِّـيـرانِ
نَـارٌ هِـيَ الـنُّـورُ الـمـبِـيـنُ وَلَـمْ يَـكُـنْ لِـيَـرَاهُ إلاَّ مَـنْ لَـهُ عَـيْـنَـانِ
مَـكْـحُـولَـتَـانِ بِـمِـزْود الـوَحْـيَـيْـنِ لاَ بِـمَـرَاوِدِ الآرَاءِ والـهَـذَيَـانِ
فَـلِـذَاكَ شَـمَّـرَ نَـحْـوَهَـا لَـمْ يَـلْـتَـفِـتْ لاَ عَـنْ شَـمَـائِـلِـهِ وَلاَ أَيْـمَـانِ
يَـا قَـوْمُ لَـوْ هَـاجَـرْتُـمُ لـرأَيْـتُـمُ أَعْـلاَمَ طَـيْـبَـةَ رُؤيـةً بِـعِـيَـانِ
وَرَأَيْـتُـمُ ذَاكَ الـلِّـوَاءَ وَتَـحْـتَـه الـرُّ سُـلُ الـكِـرَامُ وَعَـسْـكَـر الـقُـرْآنِ
أَصْـحَـابُ بَـدْرٍ والأُلَـى قَـدْ بَـايَـعُـوا أَزْكَـى الـبـرِيَّـةِ بَـيْـعَـةَ الـرِّضْـوَانِ
وَكَـذَا الـمـهَـاجِـرَةُ الأُلَـى سَـبَـقُـوا كَـذَا الْـ أَنْـصَـارُ أَهْـلُ الـدَّارِ والإِيـمَـانِ
والـتَّـابِـعُـونَ لَـهُـمْ بـإِحْـسَـانٍ وَسَـا لِـكُ هَـدْيِـهِـمْ أَبَـداً بِـكُـلِّ زَمَـانِ
لَـكِـنْ رَضِـيـتُـمْ بـالأَمَـانِـي وابْـتُـلِـيـ ـتُـمْ بِـالـحُـظُـوظِ ونَـصْـرةِ الإِخْـوَانِ
بَـلْ غَـرَّكُـمْ ذَاكَ الـغَـرورُ وَسَـوَّلَـتْ لَـكُـمُ الـنـفُـوسُ وَسَـاوِسَ الـشَّـيْـطَـانِ
وَنَـبَـذْتُـمْ غُـسْـلَ الـنُّـصُـوصِ وَرَاءَكُـمْ وَقَـنَـعْـتُـمُ بِـقُـطَـارَةِ الأَذْهَـانِ
وَتَـرَكْـتُـمُ الـوَحْـيَـيْـنِ زُهْـداً فِـيـهِـمَـا وَرَغِـبْـتُـمُ فِـي رَأْيِ كُـلِّ فُـلاَنِ
وَعـزلْـتُـمُ الـنَّـصَّـيْـنِ عَـمَّـا وُلِّـيَـا لِـلْـحُـكْـمِ فِـيـهِ عَـزْلَ ذِي عُـدْوَانِ
وَزَعَـمْـتُـمُ أَنْ لَـيْـسَ يَـحْـكُـمُ بَـيْـنَـنَـا إلاَّ الـعُـقُـولُ وَمَـنْـطِـقُ الـيُـونَـانِ
فَـهُـنَـا بِـحُـكْـمِ الـحَـقِّ أَوْلَـى مِـنْـهُـمَـا سُـبْـحَـانَـكَ الـلَّـهُـمَّ ذَا الـسُّـبْـحَـانِ
حَـتَّـى إذَا انْـكَـشَـفَ الـغِـطَـاءُ وَحُـصِّـلَـتْ أَعْـمَـالُ هَـذَا الـخَـلْـقِ فِـي الـمِـيـزَانِ
وإذَا انْـجَـلَـى هـذَا الـغُـبَـارُ وَصَـارَ مَـيْـ ـدَانُ الـسِّـبَـاقِ تَـنَـالُـهُ الـعَـيْـنَـانِ
وَبَـدتْ عَـلَـى تِـلْـكَ الـوُجُـوهِ سِـمَـاتُـهَـا وَسْـمَ الـمَـلِـيـكِ الـقَـادِرِ الـدَّيَّـانِ
مُـبْـيَـضَّـةً مِـثْـلَ الـرِّيَـاضِ بِـجَـنَّـةٍ والـسُّـودُ مِـثْـلَ الـفَـحْـمِ لـلـنِّـيـرانِ
فَـهُـنَـاكَ يَـعْـلَـمُ رَاكِـبٌ مَـا تَـحْـتَـهُ وَهُـنَـاكَ يَـقْـرَعُ نَـاجِـذَ الـنَّـدْمَـانِ
وَهُـنَـاكَ تَـعْـلَـمُ كُـلُّ نَـفْـسٍ مَـا الَّـذِي مَـعَـهَـا مِـنَ الأَرْبَـاحِ وَالـخُـسْـرَانِ

وَهُنَـاكَ يَـعْـلَـمُ مُـؤْثِـرُ الآرَاءِ وَالـشَّـ ... ـشَـطَـحَـاتِ والـهَـذَيَـانِ والـبُـطْـلانِ
أيُّ الـبَـضَـائِـعِ قَـدْ أضَـاعَ وَمَـا الَّـذِي ... مِـنْـهَـا تَـعَـوَّضَ فِـي الـزَّمَـانِ الـفَـانِـي
سُبْحَانَ رَبِّ الـخَلْـقِ قَـاسِـمِ فَـضْلِـهِ ... وَالـعَـدْلِ بَـيْـنَ الـنَّـاسِ بـالـمِـيـزَانِ
لَـوْ شَـاءَ كَـانَ الـنَّـاسُ شَـيْـئـاً وَاحِـداً ... مَـا فِـيـهُـمُ مِـنْ تَـائِـهٍ حَـيْـرَانِ
لـكِـنَّـهُ سُـبْـحَـانَـهُ يَـخْـتَـصُّ بِـالْـ ... فَـضْـلِ الـعَـظِـيـمِ خُـلاَصَـةَ الإِنْـسَـانِ
وَسِـوَاهُـمُ لاَ يَـصْـلُـحُـونَ لِـصَـالِـحٍ ... كَـالـشَّـوْكِ فَـهْـوَ عِـمَـارَةُ الـنِّـيـرانِ
وَعِـمَـارَةُ الـجَـنَّـاتِ هُـم أَهْـلُ الـهُـدى ... الـلَّـهُ أكْـبَـرُ لَـيْـسَ يَـسْـتَـوِيَـانِ
فَـسَـلِ الـهِـدَايَـةَ مَـنْ أزِمَّـةُ أمْـرِنَـا ... بِـيَـدَيْـهِ مَـسْـأَلـةَ الـذَّلِـيـلِ الـعَـانِـي
وَسَلِ العِيَاذَ مِنَ اثْنَتَيْنِ هُمَا الَّلتَا ... نِ بِـهُـلْـكِ هَـذَا الـخَـلْـقِ كَـافِـلَـتَـانِ
شَـرُّ الـنُّـفُـوسِ وسَـيِّـئُ الأعْـمَـالِ مَـا ... والـلَّـهِ أعْـظَـمُ مِـنْـهُـمَـا شَـرَّانِ
ولَـقَـدْ أَتَـى هَـذَا الـتَّـعَـوُّذُ مِـنْـهُـمَـا ... فِـي خُـطْـبَـةِ الـمَـبْـعُـوثِ بِـالـقُـرْآنِ
لَـوْ كَـانَ يَـدْرِي الـعَـبْـدُ أنَّ مُـصَـابَـهُ ... فِـي هَـذِهِ الـدُّنْـيَـا هُـمَـا الـشَّـرَّانِ
جَـعَـلَ الـتَّـعَـوُّذَ مِـنْـهُـمَـا دَيْـدَانَـهُ ... حَـتَّـى تَـرَاهُ دَاخِـلَ الأَكْـفَـانِ
وَسَـلِ الـعِـيَـاذَ مِـنَ الـتَّـكَـبُّـرِ والْـهَـوَى ... فَـهُـمَـا لِـكُـلِّ الـشَّـرِّ جَـامِـعَـتَـانِ
وَهُـمَـا يَـصُـدَّانِ الـفَـتَـى عَـنْ كُـلِّ طُـرْ ... قِ الـخَـيْـرِ إذْ فِـي قَـلْـبِـهِ يَـلِـجَـانِ
فَـتَـرَاهُ يَـمْـنَـعُـهُ هَـوَاهُ تَـارَةً ... والـكِـبْـرُ أُخْـرَى ثُـمَّ يَـشْـتَـرِكَـانِ
والـلَّـهِ مَـا فِـي الـنَّـارِ إلاَّ تَـابِـعٌ ... هَـذَيـنِ فـاسْـأَلْ سَـاكِـنِـي الـنِّـيـرَانِ
والـلَّـهِ لَـوْ جَـرَّدْتَ نَـفْـسَـكَ مِـنْـهُـمَـا ... لأَتَـتْ إلَـيْـكَ وُفُـودُ كُـلِّ تَـهَـانِ



فصلٌ

في ظهورِ الفرقِ المُبينِ بينَ دعوةِ الرسلِ ودعوةِ المعطِّلينَ

وَالـفَـرْقُ بَـيْـنَ الـدَّعْـوَتَـيْـنِ فَـظَـاهِـرٌ ... جِـدّاً لِـمَـنْ كَـانَـتْ لَـهُ أُذُنَـانِ
فَـرْقٌ مُـبِـيـنٌ ظَـاهِـرٌ لاَ يَـخْـتَـفِـي ... إيـضَـاحُـهُ إلاَّ عَـلَـى الـعُـمْـيَـانِ

فَالرُّسْلُ جَاؤونَا بِإثْبَاتِ العُلُـ ـوِ لِرَبِّنَا مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
وَكَذَا أتَوْنَا بِالصِّفَاتِ لِرَبِّنَا الرّ حْمٰنِ تَفْصِيلاً بِكُلِّ بَيَانِ
وَكَذَاكَ قَالُوا إنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَكَلاَمُهُ المَسْمُوعُ بِالآذَانِ
وَكَذَاكَ قَالُوا إنَّهُ سُبْحَانَهُ الْـ ـمَرْئِيُّ يَوْمَ لِقَائِهِ بِعِيَانِ
وَكَذَاكَ قَالُوا إنَّهُ الفَعَّالُ حَقّاً كُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ
وأتَيْتُمُونَا أنْتُمْ بِالنَّفْيِ والتَّـ ـعْطِيلِ بَلْ بِشَهَادَةِ الكُفْرَانِ
لِلْمُثْبِتِينَ صِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ ونداءَهُ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانِ
شَهِدُوا بِإيمَانِ المقِرِّ بِأنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الأكْوَانِ
وَشَهِدْتُمْ أنْتُمْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي قَدْ قَالَ ذَلِكَ يَا أولِي العُدْوَانِ
وَأتَى بِأيْنَ اللَّهُ إقْرَاراً وَنُطْـ ـقاً قُلْتُمُو هَذَا مِنَ البُهْتَانِ
فَسَلُوا لَنَا بالأينِ مِثْلَ سُؤَالِنَا مَا الكَوْنُ عِنْدَكُمْ هُمَا شَيْئَانِ
وَكَذَا أتَوْنَا بِالبَيَانِ فَقُلْتُمُ بالُّلغزِ أيْنَ اللُّغْزُ مِنْ تِبْيَانِ
إذْ كَانَ مَدْلُولُ الكَلاَمِ وَوَضْعُهُ لَمْ يَقْصِدُوهُ بِنُطْقِهِمْ بِلِسَانِ
والقَصْدُ مِنْهُ غَيْرُ مَفْهُومٍ بِهِ مَا اللُّغْزُ عِنْدَ النَّاسِ إلاَّ ذَانِ
يَا قَوْمُ رُسْلُ اللَّهِ أعْرَفُ مِنْكُمُ وَأتَمُّ نُصْحاً فِي كَمَالِ بَيَانِ
أتَروْنَهُمْ قَدْ ألْغَزُوا التَّوْحِيدَ إذْ بَيَّنْتُمُوه يَا أولِي العِرْفَانِ
أتَروْنَهُمْ قَدْ أظْهَرُوا التَّشْبِيهَ وَهْـ ـوَ لَدَيْكُمُ كَعِبَادَةِ الأوْثَانِ
وَلأيِّ شَيْءٍ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ مَا قَدْ قُلْتُمُ فِي رَبِّنَا الرَّحْمٰنِ
وَلأيِّ شَيْءٍ صَرَّحُوا بِخِلاَفِهِ تَصْرِيحَ تَفْصِيلٍ بِلاَ كِتْمَانِ
وَلأيِّ شَيْءٍ بَالغُوا فِي الوَصْفِ بالْـ إثْبَاتِ دُونَ النفْيِ كُلَّ زَمَانِ
وَلأيِّ شَيْءٍ أنْتُمُ بَالَغْتُمُ فِي النَّفْيِ والتَّعْطِيلِ بِالقَفْزَانِ
فَجَعَلْتُمُ نَفْيَ الصِّفَاتِ مُفَصَّلاً تَفْصِيلَ نَفْيِ العَيْبِ والنُّقْصَانِ
وَجَعَلْتُمُ الإثْبَاتَ أمْراً مُجْمَلاً عَكْسَ الَّذِي قَالُوهُ بِالبُرْهَانِ
أتَراهُمُ عَجَزُوا عَنِ التِّبْيَانِ وَاسْـ ـتَوْلَيْتُمُ أنْتُمْ عَلَى التِّبْيَانِ
أتَرَوْنَ أفْرَاخَ اليَهُودِ وأُمَّةَ التَّـ ـعْطِيلِ والعُبَّادَ لِلنِّيرانِ

وَوَقَاحَ أَرْبَابِ الكَلاَمِ البَاطِلِ الـ ... ـمَذْمُومِ عِنْدَ أَئِمَّةِ الإِيمَانِ
مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ وَمُعْتَزِلٍ وَمَنْ ... وَالاَهُمَا مِنْ حِزْبِ جَنْكِزْخَانِ
بِاللَّهِ أَعْلَمَ مِنْ جَمِيعِ الرُّسْلِ والتَّـ ... ـوْرَاةِ والإِنْجِيلِ والقُرْآنِ
فَسَلُوهُمُ بِسُؤَالِ كُتْبِهِمُ الَّتِي ... جَاؤوا بِهَا عَنْ عِلْمِ هَذَا الشَّانِ
وَسَلُوهُمُ هَلْ رَبُّكُمْ فِي أَرْضِهِ ... أَوْ فِي السَّمَاءِ وفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ
أَمْ لَيْسَ مِنْ ذَا كُلِّهِ شَيءٌ فَلاَ ... هُوَ دَاخِلٌ أَوْ خَارِجُ الأَكْوَانِ
فَالعِلْمُ والتِّبْيَانُ والنُّصْحُ الَّذِي ... فِيهِمْ يُبِينُ الحَقَّ كُلَّ بَيَانِ
لَكِنَّمَا الإِلْغَازُ والتَّلْبِيسُ والـ ... ـكِتْمَانُ فِعْلُ مُعَلِّمِ الشَّيْطَانِ



فصلٌ

في شكوى أهلِ السُّنَّةِ والقرآنِ أهلَ التَّعطيلِ والآراءِ المخالفينَ للرحمٰنِ

يَا رَبِّ هُمْ يَشْكُونَنَا أَبَداً بِبَغْـ ... ـيِهِمُ وَظُلْمِهِمُ إِلَى السُّلْطَانِ
وَيُلَبِّسُونَ عَلَيْهِ حَتَّى إِنَّهُ ... لَيَظُنُّهُمْ هُمْ نَاصِرُو الإِيمَانِ
فَيُرُونَهُ البِدَعَ المضِلَّةَ فِي قَوَا ... لِبِ سُنَّةٍ نَبَوِيَّةٍ وَقُرَانِ
وَيُرُونَهُ الإِثْبَاتَ لِلأَوْصَافِ فِي ... أَمْرٍ شَنِيعٍ ظَاهِرِ النُّكْرانِ
فَيُلَبِّسُونَ عَلَيْهِ تَلْبِيسَيْنِ لَوْ ... كُشِفَا لَهُ بَادَاهُمُ بِطِعَانِ
يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ لاَ حُيِّيتُمُ ... أَبَداً وَحُيِّيتُمْ بِكُلِّ هَوَانِ
لَكِنَّنَا نَشْكُوهُمُ وَصَنِيعَهُمْ ... أَبداً إِلَيْكَ فَأَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
فَاسْمَعْ شِكَايَتَنَا وأَشْكِ مُحِقَّنَا ... وَالمُبْطِلَ ارْدُدْهُ عَنِ البُطْلاَنِ
رَاجِعْ بِهِ سُبُلَ الهُدَى والْطُفْ بِهِ ... حَتَّى تُرِيهِ الحَقَّ ذَا تِبْيَانِ
وارْحَمْهُ وارْحَمْ سَعْيَهُ المِسْكِينَ قَدْ ... ضَلَّ الطَّرِيقَ وَتَاهَ فِي القِيعَانِ
يَا رَبِّ قَدْ عَمَّ المُصَابُ بِهَذِهِ الْـ ... آرَاءِ والشَّطَحَاتِ والبُهْتَانِ
هَجَرُوا لَهَا الْوَحْيَيْنِ والفِطْرَاتِ والْـ ... آثَارَ لَمْ يَعْبَأُوا بِذَا الهِجْرَانِ

قَالُوا وَتِلْكَ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ ... لَمْ تُغْنِ شَيْئاً طَالِبَ البُرْهَانِ
فَالعَقْلُ أَوْلَى أَنْ يُصَارَ إِليهِ مِنْ ... هَذِي الظَّوَاهِرِ عِنْدَ ذِي العِرْفَانِ
ثُمَّ ادَّعَى كُلٌّ بِأَنَّ العَقْلَ مَا ... قَدْ قُلْتُهُ دُونَ الفَرِيق الثَّانِي
يَا رَبِّ قَدْ حَارَ العِبَادُ بِعَقْلِ مَنْ ... يَزِنُونَ وَحْيَكَ فَأْتِ بِالمِيزَانِ
وَبِعقْلِ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ فَكُلُّهُمْ ... قَدْ جَاءَ بِالمَعْقُول والبُرْهَانِ
يَا رَبِّ أَرْشِدْنَا إِلَى مَعْقُولِ مَنْ ... يَقَعُ التَّحَاكُمُ إِنَّنَا خَصْمَانِ
جَاؤوا بِشُبْهَاتٍ وَقَالُوا إِنَّهَا ... مَعْقُولَةٌ بِبَدَائِهِ الأَذْهَانِ
كُلٌّ يِنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضاً وَمَا ... فِي الحَقِّ مَعْقُولاَنِ مُخْتَلِفَانِ
وَقَضَوْا بِهَا كَذِباً عَلَيْكَ وَجُرْأَةً ... مِنْهُمْ وَمَا الْتَفَتُوا إِلَى القُرْآنِ
يَا رَبِّ قَدْ أَوْهَى النُّفَاةُ حَبَائِلَ الْـ ... ـقُرْآنِ والآثَارِ والإِيمَانِ
يَا رَبِّ قَدْ قَلَبَ النفَاةُ الدِّينَ والْـ ... إِيمَانَ ظَهْراً مِنْهُ فَوْقَ بِطَانِ
يَا رَبِّ قَدْ بَغَتِ النُّفَاةُ وأَجْلَبُوا ... بِالخَيْلِ والرَّجْلِ الحَقِيرِ الشَّانِ
نَصَبُوا الحَبَائِلَ والغَوَائِلَ لِلأُلَى ... أَخَذُوا بِوَحْيِكَ دُونَ قَوْلِ فُلاَنِ
وَدَعَوْا عِبَادَكَ أَنْ يُطِيعُوهُمْ فَمَنْ ... يَعْصِيهُمُ سَامُوهُ شَرَّ هَوَانِ
وَقَضَوْا عَلَى مَنْ لَمْ يَقُلْ بِضَلاَلِهِمْ ... بِاللَّعْنِ والتَّضْلِيلِ والكُفْرانِ
وَقَضَوْا عَلَى أَتْبَاعِ وَحْيِكَ بِالَّذِي ... هُمْ أَهْلُهُ لاَ عَسْكَرُ الفُرْقَانِ
وَقَضَوْا بِعَزْلِهِمُ وَقَتْلِهِمُ وَحَبْـ ... ـسِهِمُ ونَفْيِهِمُ عَنِ الأَوْطَانِ
وَتَلاَعَبُوا بِالدِّينِ مِثْلَ تَلاَعُبِ الْـ ... ـحُمُرِ الَّتِي نَفَرَتْ بِلاَ أَرْسَانِ
حَتَّى كَأَنَّهُمُ تَوَاصَوْا بَيْنَهُمْ ... يُوصِي بِذلِكَ أَوَّلٌ لِلثَّانِي
هَجَرُوا كَلاَمَكَ هَجْرَ مُبْتَدِعٍ لِمَنْ ... قَدْ دَانَ بِالآثَارِ والقُرْآنِ
فَكَأَنَّهُ فِيمَا لَدَيْهِمْ مُصْحَفٌ ... فِي بَيْتِ زِنْدِيقٍ أَخِي كُفْرَانِ
أَوْ مَسْجِدٌ بِجِوَارِ قَوْمٍ هَمُّهُمْ ... فِي الفِسْقِ لاَ فِي طَاعَةِ الرَّحْمٰنِ
وَخَوَاصُّهُمْ لَمْ يَقْرَؤوهُ تَدَبُّراً ... بَلْ لِلتَّبَرُّكِ لاَ لِفَهْمِ مَعَانِ
وَعَوَامُّهُمْ فِي الشُّبْعِ أَوْ فِي خَتْمَةٍ ... أَوْ تُرْبَةٍ عِوَضاً لِذِي الأَثْمَانِ
هَذَا وَهُمْ حَرْفِيَّةُ التَّجْوِيدِ أَوْ ... صَوْتِيَّةُ الأَنْغَامِ والأَلْحَانِ

يَـا رَبُّ قَـدْ قَـالُـوا بـأنَّ مَـصَاحِـفَ الْـ   إسْـلاَمِ مَـا فِـيـهَـا مِـنَ الـقُـرآنِ
إلا الـمِـدَادُ وَهَـذِهِ الأوراقُ والـ   جِـلْـدُ الَّـذِي قَـدْ سُلَّ مِـنْ حَـيَـوانِ
وَالـكُـلُّ مَـخْـلُـوقٌ وَلَـسْـتَ بِـقَـائِـلٍ   أصْـلاً وَلاَ حَـرْفـاً مِـنَ الـقُـرآنِ
إنْ ذَاكَ إلاَّ قَـوْلُ مَـخْـلُـوقٍ وَهَـلْ   هُـوَ جِـبْـرَئـيـلُ أو الـرَّسُـولُ فَـذَانِ
قَـولاَنِ مَـشْـهُـورَانِ قَـدْ قَـالَـتْـهُـمَـا   أشْـيَـاخُـهُـمْ يَـا مِـحْـنَـةَ الـقُـرآنِ
لَـوْ دَاسَـهُ رَجُـلٌ لَـقَـالُـوا لَـمْ يَـطَـأْ   إلاَّ الـمِـدَادَ وكَـاغَـدَ الإنْـسَـانِ
يَـا رَبُّ زَالَـتْ حُـرْمَـةُ الـقُـرآنِ مِـنْ   تِـلْـكَ الـقُـلُـوبِ وَحُـرْمَـةُ الإيـمَـانِ
وَجَـرَى عَـلَـى الأَفْـوَاهِ مِـنْـهُـم قَـوْلُـهُـمْ   مَـا بَـيْـنَـنَـا لِـلَّـهِ مِـنْ قُـرآنِ
مَـا بَـيْـنَـنَـا إلاَّ الـحِـكَـايـةُ عَـنْـه وَالـتَّـ   ـغْـبِـيـرُ ذَاكَ عِـبَـارَةٌ بِـلِـسَـانِ
هَـذَا وَمَـا الـتَّـالُـونَ عُـمَّـالاً بـهِ   إذْ هُـمْ قَـدِ اسْـتَـغْـنَـوْا بِـقَـوْلِ فُـلاَنِ
إنْ كَـانَ قَـدْ جَـازَ الـحـنَـاجِـرَ مِـنْـهُـمُ   فَـبِـقَـدْرِ مَـا عَـقَـلُـوا مِـنَ الـقُـرآنِ
وَالـبَـاحِـثُـونَ فَـقَـدَّمُـوا رَأْيَ الـرِّجَـا   لِ عَـلَـيْـهِ تَـصْـرِيـحـاً بِـلاَ كِـتْـمَـانِ
عَـزَلُـوهُ إذْ وَلَّـوْا سِـوَاهُ وَكَـانَ ذَا   كَ الـعَـزْلُ قَـائِـدَهُـمْ إلَـى الـخُـذْلاَنِ
قَـالُـوا وَلَـمْ يَـحْـصُـلْ لَـنَـا مِـنْـهُ يَـقِـيـ   ـنٌ فَـهْـوَ مَـعْـزُولٌ عَـنِ الإيـقَـانِ
إنَّ الـيَـقِـيـنَ قَـوَاطِـعٌ عَـقْـلِـيَّـةٌ   مِـيـزَانُـهـا هُـوَ مَـنْـطِـقُ الـيُـونَـانِ
هَـذَا دَلِـيـلُ الـرَّفْـعِ مِـنْـه وَهَـذِهِ   أعْـلاَمُـهُ فِـي آخِـرِ الأزْمَـانِ
يَـا رَبُّ مَـنْ أهْـلُـوهُ حَـقّـاً كَـيْ يَـرَى   أقْـدَامَـهُـمْ مِـنَّـا عَـلَـى الأذْقَـانِ
أَهْـلُـوهُ مَـنْ لا يَـرْتَـضِـي مِـنْـهُ بَـدِيـ   ـلاً فَـهْـوَ كَـافِـيـهِـمْ بِـلاَ نُـقْـصَـانِ
وَهـوَ الـدَّلِـيـلُ لَـهُـمْ وهَـادِيـهِـم إلَـى الْـ   إيـمَـانِ والإيـقَـانِ والـعِـرْفَـانِ
هُـوَ مُـوصِـلٌ لَـهُـمْ إلَـى دَرْكِ الْـيَـقِـيـ   ـنِ حَـقِـيـقَـةً وَقَـوَاطِـعِ الـبُـرْهَـانِ
يَـا رَبُّ نَـحْـنُ الـعَـاجِـزُونَ بِـحُـبِّـهِـمْ   يَـا قِـلَّـةَ الأنْـصَـارِ والأعْـوَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في أذانِ أهلِ السنةِ الأعلامِ بصريحِهَا جهراً على رؤوسِ منابرِ الإسلامِ

يَا قَوْمُ قَدْ حَانَتْ صَلاَةُ الفَجْرِ فَانْـ تَـبِـهُـوا فَـإنِّـي مُـعْـلِـنٌ بـأذَانِ
لاَ بـالْـمُـلَـحَّـنِ والـمـبـدَّلِ ذَاكَ بَـلْ تَـأْذِيـنَ حَـقٍّ وَاضِـحِ الـتِّـبْـيَـانِ
وَهـوَ الَّـذِي حَـقّـاً إجَابَـتُـه عَـلَـى كُـلِّ امْـرِىءٍ فَـرْضٌ عَـلَـى الأَعْـيَـانِ
الـلَّـهُ أكْـبَـرُ أنْ يَـكُـونَ كَـلاَمُـهُ الْـ عَـرَبِـيُّ مَـخْـلُـوقـاً مِـنَ الأكْـوَانِ
وَالـلَّـه أكْـبَـرُ أنْ يَـكُـونَ رَسُـولُـهُ الْـ مَـلَـكِـيُّ أنْـشَـاهُ عَـنِ الـرَّحْـمٰـنِ
وَالـلَّـهُ أكْـبَـرُ أنْ يَـكُـونَ رَسُـولُـهُ الْـ بَـشَـرِيُّ أنْـشَـاهُ لَـنَـا بِـلِـسَـانِ
هَـذِي مَـقَـالاَتٌ لَـكُـم يَـا أُمَّـةَ الـتْـ تَـشْـبِـيـه مَـا أنْـتُـمْ عَـلَـى إيـمَـانِ
شَـبَّـهْـتُـمُ الـرَّحْـمٰـنَ بـالأوْثَـانِ فِـي عَـدَمِ الـكَـلاَمِ وَذَاكَ لِـلأوْثَـانِ
مِـمَّـا يَـدُلُّ بِـأنَّـهَـا لَـيْـسَـتْ بِـآ لِـهَـةٍ وَذَا الـبُـرْهَـانُ فِـي الـفُـرْقَـانِ
فِـي سُـورَةِ الأعْـرَافِ مَـعْ طَـهَ وَثَـا لِـثِـهَـا فَـلاَ تَـعْـدِلْ عَـنِ الـقُـرْآنِ
أفْـصِـحْ بِـأنَّ الـجَـاحِـدِيـنَ لِـكَـوْنِـهِ مُـتَـكَـلِّـمـاً بِـحَـقِـيـقَـةٍ وَبَـيَـانِ
هُـمْ أهْـلُ تَـعْـطِـيـلٍ وَتـشْـبِـيـهٍ مـعـاً بـالْـجَـامِـدَاتِ عـظِـيـمَـةِ الـنُّـقْـصَـانِ
لاَ تَـقْـذِفُـوا بـالـدَّاءِ مِـنْـكُـمْ شِـيـعَـةَ الـرْ رَحْـمٰـنِ أهْـلَ الـعِـلْـمِ والـعِـرْفَـانِ
إنَّ الَّـذِي نَـزَلَ الأمِـيـنُ بِـهِ عَـلَـى قَـلْـبِ الـرَّسُـولِ الـوَاضِـحِ الـبُـرْهَـانِ
هُـو قَـوْلُ رَبِّـي اللَّـفْـظُ وَالـمَـعْـنَـى جَـمِـيـ عـاً إذْ هُـمَـا أخَـوَانِ مُـصْـطَـحِـبَـانِ
لاَ تَـقْـطَـعُـوا رَحِـمـاً تَـوَلَّـى وَصْـلَـهَـا الـرْ رَحْـمـٰـنُ تَـنْـسَـلِـخُـوا مِـنَ الإيـمَـانِ
وَلَـقَـدْ شَـفَـانَـا قَـوْلُ شَـاعِـرِنَـا الَّـذِي قَـالَ الـصَّـوَابَ وَجَـاء بـالإحْـسَـانِ
إنَّ الَّـذِي هُـوَ فِـي الـمَـصَـاحِـفِ مُـثْـبَـتٌ بِـأنَـامِـلِ الأشْـيَـاخِ والـشُّـبَّـانِ
هُـو قَـولُ رَبِّـي آيُـهُ وحُـرُوفُـهُ وَمِـدَادُنَـا والـرَّقُّ مَـخْـلُـوقَـانِ
والـلَّـهُ أكْـبَـرُ مَـنْ عَـلَـى الـعَـرْشِ اسْـتَـوَى لَـكِـنَّـهُ اسْـتَـوْلَـى عَـلَـى الأكْـوَانِ
وَالـلَّـهُ أكْـبَـرُ ذُو الـمـعَـارِجِ مَـنْ إلَـيْـ ـهِ تَـعْـرُجُ الأمْـلاَكُ كُـلَّ أوَانِ

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ يَخَافُ جَلاَلَهُ أَمْلاَكُهُ مِنْ فَوْقِهِمْ بِبَيَانِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ غَدَا لِسَرِيرِه أَطٌّ بِهِ كَالرَّحْلِ لِلرُّكْبَانِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَتَانَا قَوْلُهُ مِنْ عِنْدِهِ مِنْ فَوْقِ سِتُّ ثَمَانِ
نَزلَ الأَمِينُ بِهِ بِأَمْرِ اللَّه مِنْ رَبٌّ عَلَى العَرْشِ اسْتَوى الرَّحْمٰنِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَاهِرٌ فَوْقَ العِبَا دِ فَلاَ تَضَعْ فَوْقِيَّةَ الرَّحْمٰنِ
مِنْ كُلِّ وَجْهٍ تِلْكَ ثَابِتَةٌ لَهُ لاَ تَهْضِمُوهَا يَا أولِي البُهْتَانِ
قَهْراً وَقَدْراً واسْتِوَاءَ الذَّاتِ فَوْ قَ العَرْشِ بِالبُرْهَانِ
فَبِذَاتِهِ خَلَقَ السَّمٰواتِ العُلَى ثُمَّ اسْتَوَى بِالذَّاتِ فافْهَمْ ذَانِ
فَضَمِيرُ فِعْلِ الإِسْتِوَاءِ يَعُودُ لِلذْ ذَاتِ الَّتِي ذُكِرتْ بِلاَ فُرْقَانِ
هُوَ رَبُّنَا هُوَ خَالِقٌ هُوَ مُسْتَوٍ بِالذَّاتِ هَذِي كُلُّهَا بِوِزَانِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو العُلُوِّ المطلَقِ الْـ مَعْلُوم بِالفِطْرَاتِ وَالإِيمَانِ
فَعُلُوُّهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ثَابِتٌ فَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ ذُو السُّلْطَانِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ رَقَا فَوْقَ الطِّبَا قِ رَسُولُهُ فَدَنَا مِنَ الدَّيَّانِ
وَإِلَيْهِ قَدْ صَعِدَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً لاَ تُنْكِرُوا المعْرَاجَ بِالبُهْتَانِ
وَدَنَا مِنَ الجَبَّارِ جَلَّ جَلاَلُهُ وَدَنَا إِلَيْهِ الرَّبُّ ذُو الإِحْسَانِ
وَاللَّهُ قَدْ أَحْصَى الَّذِي قَدْ قُلْتُم فِي ذَلِكَ المعْرَاجِ بِالمِيزَانِ
قُلْتُمْ خَيَالاً أَوْ أَكَاذِيباً أَوِ الْـ مِعْرَاجُ لَمْ يَحْصُلْ إِلَى الرَّحمٰنِ
إِذْ كَانَا مَا فَوْقَ السَّمٰوات العُلى رَبٌّ إِلَيْهِ مُنْتَهَى الإِنْسَانِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَشَارَ رَسُولُهُ حَقاً إِلَيْهِ بِأَصْبُعٍ وَبَنَانِ
فِي مَجْمعِ الحَقِّ العَظِيم بِمَوْقِفٍ دُونَ المعَرَّفِ مَوْقِفَ الغُفْرَانِ
مَنْ قَالَ مِنْكُمْ مَنْ أَشَارَ بِأَصْبُعٍ قُطِعَتْ فَعِنْدَ اللَّهِ يَجْتَمِعَانِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ ظَاهِرٌ مَا فَوْقَهُ شَيءٌ وَشَأْنُ اللَّه أَعْظَمُ شَانِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَرْشُهُ وَسِعَ السَّمَا وَالأَرْضَ والكُرْسِيَّ ذَا الأَرْكَانِ
وَكَذَلِكَ الكُرْسِيُّ قَدْ وَسِعَ الطِّبَا قَ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ بِالبُرْهَانِ
وَالرَّبُّ فَوْقَ العَرْشِ والكُرْسِيِّ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ خَوَاطِرُ الإِنْسَانِ

لاَ تَـحـصـرُوهُ فِـي مَـكَـانٍ إِذْ تَـقُـو لُـوا رَبُّـنَـا حَـقّـاً بِـكُـلِّ مَـكَـانِ
نَـزَّهْـتُـمـوهُ بِـجَـهْـلِـكُـمْ عَـنْ عَـرْشِـهِ وحَـصَـرْتُـمُـوهُ فِـي مَـكَـانٍ ثَـانِ
لاَ تَـعْـدِمُـوهُ بِـقَـوْلِـكُـم لاَ دَاخِـلٌ فِـيـنَـا وَلاَ هُـوَ خَـارِجُ الأَكْـوَانِ
اللَّـهُ أَكْـبَـرُ قَـدْ هَـتَـكْـتُ سِـتَـارَكُـمْ وَبَـدَتْ لِـمَـنْ كَـانَـتْ لَـهُ عَـيْـنَـانِ
وَالـلَّـهُ أَكْـبَـرُ جَـلَّ عَـنْ شَـبَـهٍ وَعَـنْ مَـثَـلٍ وَعَـنْ تَـعْـطِـيـلِ ذِي كُـفْـرَانِ
وَالـلَّـهُ أَكْـبَـرُ مَـنْ لَـهُ الأَسْـمَـاءُ وَالْـ أَوْصَـافُ كَـامِـلَـةً بِـلاَ نُـقْـصَـانِ
وَالـلَّـهُ أَكْـبَـرُ جَـلَّ عَـنْ وَلَـدٍ وَصَـا حِـبَـةٍ وَعَـنْ كُـفْءٍ وَعَـنْ أَخْـدَانِ
وَالـلَّـهُ أَكْـبَـرُ جَـلَّ عَـنْ شَـبَـهِ الـجَـمَـا دِ كَـقَـوْلِ ذِي الـتَّـعْـطِـيـلِ وَالـكُـفْـرَانِ
هُـمْ شَـبَّـهُـوهُ بِـالـجَـمَـادِ وَلَـيْـتَـهُـمْ قَـدْ شَـبَّـهُـوهُ بِـكَـامِـلٍ ذِي شَـانِ
اللَّـهُ أَكْـبَـرُ جَـلَّ عَـنْ شَـبَـهِ الـعِـبَـا دِ فَـذَانِ تَـشْـبِـيـهَـانِ مُـمْـتَـنِـعَـانِ
والـلَّـهُ أَكْـبَـرُ وَاحِـدٌ صَـمَـدٌ فَـكُـلْـ لُ الـشَّـأْنِ فِـي صَـمَـدِيَّـةِ الـرَّحْـمٰـنِ
نَـفَـتِ الـوِلاَدَةَ والأُبُـوَّةَ عَـنْـهُ والْـ كُـفْءَ الَّـذِي هُـوَ لاَزِمُ الإِنْـسَـانِ
وَكَـذَاكَ أَثْبَتَـتِ الـصِّـفَـاتِ جَـمِـيـعَـهَـا لِـلَّـهِ سَـالِـمَـةً مِـنَ الـنُّـقْـصَـانِ
وَإِلَـيْـهِ يَـصْـمُـدُ كُـلُّ مَـخْـلُـوقٍ فَـلاَ صَـمَـدٌ سِـوَاهُ عَـزَّ ذُو الـسُّـلْـطَـانِ
لاَ شَـيْءَ يُـشْـبِـهُـهُ تَـعَـالَـى كَـيْـفَ يُـشْـ بِـهُـهُ خَـلِـيـقَـةُ مَـا ذَاكَ فِـي إِمْـكَـانِ
لَـكِـنْ ثُـبُـوتُ صِـفَـاتِـهِ وَكَـلاَمِـهِ وَعُـلُـوِّهِ حَـقّـاً بِـلاَ نُـكْـرَانِ
لاَ تَـجْـعَـلُـوا الإِثْـبَـاتَ تَـشْـبِـيـهاً لَـهُ يَـا فِـرْقَـةَ الـتَّـشْـبِـيـهِ والـطُّـغْـيَـانِ
كَـمْ تَـرْتَـقُـونَ بِـسُـلَّـمِ الـتَّـنْـزِيـهِ لِـلـتَّـ ـعْـطِـيـلِ تَـرْوِيـجـاً عَـلَـى الـعُـمْـيَـانِ
فَـالـلَّـهُ أَكْـبَـرُ أَنْ يَـكُـونَ صِـفَـاتُـهُ كَـصِـفَـاتِـنَـا جَـلَّ الـعَـظِـيـمُ الـشَّـانِ
هَـذَا هُـوَ الـتَّـشْـبِـيـهُ لاَ إِثْـبَـاتُ أَوْ صَـافِ الـكَـمَـالِ فَـمَـا هُـمَـا سِـيَّـانِ

***

فصلٌ

في تلازُمِ التَّعطيلِ والشِّركِ

وَاعْـلَـمْ بِـأَنَّ الـشِّـرْكَ وَالـتَّـعْـطِـيـلَ مُـذْ كَـانَـا هُـمَـا لاَ شَـكَّ مُـصْـطَـحِـبَـانِ

أَبـداً فَـكُـلُّ مُـعَـطِّـلٍ هُـوَ مُـشْـرِكٌ حَـتْـمـاً وَهَـذَا وَاضِـحُ الـتِّـبْـيَـانِ
فَالعَبْدُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَنْ يَكْشِفُ الْـ بَـلْـوَى وَيُـغْـنِـي فَـاقَـةَ الإِنْـسَـانِ
وَإِلَـيْـهِ يَـصْـمُـدُ فِـي الـحَـوَائِـجِ كُـلِّـهَـا وَإِلَـيْـهِ يَـفْـزَعُ طَـالِـبـاً لأَمَـانِ
فَـإِذَا انْـتَـفَـتْ أَوْصَـافُـهُ وَفِـعَـالُـهُ وَعُـلُـوُّهُ مِـنْ فَـوْقِ كُـلِّ مَـكَـانِ
فَـزِعَ الـعِـبَـادُ إِلَـى سِـوَاهُ وَكَـانَ ذَا مِـنْ جَانِـبِ الـتَّـعْـطِـيـلِ والـنُّـكْـرَانِ
فَمُعَطِّلُ الأَوْصَافِ ذَاكَ مُعَطِّلُ التَّـ ـتَـوْحِـيـدِ حَـقّـاً ذَانِ تَـعْـطِـيـلاَنِ
قَـدْ عَـطَّـلاَ بِـلِـسَـانِ كُـلِّ الرُّسْـلِ مِـنْ نُـوحٍ إِلَـى الـمَـبْـعُـوثِ بِـالـقُـرْآنِ
وَالـنَّـاسُ فِـي هَـذَا ثَـلاَثُ طَـوَائِـفٍ مَـا رَابِـعٌ أَبَـداً بِـذِي إِمْـكَـانِ
إِحْـدَى الـطَّـوائِـفِ مُـشْـرِكٌ بِـإِلٰـهِـهِ فَـإِذَا دَعَـاهُ دَعَـا إِلٰـهـاً ثَـانِ
هَـذَا وَثَـانِـي هـذِهِ الأَقْـسَـامِ ذَا لـكَ جَـاحِـدٌ يَـدْعُـو سِـوَى الـرَّحْـمٰـنِ
هُـوَ جَـاحِـدٌ لـلـرِبِّ يَـدْعُـو غَـيْـرَهُ شِـرْكـاً وَتَـعْـطِـيـلاً لَـهُ قَـدَمَـانِ
هَـذَا وَثَـالِـثُ هَـذِهِ الأَقْـسَـامِ خَـيْـ ـرِ الـخَـلْـقِ ذَاكَ خُـلاَصَـةُ الإِنْـسَـانِ
يَـدْعُـو الإِلٰـهَ الـحَـقَّ لاَ يَـدْعُـو سِـوَا هُ قَـطُّ فِـي الأَشْـيَـاءِ والأَكْـوَانِ
يَدْعُوه فِي الرَّغَبَاتِ والرَّهَبَاتِ والْـ ـحَـالاَتِ مِـنْ سِـرٍّ وَمِـنْ إِعْـلاَنِ
تَـوْحِـيـدُهُ نَـوْعَـانِ عِـلْـمِـيٌّ وَقَـصْـ ـدِيٌّ كَـمَـا قَـدْ جُـرِّدَ الـنَّـوْعَـانِ
فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ مَعْ تَالٍ لِـنَـصْـ ـرِ الـلّٰـهِ قُـلْ يَـاأَيُّـهَـا بِـبَـيَـانِ
وَلِـذَاكَ قَـدْ شُـرِعَـا بِـسُـنَّـةِ فَـجْـرِنَـا وَكَـذَاكَ سُـنَّـةِ مَـغْـرِبٍ طَـرَفَـانِ
لِـيَـكُـونَ مُـفْـتَـتَـحُ الـنَّـهَـارِ وَخَـتْـمُـهُ تَـجْـرِيـدَكَ الـتَّـوْحِـيـدَ لـلـدَّيَّـانِ
وكـذاك قَـدْ شُـرِعَـا بِـخَـاتَـم وتْـرِنَـا خَـتْـمـاً لِـسَـعْـيِ الـلَّـيْـلِ بِـالآذانِ
وَكَـذَاكَ قَـدْ شُـرِعَـا بِـرَكْـعَـتَـي الـطَّـوَا فِ وَذَاكَ تَـحْـقِـيـقٌ لِـهَـذَا الـشَّـانِ
فَـهُـمَـا إِذاً أَخَـوَانِ مُـصْـطَـحِـبَـانِ لاَ يَـتَـفَـارَقَـانِ وَلَـيْـسَ يَـنْـفَـصِـلاَنِ
فَـمُـعَـطِّـلُ الأَوْصَـافِ ذُو شِـرْكٍ كَـذَا ذُو الـشِّـرْكِ فَـهْـوَ مُـعَـطِّـلُ الـرَّحْـمٰـنِ
أَوْ بَعْضِ أَوْصَافِ الكَمَالِ لَهُ فَحَقْـ ـقِـقْ ذَا وَلاَ تُـسْـرِعْ إِلَـى نُـكْـرَانِ

* * *

فصلٌ

في بيانِ أنَّ المعطِّلَ شرٌّ مِنَ المشْرِكِ

لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ شَرٌّ مِنْ أخِي الْـ إشْـرَاكِ بـالـمـعْـقُـولِ والـبُـرْهَـانِ
إنَّ الـمـعَـطِّـلَ جَـاحِـدٌ لِـلـذَّاتِ أَوْ لِـكَـمَـالِـهَـا هَـذَانِ تَـعْـطِـيـلاَنِ
مُـتَـضَـمِّـنَـانِ الـقَـدْحَ فِـي نَـفْـسِ الأُلُـو هَـةِ كَـمْ بِـذَاكَ الـقَـدْحِ مِـنْ نُـقْـصَـانِ
وَالـشِّـرْكُ فَـهْـوَ تَـوسُّـلٌ مَـقْـصُـودُهُ الـزْ زُلْـفَـى مِـنَ الـرَّبِّ الـعَـظِـيـمِ الـشَّـانِ
بِـعِـبَـادَةِ الـمـخْـلُـوقِ مِـنْ حَـجَـرٍ وَمِـنْ بَـشَـرٍ وَمِـنْ قَـبْـرٍ وَمِـنْ أوْثَـانِ
فَـالـشِّـرْكُ تَـعْـظِـيـمٌ بِـجَـهْـلٍ مِـنْ قِـيَـا سِ الـرَّبِّ بـالأُمَـرَاءِ والـسُّـلْـطَـانِ
ظَـنُّـوا بـأنَّ الـبَـابَ لاَ يُـغْـشَـى بِـدُو نِ تَـوَسُّـطِ الـشُّـفَـعَـاءِ والأَعْـوَانِ
ودَهَـاهُـمُ ذَاكَ الـقِـيَـاسُ الـمـسْـتَـبِـيـ ـنُ فَـسَـادُهُ بِـبَـدَاهَـةِ الإنْـسَـانِ
الـفَـرْقُ بَـيْـنَ الـلَّـهِ والـسُّـلْـطَـانِ مِـنْ كُـلِّ الـوُجُـوهِ لِـمَـنْ لَـهُ أُذُنَـانِ
أنَّ الـمُـلُـوكَ لَـعَـاجِـزُونَ وَمَـا لَـهُـمْ عِـلْـمٌ بـأحْـوَالِ الـدُّعَـا بـأذَانِ
كَـلاَّ وَلاَ هُـمْ قَـادِرُونَ عَـلَـى الَّـذِي يَـحْـتَـاجُـهُ الإنْـسَـانُ كُـلَّ زَمَـانِ
كَـلاَّ وَمَـا تِـلْـكَ الإرَادَةُ فِـيـهِـمُ لِـقَـضَـا حَـوَائِـجِ كُـلِّ مَـا إنـسَـانِ
كَـلاَّ وَلاَ وَسِـعُـوا الـخَـلِـيـقَـةَ رَحْـمَـةً مِـنْ كُـلِّ وَجْـهٍ هُـمْ أولُـو الـنُّـقْـصَـانِ
فَـلِـذَلِـكَ احْـتَـاجُـوا إلَـى تِـلْـكَ الـوَسَـا ئِـطِ حَـاجَـةً مِـنْـهُـمْ مَـدَى الأزْمَـانِ
أَمَّـا الَّـذِي هُـوَ عَـالِـمٌ لِـلْـغَـيْـبِ مُـقْـ ـتَـدِرٌ عَـلَـى مَـا شَـاءَ ذُو إحْـسَـانِ
وَتَـخَـافُـهُ الـشُّـفَـعَـاءُ لَـيْـسَ يُـرِيـدُ مِـنْـ ـهُـمْ حَـاجَـةً جَـلَّ الـعَـظِـيـمُ الـشَّـانِ
بَـلْ كُـلُّ حَـاجَـاتٍ لَـهُـمْ فَـإلَـيْـهِ لاَ لِـسِـوَاهُ مِـنْ مَـلَـكٍ وَلاَ إنْـسَـانِ
وَلَـهُ الـشَّـفَـاعَـةُ كُـلُّـهَـا وَهْـوَ الَّـذِي فِـي ذَاكَ يَـأْذَنُ لِـلـشَّـفِـيـعِ الـدَّانِـي
لِمَنِ ارْتَضَى مِمَّنْ يُوحِّدُهُ وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَـيْـئـاً لِـمَـا قَـدْ جَـاءَ فِـي الـقُـرْآنِ
سَـبَـقَـتْ شَـفَـاعَـتُـهُ إلَـيْـهِ فَـهْـوَ مَـشْـ ـفُـوعٌ إلَـيْـهِ وَشَـافِـعٌ ذُو شَـانِ
فَـلِـذَا أَقَـامَ الـشَّـافِـعِـيـنَ كَـرَامَـةً لَـهُـمُ ورَحْـمَـةَ صَـاحِـبِ الـعِـصْـيَـانِ
فَـالـكُـلُّ مِـنْـهُ بَـدَا وَمـرْجِـعُـهُ إلَـيْـ ـهِ وَحْـدَهُ مَـا مِـنْ إلَـٰهٍ ثَـانِ

غَلَطَ الأُلى جَعَلُوا الشَّفَاعَةَ مِنْ سِوا ... هُ إلَيْهِ دُونَ الإِذْنِ مِنْ رَحْمٰنِ
هَذِي شَفَاعَةُ كُلِّ ذِي شِرْكٍ فَلاَ ... تَعْقِدْ عَلَيْهَا يَا أَخَا الإِيمَانِ
وَاللَّهُ فِي القُرْآنِ أَبْطَلَهَا فَلاَ ... تَعْدِلْ عَنِ الآثَارِ والقُرْآنِ
وَكَذَا الوَلاَيَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ لاَ ... لِسِوَاهُ مِنْ مَلَكٍ وَلاَ إِنْسَانِ
وَاللَّهِ لَمْ يَفْهَمْ أُولُو الإِشْرَاكِ ذَا ... وَرَآهُ تَنْقِيصاً أُولُو النُّقْصَانِ
إِذْ قَدْ تَضَمَّنَ عَزْلَ مَنْ يُدْعَى سِوَى الرْ ... رَحْمٰنِ بَلْ أَحَدِيَّةَ الرَّحْمٰنِ
بَلْ كُلُّ مَدْعُوٍّ سِوَاهُ مِنْ لَدُنْ ... عَرْشِ الإِلٰهِ إِلَى الحَضِيضِ الدَّانِ
هُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِهِ وَدُعَاءُ عَا ... بِدِهِ لَهُ مِنْ أَبْطَلِ البُطْلاَنِ
فَلَهُ الوَلاَيَةُ والوَلاَيَةُ مَا لَنَا ... مِنْ دُونِهِ وَالٍ مِنَ الأَكْوَانِ
فَإِذَا تَوَلاَّهُ امْرُؤٌ دُونَ الوَرَى ... طُرّاً تَوَلاَّهُ العَظِيمُ الشَّانِ
وَإِذَا تَوَلَّى غَيْرَهُ مِنْ دُونِهِ ... وَلاَّهُ مَا يَرْضَى بِهِ لِهَوَانِ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ ... وَكَذَاكَ عِنْدَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
حَقّاً يُنَادِيهِمْ نِداً سُبْحَانَهُ ... يَوْمَ المَعَادِ فَيَسْمَعُ الثَّقَلانِ
يَا مَنْ يُرِيدُ وِلاَيَةَ الرَّحْمٰنِ دُو ... نَ وِلاَيَةِ الشَّيْطَانِ وَالأَوْثَانِ
فَارِقْ جَمِيعَ النَّاسِ فِي إِشْرَاكِهِمْ ... حَتَّى تَنَالَ وِلاَيَةَ الرَّحْمٰنِ
يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الخَلاَئِقَ رَحْمَةً ... وَكِفَايَةً ذُو الفَضْلِ والإِحْسَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ ... تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي سَتْرِهِ ... وَيَرَاكَ حِينَ تَجِيءُ بِالعِصْيَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ ... وَوِقَايَةٍ مِنْهُ مَدَى الأَزْمَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ ... مُتَقَلِّباً فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ
يَدْعُوهُ أَهْلُ الأَرْضِ مَعْ أَهْلِ السَّمَا ... ءِ فَكُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ
وَهُوَ الكَفِيلُ بِكُلِّ مَا يَدْعُونَهُ ... لاَ يَعْتَرِي جَدْوَاهُ مِنْ نُقْصَانِ
فَتَوسُّطُ الشُّفَعَاءِ والشُّرَكَاءِ والظُّـ ... ـظُهَرَاءِ أَمْرٌ بَيِّنُ البُطْلاَنِ
مَا فِيهِ إِلاَّ مَحْضُ تَشْبِيهٍ لَهُمْ ... بِاللَّهِ وهُوَ فَأَقْبَحُ البُهْتَانِ
مَعْ قَصْدِهِمْ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ ... مَا عَطَّلُوا الأَوْصَافَ لِلرحْمٰنِ

لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِلْـ ـلاَ النَّفْيُ أَيْنَ النَّفْيُ مِنْ إِيمَانِ
وَالقَلْبُ لَيْسَ يُقِرُّ إلاَّ بِالتَّـ ـتَعَبُّدِ فَهْوَ يَدْعُوهُ إِلَى الأَكْوَانِ
فَتَرَى المعَطِّلَ دَائِماً فِي حَيرةٍ مُتَنَقِّلاً فِي هَذِهِ الأَعْيَانِ
يَدْعُو إلٰهاً ثُمَّ يَدْعُو غَيْرَهُ ذَا شَأْنُهُ أَبَداً مَدَى الأَزْمَانِ
وَنَرَى الموَحِّدَ دَائِماً مُتَنَقِّلاً بِمَنَازِلِ الطَّاعَاتِ والإِحْسَانِ
مَا زَالَ يَنْزِلُ فِي الوَفَاء مَنَازِلاً وَهيَ الطَّرِيقُ لَهُ إِلَى الرَّحْمٰنِ
لَكِنَّمَا مَعْبُودُهُ هُوَ وَاحِدٌ مَا عِنْدَهُ رَبَّانِ مَعْبُودَانِ



فصلٌ

في مَثَلِ المشْرِكِ والمعطِّلِ

أَيْنَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِي مَلِكٍ عَظِيـ ـمٍ لَسْتَ فِينَا قَطُّ ذَا سُلْطَانِ
مَا فِي صِفَاتِكَ مِنْ صِفَاتِ الملْكِ شَيْ ءٌ كُلُّهَا مَسْلُوبَةُ الوِجْدَانِ
فَهَلِ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الملْكِ أَوْ دَبَّرْتَ أَمْرَ الملْكِ والسُّلْطَانِ
أَوْ قُلْتَ مَرْسُوماً تُنَفِّذُهُ الرَّعَا يَا أَوْ نَطَقْتَ بِلَفْظَةٍ بِبَيَانِ
أَوْ كُنْتَ ذَا أَمْرٍ وَذَا نَهْيٍ وَتَكْـ ـلِيمٍ لِمَنْ وَافَى مِنَ البُلْدَانِ
أَوْ كُنْتَ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ وَذَا عِلْمٍ وَذَا سُخْطٍ وَذَا رِضْوَانِ
أَوْ كُنْتَ قَطُّ مُكَلِّماً مُتَكَلِّماً مُتَصَرِّفاً بِالْفِعْلِ كُلَّ زَمَانِ
أَوْ كُنْتَ تَفعلُ مَا تَشَاءُ حَقِيقَةَ الْـ ـفِعْلِ الَّذِي قَدْ قَامَ بِالأَذْهَانِ
أَوْ كُنْتَ حَيّاً فَاعِلاً بِمَشِيئَةٍ وَبِقُدْرَةٍ أَفْعَالَ ذِي السُّلْطَانِ
فِعْلٌ يَقُومُ بِغَيْرِ فَاعِلِه مُحَا لٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ لِذِي الإِنْسَانِ
بَلْ حَالَةُ الفَعَّالِ قَبْلُ وَمَعْ وَبَعْـ ـدُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ بِلاَ فُرْقَانِ
وَاللَّهِ لَسْتَ بِفَاعِلٍ شَيْئاً إِذَا مَا كَانَ شَأْنُكَ مِنْكَ هَذَا الشَّانِ
لاَ دَاخِلاً فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجٍ عَنَّا خَيَالاً دُرْتَ فِي الأَذْهَانِ
فَبِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ فِينَا مَالِكاً مُلْكاً مُطَاعاً قَاهِرَ السُّلْطَانِ

إِسْـمـاً وَرَسْـمـاً لاَ حَـقِـيـقـةَ تَـحْـتَـهُ شَـأْنُ الـمـلُـوكِ أَجَـلُّ مِـنْ ذَا الـشَّـانِ
هَـذَا وَثَـانٍ قَـالَ أَنْـتَ مَـلِـيـكُـنَـا وَسِـوَاكَ لاَ نَـرْضَـاهُ مِـنْ سُـلْـطَـانِ
إِذْ حُزتَ أَوْصَافَ الكَمَالِ جَمِيعَهَا وَلأَجْـلِ ذَا دَانَـتْ لَـكَ الـثَّـقَـلاَنِ
وَقَد اسْتَوَيتَ عَلَى سَرِيرِ المُلْكِ وَاسْـ تَـوْلَـيْـتَ مَـعْ هَـذَا عَـلَـى الـبُـلْـدَانِ
لَـكِـنَّ بَـابَـكَ لَـيْـسَ يَـغْـشَـاهُ امْـرؤٌ إِنْ لَـمْ يَـجِـيءْ بِـالـشَّـافِـعِ الـمـغْـوَانِ
وَيَـذِلُّ لِـلْـبَـوَّابِ وَالـحُـجَّـابِ والـشُّـ ـفَـعَـاءِ أَهْـلِ الـقُـرْبِ والإِحْـسَـانِ
أَفَـيَـسْـتَـوِي هَـذَا وَهَـذَا عِـنْـدَكُـمْ وَالـلَّـهِ مَـا اسْـتَـوَيَـا لَـدَى إِنْـسَـانِ
وَالـمـشْـرِكُـونَ أَخَـفُّ فِـي كُـفْـرَانِـهِـمْ وَكِـلاَهُـمَـا مِـنْ شِـيـعَـةِ الـشَّـيْـطَـانِ
إِنَّ الـمـعَـطِّـلَ بِـالـعَـدَاوَةِ قَـائِـمٌ فِـي قَـالَـبِ الـتَّـنْـزِيـهِ لِـلـرَّحْـمٰـنِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

فيما أعدَّ اللَّهُ تعالى مِنَ الإحسانِ للمتمسِّكينَ بكتابِهِ وسنَّةِ رسولِهِ ﷺ عندَ فسادِ الزَّمانِ

هَـذَا ولِـلْـمـسْـتَـمْـسِـكِـيـنَ بِـسُـنَّـةِ الْـ ـمُـخْـتَـارِ عِـنْـدَ فَـسَـادِ ذِي الأَزْمَـانِ
أَجْـرٌ عَـظِـيـمٌ لَـيْـسَ يَـقْـدِرُ قَـدْرَهُ إِلاَّ الَّـذِي أَعْـطَـاه لِـلإِنْـسَـانِ
فَـرَوَى أَبُـو دَاودَ فِـي سُـنَـنٍ لَـهُ وَرَوَاهُ أَيْـضـاً أَحْـمَـدُ الـشَّـيْـبَـانِـي
أَثَـراً تَـضَـمَّـنَ أَجْـرَ خَـمْـسِـيـنَ امْـرَءاً مِنْ صَحْبِ أَحْـمَدَ خِيْرَةِ الرَّحْمٰنِ
إِسْـنَـادُهُ حَـسَـنٌ وَمِـصْـدَاقٌ لَـهُ فِـي مُـسْـلِـمٍ فَـافْـهَـمْـهُ بِـالإِحْـسَـانِ
إِنَّ الْـعِـبَـادَةَ وَقْـتَ هَـرْجٍ هِـجْـرَةٌ حَـقّـاً إِلَـيَّ وَذَاكَ ذُو بُـرْهَـانِ
هَـذَا فَـكَـمْ من هِـجْـرَةٍ لَـكَ أَيُّـهَـا الـسُّـ ـنِّـيُّ بِـالـتَّـحْـقِـيـقِ لاَ بِـأَمَـانِ
هَـذَا وَكَـمْ مِـنْ هِـجْـرَةٍ لَـهُـمُ بِـمَـا قَـالَ الـرَّسُـولُ وَجَـاءَ فِـي الـقُـرْآنِ
وَلَـقَـدْ أَتَـى مِـصْـدَاقُـهُ فِـي الـتِّـرمِـذِيْـ ـيِ لِـمَـنْ لَـهُ أُذُنَـانِ وَاعِـيَـتَـانِ
فِـي أَجْـرِ مُـحْـيِـي سُـنَّـةٍ مَـاتَـتْ فَـذَا كَ مَـعَ الـرَّسُـولِ رَفِـيـقُـهُ بِـجِـنَـانِ
هَـذَا وَمِـصْـدَاقٌ لَـهُ أَيْـضـاً أَتَـى فِـي الـتِّـرمِـذِيِّ لِـمـنْ لَـهُ عَـيْـنَـانِ

تَشْبِيهُ أُمَّتِهِ بِغَيْثٍ أوَّلٌ ... مِنْهُ وآخِرُهُ فَمُشْتَبِهَانِ
فَلِذَاكَ لاَ يدْرِي الَّذِي هُوَ مِنْهُمَا ... قَدْ خُصَّ بالتفْضِيلِ والرجْحَانِ
وَلَقَدْ أتى أثرٌ بأنَّ الفَضْلَ فِي الطْـ ... ـطَرَفَيْنِ أعْني أوَّلاً والثَّانِي
وَالوَسْطُ ذُو ثَبَجٍ فأعْوَجُ هَكَذَا ... جَاءَ الحَدِيثُ وَلَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
وَلَقَدْ أَتَى فِي الوَحْيِ مِصْدَاقٌ لَهُ ... فِي الثُّلَّتَيْنِ وَذَاكَ فِي القُرْآنِ
أَهْلُ اليَمِينِ فَثُلَّةٌ مَعْ مِثْلِهَا ... والسَّابِقُونَ أَقَلُّ فِي الحُسْبَانِ
مَا ذَاكَ إلاَّ أنَّ تَابِعَهُمْ هُمُ الْـ ... ـغُرَبَاءُ لَيْسَتْ غُرْبَةَ الأوْطَانِ
لَكِنَّهَا واللَّهِ غُرْبَةُ قَائِمٍ ... بالدِّينِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
فَلِذَاكَ شَبَّهَهُمْ بِهِ مَتْبُوعُهُمْ ... فِي الغُرْبَتَيْنِ وَذَاكَ ذُو تِبْيَانِ
لَمْ يُشْبِهُوهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ... مِنْ كُلِّ وَجْهٍ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
فَانْظُرْ إلَى تَفْسِيرِهِ الغُرَبَاءَ بِالْـ ... ـمُحْيِينَ سُنَّتَهُ بِكُلِّ زَمَانِ
طُوبَى لَهُمْ وَالشَّوْقُ يَحْدُوهُمْ إِلَى ... أَخْذِ الحَدِيثِ وَمُحْكَمِ القُرْآنِ
طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبَؤوا بِنُحَاتَةِ الْـ ... أَفْكَارِ أَوْ بِزِبَالَةِ الأذْهَانِ
طُوبَى لَهُمْ رَكِبُوا عَلَى مَتْنِ العزَا ... ئِمِ قَاصِدِينَ لِمَطْلَعِ الإِيمَانِ
طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبَؤوا شَيْئاً بِذِي الْـ ... آرَاءِ إِذْ أَغْنَاهُمُ الوَحْيَانِ
طُوبَى لَهُمْ وَإِمَامُهُمْ دُونَ الوَرَى ... مَنْ جَاءَ بالإِيمَانِ والفُرْقَانِ
واللَّهِ ما ائْتَمُّوا بِشَخْصٍ دُونَهُ ... إلاَّ إذا مَا دَلَّهُمْ بِبَيَانِ
فِي البَابِ آثَارٌ عَظِيمٌ شَأْنُهَا ... أَعْيَتْ عَلَى العُلَمَاءِ فِي الأزْمَانِ
إِذْ أجْمَعَ العُلَمَاءُ أَنَّ صَحَابَةَ الْـ ... ـمُخْتَارِ خَيْرُ طَوَائِفِ الإِنْسَانِ
ذَا بِالضَّرُورةِ لَيْسَ فِيهِ الخُلْفُ بَيْـ ... ـنَ اثْنَيْنِ مَا حُكِيَتْ بِهِ قَوْلاَنِ
فَلِذَاكَ ذِي الآثَارُ أَعْضَلَ أَمْرُهَا ... وَبَغَوا لَهَا التَّفْسِيرَ بِالإِحْسَانِ
فَاسْمَعْ إذاً تأويلَهَا وافْهَمْهُ لاَ ... تَعْجَلْ بِرَدٍّ مِنْكَ أوْ نُكْرَانِ
إِنَّ البِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحِطْ ... عِلْماً بِهِ سَبَبٌ إِلَى الحِرْمَانِ
الفَضْلُ مِنْهُ مُطْلَقٌ ومُقَيَّدٌ ... وهُمَا لأهْلِ الفَضْلِ مرْتَبَتَانِ
وَالفَضْلُ ذُو التَّقْيِيد لَيْسَ بِمُوجِبٍ ... فَضْلاً عَلَى الإِطْلاَقِ مِنْ إِنْسَانِ

لاَ يُوجِبُ التَّقْيِيدَ أنْ يَقْضِي لَهُ بِالإسْتِوَاءِ فَكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ
إذْ كَانَ ذُو الإطْلاَقِ حَازَ مِنَ الفَضَا ئِلِ فَوْقَ ذِي التَّقْيِيدِ بِالإحْسَانِ
فَإذَا فَرَضْنَا وَاحِداً قَدْ حَازَ نَوْ عاً لَمْ يَحُزْهُ فَاضِلُ الإنْسَانِ
لَمْ يُوجِبِ التَّخْصِيصُ مِنْ فَضْلٍ عَلَيْـ ـهِ وَلاَ مُسَاوَاةٍ وَلاَ نُقْصَانِ
مَا خَلْقُ آدَمَ بِالْيَدَيْنِ بِمُوجِبٍ فَضْلاً عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ
وَكَذَا خَصَائِصُ مَنْ أَتَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ كُلِّ رُسْلِ اللَّهِ بِالبُرْهَانِ
فَمُحَمَّدٌ أَعْلاَهُمُ فَوْقاً وَمَا حَكَمَتْ لَهُمْ بِمَزِيَّةِ الرُّجْحَانِ
فَالحَائِزُ الخَمْسِينَ أجْراً لَمْ يَحُزْ هَا فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الإيمَانِ
هَلْ حَازَهَا فِي بَدْرٍ أوْ أُحُدٍ أوِ الْـ ـفَتْحِ المُبِينِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
بَلْ حَازَهَا إذْ كَانَ قَدْ فَقَدَ المُعِيـ ـنَ وَهُمْ فَقَدْ كَانُوا أولِي أعْوَانِ
وَالرَّبُّ لَيْسَ يُضِيعُ مَا يَتَحَمَّلُ الْـ ـمُتَحَمِّلُونَ لأجْلِهِ مِنْ شَانِ
فَتَحَمُّلُ العَبْدِ الوَحِيدِ رِضَاهُ مَعْ فَيْضِ العَدُوِّ وَقِلَّةِ الأعْوَانِ
مِمَّا يَدُلُّ عَلَى يَقِينٍ صَادِقٍ وَمَحَبَّةٍ وَحَقِيقَةِ العِرْفَانِ
يَكْفِيهِ ذُلاً وَاغْتِرَاباً قِلَّةُ الْـ أنْصَارِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ تَغْزُوهُ إنْ تَرْجِعْ يُوَافِيهِ الفَرِيقُ الثَّانِي
فَسَلِ الغَرِيبَ المُسْتَضَامَ عَنِ الَّذِي يَلْقَاهُ بَيْنَ عِداً بِلاَ حُسْبَانِ
هَذَا وَقَدْ بَعُدَ المَدَى وَتَطَاوَلَ الْـ ـعَهْدُ الَّذِي هُوَ مُوجِبُ الإحْسَانِ
وَلِذَاكَ كَانَ كَقَابِضٍ جَمْراً فَسَلْ أَحْشَاءَهُ عَنْ حَرِّ ذِي النِّيرانِ
وَاللَّهُ أعْلَمُ بِالَّذِي فِي قَلْبِهِ يَكْفِيهِ عِلْمُ الوَاحِدِ المَنَّانِ
فِي القَلْبِ أمْرٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إلاَّ الَّذِي آتَاهُ لِلإنْسَانِ
بِرٌّ وَتَوْحِيدٌ وَصَبْرٌ مَعْ رِضاً وَالشُّكْرُ وَالتَّحْكِيمُ لِلقُرْآنِ
سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ العِبَا دِ فَذَاكَ مُولِي الفَضْلِ وَالإحْسَانِ
فَالفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِصُورَةِ الْـ أعْمَالِ بَلْ بِحَقَائِقِ الإيمَانِ
وَتَفَاضُلُ الأعْمَالِ يَتْبَعُ مَا يَقُو مُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ البُرْهَانِ
حَتَّى يَكُونَ العَامِلاَنِ كِلاَهُمَا فِي رُتْبَةٍ تَبْدُو لَنَا بِعِيَانِ

هَذَا وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَا ... والأرْضِ فِي فَضْلٍ وَفِي رُجْحَانِ
وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوابِ ذَا وَثَوَابِ ذَا ... رُتَبٌ مُضَاعَفَةٌ بِلاَ حُسْبَانِ
هَذَا عَطَاءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلاَلُهُ ... وَبِذَاكَ تَعْرِفُ حِكْمَةَ الرَّحْمٰنِ



فصلٌ

فيما أعدَّ اللَّهُ تعالى
في الجَنَّةِ لأوليائِهِ المتمسكينَ بالكتابِ والسُّنَّةِ

يَا خَاطِبَ الحُورِ الحِسَانِ وَطَالِباً ... لِوَصْلِهِنَّ بِجَنَّةِ الحَيَوانِ
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ وَمَنْ طَلَبْـ ... ـتَ بَذَلْتَ مَا تَحْوِي مِنَ الأَثْمَانِ
أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكَنُهَا جَعَلْـ ... ـتَ السَّعْيَ مِنْكَ لَهَا عَلَى الأَجْفَانِ
وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسْكَنِهَا فإنْ ... رُمْتَ الوِصَالَ فَلاَ تَكُنْ بالْوَانِي
أَسْرِعْ وَحُثَّ السَّيْرَ جَهْدَكَ إنَّمَا ... مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةٌ لِزَمَانِ
فاعْشَقْ وَحَدِّثْ بالوِصَالِ النَّفْسَ وَابْـ ... ـذُلْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إمْكَانِ
وَاجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَوْ ... مَ الوَصْلِ يَوْمَ الفِطْرِ مِنْ رَمضَانِ
وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الحَادِي وَسِرْ ... تلْقَ المَخَاوِفَ وَهْيَ ذَاتُ أَمَانِ
لاَ يُلْهِيَنَّكَ مَنْزِلٌ لَعِبَتْ بِهِ ... أَيْدِي البِلاَ مِنْ سَالِفِ الأزْمَانِ
فَلَقَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسَرَّةٍ ... وَتَبَدَّلَتْ بِالهَمِّ والأحْزَانِ
سِجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الإيمَانِ لَـ ... ـكِنْ جَنَّةُ المأوَى لِذِي الكُفْرانِ
سُكَّانُهَا أَهْلُ الجَهَالَةِ والبَطَا ... لَةِ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ
وَألَذُّهُمْ عَيْشاً فَجَاهِلُهُمْ بِحَقْـ ... ـقِ اللَّهِ ثُمَّ حَقَائِقِ القُرآنِ
عَمُرَتْ بِهِمْ هذِي الدِّيَارُ وأَقْفَرَتْ ... مِنْهُمْ رُبُوعُ العِلْمِ والإِيمَانِ
قَدْ آثَروا الدُّنْيَا وَلَذَّةَ عَيْشِهَا الْـ ... ـفَانِي عَلَى الجَنَّاتِ والرِّضْوَانِ
صَحِبُوا الأَمَانِي وابْتُلُوا بِحُظُوظِهِمْ ... وَرَضُوا بِكُلِّ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ
كَدْحاً وَكَدّاً لاَ يُفَتَّر عَنْهُمُ ... مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أحْزَانِ

وَاللَّهِ لَوْ شَاهَدْتَ هَاتِيكَ الصُّدُو ... رَ رَأَيْتَهَا كَمَرَاجِلِ النِّيرَانِ
وَوُقُودُهَا الشَّهَوَاتُ والحَسَرَاتُ والْـ ... آلامُ لاَ تَخْبُو مَدَى الأَزْمَانِ
أَبْدَانُهُمْ أَجْدَاثُ هَاتِيكَ النُّفُو ... سِ الَّلاءِ قَدْ قُبِرَتْ مَعَ الأَبْدَانِ
أَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ ... فِي كَدْحِهَا لاَ فِي رِضَا الرَّحْمٰنِ
هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ ... فَبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ والشَّيْطَانِ
لاَ تَرْضَ مَا اخْتَارُوهُ هُمْ لِنُفُوسِهِمْ ... فَقَدِ ارْتَضَوْا بِالذُّلِّ وَالحِرْمَانِ
لَوْ سَاوَتِ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ... لَمْ يَسْقِ مِنْهَا الرَّبُّ ذَا الكُفْرَانِ
لَكِنَّهَا وَاللَّهِ أَحْقَرُ عِنْدَهُ ... مِنْ ذَا الجَنَاحِ القَاصِرِ الطَّيَرَانِ
وَلَقَدْ تَوَلَّتْ بَعْدُ عَنْ أَصْحَابِهَا ... فَالسَّعْدُ مِنْهَا حَلَّ بِالدَّبَرَانِ
لاَ يُرْتَجَى مِنْهَا الوَفَاءُ لِصَبِّهَا ... أَيْنَ الوَفَا مِنْ غَادِرٍ خَوَّانِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ فَكَيْفَ يَنَالُهَا ... صَفْوٌ أَهَذَا قَطُّ فِي الإِمْكَانِ
يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَأَهَّبْ لِلَّذِي ... قَدْ نَالَهُ العُشَّاقُ كُلَّ زَمَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ بَلْ رَأَيتَ مَصَارِعَ الْـ ... عُشَّاقِ مِنْ شِيبٍ وَمِنْ شُبَّانِ

* * *

فصلٌ

في صفةِ الجَنَّةِ الَّتي أعدَّها اللَّهُ ذُو الفضْلِ والمنَّةِ لأوليائِهِ المتمسِّكينَ بالكتابِ والسُّنَّةِ

فَاسْمَعْ إِذاً أَوْصَافَهَا وَصِفَاتِ هَا ... تِيكَ المَنَازِلِ رَبَّةِ الإِحْسَانِ
هِيَ جَنَّةٌ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا ... فَنَعِيمُهَا بَاقٍ وَلَيْسَ بِفَانِ
دَارُ السَّلاَمِ وَجَنَّةُ المَأْوى وَمَنْـ ... ـزِلُ عَسْكَرِ الإِيمَانِ والقُرْآنِ
فَالدَّارُ دَارُ سَلاَمَةٍ وَخِطَابُهُمْ ... فِيهَا سَلاَمٌ واسْمُ ذِي الغُفْرَانِ

* * *

فصلٌ

في عددِ دَرجاتِ الجنَّة ومَا بينَ كلّ دَرَجتينِ

دَرَجَاتُهَا مِائَةٌ وَمَا بَيْنَ اثْنَتَيْـ ـنِ فَذَاكَ فِي التَّحْقِيقِ لِلحُسْبَانِ
مِثْلُ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هَـ ـذِي الأرضِ قَوْلُ الصَّادِقِ البُرْهَانِ
لَكِنَّ عَالِيهَا هُوَ الفِرْدَوْسُ مَسْـ ـقُوفٌ بِعَرْشِ الخَالِقِ الرَّحْمٰنِ
وَسطَ الجِنَانِ وَعُلْوُهَا فَلِذَاكَ كَا نَتْ قُبَّةٌ مِنْ أَحْسَنِ البُنْيَانِ
مِنْهُ تَفجَّرَ سَائِرُ الأنهَارِ فَالْـ ـمَنْبُوعُ مِنْهُ نَازِلٌ بِجِنَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في أبوابِ الجنَّةِ

أَبْوَابُهَا حَقٌّ ثَمَانِيَةٌ أَتَتْ فِي النَّصِّ وَهْيَ لِصَاحِبِ الإِحْسَانِ
بَابُ الجِهَادِ وَذَاكَ أعْلاَهَا وبَا بُ الصَّوْمِ يُدْعَى البَابُ بالرَّيَّانِ
وَلِكُلِّ سَعْيٍ صَالِحٍ بَابٌ وَرَبْـ ـبُ السَّعْيِ مِنْهُ دَاخِلٌ بأَمَانِ
وَلَسَوْفَ يُدْعَى المرءُ مِنْ أبوابِهَا جَمْعاً إِذَا وَفَّى حُلَى الإِيمَانِ
مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذَا كَ خَلِيفَةُ المَبْعُوثِ بالقُرْآنِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في مقدارِ ما بينَ البابِ والبابِ مِنْهَا

سَبْعُونَ عَاماً بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْـ ـهَا قُدِّرَتْ بِالعَدِّ وَالحُسْبَانِ
هَذَا حَدِيثُ لَقِيطِ المَعْرُوفُ بالْـ ـخَبَرِ الطَّوِيلِ وَذَا عَظِيمُ الشَّانِ
وَعَلَيْهِ كُلُّ جَلاَلَةٍ وَمَهَابَةٍ وَلَكَمْ حَوَاهُ بَعْدُ مِنْ عِرْفَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في مقدارِ ما بينَ مِصْرَاعي البابِ الواحدِ مِنْهَا

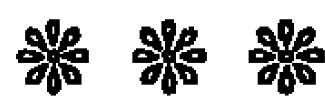
لَكِنَّ بَيْنَهُمَا مَسِيرةَ أربعِيـ ـنَ رَوَاهُ حَبْرُ الأمَّةِ الشَّيْبَانِي
فِي مُسْنَدٍ بالرَّفْعِ وَهْوَ لمسْلِمٍ وَقْفٌ كَمَرْفُوعٍ بوجْهٍ ثَانِي
وَلَقَدْ رَوَى تَقْدِيرَهُ بِثَلاَثَةِ الْـ أيَّامِ لَكِنْ عِنْدَ ذِي العِرْفَانِ
أَعْنِي البُخَارِيَّ الرِّضى هُوَ مُنْكَرٌ وَحَدِيثُ رَاوِيهِ فَذُو نُكْرَانِ



فصلٌ

في مِفتاحِ بابِ الجنَّةِ

هَذَا وَفَتْحُ البَابِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ إلاَّ بِمِفْتَاحٍ عَلَى أسْنَانِ
مِفْتَاحُهُ بِشَهَادَةِ الإِخْلاَصِ والتَّـ ـتَوْحِيدِ تِلْكَ شهَادَةُ الإِيمَانِ
أَسْنَانُهُ الأعْمَالُ وَهْيَ شَرَائِعُ الْـ إسْلاَمِ والمِفْتَاحُ بالأسْنَانِ
لاَ تُلْغِيَنْ هَذَا المثَالَ فَكَمْ بِهِ مِنْ حَلِّ إشْكَالٍ لِذِي العِرْفَانِ



فصلٌ

في مَنْشُورِ الجنَّةِ الذي يُوقَّع به لصاحِبِهَا

هَذَا وَمن يَدْخُلْ فَلَيْس بِدَاخِلٍ إلاَّ بِتوقِيعٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ
وَكَذَاكَ يُكْتَبُ لِلْفَتَى لِدُخُولِهِ مِنْ قَبْلُ تَوْقِيعَانِ مَشْهُورَانِ
إحْدَاهُمَا بَعْدَ المَمَاتِ وعَرْضِ أرْ وَاحِ العِبَادِ بِهِ عَلَى الدَّيَّانِ
فَيقُولُ رَبُّ العَرْشِ جَلَّ جَلاَلُهُ لِلكَاتِبِينَ وَهُمْ أُولُو الدِّيوانِ
ذَا الاسْمُ فِي الدِّيوانِ يُكْتَبُ ذَاكَ ديـ ـوَانُ الجِنَانِ مُجَاوِرُ المنَّانِ

دِيوانُ عِلِّيينَ أصْحابُ القُرَا ... نِ وَسُنَّةِ المبْعُوثِ بالقُرآنِ
فَإذَا انْتَهى لِلْجِسْرِ يَوْمَ الحَشْرِ يُعْـ ... ـطَى لِلدُّخُولِ إذاً كِتَاباً ثَانِ
عِنْوَانُهُ هَذَا الكِتَابُ مِنْ عَزِيـ ... ـزٍ رَاحِمٍ لِفُلاَنِ بْنِ فُلانِ
فَدَعُوهُ يَدْخُلْ جَنَّةَ المأوَى التِي ارْ ... تَفَعَتْ وَلَكِنَّ القُطُوفَ دَوَانِ
هَذَا وَقَدْ كُتِبَ اسْمُه مُذْ كَانَ فِي الْـ ... أرْحَامِ قَبْلَ وِلاَدَةِ الإنْسَانِ
بَلْ قَبْلَ ذَلِكَ وَهْوَ وَقْتَ القَبْضَتَيـ ... ـنِ كِلاَهُمَا لِلعَدْلِ والإحْسَانِ
سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالمَلَكُوتِ والْـ ... إجْلاَلِ والإكْرَامِ والسُّبْحَانِ
واللَّهُ أكْبَرُ عَالِمُ الأسْرار والْـ ... إعْلاَنِ واللَّحَظَاتِ بالأجْفَانِ
وَالحَمْدُ للَّهِ السَّمِيعِ لِسَائِرِ الْـ ... أصْوَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إعْلاَنِ
وَهْوَ الموَحَّدُ والمسَبَّحُ والمُمَجْـ ... ـجَدُ والحَمِيدُ ومُنْزِلُ القُرآنِ
والأمْرُ مِنْ قَبْلٍ ومِنْ بَعْدٍ لَهُ ... سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ

فصلٌ

في صُفُوفِ أهْلِ الجنَّةِ

هَذَا وإنَّ صُفُوفَهُمْ عِشْرُونَ مَعْ ... مائَةٍ وَهَذِي الأمَّةُ الثُّلُثَانِ
يَرْوِيهِ عَنْهُ بُرَيْدَةٌ إسْنَادُهُ ... شَرْطُ الصَّحِيحِ بِمُسْنَدِ الشَّيْبَانِي
وَلَهُ شَوَاهِد مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْـ ... ـرةَ وابْنِ مَسْعُودٍ وَحَبْرِ زَمَانِ
أعني ابنَ عَبَّاسٍ وَفِي إسْنَادِهِ ... رَجُلٌ ضَعِيفٌ غَيْرُ ذِي إتْقَانِ
وَلَقَدْ أتَانا فِي الصَّحِيحِ بأنَّهُمْ ... شَطْرٌ وَمَا اللَّفْظَانِ مُخْتَلِفَانِ
إذْ قَالَ أرْجُو أنْ تَكُونُوا شَطْرَهُمْ ... هَذَا رَجَاءٌ مِنْهُ لِلرَّحْمٰنِ
أَعْطَاهُ رَبُّ العَرْشِ مَا يَرْجُو وَزَا ... دَ مِنَ العَطَاءِ فَعَالَ ذِي الإحْسَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في صفةِ أوَّلِ زمرةٍ تدْخلُ الجنَّة

هَــذَا وَأَوَّلُ زُمْــرَةٍ فَــوُجُــوهُــهُــمْ كَـالبَـدْرِ لَـيْـلَ السِّـتِّ بَـعْـدَ ثَـمَـانِ
الـسَّـابِـقُـونَ هُـمُ وَقَـدْ كَـانُـوا هُـنَـا أَيْـضـاً أُولِـي سَـبـقٍ إِلَـى الإِحْـسَـانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في صفةِ الزُّمرةِ الثَّانيةِ

والـزُّمْـرَةُ الأُخْـرَى كَـأَضْـوَإ كَـوْكَـبٍ فِـي الأُفْـقِ تَـنْـظُـرُهُ بِـهِ الـعَـيْـنَـانِ
أَمْـشَـاطُـهُـمْ ذَهَـبٌ وَرَشْـحُـهُـمُ فَـمِـسْـ ـكٌ خَـالِـصٌ يَـا ذِلَّـةَ الـحِـرْمَـانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في تفاضُلِ أهْلِ الجنَّةِ في الدَّرجاتِ العُلا

وَيَـرى الـذيـنَ بِـذَيْـلِـهَـا مَـنْ فَـوْقَـهُـمْ مِـثْـلَ الـكَـوَاكِـبِ رُؤيـةً بِـعِـيَـانِ
مَـا ذَاكَ مُـخْـتَـصّـاً بُـرسْـلِ الـلَّـهِ بَـلْ لَـهُـمُ ولـلـصِّـدِّيـقِ ذِي الإِيـمَـانِ

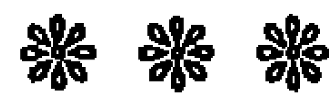
❋ ❋ ❋

فصلٌ

في ذِكْرِ أعْلَى أهْلِ الجنَّةِ منزلةً وأدْناهُمْ

هَــذَا وأعْــلاَهُــمْ فَــنَــاظِــرُ رَبِّــهِ فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ وَقْـتُـهُ الـطَّـرَفَـانِ
لَـكِـنَّ أَدْنَـاهُـمْ وَمَـا فِـيـهِـمْ دَنِـي إِذْ لَـيْـسَ فِـي الـجَـنَّـاتِ مِـنْ نُـقْـصَـانِ
فَـهـوَ الَّـذِي تُـلْـفَـى مَـسَـافَـةُ مُـلْـكِـهِ بِـسِـنِـيـنِـنَـا أَلْـفَـانِ كَـامِـلَـتَـانِ

فَـيـرَى بِـهَـا أقْـصَـاهُ حَـقـاً مِـثْـل رُؤ ... يَـتِـهِ لأدْنَـاهُ الـقَـرِيـبِ الـدَّانِـي
أوَ مَـا سَـمِـعْـتَ بِـأنَّ آخِـر أَهْـلِـهَـا ... يُـعْـطِـيـهِ رَبُّ الـعَـرْشِ ذُو الـغُـفْـرَانِ
أَضْـعَـافَ دُنْـيَـانَـا جَـمِـيـعـاً عَـشْـرَ أَمْـ ... ـثَـالٍ لَـهَـا سُـبْـحَـانَ ذِي الإِحْـسَـانِ



فصلٌ

في ذكرِ سِنِّ أهْلِ الجنَّةِ

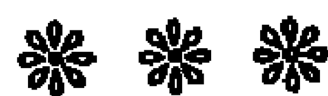
هَـــذَا وَسِـنُّـهُـمُ ثَـلاَثٌ مَـعْ ثَـلاَ ... ثِـيـنَ الَّـتِـي هِـيَ قُـوَّةُ الـشُّـبَّـانِ
وَصَـغِـيـرُهُـمْ وَكَـبِـيـرُهُـمْ فِـي ذَا عَـلَـى ... حَـدٍّ سَـوَاءٍ مَـا سِـوَى الـوِلْـدَانِ
وَلَـقَـد رَوَى الـخُـدْرِيُّ أَيْـضـاً أَنَّـهُـمْ ... أَبْـنَـاءُ عَـشْـرٍ بَـعْـدَهَـا عَـشْـرَانِ
وَكِـلاَهُـمَـا فِـي الـتـرْمِـذِيِّ وَلَـيْـس ذَا ... بِـتَـنَـاقُـضٍ بَـلْ هَـا هُـنَـا أَمْـرَانِ
حَـذْفُ الـثَّـلاَثِ وَنَـيِّـفٍ بَـعْـدَ الـعُـقُـو ... دِ وَذِكْـرُ ذَلِـكَ عِـنْـدَهُـمْ سِـيَّـانِ
عِـنْـدَ اتِّـسَـاعٍ فِـي الـكَـلامِ فـعِـنْـدَ مَـا ... يَـأْتُـوا بِـتَـحْـرِيـرٍ فـبِـالـمِـيـزَانِ



فصلٌ

في طُولِ قَامَاتِ أهْلِ الجَنَّةِ وعَرْضِهِمْ

وَالـطُّـولُ طُـولُ أَبِـيـهِـمُ سِـتُّـونَ لَـ ... كِـنْ عَـرْضُـهُـمْ سَـبْـعٌ بِـلاَ نُـقْـصَـانِ
الطُّولُ صَحَّ بِغيرِ شَكٍّ فِي الصَّحِيـ ... ـحَيْـنِ الـلـذَيْـنِ هُـمَـا لَـنَـا شَـمْـسَـانِ
وَالـعَـرْضُ لَـمْ نَـعْـرِفْـهُ فِـي إِحْـدَاهُـمَـا ... لَـكِـنْ رَوَاهُ أَحْـمَـدُ الـشَّـيْـبَـانِـي
هَـذَا وَلاَ يَـخْـفَـى الـتَّـنَـاسُـبُ بَـيْـنَ هَـ ... ـذَا الـعَـرْضِ وَالـطُّـولِ الـبَـدِيـعِ الـشَّـانِ
كُـلٌّ عَـلَـى مِـقْـدَارِ صَـاحِـبِـهِ وَذَا ... تَـقْـدِيـرُ مُـتْـقِـنِ صَـنْـعَـةِ الإِنْـسَـانِ



فصلٌ

في لحاهُمْ وألوانهُمْ

أَلْوَانُهُمْ بِيضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لِحىً ... جُعْدُ الشُّعورِ مُكَحَّلُوا الأجْفَانِ

هَذا كَمالُ الحُسْنِ فِي أبْشَارِهِمْ ... وَشُعُورِهِمْ وكَذَلِكَ العَيْنَانِ



فصلٌ

في لِسان أهْلِ الجنَّةِ

وَلَقَدْ أَتَى أَثَرٌ بِأَنَّ لِسَانَهُمْ ... بالمنطِقِ العَرَبِيِّ خيرِ لِسَانِ

لكِنَّ فِي إِسْنَادِهِ نظراً ففيـ ... ـهِ رَاوِيَانِ وَمَا هُمَا ثَبْتَانِ

أعْنِي العَلاَءَ هُوَ ابنُ عَمْرٍو ثُمَّ يَحـ ... ـيَى الأشْعَرِيُّ وَذَانِ مَغْمُوزَانِ



فصلٌ

في ريحِ أهْلِ الجنَّةِ مِنْ مسيرةِ كم يُوجَدُ

والرِّيحُ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أرْبَعِيـ ... ـنَ وإنْ تَشَأْ مائَةٌ فَمَرْوِيَّانِ

وَكَذَا رُوِي سَبْعِينَ أَيْضاً صَحَّ هَـ ... ـذَا كُلُّهُ وَأَتَى بِهِ أثَرَانِ

مَا فِي رِجَالِهِمَا لَنَا مِنْ مَطْعَنٍ ... وَالجَمْعُ بَيْنَ الكُلِّ ذُو إمْكَانِ

وَلَقَدْ أَتَى تَقْدِيرُهُ مائَةً بِخَمْـ ... ـسٍ ضَرْبُهَا مِنْ غَيْرِ مَا نُقْصَانِ

إنْ صَحَّ هَذَا فَهْوَ أَيْضاً وَالَّذِي ... مِنْ قَبْلِهِ فِي غَايَةِ الإمْكَانِ

إمَّا بِحَسْبِ المدْرِكِين لِرِيحِهَا ... قُرباً وَبُعْداً مَا هُمَا سِيَّانِ

أَوْ بِاخْتِلاَفِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا ... أَيْضاً وَذَلِكَ وَاضِحُ التِّبْيَانِ

أَوْ بِاخْتِلاَفِ السَّيْرِ أَيْضاً فَهْوَ أَنْـ ... ـوَاعٌ بِقَدْرِ إطَاقَةِ الإنْسَانِ

مَا بَيْنَ أَلْفَاظِ الرَّسُولِ تَنَاقُضٌ ... بَلْ ذَاكَ فِي الأَفْهَامِ والأذْهَانِ

فصلٌ

في أسبقِ النَّاسِ دخولاً إلى الجنَّةِ

وَنظِيرُ هَذَا سَبْقُ أَهْلِ الفَقْرِ لِلْـ   ـجَنَّاتِ فِي تَقْدِيرِهِ أَثَرَانِ
مائَةٌ بِخَمْسٍ ضَرْبُهَا أَوْ أَرْبَعِيـ   ـنَ كِلاَهُمَا فِي ذَاكَ مَحْفُوظَانِ
فَأَبُو هُرَيرَةَ قَدْ رَوَى أولاَهُمَا   وَرَوَى لَنَا الثَّانِي صَحَابِيَّانِ
هَذَا بِحَسْبِ تَفَاوُتِ الْفُقَرَاءِ فِي اسْـ   ـتِحْقَاقِ سَبْقِهِمُ إِلى الإِحْسَانِ
أَوْ ذَا بِحَسْبِ تَفَاوُتٍ فِي الأَغْنِيَا   ءِ كِلاَهُمَا لاَ شَكَّ مَوْجُودَانِ
هَذَا وَأَوَّلُهُمْ دُخُولاً خَيْرُ خَلْـ   ـقِ اللَّهِ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالقُرْآنِ
وَالأَنْبِيَاءُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ مِنَ التَّـ   ـفْضِيلِ تِلْكَ مَوَاهِبُ المنَّانِ
هَذَا وَأُمَّةُ أَحْمَدٍ سَبَّاقُ بَا   قِي الخَلْقِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ بِجِنَانِ
وَأَحَقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَسْبَقُهُمْ إِلَى الْـ   إِسْلاَمِ والتَّصْدِيقِ بِالقُرْآنِ
وَكَذَا أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ أَسْـ   ـبَقُهُمْ دُخُولاً قَوْلَ ذِي البُرْهَانِ
وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ أَنَّ أَوَّلَهُمْ يُصَا   فِحُهُ إِلَهُ العَرْشِ ذُو الإِحْسَانِ
وَيَكُونُ أَوَّلَهُمْ دُخُولاً جَنَّةَ الْـ   ـفِرْدَوسِ ذَلِكَ قَامِعُ الكُفْرَانِ
فَارُوقُ دِينِ اللَّهِ نَاصِرُ قَوْلِهِ   وَرَسُولِهِ وَشَرَائِعِ الإِيمَانِ
لَكِنَّهُ أَثَرٌ ضَعِيفٌ فِيهِ مَجْـ   ـرُوحٌ يُسَمَّى خَالِداً بِبَيَانِ
لَوْ صَحَّ كَانَ عُمُومُهُ المخْصُوصُ بالصِّـ   ـصِدِّيقِ قَطْعاً غَيْرَ ذِي نُكْرَانِ
هَذَا وَأَوَّلُهُمْ دُخُولاً فَهُوَ حَمَّـ   ـمَادُ عَلَى الحَالاَتِ لِلرَّحْمٰنِ
إِنْ كَانَ فِي السَّرَّاءِ أَصْبَحَ حَامِداً   أَوْ كَانَ فِي الضَّرَّا فَحَمْدٌ ثَانِ
هَذَا الَّذِي هُوَ عَارِفٌ بِإِلَهِهِ   وَصِفَاتِهِ وَكَمَالِهِ الرَّبَّانِي
وَكَذَا الشَّهِيدُ فَسَبْقُهُ مُتَيَقَّنٌ   وَهُوَ الجَدِيرُ بِذَلِكَ الإِحْسَانِ
وَكَذَلِكَ المَمْلُوكُ حِينَ يَقُومُ بِالْـ   ـحَقَّيْنِ سَبَّاقٌ بِغَيْرِ تَوَانِ
وَكَذَا فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَيْسَ بِالْـ   ـمِلْحَاحِ بَلْ ذُو عِفَّةٍ وَصِيَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في عددِ الجنَّاتِ وأجناسِها

وَالجنَّةُ اسْمُ الجِنْسِ وَهيَ كَثيرةٌ ... جدّاً وَلَكِنْ أَصْلُهَا نَوْعَانِ
ذَهَبيَّتَانِ بِكُلِّ مَا حَوَتَاهُ مِنْ ... حَلْيٍ وَآنِيَةٍ وَمِنْ بُنْيَانِ
وَكَذَاكَ أَيْضاً فِضَّةٌ ثِنْتَانِ مِنْ ... حَلْيٍ وَبُنْيَانٍ وَكُلِّ أَوَانِ
لَكِنَّ دَارَ الخُلْدِ وَالمأْوَى وَعَدْ ... نٍ والسَّلاَمِ إِضَافَةٌ لِمَعَانِ
أَوْصَافُهَا اسْتَدْعَتْ إِضَافَتَهَا إِلَيْـ ... ـهَا مِدْحَةً مَعْ غَايَةِ التِّبْيَانِ
لَكِنَّمَا الفِرْدَوسُ أَعْلاَهَا وَأَوْ ... سَطُهَا مَسَاكِنُ صَفْوةِ الرَّحْمٰنِ
أَعْلاَهُ مَنْزِلَةً لأَعْلَى الخلْقِ مَنْـ ... ـزِلَةً هُوَ المَبْعُوثُ بالْقُرآنِ
وَهيَ الْوَسِيلَةُ وَهيَ أَعْلَى رُتْبَةً ... خَلُصَتْ لَهُ فَضْلاً مِنَ الرَّحْمٰنِ
وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الرَّحْمٰنِ تَفْـ ... ـضِيلُ الجِنَانِ مُفَصَّلاً بِبَيَانِ
هِيَ أَرْبَعٌ ثِنْتَانِ فَاضِلَتَانِ ثُـ ... ـمَّ يَلِيهِمَا ثِنْتَانِ مَفْضُولاَنِ
فالأُولَيَانِ الفُضْلَيَانِ لأَوْجُهٍ ... عَشْرٍ وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا بِوزَانِ
وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتَهَا ... فِيهِ تَلُوحُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
سُبْحَانَ مَنْ غَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَ الْـ ... ـفِرْدَوسِ عِنْدَ تَكَامُلِ البُنْيَانِ
وَيَدَاه أَيْضاً أَتْقَنَتْ لِبِنَائِهَا ... فَتَبَارَكَ الرَّحْمٰنُ أَعْظَمُ بَانِ
هِيَ فِي الجِنَانِ كَآدَمٍ وَكِلاَهُمَا ... تَفْضِيلُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّانِ
لَكِنَّمَا الجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ ... ذَا الفَضْلِ شَيءٌ فَهْوَ ذُو نُكْرَانِ
وَلَدٌ عَقُوقٌ عَقَّ وَالِدَهُ وَلَمْ ... يُثْبِتْ بِذَا فَضْلاً عَلَى شَيْطَانِ
فَكِلاَهُمَا تَأْثِيرُ قُدْرَتِه وَتَأْ ... ثِيرُ المشِيئَةِ لَيْسَ ثَمَّ يَدَانِ
آلاهُمَا أو نِعْمَتَاهُ وَخَلْقُهُ ... كُلٌّ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ المنَّانِ
لَمَّا قَضَى رَبُّ العِبَادِ العَرْشَ قَا ... لَ تَكَلَّمِي فَتَكَلَّمَتْ بِبَيَانِ
قَدْ أَفْلَحَ العَبْدُ الَّذِي هُوَ مُؤمِنٌ ... مَاذَا ادَّخَرْتُ لَهُ مِنَ الإِحْسَانِ
وَلَقَدْ رَوَى حَقّاً أَبُو الدَّرْدَاءِ ذَا ... كَ عُوَيْمِرٌ أَثَراً عَظِيمَ الشَّانِ

يَهْتَزُّ قَلْبُ العَبْدِ عِنْدَ سَمَاعِهِ ... طَرَباً بِقَدْرِ حَلاَوَةِ الإِيمَانِ
مَا مِثْلُهُ أَبَداً يُقَالُ بِرَأْيِهِ ... أَوْ كَانَ يَا أَهْلاً بِذَا العِرْفَانِ
فِيهِ النُّزُولُ ثَلاَث سَاعَاتٍ فإِحْـ ... ـدَاهُنَّ يَنْظُرُ فِي الكِتَاب الثَّانِي
يَمْحُو وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ ... وَبِعِزَّةٍ وبِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
فَتَرى الفَتَى يُمْسِي عَلَى حَالٍ وَيُصْـ ... ـبِحُ فِي سِوَاهَا مَا هُمَا مِثْلاَنِ
هُوَ نَائِمٌ وأُمُورُهُ قَدْ دُبِّرَتْ ... لَيْلاً وَلاَ يَدْري بِذَاكَ الشَّانِ
والسَّاعَةُ الأُخْرَى إِلَى عَدْنٍ مَسَا ... كِنِ أَهْلِهِ هُمْ صَفوةُ الرَّحْمٰنِ
الرُّسْلُ ثُمَّ الأَنْبِيَاءُ وَمَعْهُمُ الصِّـ ... ـدِّيقُ حَسْبُ فَلاَ تَكُنْ بِجَبَانِ
فِيهَا الَّذِي وَاللَّه لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ... كَلاَّ وَلاَ سَمِعَتْ بِهِ الأُذُنَانِ
كَلاَّ وَلاَ قَلْبٌ بِهِ خَطَرَ المِثَا ... لُ لَهُ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
وَالسَّاعَةُ الأُخْرَى إِلَى هَذِي السَّمَا ... ءِ يَقُولُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ نَدْمَانِ
أَوْ دَاعٍ أَوْ مُسْتَغْفِرٍ أَوْ سَائِلٍ ... أُعْطِيهِ إِنِّي وَاسِعُ الإِحْسَانِ
حَتَّى يُصَلَّى الفَجْرُ يَشْهَدُهَا مَعَ الْـ ... أَمْلاَكِ تِلْكَ شَهَادَةُ القُرآنِ
هَذَا الحَدِيثُ بِطُولِه وَسِيَاقِهِ ... وَتَمَامِهِ فِي سُنَّةِ الطَّبَرانِي



فصلٌ

في بناءِ الجنَّةِ

وَبِنَاؤهَا اللَّبِنَاتُ مِنْ ذَهَبٍ وَأُخْـ ... ـرَى فِضَّةٌ نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ
وقُصُورُهَا مِنْ لُؤلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... أَوْ فِضَّةٍ أَوْ خَالِصِ العِقْيَانِ
وَكَذَاكَ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ بِهِ ... نُظِمَ البِنَاءُ بِغَايَةِ الإِتْقَانِ
وَالطِّينُ مِسْكٌ خَالِصٌ أَوْ زَعْفَرَا ... نٌ جَا بِذَا أَثَرَانِ مَقْبُولاَنِ
لَيْسَا بِمُخْتَلِفَيْنِ لاَ تُنْكِرْهُمَا ... فَهُمَا المِلاَطُ لِذَلِكَ البُنْيَانِ



فصلٌ

في أرْضِها وحصبائِها وتُرْبِها

وَالأَرْضُ مَـرْمَـرَةٌ كَـخَـالِـصِ فِـضَّـةٍ ... مِـثْـلَ الـمِـرَاتِ تَـنَـالُـهُ الـعَـيْـنَـانِ
فِي مُسْلِمٍ تَشْبِيهُهَا بِالدَّرْمَكِ الصْـ ... ـصَـافِي وبِالمسْكِ العَظِيمِ الشَّانِ
هَـذَا لِـحُسْنِ الـلَّـوْنِ لَـكِـنْ ذَا لِـطيـ ... ـبِ الـرِّيـحِ صَـارَ هُـنَـاكَ تَـشْـبِـيـهَـانِ
حَـصْـبَـاؤهَـا دُرٌّ ويَـاقُـوتٌ كَـذَا ... كَ لآلِـىءُ نُـثِـرَتْ كَـنَـثْـرِ جُـمَـانِ
وَتُـرابُـهَـا مِـنْ زَعْـفَـرَانٍ أَوْ مِـنَ الْـ ... ـمِسْكِ الَّذِي مَا اسْتُلَّ مِنْ غِزلاَنِ



فصلٌ

في صِفةِ غُرُفَاتِهَا

غُـرُفَـاتُـهَـا فِـي الـجَـوِّ يُـنْـظَرُ بَطْنُـهَا ... مِـنْ ظَـهْـرِهَـا وَالـظَّـهْـرُ مِـنْ بطْـنَـانِ
سُـكَّـانُـهَـا أهـلُ الـقِـيَـامِ مَـعَ الـصِّـيَـا ... مِ وَطَـيِّـبِ الـكَـلِـمَـاتِ والإِحْـسَـانِ
ثِـنْـتَـانِ خَـالِـصُ حَـقِّـهِ سُـبْـحَـانَـهُ ... وَعَـبِـيـدُهُ أيْـضـاً لَـهُـمْ ثِـنْـتَـانِ



فصلٌ

في خِيامِ أهْلِ الجنَّةِ

لِـلْـعـبـدِ فِـيـهـا خَـيْـمَـةٌ مِـنْ لُـؤلـؤٍ ... قَـدْ جُـوِّفَـتْ هِـيَ صَـنْـعَـةُ الرَّحْـمٰـنِ
سِـتُّـونَ مِـيـلاً طُـولُـهَـا فِـي الـجَـوِّ فِـي ... كُـلِّ الـزوايَـا أَجْـمَـلُ الـنِّـسْـوَانِ
يَغْشَى الجَمِيعَ فَلاَ يُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ ... بَـعْـضـاً وَهَـذَا لاتِّـسَـاعِ مَـكَـانِ
فِـيـهَـا مَـقَـاصِـيـرٌ بِـهـا الأَبْـوَابُ مِـنْ ... ذَهَـبٍ وَدُرٌّ زِيـنَ بِـالـمَـرجَـانِ
وَخِـيَـامُـهَـا مَـنْـصُـوبَـةٌ بِـرِيَـاضِـهَـا ... وَشَـواطِـىءُ الأنْـهَـارِ ذِي الـجَـرَيَـانِ
مَا فِي الخِيَام سِوَى الَّتِي لَوْ قَابَلَتْ ... لِـلـنَّـيِّـرَيْـنِ لَـقُـلْـتَ مُـنْـكَـسِـفَـانِ

لِلَّهِ هَاتِيكَ الخِيَامُ فَكَمْ بِهَا ... لِلقَلْبِ مِنْ عُلَقٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
فِيهِنَّ حُورٌ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ خَيْـ ... ـرَاتٌ حِسَانٌ هُنَّ خَيْرُ حِسَانِ
خَيْرَاتُ أَخْلاَقٍ حِسَانٌ أوجُهاً ... فَالْحُسْنُ والإِحْسَانُ متَّفِقَانِ



فَصْلٌ

في أَرَائِكِهَا وسُرُرِهَا

فِيهَا الأَرَائِكُ وَهْيَ مِنْ سُرُرٍ عَلَيْـ ... ـهِنَّ الحِجَالُ كَثِيرةُ الأَلْوَانِ
لاَ تَسْتَحِقُّ اسْمَ الأَرَائِكِ دُونَ هَا ... تِيكَ الحِجَالِ وَذَاكَ وَضْعُ لِسَانِ
بَشْخَانَةٌ يَدْعُونَهَا بِلِسَانِ فَا ... رِسَ وَهْوَ ظَهْرُ البَيْتِ ذِي الأَرْكَانِ



فَصْلٌ

في أشجارِهَا وثمارِهَا وظلالِهَا

أَشْجَارُهَا نَوْعَان مِنْهَا مَا لَهُ ... فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِثَالٌ ذَانِ
كَالسِّدْرِ أَصْلُ النبقِ مَخْضُودٌ مَكَا ... نَ الشَّوْكِ مِنْ ثمَرٍ ذَوِي أَلْوَانِ
هَذَا وَظِلُّ السِّدْرِ مِنْ خَيْرِ الظِّلاَ ... لِ وَنَفْعُهُ التَّرْوِيحُ للأَبْدَانِ
وثِمَارُهُ أَيْضاً ذَوَاتُ مَنَافِعٍ ... مِنْ بَعْضِهَا تفْرِيحُ ذِي الأَحْزَانِ
وَالطَّلْحُ وَهْوَ الموْزُ مَنْضُودٌ كَمَا ... نُضِدَتْ يَدٌ بِأَصَابِعٍ وَبَنَانِ
أَوْ أَنَّهُ شَجَرُ البَوادِي مُوقَراً ... حِمْلاً مَكَانَ الشَّوْكِ فِي الأغْصَانِ
وكَذَلِكَ الرُّمَّانُ والأَعْنَابُ والنَّـ ... ـخْلُ الَّتي مِنْها القُطُوفُ دَوَانِ
هَذَا وَنَوْعٌ مَا لَهُ فِي هَذِهِ الدْ ... دُنْيَا نَظِيرٌ كَيْ يُرَى بِعِيَانِ
يَكْفِي مِنَ التَّعْدَادِ قَولُ إِلَهِنَا ... مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ
وأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً فِي اللَّونِ مُخْـ ... ـتَلِفَ الطُّعُومِ فَذَاكَ ذُو أَلْوَانِ
أَوْ أَنَّهُ مُتَشَابِهٌ فِي الإِسْمِ مُخْـ ... ـتَلِفُ الطُّعُومِ فَذَاكَ قَوْلٌ ثَانِ

أَوْ أَنَّــهُ وَسَــطٌ خِــيَــارٌ كُــلُّــهُ فَـالـفَـحْـلُ مِـنْـهُ لَـيْـسَ ذَا ثِـنْـيَـانِ
أَوْ أَنَّــهُ لِــثِـمَــارِنَــا ذِي مُــشْــبِـهٌ فِـي اسْـمٍ وَلَـوْنٍ لَـيْـسَ يَـخْـتَـلِـفَـانِ
لَـكِـنْ لِـبـهْـجَـتِـهَـا ولَـذَّةِ طَـعْـمِـهَـا أَمْــرٌ سِــوَى هَــذَا الَّــذِي تَــجِــدَانِ
فَـيَـلَـذُّهَـا فِـي الأَكْـلِ عِـنْـدَ مَـنَـالِـهَـا وَتَـلَـذُّهَـا مِـنْ قَـبْـلِـهِ الـعَـيْـنَـانِ
قَـالَ ابْـنُ عَـبَّـاسٍ وَمَـا بِـالْـجَـنَّـةِ الْـ ـعُـلْـيَـا سِـوَى أَسْـمَـاءِ مَـا تَـرِيَـانِ
يَـعْـنِـي الـحَـقَـائِـقَ لاَ تَـمَـاثُـلُ هَـذِهِ وكِـلاَهُـمَـا فِـي الإِسـمِ مـتَّـفِـقَـانِ
يَـا طِـيـبَ هَـاتِـيـكَ الـثِّـمَـارِ وَغَـرْسُـهَـا فِـي الـمِـسْـكِ ذَاكَ الـتُّـرْبُ لـلـبِـسْـتَـانِ
وَكَـذَلِـكَ الـمَـاءُ الَّـذِي يُـسْـقَـى بِـهِ يَـا طِـيـبَ ذَاكَ الـوِرْدِ لِـلـظَّـمْـآنِ
وَإِذَا تَـنَـاوَلْـتَ الـثِّـمَـارَ أَتَـتْ نَـظِـيـ ـرَتُـهَـا فَـحَـلَّـتْ دُونَـهَـا بِـمَـكَـانِ
لَـمْ تَـنْـقَـطِـعْ أَبَـداً وَلَـمْ تَـرْقُـبْ نُـزُو لَ الـشَّـمْـسِ مِـنْ حَـمَـلٍ إِلَـى مِـيـزَانِ
وَكَـذَاكَ لَـمْ تُـمْـنَـعْ وَلَـمْ تَـحْـتَـجْ إِلَـى أَنْ تَـرْتَـقِـي لِـلْـقِـنْـوِ فِـي الـعِـيـدَانِ
بَـلْ ذُلِّـلَـتْ تِـلْـكَ الـقُـطُـوفُ فَـكَـيْـفَـمَـا شِـئْـتَ انْـتَـزَعْـتَ بِـأَسْـهَـلِ الإِمْـكَـانِ
وَلَـقَـدْ أَتَـى أَثَـرٌ بِـأَنَّ الـسَّـاقَ مِـنْ ذَهَــبٍ رَوَاهُ الــتِّــرْمِــذِي بِــبَــيَــانِ
قَـالَ ابْـنُ عَـبَّـاسٍ وَهَـاتِـيـكَ الـجُـذُو عُ زُمُــرُّدٌ مِــنْ أَحْــسَــنِ الأَلْــوَانِ
وَمُـقَـطَّـعَـاتُـهُـمُ مِـنَ الـكَـرْمِ الَّـذِي فِـيـهَـا وَمِـنْ سَـعَـةٍ مِـنَ الـعِـقْـيَـانِ
وَثِـمَـارُهَـا مَـا فِـيـهِ مِـنْ عَـجَـمٍ كَـأَمْـ ـثَـالِ الـقِـلاَلِ فَـجَـلَّ ذُو الإِحْـسَـانِ
وَظِـلاَلُـهَـا مُـمْـتَـدَّةٌ لَـيْـسَـتْ تَـقِـي حَــرّاً وَلاَ شَــمْــســاً وأَنَّــى ذَانِ
أَوَ مَـا سَـمِـعْـتَ بِـظِـلِّ أَصْـلٍ وَاحِـدٍ فِـيـهِ يَـسِـيـرُ الـرَّاكِـبُ الـعَـجْـلاَنِ
مِـائَـةَ سِـنِـيـنَ قُـدِّرَتْ لاَ تَـنْـقَـضِـي هَـذَا الـعَـظِـيـمُ الأَصْـلِ والأَفْـنَـانِ
وَلَـقَـدْ رَوَى الـخُـدْرِيُّ أَيْـضـاً أَنَّ طُـو بَـى قَـدْرُهَـا مِـائَـةٌ بِـلاَ نُـقْـصَـانِ
تَـتَـفَـتَّـحُ الأَكْـمَـامُ فِـيـهَـا عَـنْ لِـبَـا سِـهِـمْ بِـمَـا شَـاؤوا مِـنَ الأَلْـوَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في سَمَاعِ أهْلِ الجنَّةِ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُرْسِلُ رَبُّنَا ... رِيحاً تَهُزُّ ذَوَائِبَ الأغْصَانِ
فَتُثِيرُ أَصْوَاتاً تَلَذُّ لمسْمَعِ الْـ ... إنْسَانِ كالنَّغَمَاتِ بالأوْزَانِ
يَا لَذَّةَ الأسْمَاعِ لاَ تَتَعَوَّضِي ... بِلَذَاذَةِ الأوْتَارِ وَالعِيدَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ سَمَاعُهُمْ فِيهَا غِنَا ... ءُ الحُورِ بالأصْوَاتِ والألْحَانِ
وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ فَإنَّهُ ... مُلِئَتْ بِهِ الأذْنَانِ بالإحْسَانِ
وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ وَطِيبِهِ ... مِنْ مِثْلِ أَقْمَارٍ عَلَى أَغْصَانِ
وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ فَكَمْ بِهِ ... لِلْقَلْبِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أشْجَانِ
وَاهاً لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقُلْ ... ذَيَّاكَ تَصْغِيراً لَهُ بِلِسَانِ
مَا ظَنُّ سَامِعِهِ بِصَوْتٍ أَطْيبِ الْـ ... أصْوَاتِ مِنْ حُورِ الجِنَانِ حِسَانِ
نَحْنُ النَّوَاعِمُ والخَوَالِدُ خَيِّرَا ... تٌ كَامِلاَتُ الحُسْنِ وَالإحْسَانِ
لَسْنَا نَمُوتُ وَلاَ نَخَافُ وَمَا لَنَا ... سَخَطٌ وَلاَ ضِغْنٌ مِنَ الأضْغَانِ
طُوبَى لمنْ كُنَّا لَهُ وَكَذَاكَ طُو ... بَى لِلَّذِي هُوَ حَظُّنَا لَفْظَانِ
فِي ذَاكَ آثَارٌ رُوِينَ وَذِكْرُهَا ... فِي التِّرْمِذِيِّ وَمُعْجَمِ الطَّبَرَانِي
وَرَوَاهُ يَحْيَى شَيْخُ الاوْزَاعِيِّ تَفْـ ... سِيراً لِلَفْظَةِ يُحْبَرُونَ أَغَانِ
نَزِّهْ سَمَاعَكَ إنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذَيْـ ... يَاكَ الغِنَا عَنْ هَذِهِ الألْحَانِ
لاَ تؤثِرِ الأدْنَى عَلَى الأعْلَى فَتُحْـ ... رَمَ ذَا وَذَا يَا ذِلَّةَ الحِرْمَانِ
إنَّ اخْتِيَارَكَ لِلسَّمَاعِ النَّازِلِ الْـ ... أدْنَى عَلَى الأعْلَى مِنَ النُّقْصَانِ
وَاللَّهِ إنَّ سَمَاعَهُمْ فِي القَلْبِ وَالْـ ... إيمَانِ مِثْلُ السُّمِّ فِي الأبْدَانِ
وَاللَّهِ مَا انفَكَّ الَّذِي هُوَ دَأْبُهُ ... أَبَداً مِنَ الإشْرَاكِ بالرَّحْمٰنِ
فَالقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلاَلُهُ ... حُبّاً وإخْلاَصاً مَعَ الإحْسَانِ
فَإذَا تَعَلَّقَ بالسَّمَاعِ أَصَارَهُ ... عَبْداً لِكُلِّ فُلاَنَةٍ وَفُلاَنِ
حُبُّ الكِتَابِ وَحُبُّ ألحَانِ الغِنَا ... فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

ثَـقُـلَ الـكِـتَـابُ عَـلَـيْـهِـمُ لَـمَّـا رَأَوْا ... تَـقْـيِـيـدَهُ بِـشَـرَائِـعِ الإِيـمَـانِ

وَالـلَّـهْـوُ خَـفَّ عَـلَـيْـهِـمُ لَـمَّـا رَأَوْا ... مَـا فِـيـهِ مِـنْ طَـرَبٍ وَمِـنْ أَلْـحَـانِ

قُـوتُ الـنُّـفُـوسِ وَإِنَّـمَـا الـقُـرْآنُ قُـو ... تُ الـقَـلْـبِ أَنَّـى يَـسْـتَـوِي الـقُـوتَـانِ

وَلِـذَا تَـرَاهُ حَـظُّ ذِي الـنُّـقْـصَـانِ كَـالْـ ... ـجُـهَّـالِ والـصِّـبْـيَـانِ والـنِّـسْـوَانِ

وَأَلَـذُّهُـمْ فِـيـهِ أَقَـلُّـهُـمُ مِـنَ الْـ ... ـعَقْـلِ الصَّحِيحِ فَسَلْ أَخَا العِرْفَانِ

يَـا لَـذَّةَ الـفُـسَّـاقِ لَـسْـتِ كَـلَـذَّةِ الْـ ... أَبْـرارِ فِـي عَـقْـلٍ وَلاَ قُـرْآنِ



فصلٌ

في أنهارِ الجنَّةِ

أَنْـهَـارُهَـا فِـي غَـيْـرِ أُخْـدودٍ جَـرَتْ ... سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الفَيَضَانِ

مِنْ تَحْتِهِمْ تَجْرِي كَمَا شَاؤُوا مفَجْـ ... ـجَـرَةً وَمَـا لِـلـنَّـهْـرِ مِـنْ نُقْصَـانِ

عَـسَـلٌ مُـصَـفًّـى ثُـمَّ مَـاءٌ ثُـمَّ خَـمْـ ... ـرٌ ثُـمَّ أَنْـهَـارٌ مِـنَ الأَلْـبَـانِ

وَالـلَّـه مَـا تِـلْـكَ الـمَـوَادُ كَـهَـذِهِ ... لَكِنْ هُمَا فِي اللَّفْظِ مُجْتَمِعَانِ

هَـذَا وَبَـيْـنَـهُـمَـا يَـسِـيْـرُ تَـشَـابُـهٍ ... وَهُـوَ اشْـتِـرَاكٌ قَـامَ بِـالأَذْهَـانِ



فصلٌ

في طَعامِ أهْلِ الجنَّةِ

وَطَـعَـامُـهُـمْ مَـا تَـشْـتَـهِـيـهِ نُـفُـوسُـهُـمْ ... وَلُـحُـومُ طَـيْـرٍ نَـاعِـمٍ وَسِـمَـانِ

وَفَـوَاكِـهٌ شَـتَّـى بِـحَـسْـبِ مُـنَـاهُـمُ ... يَـا شَـبْـعَـةً كَـمُـلَـتْ لِـذِي الإِيـمَـانِ

لَـحْـمٌ وَخَـمْـرٌ وَالـنـسـا وَفَـوَاكِـهٌ ... وَالـطِّـيـبُ مَـعْ رَوْحٍ وَمَـعْ رَيْـحَـانِ

وَصِـحَـافُـهُـم ذَهَـبٌ تَـطُـوفُ عَـلَـيْـهِـمُ ... بِـأَكُـفِّ خُـدَّامٍ مِـنَ الـوِلْـدَانِ

وَانْـظُـرْ إِلَـى جَـعْـلِ الـلَّـذَاذَةِ لِـلْـعُـيُـو ... نِ وَشَـهْـوَةٍ لِـلـنَّـفْـسِ فِـي الـقُـرْآنِ

لِـلْـعَـيـنِ مِـنْـهَـا لَـذَّةٌ تَـدْعـو إِلَـى ... شَـهَـوَاتِـهَـا بِـالـنَّـفْـسِ والأَمْـرَانِ

سَبَبُ التَّنَاوُلِ وَهْوَ يُوجِبُ لَذةً   أُخْرَى سِوَى مَا نَالَتِ العَيْنَانِ

* * *

فصلٌ

في شرابِهِمْ

يُسْقَوْنَ فِيهَا مِنْ رَحِيقٍ خَتْمُهُ   بِالمِسْكِ أَوَّلُهُ كَمِثْلِ الثَّانِي
مَعَ خَمْرَةٍ لَذَّتْ لِشَارِبِهَا بِلاَ   غَوْلٍ وَلاَ دَاءٍ وَلاَ نُقْصَانِ
وَبِهَا مِنَ الأَدْوَاءِ مَا هِيَ أَهْلُهُ   وَيَخَافُ مِنْ عَدَمٍ لِذِي الوِجْدَانِ
فَنفَى لَنَا الرَّحْمٰنُ أجْمَعَهَا عَنِ الْـ   خَمْرِ الَّتي فِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
وَشَرَابُهُمْ مِنْ سَلْسَبِيلٍ مَزجُهُ الْـ   كَافُورُ ذَاكَ شَرَابُ ذِي الإِحْسَانِ
هَذَا شَرَابُ أولِي اليَمِينِ وَلَكِنِ الْـ   أبْرَارُ شُرْبُهُمُ شَرَابٌ ثَانِ
يُدْعَى بِتَسْنِيمٍ سَنَامٌ شُرْبُهُمْ   شُرْبُ المقَرَّبِ خِيْرَةِ الرَّحْمٰنِ
صَفَّى المقَرَّبُ سَعْيَهُ فَصَفَا لَهُ   ذَاكَ الشَّرَابُ فَتِلْكَ تَصْفِيَتَانِ
لَكِنَّ أَصْحَابَ اليَمِينِ فَأَهْلُ مَزْ   جٍ بِالمُبَاحِ وَلَيْسَ بِالعِصْيَانِ
مُزِجَ الشَّرَابُ لَهُمْ كَمَا مَزَجُوا هُمُ الْـ   أعْمَالَ ذَاكَ المزْجُ بِالمِيزَانِ
هَذا وَذُو التَّخْلِيطِ مَزجاً أمْرُهُ   والحُكْمُ فِيهِ لِرَبِّهِ الدَّيَّانِ

* * *

فصلٌ

في مَصْرِفِ طعامِهِمْ وشرابِهِمْ وهضْمِهِ

هَذَا وَتَصْرِيفُ المآكِلِ مِنْهُمُ   عَرَقٌ يَفِيضُ لَهُمْ مِنَ الأَبْدَانِ
كَرَوائِحِ المسْكِ الَّذِي مَا فِيهِ خَلْـ   طٌ غَيْرُهُ مِنْ سَائِرِ الأَلْوَانِ
فَتَعُودُ هَاتِيكَ البُطُونُ ضَوَامِراً   تَبْغِي الطَّعَامَ عَلَى مَدَى الأَزْمَانِ
لاَ غَائِطٌ فِيهَا وَلاَ بَوْلٌ وَلاَ   مَخْطٌ وَلاَ بَصْقٌ مِنَ الإِنْسَانِ
وَلَهُمْ جُشَاءٌ رِيحُهُ مِسْكٌ يَكُو   نُ بِهِ تَمَامُ الهَضْمِ بِالإِحْسَانِ

هَـذَا وَهَـذَا صَـحَّ عَـنْـهُ فَـوَاحِـدٌ ... فِـي مُـسْـلِـمٍ ولأحْـمَـدَ الأثْـرَانِ

***

فصلٌ

في لِباسِ أهْلِ الجنَّةِ

وَهُـمُ الـمـلُـوكُ عَـلَى الأَسِرَّةِ فَوْقَ هَا ... تِـيـكَ الـرُّؤوسِ مُـرَصَّـعُ الـتِّـيـجَـانِ
وَلِـبَـاسُـهُـمْ مِـنْ سُـنْدُسٍ خُـضْـرٍ وَمِـنْ ... إسْـتَـبْـرَقٍ نَـوْعَـانِ مَـعْـرُوفَـانِ
مَـا ذَاكَ مِـنْ دُودٍ بَـنَـى مِـنْ فَـوْقِـهِ ... تِـلْـكَ الـبُـيُـوتَ وَعَـادَ ذَا الـطَّـيَـرَانِ
كَلاَّ وَلاَ نُـسِـجَـتْ عَـلَى الْـمِـنْوَالِ نَسْـ ... ـجَ ثِـيَـابِـنَـا بِـالـقُـطْـنِ والـكـتَّـانِ
لَـكِـنَّـهَـا حُـلَـلٌ تَـشُـقُّ ثِـمَـارَهَـا ... عَـنْـهَـا رَأَيْـتَ شَـقَـائِـقَ الـنُّـعْـمَـانِ
بِـيـضٌ وَخُـضْـرٌ ثُـمَّ صُـفْـرٌ ثُـمَّ حُـمْـ ... ـرٌ كَـالـرِّبَـاطِ بِـأحْـسَـنِ الأَلْـوَانِ
لاَ تَـقْـرَبُ الـدَّنَسَ الـمـقَـرَّبَ لِـلْـبِـلَى ... مَـا لِـلْـبِـلَـى فِـيـهِـنَّ مِـنْ سُـلْـطَـانِ
وَنَـصِـيـفُ إحْـدَاهُـنَّ وَهْـوَ خِـمَـارُهَـا ... لَـيْـسَـتْ لَـهُ الـدُّنْـيَـا مِـنَ الأثْـمَـانِ
سَـبْـعُـونَ مِـنْ حُـلَـلٍ عَـلَـيْـهَـا لاَ تَـعُـو ... قُ الـطَّـرْفَ عَـنْ مُـخٍّ وَرَا الـسِّـيـقَـانِ
لَـكِـنْ يَـرَاهُ مِـنْ وَرا ذَا كُـلِّـهِ ... مِـثْـلَ الـشَّـرَابِ لِـذِي زُجَـاجٍ أوَانِ

***

فصلٌ

في فُرُشِهِمْ وما يتبعُهَا

وَالـفُـرْشُ مِـنْ إسْـتَـبـرَقٍ قَـدْ بُـطِّـنَـتْ ... مَـا ظَـنُّـكُـمْ بِـظَـهَـارَةٍ لِـبِـطَـانِ
مَـرْفُـوعَـةٌ فَـوْقَ الأسِـرَّةِ يَـتَّـكِـي ... هُـوَ وَالـحَـبِـيـبُ بِـخَـلْـوَةٍ وأمَـانِ
يَـتَـحَـدَّثَـانِ عَـلَـى الأرَائِـكِ مَـا تَـرَى ... حِـبَّـيْـنِ فِـي الـخَـلَـواتِ يَـنْـتَـجِـيَـانِ
هَـذَا وَكَـمْ زَرْبِـيَّـةٍ وَنَـمَـارِقٍ ... وَوَسَـائِـدٍ صُـفَّـتْ بِـلاَ حُـسْـبَـانِ

***

فصلٌ

في حَلْي أهْلِ الجنَّةِ

وَالحَلْيُ أَصْفَى لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ   وَكَذَاكَ أَسْوِرةٌ مِنَ العِقْيَانِ
مَا ذَاكَ يَخْتَصُّ الإِنَاثَ وإِنَّمَا   هُوَ لِلإِنَاثِ كَذَاكَ لِلذُّكْرَانِ
التَّارِكِينَ لِبَاسَهُ فِي هَذِهِ الدْ   دُنْيَا لأَجْلِ لِبَاسِهِ بِجِنَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ حِلْيَتَهُمْ إِلَى   حَيْثُ انْتِهَاءِ وُضُوئِهِمْ بِوِزَانِ
وَكَذَا وضوءُ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ قَدْ   فَازَتْ بِهِ العَضُدَانِ والسَّاقَانِ
وَسِوَاهُ أَنْكَرَ ذَا عَلَيْهِ قَائِلاً   مَا السَّاقُ مَوْضِعُ حِلْيَةِ الإِنْسَانِ
مَا ذَاكَ إلاَّ مَوْضِعُ الكَعْبَيْنِ والزْ   زَنْدَيْنِ لاَ السَّاقَانِ والعَضُدَانِ
وَكَذَاكَ أَهْلُ الفِقْهِ مُخْتَلِفُونَ فِي   هَذَا وَفِيهِ عِنْدَهُمْ قَوْلاَنِ
وَالرَّاجِحُ الأَقْوَى انْتِهَاءُ وُضُوئِنَا   لِلمِرفَقَيْنِ كَذَلِكَ الكَعْبَانِ
هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّهُ الرَّحْمَنُ فِي الْ   قُرْآنِ لاَ تَعْدِلْ عَنِ القُرْآنِ
وَاحْفَظْ حُدُود الرَّبِّ لاَ تَتَعَدَّهَا   وَكَذَاكَ لاَ تَجْنَحْ إِلى النُّقْصَانِ
وَانْظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدْهُ قَدْ   أَبْدَى المُرادَ وَجَاءَ بِالتِّبْيَانِ
وَمَنِ اسْتَطَاعَ يُطِيلُ غُرَّتَهُ فَمَوْ   قُوفٌ عَلَى الرَّاوِي هُوَ الفَوْقَانِي
فَأَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ ذَا مِنْ كِيسِهِ   فَغَدَا يُمَيِّزُهُ أُولُو العِرْفَانِ
وَنعِيم الرَّاوِي لَهُ قَدْ شَكَّ فِي   رَفْعِ الحَدِيثِ كَذَا رَوَى الشَّيْبَانِي
وَإِطَالَةُ الغُرَّاتِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ   أَبَداً وَذَا فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ



فصلٌ

في صفةِ عرائسِ الجنَّةِ وحسْنِهنَّ وجَمَالِهنَّ ولذةِ وِصالِهنَّ ومُهُورِهنَّ

يَا مَنْ يَطُوفُ بِكَعْبَةِ الحُسْنِ الَّتِي   حُفَّتْ بِذَاكَ الحِجْرِ والأَرْكَانِ

وَيَظَلُّ يَسْعَى دَائِماً حَولَ الصَّفَا وَمُحَسَّرٍ مَسْعَاهُ لاَ العَلَمَانِ
وَيَرُومُ قُرْبَانَ الوِصَالِ عَلَى مِنَى والخِيفُ يَحْجُبهُ عَنِ القُرْبَانِ
فَلِذَا تَرَاهُ مُحْرِماً أَبَداً وَمَوْ ضِعُ حِلِّهِ مِنْهُ فَلَيْسَ بِدَانِ
يَبْغِي التمتُّعَ مُفْرِداً مِنْ حُبِّهِ مُتَجَرِّداً يَبْغِي شَفِيعَ قِرَانِ
فَيَظَلُّ بالجَمَرَاتِ يَرمِي قَلْبَهُ هَذِي مَنَاسِكُهُ بِكُلِّ زَمَانِ
وَالنَّاسُ قَدْ قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَدْ حَثُّوا رَكَائِبَهُمْ إِلَى الأوْطَانِ
وَحَدَتْ بِهِمْ هِمَمٌ لَهُمْ وَعَزَائِمٌ نَحْوَ المَنَازِلِ أَوَّلَ الأزْمَانِ
رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلاَمُ الوِصَا لِ فَشَمَّرُوا يَا خَيْبَةَ الكَسْلاَنِ
وَرَأَوْا عَلَى بُعْدٍ خِيَاماً مُشْرِفَا تٍ مُشْرِقَاتِ النُّورِ وَالبُرْهَانِ
فَتَيَمَّمُوا تِلْكَ الخِيَامَ فآنَسُوا فِيهِنَّ أَقْمَاراً بِلاَ نُقْصَانِ
مِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لاَ تَبْغِي سِوَى مَحْبُوبِهَا مِنْ سَائِرِ الشُّبَّانِ
قَصَرَتْ عَلَيْه طَرْفَهَا مِنْ حُسْنِهِ وَالطَّرْفُ فِي ذَا الوَجْهِ لِلنِّسْوَانِ
أَوْ أَنَّهَا قَصَرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهُ مِنْ حُسْنِهَا فَالطَّرْفُ لِلذُّكْرَانِ
وَالأَوَّلُ المَعْهُودُ مِنْ وَضْعِ الخِطَا بِ فَلا تَحِدْ عَنْ ظَاهِرِ القُرْآنِ
وَلَرُبَّمَا دَلَّتْ إِشَارَتُهُ عَلَى الثْـ ـثَانِي فَتِلْكَ إِشَارَةٌ لِمَعَانِ
هَذَا وَلَيْسَ القَاصِرَاتُ كَمَنْ غَدَتْ مَقْصُورَةً فَهُمَا إذاً صِنْفَانِ
يَا مُطْلِقَ الطَّرْفِ المعَذَّبِ فِي الأُلَى جُرِّدْنَ عَنْ حُسْنٍ وَعَنْ إِحْسَانِ
لاَ تَسْبِيَنَّكَ صُورَةٌ مِنْ تَحْتِهَا الدْ دَاءُ الدَّوِيُّ تَبُوءُ بالخُسْرَانِ
قَبُحَتْ خَلاَئِقُهَا وَقُبِّحَ فِعْلُهَا شَيْطَانَةٌ فِي صُورَةِ الإِنْسَانِ
تَنْقَادُ لِلأَنْذَالِ والأَرْذَالُ هُمْ أَكْفَاؤهَا مِنْ دُونِ ذِي الإِحْسَانِ
مَا ثَمَّ مِنْ دِينٍ وَلاَ عَقْلٍ وَلاَ خُلُقٍ وَلاَ خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ
وَجَمَالُهَا زُورٌ وَمَصْنُوعٌ فَإِنْ تَرَكَتْهُ لَمْ تَطْمَحْ لَهَا العَيْنَانِ
طُبِعَتْ عَلَى تَرْكِ الحِفَاظِ فَمَا لَهَا بِوَفَاءِ حَقِّ البَعْلِ قَطُّ يَدَانِ
إِنْ قَصَّرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعةً قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ
أَوْ رَامَ تَقْوِيماً لَهَا اسْتَعْصَتْ وَلَمْ تَقْبَلْ سِوَى التَّعْوِيجِ والنُّقْصَانِ

أفْكَارُهَا فِي المَكْرِ والكَيْدِ الَّذِي ... قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرَةُ الإنْسَانِ
فَجَمَالُهَا قِشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ ... مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
نَقْدٌ رَدِيءٌ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ ... شَيءٌ يُظَنُّ بِهِ مِنَ الأثْمَانِ
فَالنَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ ... وَالنَّاسُ أكْثَرُهُمْ مِنَ العُمْيَانِ
أمَّا جَمِيلاَتُ الوُجُوهِ فَخَائِنَا ... تُ بُعُولِهِنَّ وَهُنَّ لِلأخْدَانِ
وَالحَافِظَاتُ الغَيْبَ مِنْهُنَّ الَّتي ... قَدْ أصْبَحَتْ فَرْداً مِنَ النِّسْوَانِ
فَانْظُرْ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلا ... مِنْ قَبْلُ مِنْ شِيبٍ وَمِنْ شُبَّانِ
وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أنْ تَبِيعَ العَالِيَ الْـ ... ـبَاقِي بِذَا الأدْنَى الَّذِي هُوَ فَانِ
إنْ كَانَ قَدْ أعْيَاكَ خُودٌ مِثْلُ مَا ... تَبْغِي وَلَمْ تَظْفَرْ إلَى ذَا الآنِ
فَاخْطُبْ مِنَ الرَّحْمٰنِ خُوداً ثُمَّ قَدْ ... ـدِمْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إمْكَانِ
ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيْكَ أيْسَرُ إنْ يَكُنْ ... لَكَ نِسْبَةٌ لِلْعِلْمِ وَالإيمَانِ
وَاللَّهِ لَمْ تُخْرَجْ إلَى الدُّنْيَا لِلَذْ ... ـذَةِ عَيْشِهَا أوْ لِلْحُطَامِ الفَانِي
لَكِنْ خَرَجْتَ لِكَيْ تُعِدَّ الزَّادَ لِلْـ ... أُخْرَى فَجِئْتَ بأقْبَحِ الخُسْرَانِ
أهْمَلْتَ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ بَلْ ... فَاتَ الَّذِي ألْهَاكَ عَنْ ذَا الشَّانِ
وَاللَّهِ لَوْ أنَّ القُلُوبَ سَلِيمَةٌ ... لَتَقَطَّعَتْ أسَفاً مِنَ الحِرْمَانِ
لَكِنَّهَا سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدْ ... ـدُنْيَا وَسَوْفَ تُفِيقُ بَعْدَ زَمَانِ



فصلٌ

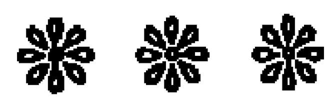
فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائِسِ الجَنَّاتِ ثُمْـ ... ـمَ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أخَا العِرْفَانِ
حُورٌ حِسَانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلائِقاً ... وَمَحَاسِناً مِنْ أجْمَلِ النِّسْوَانِ
حَتَّى يَحَارُ الطَّرْفُ فِي الحُسْنِ الَّذِي ... قَدْ ألْبِسَتْ فَالطَّرْفُ كَالحَيْرَانِ
وَيَقُولُ لَمَّا أنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا ... سُبْحَانَ مُعْطِي الحُسْنِ والإحْسَانِ
وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُؤُوسِ جَمَالِهَا ... فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النَّشْوَانِ
كَمُلَتْ خَلائِقُهَا وَأكْمِلَ حُسْنُهَا ... كَالبَدْرِ لَيْلَ السِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ

وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الأَغْصَانِ
فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهْوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِنْ لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
فَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعُهُ سُبْحَانَ مُتْقِنِ صَنْعَةِ الإِنْسَانِ
لاَ اللَّيْلُ يُدْرِكُ شَمْسَهَا فَتَغِيبَ عِنْـ ـدَ مَجِيئِهِ حتَّى الصَّبَاحِ الثَّانِي
وَالشَّمْسُ لاَ تَأْتِي بِطَرْدِ اللَّيْلِ بَلْ يَتَصَاحَبَانِ كِلاَهُمَا أَخَوَانِ
وَكِلاَهُمَا مِرْآةُ صَاحِبِهِ إِذَا مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرَيَانِ
فَيَرى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بِعِيَانِ
حُمْرُ الخُدُودِ ثُغُورُهُنَّ لآلِىءٌ سُودُ العُيُونِ فَوَاتِرُ الأَجْفَانِ
وَالبرقُ يَبْدُو حِينَ يَبْسِمُ ثَغْرُهَا فَيُضِيءُ سَقْفَ القَصْرِ بِالجُدْرَانِ
وَلَقَدْ رُوِينَا أَنَّ بَرْقاً سَاطِعاً يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بِجِنَانِ
فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرٍ ضَاحِكٍ فِي الجَنَّةِ العُلْيَا كَمَا تَرَيَانِ
لِلَّهِ لاَثِمُ ذَلِكَ الثَّغْرِ الَّذِي فِي لَثْمِهِ إِدْرَاكُ كُلِّ أَمَانِ
رَيَّانَةُ الأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَا بِ فَغُصْنُهَا بِالمَاءِ ذُو جَرَيَانِ
لَمَّا جَرَى مَاءُ النَّعِيمِ بِغُصْنِهَا حَمَلَ الثِّمَارَ كَثِيرَةَ الأَلْوَانِ
فَالْوَرْدُ والتُّفَّاحُ والرُّمَّانُ فِي غُصْنٍ تَعَالَى غَارِسُ البُسْتَانِ
وَالقَدُّ مِنْهَا كَالقَضِيبِ اللَّدْنِ فِي حُسْنِ القَوَامِ كَأَوْسَطِ القُضْبَانِ
فِي مَغْرَسٍ كَالعَاجِ تَحْسَبُ أَنَّهُ عَالِي النَّقَا أَوْ وَاحِدُ الكُثْبَانِ
لاَ الظَّهْرُ يَلْحَقُهَا وَلَيْسَ ثُدِيُّهَا بِلَوَاحِقٍ لِلْبَطْنِ أَوْ بِدَوَانِ
لَكِنَّهُنَّ كَوَاعِبٌ وَنَوَاهِدٌ فَثُدِيُّهُنَّ كَأَلْطَفِ الرُّمَّانِ
وَالجِيدُ ذُو طُولٍ وَحُسْنٍ فِي بَيَا ضٍ واعْتِدَالٍ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
يَشْكُو الحُلِيُّ بِعَادَهُ فَلَهُ مَدَى الْـ أَيَّامِ وَسْوَاسٌ مِنَ الهِجْرَانِ
وَالمِعْصَمَانِ فَإِنْ تَشَأْ شَبِّهْهُمَا بِسَبِيكَتَيْنِ عَلَيْهِمَا كَفَّانِ
كَالزُّبْدِ لِيناً فِي نُعُومَةِ مَلْمَسٍ أَصْدَافُ دُرٍّ دُوِّرَتْ بِوِزَانِ
وَالصَّدْرُ مُتَّسِعٌ عَلَى بَطْنٍ لَهَا حُفَّتْ بِهِ خَصْرَانِ ذَاتُ ثَمَانِ
وَعَلَيْهِ أَحْسَنُ سُرَّةٍ هِيَ مَجْمَعُ الْـ خَصْرَيْنِ قَدْ غَارَتْ مِنَ الأَعْكَانِ

حُقٌّ مِنَ العَاجِ اسْتَدارَ وَحَوْلَهُ ... حَبَّاتُ مِسْكٍ جَلَّ ذُو الإتْقَانِ
وَإِذَا انْحَدَرْتَ رَأَيْتَ أَمْراً هَائِلاً ... مَا لِلصِّفَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
لاَ الحَيْضُ يَغْشَاهُ وَلاَ بَوْلٌ وَلاَ ... شَيءٌ مِنَ الآفَاتِ فِي النِّسْوَانِ
فَخِذَانِ قَدْ حَفَّا بِهِ حَرَساً لَهُ ... فَجَنَابُهُ فِي عِزَّةٍ وَصِيَانِ
قَامَا بِخِدْمَتِهِ هُوَ السُّلْطَانُ بَيْـ ... ـنَهُمَا وَحَقٌّ طَاعَةُ السُّلْطَانِ
وهُوَ المُطَاعُ أَمِيرُهُ لاَ يَنثَنِي ... عَنْهُ وَلاَ هُوَ عِنْدَهُ بِجَبَانِ
وَجِمَاعُهَا فَهوَ الشِّفَاءُ لِصَبِّهَا ... فَالصَّبُّ مِنْهُ لَيْسَ بالضَّجْرَانِ
وَإِذَا يُجَامِعُهَا تَعُودُ كَمَا أَتَتْ ... بِكْراً بِغَيْرِ دَمٍ وَلاَ نُقْصَانِ
فَهوَ الشَّهِيُّ وَعُضْوُهُ لاَ يَنْثَنِي ... جَاءَ الحَدِيثُ بِذَا بِلاَ نُكْرَنِ
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ شُغْلَهُمُ الَّذِي ... قَدْ جَاءَ فِي يس دُونَ بَيَانِ
شُغْلُ العَرُوسِ بِعُرْسِهِ مِنْ بَعْدِ مَا ... عَبَثَتْ بِهِ الأَشْوَاقُ طُولَ زَمَانِ
بِاللَّهِ لاَ تَسْأَلْهُ عَنْ أَشْغَالِهِ ... تِلْكَ اللَّيَالِي شَأْنُهُ ذُو شَانِ
وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً بِصَبٍّ غَابَ عَنْ ... مَحْبُوبِهِ فِي شَاسِعِ البُلْدَانِ
والشَّوْقُ يُزْعِجُهُ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ ... بِلِقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الإِمْكَانِ
وَافَى إِلَيْهِ بَعْدَ طُولِ مَغِيبِهِ ... عَنْهُ وَصَارَ الوَصْلُ ذَا إِمْكَانِ
أَتَلُومُهُ إِنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ ... لاَ وَالَّذِي أَعْطَى بِلاَ حُسْبَانِ
يَا رَبُّ غَفْراً قَدْ طَغَتْ أَقْلامُنَا ... يَا رَبُّ مَعْذِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ

❋ ❋ ❋

فَصْلٌ



أَقْدَامُهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِّبَتْ ... مِنْ فَوْقِهَا سَاقَانِ مُلْتَفَّانِ
وَالسَّاقُ مِثْلُ العَاجِ مَلْمُومٌ يُرَى ... مُخُّ العِظَامِ وَرَاءَهُ بِعِيَانِ
وَالرِّيحُ مِسْكٌ والجُسُومُ نَوَاعِمٌ ... وَاللَّوْنُ كَاليَاقُوتِ والمَرْجَانِ
وَكَلاَمُهَا يَسْبِي العُقُولَ بِنَغْمَةٍ ... زَادَتْ عَلَى الأَوْتَارِ والعِيدَانِ
وهِيَ العَرُوبُ بِشَكْلِهَا وَبِدُلِّهَا ... وَتَحَبُّبٍ لِلزَّوْجِ كُلَّ أَوَانِ

وَهيَ الَّتِي عِنْدَ الجِمَاعِ تَزِيدُ فِي ... حَرَكَاتِهَا لِلْعَيْنِ والأُذُنَانِ
لُطْفاً وَحُسْنَ تَبَعُّلٍ وَتَغَنُّجٍ ... وَتَحبُّبٍ تَفْسِيرَ ذِي العِرْفَانِ
تِلْكَ الحَلاَوةُ والمَلاحَةُ أوْجَبَا ... إطْلاَقَ هَذَا اللَّفْظِ وَضْعَ لِسَانِ
فَملاَحَةُ التَّصْوِيرِ قَبْلَ غِنَاجِهَا ... هِيَ أوَّلٌ وَهيَ المَحَلُّ الثَّانِي
فَإذَا هُمَا اجْتَمعَا لِصَبٍّ وَامِقٍ ... بَلَغَتْ بِهِ اللَّذَّاتُ كُلَّ مَكَانِ

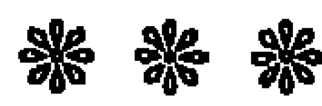
***



أَتْرابُ سِنٌّ وَاحِدٍ مُتَمَاثِلٍ ... سِنُّ الشَّبَابِ لأجْمَلِ الشُّبَّانِ
بِكْرٌ فَلَمْ يَأخُذْ بَكَارَتَهَا سِوَى الْـ ... ـمَحْبُوبِ مِنْ إنْسٍ وَلاَ مِنْ جَانِ
حِصْنٌ عَلَيْهِ حَارِسٌ مِنْ أعْظَمِ الْـ ... ـحُرَّاسِ بَأساً شَأْنُهُ ذُو شَانِ
فَإذَا أَحَسَّ بِدَاخِلٍ لِلحِصْنِ وَلْـ ... ـلَى هَارِباً فَتَرَاهُ ذَا إمْعَانِ
وَيَعُودُ وَهْناً حِينَ رَبُّ الحِصْنِ يَخْـ ... ـرُجُ مِنْهُ فَهْوَ كَذَا مَدَى الأزْمَانِ
وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ أنَّهَا ... تَنْصَاغُ بِكْراً لِلْجِمَاعِ الثَّانِي
لَكِنَّ دَرَّاجاً أبَا السَّمْحِ الَّذِي ... فِيهِ يُضَعِّفُهُ أُولُو الإتْقَانِ
هَذَا وَبَعْضُهُمُ يُصَحِّحُ عَنْهُ فِي التَّـ ... ـفْسِيرِ كالْمَوْلُودِ مِنْ حِبَّانِ
فَحَدِيثُهُ دُونَ الصَّحِيحِ وإنَّهُ ... فَوْقَ الضَّعِيفِ وَلَيْسَ ذَا إتْقَانِ
يُعْطَى المُجَامِعُ قُوَّةَ المائَةِ الَّتِي اجْـ ... ـتَمَعَتْ لأقْوَى وَاحِدِ الإنْسَانِ
لاَ أَنَّ قُوَّتَهُ تَضَاعَفُ هَكَذَا ... إذْ قَدْ يَكُونُ لأضْعَفِ الأرْكَانِ
وَيَكُونُ أقْوَى مِنْهُ ذَا نَقْص مِنَ الْـ ... إيمَانِ والأعْمَالِ والإحْسَانِ
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أنَّهُ يَغْشَى بِيَوْ ... مٍ وَاحِدٍ مِائَةً مِنَ النِّسْوَانِ
وَرِجَالُهُ شَرْطُ الصَّحِيحِ رَوَوْا لَهُمْ ... فِيهِ وَذَا فِي مُعْجَمِ الطَّبَرانِي
هَذَا دَلِيلٌ أنَّ قَدْرَ نِسَائِهِمْ ... مُتَفَاوِتٌ بِتَفَاوُتِ الإيمَانِ
وَبِهِ يَزُولُ تَوَهُّمُ الإشْكَالِ عَنْ ... تِلْكَ النُّصُوصِ بِمِنَّةِ الرَّحْمٰنِ
وَبِقُوَّةِ المِائَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ ... أَفْضَى إلَى مِائَةٍ بِلاَ خَوَرَانِ

وأعَفُّهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الْـ أَقْوَى هُنَاكَ لِزُهْدِهِ فِي الفَانِي
فَاجْمَعْ قُوَاكَ لِمَا هُنَاكَ وَغَمِّضِ الْـ عَيْنَيْنِ وَاصْبِرْ سَاعَةً لِزَمَانِ
مَا هَا هُنَا وَاللَّهِ مَا يَسْوِي قُلاَ مَةَ ظُفْرِ وَاحِدَةٍ تُرَى بِجِنَانِ
مَا هَا هُنَا إلاَّ النِّقَارُ وَسَيِّءُ الْـ أَخْلاَقِ مَعْ عَيْبٍ وَمَعْ نُقْصَانِ
هَمٌّ وَغَمٌّ دَائِمٌ لاَ يَنْتَهِي حَتَّى الطَّلاَقِ أَوِ الفِرَاقِ الثَّانِي
واللَّهُ قَدْ جَعَلَ النِّسَاءَ عَوَانِياً شَرْعاً فأضْحَى البَعْلُ وَهْوَ العَانِي
لاَ تُؤْثِرِ الأدْنَى عَلَى الأعْلَى فَإنْ تَفْعَلْ رَجَعْتَ بِذِلَّةٍ وَهَوَانِ

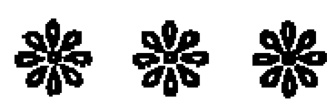
❋ ❋ ❋



وَإذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لِبْسِهَا وتَمَايَلَتْ كَتَمَايُلِ النَّشْوَانِ
تَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ الرَّطِيبِ وَحَمْلُهُ وَرْدٌ وَتُفَّاحٌ عَلَى رُمَّانِ
وَتَبَخْتَرَتْ فِي مَشْيِهَا وَيحِقُّ ذَا كَ لِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
ووَصَائِفٌ مِنْ خَلْفِهَا وَأمَامِهَا وَعَلى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أيْمَانِ
كَالبَدْرِ لَيْلَةَ تَمِّهِ قَدْ حُفَّ فِي غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ المِيزَانِ
فَلِسَانُهُ وَفُؤَادُهُ وَالطَّرْفُ فِي دَهَشٍ وإعْجَابٍ وَفِي سُبْحَانِ
فَالقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ والعُرْسُ إثْرَ العُرْسِ مُتَّصِلاَنِ
حَتَّى إذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَابَلاَ أَرَأيْتَ إذْ يَتَقَابَلُ القَمَرَانِ
فَسَلِ المُتَيَّمَ هَلْ يَحِلُّ الصَّبْرُ عَنْ ضَمٍّ وَتَقْبِيلٍ وَعَنْ فَلَتَانِ
وَسَلِ المُتَيَّمَ أَيْنَ خَلَّفَ صَبْرَهُ فِي أيِّ وَادٍ أمْ بِأيِّ مَكَانِ
وَسَلِ المُتَيَّمَ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ مُلِئَتْ لَهُ الأذُنَانِ وَالعَيْنَانِ
مِنْ مَنْطِقٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجْـ ـهٍ كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرَيَانِ
وَسَلِ المُتَيَّمَ كَيْفَ عِيشَتُهُ إذاً وَهُمَا عَلَى فُرُشَيْهِمَا خَلِوَانِ
يَتَسَاقَطَانِ لآلِئاً مَنْثُورَةً مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جُمَانِ
وَسَلِ المُتَيَّمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْـ مَحْبُوبِ فِي رَوْحٍ وَفِي رَيْحَانِ

وَتَدُورُ كَاسَاتُ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا ... بِأَكُفِّ أَقْمَارٍ مِنَ الوِلْدَانِ
يَتَنَازَعَانِ الكَأْسَ هَذَا مَرَّةً ... والخُودُ أُخْرَى ثُمَّ يَتَّكِئَانِ
فَيَضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أَرَأَيْتَ مَعْـ ... شُوقَيْنِ بَعْدَ البُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنَكِّدٍ ... وَهُمَا بِثَوْبِ الوَصْلِ مُشْتَمِلاَنِ
أَتُرَاهُمَا ضَجِرَيْنِ مِنْ ذَا العَيْشِ لاَ ... وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَجِرَانِ
وَيَزِيدُ كُلٌّ مِنْهُمَا حُبّاً لِصَا ... حِبِهِ جَدِيداً سَائِرَ الأَزْمَانِ
وَوِصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبّاً بَعْدَهُ ... مُتَسَلْسِلاً لاَ يَنْتَهِي بِزَمَانِ
فَالوَصْلُ مَحْفُوفٌ بِحُبٍّ سَابِقٍ ... وَبِلاَحِقٍ وَكِلاَهُمَا صِنْوَانِ
فَرْقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ ذَا ... يَدْرِيهِ ذُو شُغْلٍ بِهَذَا الشَّانِ
وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ ... سُبْحَانَ ذِي المَلَكُوتِ والسُّلْطَانِ
يَا غَافِلاً عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ ... جَدَّ الرَّحِيلُ فَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الأُلَى ... قَنِعُوا بِذَا الحَظِّ الخَسِيسِ الفَانِي
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرى مُتَخَلِّفاً ... فَتَبِعْتَهُمْ وَرَضِيتَ بِالحِرْمَانِ
لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتَيْ عَجْزٍ وَجَهْـ ... ـلٍ بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بِاللَّحَاقِ مَعَ القُعُو ... دِ عَنِ المَسِيرِ وَرَاحَةِ الأَبْدَانِ
وَلَسَوفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الغِطَا ... مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ

❋ ❋ ❋



فصلٌ في ذِكْرِ الخِلافِ بينَ النَّاسِ هلْ تحبلُ نساءُ أهْلِ الجنَّةِ أمْ لاَ

وَالنَّاسُ بَيْنَهُمُ خِلاَفٌ هَلْ بِهَا ... حَبَلٌ وَفِي هَذَا لَهُمْ قَوْلاَنِ
فَنَفَاهُ طَاوُسٌ وَإِبْرَاهِيمُ ثُمْـ ... ـمَ مُجَاهِدٌ وَهُمُ أُولُو العِرْفَانِ
وَرَوَى العُقَيْلِيُّ الصَّدُوقُ أَبُو رَزِيـ ... ـنٍ صَاحِبُ المَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ
وَالعَكْسُ أَيْضاً مِثْلُ حَوًّا أُمِّنَا ... هِيَ أَرْبَعٌ مَعْلُومَةُ التِّبْيَانِ

وَكَذَاكَ مَوْلُودُ الجِنَانِ يَجُوزُ أَنْ　　يَأْتِي بِلاَ حَيْضٍ وَلاَ فَيْضَانِ
والأمرُ فِي ذَا مُمْكِنٌ فِي نَفْسِهِ　　والقَطْعُ مُمْتَنِعٌ بِلاَ بُرْهَانِ

* * *

فصلٌ

في رُؤْيةِ أهْلِ الجنَّةِ رَبَّهمْ تباركَ وتَعالى ونَظَرِهمْ إلى وجهِهِ الكريمِ

وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ　　نَظَرَ العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ　　يُنْكِرْهُ إلاَّ فَاسِدُ الإِيمَانِ
وَأَتَى بِهِ القُرْآنُ تَصْرِيحاً وتَعْـ　　ـرِيضاً هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ
وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسٍ　　تَفْسِيرَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالقُرْآنِ
وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِصَحِيحِهِ　　يَرْوِي صُهَيْبٌ ذَا بِلا كِتْمَانِ
وَهُوَ المَزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أَبُو　　بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذُو الإِيقَانِ
وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ وَتَابِعُو　　هُمْ بَعْدَهُمْ تَبَعِيَّةَ الإِحْسَانِ
وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ اللِّقَاءِ لِرَبِّنَا　　الرَّحْمٰنِ فِي سُوَرٍ مِنَ الفُرْقَانِ
وَلِقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رُؤْيَتُهُ حَكَى الـ　　إِجْمَاعَ فِيهِ جَمَاعَةٌ بِبَيَانِ
وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ　　لُغَةً وَعُرْفاً لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ
هَذَا وَيَكْفِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ　　وَصَفَ الوُجُوهَ بِنَظْرَةٍ بِجِنَانِ
وَأَعَادَ أَيْضاً وَصْفَهَا نَظَراً وَذَا　　لاَ شَكَّ يُفْهِمُ رُؤْيَةً بِعِيَانِ
وأَتَتْ أَدَاةُ إِلَى لِرَفْعِ الوَهْمِ مِنْ　　فِكْرٍ كَذَاكَ تَرَقُّبُ الإِنْسَانِ
وَإِضَافَةٌ لِمَحَلِّ رُؤْيَتِهِمْ بِذِكْـ　　ـرِ الوَجْهِ إِذْ قَامَتْ بِهِ العَيْنَانِ
تَاللَّهِ مَا هَذَا بِفِكْرٍ وانْتِظَا　　رِ مُغَيَّبٍ أَوْ رُؤْيَةٍ لِجِنَانِ
مَا فِي الجِنَانِ مِنَ انْتِظَارٍ مُؤْلِمٍ　　وَاللَّفْظُ يَأْبَاهُ لِذِي العِرْفَانِ
لاَ تُفْسِدُوا لَفْظَ الكِتَابِ فَلَيْسَ فِيـ　　ـهِ حِيلَةٌ يَا فِرْقَةَ الرَّوَغَانِ
مَا فَوْقَ ذَا التَّصْرِيحِ شَيْءٌ مَا الَّذِي　　يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التِّبْيَانِ

لَوْ قَالَ أَبْينَ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمُ ... هُوَ مُجْمَلٌ مَا فِيهِ مِنْ تِبْيَانِ
وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورةِ التَّطْفِيفِ أَنْـ ... ـنَ القَوْمَ قَدْ حُجِبوا عَنِ الرَّحْمٰنِ
فَيَدُلُّ بِالْمَفْهُومِ أَنَّ المؤمِنِيـ ... ـنَ يَرَوْنَهُ فِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
وَبِذَا اسْتَدلَّ الشَّافِعِيُّ وأَحْمَدٌ ... وَسِوَاهُمَا مِنْ عَالِمِي الأَزْمَانِ
وَأَتَى بِذَا المفْهُومِ تَصْرِيحاً بِآ ... خِرِهَا فَلاَ تُخْدَعْ عَنِ القُرْآنِ
وَأَتَى بِذَاكَ مُكَذِّباً لِلْكَافِرِيـ ... ـنَ السَّاخِرِينَ بِشِيعَةِ الرَّحْمٰنِ
ضَحِكُوا مِنَ الكُفَّارِ يَوْمئذٍ كَمَا ... ضَحِكُوا هُمُ مِنْهُمْ عَلَى الإِيمَانِ
وَأَثَابَهُمْ نَظَراً إِلَيْهِ ضِدَّ مَا ... قَدْ قَالَهُ فِيهِمْ أُولُو الكُفْرَانِ
فَلِذَاكَ فَسَّرَهَا الأَئِمَّةُ أَنَّهُ ... نَظَرٌ إِلَى الرَّبِّ العَظِيمِ الشَّانِ
لِلَّهِ ذَاكَ الفَهْمُ يُؤْتِيهِ الَّذِي ... هُوَ أَهْلُهُ مَنْ جَادَ بِالإِحْسَانِ
وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ مُسْنِداً عَن جَابِرٍ ... خَبَراً وَشَاهِدُهُ فَفِي القُرْآنِ
بَيْنَا هُمُو فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ ... وَنَعِيمِهِمْ فِي لَذَّةٍ وَتَهَانِي
وَإِذَا بِنُورٍ سَاطِعٍ قَدْ أَشْرَقَتْ ... مِنْهُ الجِنَانُ قَصِيُّهَا والدَّانِي
رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤوسَهُمْ فَرَأَوْهُ نُو ... رَ الرَّبِّ لاَ يَخْفَى عَلَى إِنْسَانِ
وَإِذَا بِرَبِّهِمُ تَعَالَى فَوْقَهُمْ ... قَدْ جَاءَ لِلتَّسْلِيم بِالإِحْسَانِ
قَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمُ فَيَرونَهُ ... جَهْراً تَعَالَى الرَّبُّ ذو السُّلْطَانِ
مِصْدَاقُ ذَا يسٓ قَدْ ضَمِنَتْهُ عِنْـ ... ـدَ القَوْلِ مِنْ رَبٍّ بِهِمْ رَحْمٰنِ
مَنْ رَدَّ ذَا فَعَلَى رَسُولِ الله رَدْ ... دَ وَسَوْفَ عِنْدَ اللَّهِ يَلْتَقِيَانِ
فِي ذَا الحَدِيثِ عُلُوُّهُ وَمَجِيئُهُ ... وَكَلاَمُهُ حَتَّى يُرَى بِعِيَانِ
هَذِي أُصُولُ الدِّينِ فِي مَضْمُونِهِ ... لاَ قَوْلَ جَهْم صَاحِبِ البُهْتَانِ
وَكَذَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ذَلِكَ الْـ ... ـخَبَرُ الطَّوِيلُ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ
فِيهِ تَجَلِّي الرَّبِّ جَلَّ جَلاَلُهُ ... وَمَجِيئُهُ وَكَلاَمُهُ بِبَيَانِ
وَكَذَاكَ رُؤْيَتُهُ وَتَكْلِيمٌ لِمَنْ ... يَخْتَارُهُ مِنْ أُمَّةِ الإِنْسَانِ
فِيهِ أُصُولُ الدِّينِ أَجْمَعُهَا فَلاَ ... تَخْدَعْكَ عَنْهُ شِيعَةُ الشَّيْطَانِ
وَحَكَى رَسُولُ اللَّهِ فِيهِ تَجَدُّدَ الْـ ... ـغَضَبِ الَّذِي لِلرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ

إجْمَاعَ أَهْلِ العَزْمِ مِنْ رُسْلِ الإلـ ـهِ وَذَاكَ إجْمَاعٌ عَلَى البُرْهَانِ
لاَ تُخْدَعَنَّ عَنِ الحَدِيثِ بِهَذِهِ الْـ آرَاءِ فَهْيَ كَثِيرَةُ الهَذَيَانِ
أَصْحَابُهَا أَهْلُ التَّخرُّصِ وَالتَّنَا قُضِ والتَّهَاتُرِ قَائلُو البُهْتَانِ
يَكفِيكَ أَنَّكَ لَوْ حَرِصْتَ فَلَنْ تَرَى فِئَتَيْنِ مِنْهُم قَطُّ يَتَّفِقَانِ
إلاَّ إذا مَا قَلَّدا لِسِوَاهُمَا فَتَراهُمُ جِيلاً مِنَ العُمْيَانِ
وَيقُودُهُمْ أَعْمَى يُظَنُّ كمبْصِرٍ يَا مِحْنَةَ العُمْيَانِ خَلْفَ فُلاَنِ
هَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَمُبْصِرُ رُشْدِهِ اللَّهُ أكبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَ الإِيمَانِ يُخْـ ـبِرُ عَنْ مُنَادِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
يا أَهْلَهَا لَكُمُ لَدَى الرَّحْمٰنِ وَعْـ ـدٌ وَهْوَ مُنْجِزُهُ لَكُمْ بِضَمَانِ
قَالُوا أَمَا بَيَّضْتَ أوْجُهَنَا كَذَا أَعْمَالَنَا أثْقَلْتَ فِي المِيزَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ أدْخَلْتَنَا الجَنَّاتِ حِيـ ـنَ أجَرْتَنَا مِنْ مَدْخَلِ النِّيرَانِ
فَيقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آن أَنْ أُعْطِيكُمُوهُ بِرَحْمَتِي وَحنَانِي
فَيَرَوْنَهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ جَهْراً رَوَى ذَا مُسْلِمٌ بِبَيَانِ
وَلَقَدْ أَتَانَا فِي الصَّحِيحَيْنِ اللَّذيْـ ـنِ هُمَا أَصَحُّ الكُتْبِ بَعْدَ قُرَانِ
بِروَايَةِ الثِّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِيرٍ الْـ بَجلِيِّ عَمَّنْ جَاءَ بالقُرْآنِ
أنَّ العِبَادَ يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ رُؤيَا العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
فَإنِ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَقتٍ فَاحْفَظُوا الْـ بَرْدَيْنِ مَا عِشْتُمْ مَدَى الأَزْمَانِ
وَلَقَدْ رَوَى بِضْعٌ وَعِشْرونَ امرءاً مِنْ صَحْبِ أحْمَدَ خِيرَةِ الرَّحْمٰنِ
أَخْبَارَ هَذَا البَابِ عَمَّنْ قَدْ أَتَى بالوَحْيِ تَفْصِيلاً بِلاَ كِتْمَانِ
وَأَلَذُّ شَيءٍ لِلقُلُوبِ فَهَذِهِ الْـ أَخْبَارُ مَعْ أَمْثَالِهَا هِيَ بَهْجَةُ الإِيمَانِ
وَاللَّهِ لَوْلاَ رُؤْيَةُ الرَّحْمٰنِ فِي الْـ جَنَّاتِ مَا طَابَتْ لِذِي العِرْفَانِ
أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمُ رُؤْيَةِ وَجْهِهِ وَخِطَابِه فِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
وَأَشَدُّ شَيءٍ فِي العَذَابِ حِجَابُهُ سُبْحَانَهُ عَنْ سَاكِنِي النِّيرَانِ
وَإِذَا رَآهُ المؤمِنُونَ نَسُوا الَّذِي هُمْ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ العَيْنَانِ
فَإذَا تَوَارَى عَنْهُمُ عَادُوا إلَى لَذَّاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الأَلْوَانِ

فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ سِوَى ... هَذَا النَّعِيمِ فَحَبَّذَا الأَمْرَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرفِ خَلْقِهِ ... بِجَلاَلِهِ المَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ
شَوْقاً إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّتِي ... بِجَلاَلِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
فَالشَّوْقُ لَذَّةُ رُوحِهِ فِي هَذِهِ الدْ ... ـدُنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
تَلْتَذُّ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ ... دُونَ الجَوَارِحِ هَذِهِ العَيْنَانِ
وَاللَّهِ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلَذْ ... ـذُ مِنَ اشْتِيَاقِ العَبْدِ لِلرَّحْمٰنِ
وَكَذَاكَ رُؤْيَةُ وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ ... هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَّاتِ لِلإِنْسَانِ
لَكِنَّمَا الجَهْمِيُّ يُنْكِرُ ذَا وَذَا ... وَالوَجه أَيْضاً خَشْيَةَ الحِدْثَانِ
تَبّاً لَهُ المَخْدُوعِ أَنْكَرَ وَجْهَهُ ... وَلِقَاءَهُ وَمَحَبَّةَ الدَّيَّانِ
وَكَلاَمَهُ وَصِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ ... وَالعَرْشَ عَطَّلَهُ مِنَ الرَّحْمٰنِ
فَتَرَاهُ فِي وَادٍ وَرسُلُ اللَّهِ فِي ... وَادٍ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الكُفْرَانِ



فصلٌ

في كَلامِ الرَّبِّ جلَّ جلالُهُ معَ أهلِ الجنَّةِ

أَوَ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ ... حَقّاً يُكَلِّمُ حِزْبَهُ بِجِنَانِ
فَيَقُولُ جَلَّ جَلاَلُهُ هَلْ أَنْتُمُ ... رَاضُونَ قَالُوا نَحْن ذُو رِضْوَانِ
أَمْ كَيْفَ لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا ... مَا لَمْ يَنَلْهُ قَطُّ مِنْ إِنْسَانِ
هَلْ ثَمَّ شَيءٌ غَيْرُ ذَا فَيَكُونُ أَفْـ ... ـضَلَ مِنْهُ نَسْأَلُهُ مِنَ المَنَّانِ
فَيَقُولُ أَفْضَلُ مِنْهُ رِضْوَانِي فَلاَ ... يَغْشَاكُمُ سُخْطٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ
وَيُذَكِّرُ الرَّحْمٰنُ وَاحِدَهُمْ بِمَا ... قَدْ كَانَ مِنْه سَالِفَ الأَزْمَانِ
مِنْهُ إِلَيْهِ لَيْسَ ثَمَّ وَسَاطَةٌ ... مَا ذَاكَ تَوْبِيخاً مِنَ الرَّحْمٰنِ
لَكِنْ يُعَرِّفُهُ الَّذِي قَدْ نَالَهُ ... مِنْ فَضْلِهِ وَالعَفْوِ وَالإِحْسَانِ
وَيُسَلِّمُ الرَّحْمٰنُ جَلَّ جَلاَلُهُ ... حَقّاً عَلَيْهِمْ وَهْوَ فِي القُرْآنِ
وَكَذَاكَ يُسْمِعُهُمْ لَذِيذَ خِطَابِهِ ... سُبْحَانَهُ بِتِلاَوَةِ الفُرْقَانِ

فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ قَبْلَ ذَا ... هَذَا رَوَاهُ الحَافِظُ الطَّبَرَانِي
هَذَا سَمَاعٌ مُطْلَقٌ وَسَمَاعُنَا الْـ ... قُرْآنَ فِي الدُّنْيَا فَنَوْعٌ ثَانِ
وَاللَّهُ يُسْمَعُ قَوْلُهُ بِوَسَاطَةٍ ... وَبِدُونِهَا نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ
فَسَمَاعُ مُوسَى لَمْ يَكُنْ بِوَسَاطَةٍ ... وَسَمَاعُنَا بِتَوَسُّطِ الإِنْسَانِ
مَنْ صَيَّرَ النَّوْعَيْنِ نَوْعاً وَاحِداً ... فَمُخَالِفٌ لِلْعَقْلِ وَالقُرْآنِ



فصلٌ

في يومِ المزيدِ ومَا أعدَّ لهم فيهِ منَ الكَرامَةِ

أَو مَا سَمِعْتَ بِشَأْنِهِمْ يَوْمَ المزيـ ... ـد وأَنَّهُ شَأْنٌ عَظِيمُ الشَّانِ
هُوَ يَوْمَ جُمْعَتِنَا وَيَوْمُ زِيَارَةِ الرَّ ... حْمنِ وَقْتَ صَلاَتِنَا وأَذَانِ
وَالسَّابِقُونَ إِلَى الصَّلاَةِ هُمُ الأُلَى ... فَازُوا بِذَاكَ السَّبْقِ بالإِحْسَانِ
سَبْقٌ بِسَبْقٍ والمؤخَّرُ هَا هُنَا ... مُتأَخِّرٌ فِي ذَلِكَ المَيْدَانِ
وَالأَقْرَبُونَ إِلَى الإِمَامِ فَهُمْ أُولُو الزُّ ... لْفَى هُنَاكَ فَهَاهُنَا قُرْبَانِ
قُرْبٌ بِقُرْبٍ وَالمبَاعِدُ مِثْلُهُ ... بُعْدٌ بِبُعْدٍ حِكْمَةُ الدَّيَّانِ
وَلَهُمْ مَنَابِرُ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... وَمَنَابِرُ اليَاقُوتِ والعِقْيَانِ
هَذَا وأَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي ... مِنْ فَوْقِ ذَاكَ المِسْكِ كالكُثْبَانِ
مَا عِنْدَهُمْ أَهْلَ المنَابِرِ فَوْقَهُمْ ... مِمَّا يَرَوْنَ بِهِمْ مِنَ الإِحْسَانِ
فَيَرَوْنَ رَبَّهُمُ تَعَالَى جَهْرَةً ... نَظَرَ العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
وَيُحَاضِرُ الرَّحْمنُ وَاحِدَهُمْ مُحَا ... ضَرَةَ الحَبِيبِ يَقُولُ يَا ابْنَ فُلانِ
هَلْ تَذْكُرُ اليَوْمَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ فِيـ ... ـهِ مُبَارِزاً بِالذَّنْبِ والعِصْيَانِ
فَيَقُولُ رَبِّ أَمَا مَنَنْتَ بِمَغْفِرَةٍ ... قِدْماً فَإِنَّكَ وَاسِعُ الغُفْرَانِ
فَيُجِيبُهُ الرَّحْمنُ مَغْفِرتي الَّتِي ... قَدْ أَوْصَلَتْكَ إِلَى المحَلِّ الدَّانِي



فصلٌ

في المطَرِ الَّذي يُصيبُهُمْ هُناكَ

وَيُظِلُّهُمْ إذْ ذَاكَ مِنْهُ سَحَابَةٌ تَأْتِي بِمِثْلِ الوَابِلِ الهَتَّانِ
بَيْنَا هُمُ فِي النُّورِ إذْ غَشِيَتْهُمُ سُبْحَانَ مُنْشِيهَا مِنَ الرِّضْوَانِ
فَتَظَلُّ تُمْطِرُهُمْ بِطِيبِ مَا رَأَوْا شَبَهاً لَهُ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ
فَيَزِيدُهُمْ هَذَا جَمَالاً فَوْقَ مَا لَهُمُ وَتِلْكَ مَوَاهِبُ المَنَّانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في سُوقِ الجنَّةِ التي ينصرفُونَ إِليهَا مِنْ ذَلِكَ المجلِسِ

فَيقُولُ جَلَّ جَلالُهُ قومُوا إِلَى مَا قَدْ ذَخَرْتُ لَكُمْ مِنَ الإِحْسَانِ
يَأْتُونَ سُوقاً لاَ يُبَاعُ وَيُشْتَرَى فِيهِ فَخُذْ مِنْه بِلاَ أَثْمَانِ
قَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارُ أَثْمَانَ الْمَبِيـ ـعِ بعَقْدِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
لِلَّهِ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهُ المَلاَ ئِكَةُ الكِرَامُ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ
فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لاَ عَيْنٌ رَأَتْ كَلاًّ وَلاَ سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
كَلاًّ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قلبِ امْرِئٍ فَيَكُونَ عَنْهُ مُعَبِّراً بِلِسَانِ
فَيَرَى امْرءاً مِنْ فَوْقِهِ فِي هَيئَةٍ فَيرُوعُهُ مَا تَنْظُرُ العَيْنَانِ
فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إذْ لَيْسَ يَلْـ ـحَقُ أَهْلَهَا شَيءٌ مِنَ الأَحْزَانِ
واهاً لِذَا السُّوقِ الَّذِي مَنْ حَلَّهُ نَالَ التَّهَانِيَ كُلَّها بِأَمَانِ
يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ صَخَبٍ وَلاَ غِشٌّ وَلاَ أَيْمَانِ
وَتِجَارَةٌ مَنْ لَيْسَ تُلْهِيهِ تِجَا رَاتٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنِ الرَّحْمٰنِ
أَهْلُ المُروَّةِ والفُتُوَّةِ والتُّقَى والذِّكْرِ لِلرَّحْمٰنِ كُلَّ أَوَانِ
يَا مَنْ تَعوَّضَ عَنْهُ بالسُّوقِ الَّذِي رُكِزَتْ لَدَيْهِ رَايَةُ الشَّيْطَانِ

لَوْ كُنْتَ تَدْرِي قَدْرَ ذَاكَ السُّوقِ لَمْ تَرْكَنْ إِلَى سُوقِ الكَسَادِ الفَانِي

* * *

فصلٌ

في حَالهِمْ عِنْدَ رُجوعِهِمْ إِلَى أَهْلِيهِمْ ومنازِلِهِمْ

فَإِذَا هُمُ رَجِعُوا إِلَى أَهْلِيهِمُ بِمَوَاهِبٍ حَصُلَتْ مِنَ الرَّحْمٰنِ
قَالُوا لَهُمْ أَهْلاً وَرَحْباً مَا الَّذِي أُعْطِيتُمُ مِنْ ذَا الجَمَالِ الثَّانِي
واللَّهِ لازْدَدتُمْ جمَالاً فَوْقَ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ هَذَا الآنِ
قَالُوا وَأَنْتُمْ وَالَّذِي أَنْشَاكُمُ قَدْ زِدْتُمُ حُسْناً عَلَى الإِنْسَانِ
لكِنْ يَحِقُّ لَنَا وَقَدْكُنَّا إِذاً جُلَسَاءَ رَبِّ العَرْشِ ذِي الرِّضْوَانِ
فَهُمُو إِلَى يَوْمِ المزِيد أَشَدُّ شَوْ قاً مِنْ مُحِبٍّ لِلْحبيبِ الدَّانِي

* * *

فصلٌ

في خُلودِ أهلِ الجنَّةِ ودَاوم صِحَّتِهِمْ ونعيمِهِمْ

هَذَا وَخَاتِمَةُ النَّعِيمِ خُلُودُهُمْ أَبَداً بِدَارِ الخُلْدِ وَالرِّضْوَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَ الإِيمَانِ يُخْـ بِر عَنْ مُنَادِيهِمْ بِحُسْنِ بَيَانِ
لَكُمُ حَيَاةٌ مَا بِهَا مَوْتٌ وَعَا فِيَةٌ بِلاَ سَقَمٍ وَلاَ أَحْزَانِ
وَلَكُمْ نَعِيمٌ مَا بِهِ بُؤْسٌ وَمَا لِشَبَابِكُمْ هِرَمٌ مَدَى الأَزْمَانِ
كَلاَّ وَلاَ نَوْمٌ هُنَاكَ يَكُونُ ذَا نَوْمٌ وَمَوْتٌ بَيْنَنَا أَخَوَانِ
هَذَا عَلِمْنَاهُ اضْطِرَاراً مِنْ كِتَا بِ اللَّهِ فَافْهَمْ مُقْتَضَى القُرْآنِ
وَالجَهْمُ أَفْنَاهَا وأَفْنَى أَهْلَهَا تَبّاً لِذَاكَ الجَاهِلِ الفَتَّانِ
طَرْداً لِنَفْيِ دَوَام فِعْلِ الرَّبِّ فِي الْـ مَاضِي وَفِي مُسْتَقْبَلِ الأَزْمَانِ
وَأَبُو الهُذَيْلِ يقُولُ يَفْنَى كُلُّ مَا فِيهَا مِنَ الحَرَكَاتِ لِلسُّكَّانِ
وَتَصِيرُ دَارُ الخُلْدِ مَعْ سُكَّانِهَا وَثِمَارِهَا كَحِجَارَةِ البُنْيَانِ

قَالُوا وَلَوْلاَ ذَاكَ لَمْ يَثْبُتْ لَنَا ... رَبٌّ لأَجْلِ تَسَلْسُلِ الأَعْيَانِ
فَالقَومُ إِمَّا جَاحِدُونَ لِرَبِّهِمْ ... أَوْ مُنْكِرُونَ حَقَائِقَ الإِيمَانِ

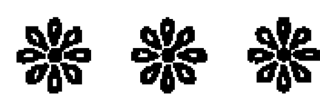
***

فصلٌ

في ذبحِ الموتِ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ والرَّدِّ على مَنْ قَالَ إنَّ الذَّبحَ لملَكِ الموتِ وأنَّ ذلكَ مجازٌ لاَ حقيقةَ لَهُ

أَوَ مَا سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ لِلمَوْتِ بَيْـ ... ـنَ المنزِلَيْنِ كَذَبْحِ كَبْشِ الضَّانِ
حَاشَا لِذَا المَلَكِ الكَرِيمِ وإِنَّمَا ... هُوَ مَوْتُنَا المَحْتُومُ لِلإِنْسَانِ
وَاللَّهُ يُنْشِيءُ مِنْهُ كَبْشاً أَمْلَحاً ... يَوْمَ المَعَادِ يُرَى لَنَا بِعِيَانِ
يُنشي مِنَ الأَعْرَاضِ أَجْسَاماً كَذَا ... بِالعَكْسِ كُلٌّ قَابِلُ الإِمْكَانِ
أَفَمَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَعْمَالَ العِبَا ... دِ تُحَطُّ يَوْمَ العَرْضِ فِي المِيزَانِ
وَكَذَاكَ تَثْقُلُ تَارَةً وَتَخِفُّ أُخْـ ... ـرَى ذَاكَ فِي القُرْآنِ ذُو تِبْيَانِ
وَلَهُ لِسَانٌ كَفَّتَاهُ تُقِيمُهُ ... وَالكَفَّتَانِ إِلَيْهِ نَاظِرَتَانِ
مَا ذَاكَ أَمْراً مَعْنَوِياً بَلْ هُوَ الْـ ... ـمَحْسُوسُ حَقاً عِنْدَ ذِي الإِيمَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ تَسْبِيحَ العِبَا ... دِ وَذِكْرَهُمْ وَقِرَاءَةَ القُرْآنِ
يُنْشِيهِ رَبُّ العَرْشِ فِي صُوَرٍ يُجَا ... دِلُ عَنْهُ يَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ حَوْلَ عَرْ ... شِ الرَّبِّ ذُو صَوْتٍ وَذُو دَوَرَانِ
يَشْفَعْنَ عِنْدَ الربِّ جَلَّ جَلاَلُهُ ... وَيُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِ الإِحْسَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ مُؤنِسٌ ... فِي القَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الأَكْفَانِ
فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الجَمِيلِ الوَجْهِ فِي ... سِنِّ الشَّبَابِ كَأَجْمَلِ الشُّبَّانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَا تَتْلُوهُ فِي ... أَيَّامِ هَذَا العُمْرِ مِنْ قُرْآنِ
يَأْتِي يُجَادِلُ عَنْكَ يَوْمَ الحَشْرِ لِلرْ ... رَحْمَنِ كَيْ يُنْجِيكَ مِنْ نِيرَانِ
فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ شَاحِبٌ ... يَا حَبَّذَا ذَاكَ الشَّفِيعُ الدَّانِي

أَوَ مَا سمعْتَ حَدِيثَ صِدْقٍ قَدْ أَتَى ... فِـي سُـورَتَـيْـنِ مِـنَ اوَّلِ الـقُـرْآنِ
فِـرْقَـانِ مِـنْ طَـيْـرٍ صَـوَافٍ بَـيْـنَـهَـا ... شَـرْقٌ وَمِـنْـهُ الـضَّـوْءُ ذُو تِـبْـيَـانِ
شَـبَّـهْـهُـمَـا بِـغَـمَـامَـتَـيْـنِ وإنْ تَـشَـأْ ... بِـغَـيَـايَـتَـيْـنِ هُـمَـا لِـذَا مَـثَـلاَنِ
هَـذَا مِـثَـالُ الأجْـرِ وَهْـوَ فِـعَـالُـنَـا ... كَـتِـلاَوَةِ الـقُـرْآنِ بِـالإحْـسَـانِ
فَـالْـمَـوتُ يُـنْـشِـيـهِ لَـنَـا فِـي صُـورَةٍ ... خَـلاَّقُـهُ حَـتَّـى يُـرَى بِـعِـيَـانِ
والـموْتُ مَـخْـلُوقٌ بِنَصِّ الـوَحْـيِ والْـ ... ـمَـخْـلُـوقُ يَـقْـبَـلُ سَـائِـرَ الألْـوَانِ
فـي نَـفْـسِـهِ وبِـنَـشْـأَةٍ أُخْـرَىٰ بِـقُـدْ ... رَةِ قَـالِـبِ الأغْـرَاضِ والألْـوانِ
أَوَ مَـا سَـمِـعْـتَ بِـقَـلْـبِـهِ سُـبْـحَـانَـهُ الْـ ... أعْـيَـانَ مِـنْ لَـوْنٍ إلـى ألْـوَانِ
وَكَـذَلِـكَ الأعْـرَاضُ يَـقْـلِـبُ رَبُّـهَـا ... أعْـيَـانَـهَـا والْـكُـلُّ ذُو إمْـكَـانِ
لَـمْ يَـفْـهَـمِ الـجُـهَّـالُ هَـذَا كُـلَّـهُ ... فَـأَتَـوْا بِـتَـأْوِيـلاَتِ ذِي الـبُـطْـلاَنِ
فَـمُـكَـذِّبٌ وَمُـؤَوِّلٌ وَمُـحَـيَّـرٌ ... مَـا ذَاقَ طَـعْـمَ حَـلاَوَةِ الإيـمَـانِ
لَـمَّـا فَـسَـا الـجُـهَّـالُ فِـي آذَانِـهِ ... أعْـمَـوْهُ دُونَ تَـدَبُّـرِ الـقُـرْآنِ
فَـثَـنَـى لَـنَـا الـعِـطْـفَـيْـنِ مِـنْـه تَـكَـبُّـراً ... وَتَـبَـخْـتُـراً فِـي حُـلَّـةِ الـهَـذَيَـانِ
إنْ قُـلْـتَ قَـالَ الـلَّـهُ قَـالَ رَسُـولُـهُ ... فَـيَـقُـولُ جَـهْـلاً أَيْـنَ قَـوْلُ فُـلاَنِ



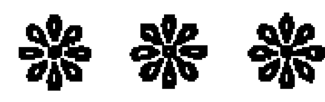
فصلٌ

في أنَّ الجنَّةَ قِيعانٌ وأنَّ غِراسَها الكلامُ الطيبُ والعملُ الصالحُ

أَوَ مَـا سَـمِـعْـتَ بِـأَنَّـهَـا الـقِـيـعَـانُ فَـاغْـ ... ـرِسْ مَـا تَـشَـاءُ بِـذَا الـزَّمَـانِ الـفَـانِـي
وَغِـرَاسُـهَـا الـتَّـسْـبِـيـحُ والـتَّـكْـبِـيـرُ والـتَّـ ... ـحْـمِـيـدُ والـتَّـوْحِـيـدُ لـلـرَّحْـمٰـنِ
تَـبّـاً لِـتَـارِكِ غَـرْسِـهِ مَـاذَا الَّـذِي ... قَـدْ فَـاتَـهُ مِـنْ مُـدَّةِ الإمْـكَـانِ
يَـا مَـنْ يُـقِـرُّ بِـذَا وَلاَ يَـسْـعَـى لَـهُ ... بِـالـلَّـهِ قُـلْ لِـي كَـيْـفَ يَـجْـتَـمِـعَـانِ
أَرَأَيْـتَ لَـوْ عَـطَّـلْـتَ أَرْضَـكَ مِـنْ غِـرَا ... سٍ مَـا الَّـذِي تَـجْـنِـي مِـنَ الـبُـسْـتَـانِ
وَكَـذَاكَ لَـوْ عَـطَّـلْـتَـهَـا مِـنْ بَـذْرِهَـا ... تَـرْجُـو الـمَـغَـلَّ يَـكُـونُ كَـالـكِـيـمَـانِ

مَـا قَـالَ رَبُّ الْـعَـالَـمِـيْـنَ وَعَـبْـدُهُ هَـذَا فَـرَاجِـعْ مُـقْـتَـضَـى الْـقُـرْآنِ
وَتَـأَمَّـلِ الـبَـاءَ الَّـتِـي قَـدْ عَـيَّـنَـتْ سَـبَـبَ الْـفَـلاَحِ لِـحِـكْـمَـةِ الْـفُـرْقَـانِ
وَأَظُـنُّ بَـاءَ الـنَّـفْـي قَـدْ غَـرَّتْـكَ فِـي ذَاكَ الـحَـدِيـثِ أَتَـى بِـهِ الـشَّـيْـخَـانِ
لَـنْ يَـدْخُـلَ الـجـنَّـاتِ أَصْـلاً كَـادِحٌ بِـالـسَّـعْـي مِـنْـهُ وَلَـوْ عَـلَـى الأجْـفَـانِ
والـلَّـهِ مَـا بَـيْـنَ الـنُّـصُـوصِ تَـعَـارُضٌ وَالـكُـلُّ مَـصْـدَرُهَـا عَـنِ الـرَّحْـمٰـنِ
لَـكِـنَّ بـالإِثْـبَـاتِ لِـلـتَّـسْـبِـيـبِ وَالْـ بَـاءُ الَّـتِـي لِـلـنَّـفْـي بـالأثْـمَـانِ
والـفَـرْقُ بَـيْـنَـهُـمَـا فَـفَـرْقٌ ظَـاهِـرٌ يَـدْرِيـهِ ذُو حَـظٍّ مِـنَ الـعِـرْفَـانِ

❋ ❋ ❋



فصلٌ
في إقامَةِ المأْتمِ على المتخلفينَ عنْ رُفْقةِ السَّابقينَ

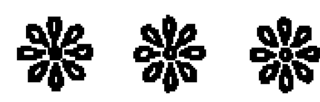
بِـالـلَّـهِ مَـا عُـذْرُ امِـرِئٍ هُـوَ مُـؤْمِـنٌ حَـقـاً بِـهَـذَا لَـيْـسَ بِـالـيَـقْـظَـانِ
بَـلْ قَـلْـبُـهُ فِـي رَقْـدَةٍ فَـإِذَا اسْـتَـفَـا قَ فَـلُـبْـسُـهُ هُـوَ حُـلَّـةُ الـكَـسْـلاَنِ
تَـالـلَّـهِ لَـوْ شَـاقَـتْـكَ جَـنَّـاتُ الـنَّـعِـيـ ـمِ طَـلَـبْـتَـهَـا بِـنَـفَـائِـسِ الأثْـمَـانِ
وَسَـعَـيْـتَ جَـهْـدَكَ فِـي وِصَـالِ نَـوَاعِـمٍ وَكَـوَاعِـبٍ بِـيـضِ الـوُجُـوهِ حِـسَـانِ
جُـلِـيـتْ عَـلَـيْـكَ عَـرَائِـسٌ وَالـلَّـهِ لَـوْ تُـجْـلَـى عَـلَـى صَـخْـرٍ مِـنَ الـصَّـوَّانِ
رَقَّـت حَـوَاشِـيـهِ وَعَـادَ لِـوَقْـتِـهِ يَـنْـهَـالُ مِـثْـلَ نَـقـىً مِـنَ الـكُـثْـبَـانِ
لَـكِـنَّ قَـلْـبَـكَ فِـي الـقَـسَـاوَةِ جَـازَ حَـدْ دَ الـصَّـخْـرِ والـحَـصْـبَـاءِ فِـي أَشْـجَـانِ
لَـوْ هَـزَّكَ الـشَّـوْقُ الـمُـقِـيـمُ وَكُـنْـتَ ذَا حِـسٍّ لَـمَـا اسْـتَـبْـدَلْـتَ بِـالأَهْـوَانِ
أَوْ صَـادَفَـتْ مِـنْـكَ الـصِّـفَـاتُ حَـيَـاةَ قَـلْـ بٍ كُـنْـتَ ذَا طَـلَـبٍ لِـهـذَا الـشَّـانِ
خُـودٌ تُـزَفُّ إِلَـى ضَـرِيـرٍ مُـقْـعَـدٍ يَـا مِـحْـنَـةَ الْـحَـسْـنَـاءِ بِـالـعُـمْـيَـانِ
شَـمْـسٌ لِـعِـنِّـيـنٍ تُـزَفُّ إِلَـيْـهِ مَـا ذَا حِـيـلَـةُ الْـعِـنِّـيْـنِ فِـي الـغَـشَـيَـانِ
يَـا سِـلْـعَـةَ الـرَّحْـمٰـنِ لَـسْـتِ رَخِـيـصَـةً بَـلْ أَنْـتِ غَـالِـيَـةٌ عَـلَـى الـكَـسْـلاَنِ
يَـا سِـلْـعَـةَ الـرَّحْـمٰـنِ لَـيْـسَ يَـنَـالُـهَـا فِـي الأَلْـفِ إِلاَّ وَاحِـدٌ لاَ اثْـنَـانِ
يَـا سِـلْـعَـةَ الـرَّحْـمٰـنِ مَـاذَا كُـفْـؤُهَـا إِلاَّ أُولُـو الـتَّـقْـوى مَـعَ الإِيـمَـانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ سُوقُكِ كَاسِدٌ بَيْنَ الأرَاذِلِ سِفْلَةِ الحَيَوَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ أيْنَ المشْتَرِي فَلَقَدْ عُرِضْتِ بِأيْسَرِ الأثْمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ فَالمَهْرُ قَبْلَ المَوْتِ ذُو إمْكَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ كَيْفَ تَصَبُّرُ الْـ خُطَّابِ عَنْكِ وَهُمْ ذَوُو إيمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ لَوْلاَ أنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الإنْسَانِ
مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الجَزَاءِ الثَّانِي
لَكِنَّهَا حُجِبتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ لِيُصدَّ عَنْهَا المبْطِلُ المتَوَانِي
وَتَنَالُهَا الْهِمَمُ الَّتِي تَسْمُو إلَى رَبِّ الْعُلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمٰنِ
فاتْعَبْ لِيوْمِ مَعَادِكَ الأدنَى تَجِدْ رَاحَاتِهِ يَوْمَ المَعَادِ الثَّانِي
وَإذَا أبَتْ ذَا الشَّانَ نَفْسُكَ فاتَّهِمْـ ـهَا ثُمَّ رَاجِعْ مَطْلَعَ الإيمَانِ
فإذَا رَأيْتَ اللَّيْلَ بَعْدُ وَصُبْحُهُ مَا انْشَقَّ عَنْهُ عَمُودُهُ لأذَانِ
وَالنَّاسُ قَدْ صَلُّوا صَلاَةَ الصُّبْحِ وانْـ ـتَظَرُوا طُلُوعَ الشَّمْسِ قُرْبَ زَمَانِ
فَاعْلَمْ بأنَّ العَيْنَ قَدْ عَمِيَتْ فَنَا شِدْ رَبَّكَ المعْرُوفَ بالإحْسَانِ
وَاسْألْهُ إيمَاناً يُبَاشِرُ قَلْبَكَ الْـ ـمَحْجُوبَ عَنْهُ لِتَنْظُرَ العَيْنَانِ
وَاسْألْهُ نُوراً هَادِياً يَهْدِيكَ فِي طُرُقِ المسِيرِ إلَيْهِ كُلَّ أوَانِ
وَاللَّهِ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فإنَّهَا لَعَلَى طَرِيقِ العَفْوِ والغُفْرَانِ
لَكِنَّمَا أخْشَى انْسلاَخَ القَلْبِ مِنْ تَحْكِيمِ هَذَا الوَحْيِ والقُرْآنِ
وَرِضاً بآرَاءِ الرِّجَالِ وَخَرْصِهَا لاَ كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمٰنِ
فَبِأيِّ وَجْهٍ ألتَقِي رَبِّي إذَا أعْرَضْتُ عَنْ ذَا الوَحْيِ طُولَ زَمَانِ
وَعَزَلْتُهُ عَمَّا أرِيدَ لأجْلِهِ عَزْلاً حَقِيقِيّاً بِلاَ كِتْمَانِ
صَرَّحْتُ أنَّ يَقِينَنَا لاَ يُسْتَفَا دُ بِهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ إتْقَانِ
أوَّلْتُهُ هَجْراً وَتأوِيلاً وَتَحْـ ـرِيفاً وتَفْوِيضاً بِلاَ بُرْهَانِ
وَسَعَيْتُ جَهْدِي فِي عُقُوبَةِ مُمسِكٍ بِعُرَاهُ لاَ تَقْلِيدَ رَأيِ فُلاَنِ
يَا مُعْرِضاً عَمَّا يُرادُ بِهِ وَقَدْ جَدَّ المسِيرُ فَمنْتَهَاهُ دَانِ
جَذْلاَنَ يَضْحَكُ آمِناً مُتَبَخْتِراً فَكَأنَّهُ قَدْ نَالَ عَقْدَ أمَانِ

خَـلَـعَ الـسُّـرورُ عَـلَـيْـهِ أوْفَـى حُـلَّـةٍ طَـرَدَتْ جَـمِـيـعَ الـهَـمِّ والأحْـزَانِ
يَـخْـتَـالُ فِـي حُـلَـلِ الـمَسَرَّةِ نَـاسِـيـاً مَـا بَـعْـدهَـا مِـنَ حُـلَّـةِ الأكْـفَـانِ
مَا سَعْيُهُ إلاَّ لِطِيبِ الْعَيْشِ فِي الدنْـ ـدُنْـيـا وَلَـوْ أفْـضَـى إلَـى النِّـيـرانِ
قَدْ بَاعَ طِيبَ العَيْشِ فِي دَارِ النَّعِيـ ـمِ بِذَا الـحُطَامِ المُضْمَحِلِّ الفَانِي
إنِّـي أَظُـنُّـكَ لاَ تُـصَـدِّقُ كَـوْنَـهُ بِـالـقُـرْبِ بَـلْ ظَـنٌّ بِـلاَ إيـقَـانِ
بَلْ قَدْ سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوا جَنَّةٌ أيْـضـاً وَنَـارٌ بَـلْ لَـهُـمْ قَـوْلاَنِ
وَالـوَقْـفُ مَـذْهَـبُـكَ الَّـذِي تَـخْـتَـارُهُ وَإذَا انْـتَـهَـى الإيـمَـانُ لـلـرُّجْـحَانِ
أَمْ تُؤثِرُ الأدْنَى عَـلَـيْـهِ وَقَـالَـتِ النَّـ ـنَفْسُ الَّتِي اسْتَعْلَتْ عَلَى الشَّيْطَانِ
أَتَـبِـيـعُ نَـقْـداً حَـاصِـلاً بِـنَـسِـيـئَـةٍ بَـعْـدَ الـمَـمَـاتِ وَطَـيِّ ذِي الأكْـوَانِ
لَـو أنَّـهُ بِـنَـسِـيـئَـةِ الـدُّنْـيـا لَـهَـا نَ الأمْـرُ لَـكِـنْ فِـي مَـعَـادٍ ثَـانِ
دَعْ مَـا سَـمِـعْـتَ الـنَّـاسَ قَـالُـوهُ وَخُـذْ مَـا قَـدْ رَأيْـتَ مُـشَـاهَـداً بِـعِـيَـانِ
وَاللَّهِ لَوْ جَالَسْتَ نَفْسَكَ خَالِياً وَبَـحَـثْـتَـهَـا بَـحْـثـاً بِـلاَ رَوَغَـانِ
لـرأيْـتَ هَـذَا كَـامِـنـاً فِـيـهَـا وَلَـوْ أمِـنَـتْ لألْـقَـتْـهُ إلَـى الآذَانِ
هَـذَا هُـوَ الـسِّـرُّ الَّـذِي مِـنْ أجْـلِـهِ اخْـ ـتَـارَتْ عَـلَـيْـهِ الـعَـاجِـلَ الـمـتَـدَانِ
نَـقْـدٌ قَـدِ اشْـتَـدَّتْ إلَـيْـهِ حَـاجَـةٌ مِـنْـهَـا وَلَـمْ يَـحْـصُـلْ لَـهَـا بِـهَـوَانِ
أتَـبِـيـعُـهُ بِـنَـسِـيـئَـةٍ فِـي غَـيْـرِ هَـٰـ ـذِي الـدَّارِ بَـعْـدَ قِـيَـامَـةِ الأبْـدَانِ
هَـذَا وإنْ جَـزَمَـتْ بِـهَـا قَـطْـعـاً وَلَـٰ ـكِـنْ حَـظُّـهَـا فِـي حَـيِّـزِ الإمْـكَـانِ
مَـا ذَاكَ قَـطْـعِـيّـاً لَـهَـا والـحَـاصِـلُ الْـ ـمَـوْجُـودُ مَـشْـهُـودٌ بِـرَأيِ عِـيَـانِ
فَـتَـألَّـفَـتْ مِـنْ بَـيْـنِ شَـهْـوَتِـهَـا وَشُـبْـ ـهَـتِـهَـا قِـيَـاسَـاتٌ مِـنَ الـبُـطْـلاَنِ
وَاسْتَنْجَدَتْ مِنها رِضاً بِالعاجِلِ الْـ أدْنَـى عَـلَـى الـمَـوْعُـودِ بَـعْـدَ زَمَـانِ
وَأتَـى مِـنَ الـتَّـأويـلِ كُـلُّ مُـلائِـمٍ لِـمُـرَادِهَـا يَـا رِقَّـةَ الإيـمَـانِ
وَصَغَتْ إلى شُبُهاتِ أهْلِ الشِّركِ وَالتَّـ ـعْـطِـيـلِ مَـعْ نَقْصٍ مِنَ العِرْفَانِ
وَاسْـتَـنْـقَـصَـتْ أهْـلَ الـهُـدَى وَرَأيْـتُـهـمْ فِـي الـنَّـاسِ كَـالـغُـرَبَـاءِ فِـي الـبُـلْـدَانِ
وَرأتْ عُـقُـولَ الـنَّـاسِ دائِـرةً عَـلَـى جَـمْـعِ الـحُـطَـامِ وَخِـدْمَـةِ الـسُّـلْـطَـانِ
وَعلَى المِلِيحةِ والمَلِيحِ وَعِشْرَةِ الْـ أحْـبَـابِ والأصْـحَـابِ والإخْـوَانِ

فَاسْتَوْعَرَتْ تَرْكَ الْجَمِيعِ وَلَمْ تَجِدْ عِوَضاً تَلَذُّ بِهِ مِنَ الإِحْسَانِ
فَالقَلْبُ لَيْسَ يَقَرُّ إلاَّ فِي إِنَا ءٍ فَهْوَ دُونَ الجِسْمِ ذُو جُوَلاَنِ
يَبْغِي لَهُ سَكَناً يَلَذُّ بِقُرْبِهِ فَتَرَاهُ شِبْهَ الوَالِهِ الحَيْرَانِ
فَيُحِبُّ هَذَا ثُمَّ يَهْوَى غَيْرَهُ فَيَظَلُّ مُنْتَقِلاً مَدَى الأَزْمَانِ
لَوْ نَالَ كُلَّ مَلِيحَةٍ ورِيَاسَةٍ لَمْ يَطْمَئِنَّ وَكَانَ ذَا دَوَرَانِ
بَلْ لَوْ يَنَالُ بِأَسْرِهَا الدُّنْيَا لَمَا قَرَّتْ بِمَا قَدْ نَالَهُ العَيْنَانِ
نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَحْسَنَ الإِنْسَانِ
فَالقَلْبُ مُضْطَرٌّ إلَى مَحْبُوبِهِ الْـ أَعْلَى فَلاَ يُغْنِيهِ حُبٌّ ثَانِ
وَصَلاَحُهُ وَفَلاَحُهُ وَنَعِيمُهُ تَجْرِيدُ هَذَا الحُبِّ لِلرَّحْمٰنِ
فَإذَا تَخَلَّى مِنْهُ أَصْبَحَ حَائِراً وَيَعُودُ فِي ذَا الكَوْنِ ذَا هَيَمَانِ

❋❋❋



في زهدِ أهلِ العلمِ والإيمَانِ وإيثارِهِمْ الذَّهبَ الباقي على الْخَزَفِ الفاني

لَكِنَّ ذَا الإِيمَانِ يَعْلَمُ أنَّ هَـ ـذَا كَالظِّلاَلِ وكُلُّ هَذَا فَانِ
كَخَيَالِ طَيْفٍ مَا اسْتَتَمَّ زِيَارَةً إلاَّ وَصُبْحُ رَحِيلِهِ بِأَذَانِ
وَسَحَابَةٍ طَلَعَتْ بِيَوْمٍ صَائِفٍ فَالظِّلُّ مَنْسُوخٌ بِقُرْبِ زَمَانِ
وَكَزَهْرَةٍ وَافَى الرَّبِيعُ بِحُسْنِهَا أَوْ لاَمِعاً فَكِلاَهُمَا أَخَوَانِ
أَوْ كَالسَّرابِ يَلُوحُ لِلظمْآنِ فِي وَسَطِ الهَجِيرِ بِمُسْتَوَى القِيعَانِ
أَوْ كَالأَمَانِي طَابَ مِنْهَا ذِكْرُهَا بِالقَوْلِ واسْتِحْضَارِهَا بِجَنَانِ
وَهِيَ الغَرُورُ رُؤُوسُ أَمْوَالِ المفَا لِيسِ الأُلَى اتَّجرُوا بِلاَ أَثْمَانِ
أَوْ كَالطَّعَامِ يَلَذُّ عِنْدَ مَسَاغِهِ لَكِنَّ عُقْبَاهُ كَمَا تَجِدَانِ
هَذَا هُوَ المَثَلُ الَّذِي ضَرَبَ الرَّسُو لُ لَهَا وذَا فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ
وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى حَقِيقَتَها فَخُذْ مِنْهُ مِثَالاً وَاحِداً ذَا شَانِ

أَدْخِلْ بِجَهْدِكَ أُصْبُعاً فِي اليَمِّ وَانْـ ـظُـرْ مَا تَعَلَّقُهُ إذاً بِعِيَانِ
هَـذَا هُوَ الدُّنْيَا كَذَا قَالَ الرَّسُو لُ مُمَثِّلاً والحَقُّ ذُو تِبْيَانِ
وَكَذَاكَ مَثَّلَهَا بِظِلِّ الدَّوْحِ فِي وَقْتِ الحَرُورِ لِقَائِلِ الرُّكْبَانِ
هَذَا وَلَوْ عَدَلَتْ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ عِنْدَ الإلَهِ الحَقِّ فِي المِيزَانِ
لَمْ يَسْقِ مِنْهَا كَافِراً مِنْ شَرْبَةٍ مَاءً وَكَانَ الحَقُّ بِالحِرْمَانِ
تَاللَّهِ مَا عَقْلُ امرِىءٍ قَدْ بَاعَ مَا يَبْقَى بِمَا هُوَ مُضْمَحِلٌّ فَانِ
هَذَا وَيُفْتِي ثُمَّ يَقْضِي حَاكِماً بِالحَجْرِ مِنْ سَفَهٍ لِذَا الإِنْسَانِ
إِذْ بَاعَ شَيْئاً قَدْرُهُ فَوْقَ الَّذِي يَعْتَاضُهُ مِنْ هَذِهِ الأَثْمَانِ
فَمَنِ السَّفِيهُ حَقِيقَةً إنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وأنَّ العَقْلَ لِلسَّكْرَانِ
واللَّهِ لَوْ أنَّ القُلُوبَ شَهِدْنَ مِنْـ ـنَا كَانَ شَأْنٌ غَيْرُ هَذَا الشَّانِ
نَفَسٌ مِنَ الأَنْفَاسِ هَذَا العَيْشُ إنْ قِسْنَاهُ بِالعَيْشِ الطَّوِيلِ الثَّانِي
يَا خِسَّةَ الشُّرَكَاءِ مَعْ عَدَمِ الوَفَا ءِ وَطُولِ جَفْوَتِهَا مِنَ الهِجْرَانِ
هَلْ فِيكِ مُعْتَبَرٌ فَيَسْلُو عَاشِقٌ بِمَصَارِعِ العُشَّاقِ كُلَّ زَمَانِ
لَكِنْ عَلَى تِلْكَ العُيُونِ غِشَاوَةٌ وَعَلَى القُلُوبِ أَكِنَّةُ النِّسْيَانِ
وَأَخُو البَصَائِرِ حَاضِرٌ مُتَيَقِّظٌ مُتَفَرِّدٌ عَنْ زُمْرَةِ العُمْيَانِ
يَسْمُو إِلَى ذَاكَ الرفِيقِ الأرْفَعِ الْـ أعْلَى وَخَلَّى اللَّعْبَ لِلصِّبْيَانِ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمُ فَصِبْيَانٌ وإنْ بَلَغُوا سِوَى الأفرادِ والوحْدَانِ
وَإذَا رَأَى مَا يَشْتَهِيهِ قَالَ مَوْ عِدُكَ الجِنَانُ وَجَدَّ فِي الأثْمَانِ
وَإذَا أَبَتْ إلاَّ الجِمَاحَ أَعَاضَهَا بِالعِلْمِ بَعْدَ حَقَائِقِ الإيمَانِ
وَيَرى مِنَ الخُسْرَانِ بَيْعَ الدَّائِمِ الْـ بَاقِي بِهِ يَا ذِلَّةَ الخُسْرَانِ
وَيَرى مَصَارِعَ أَهْلِهَا مِنْ حَوْلِهِ وَقُلُوبُهُمْ كَمَرَاجِلِ النِّيرانِ
حَسَرَاتُهَا هُنَّ الوَقُودُ فإنْ خَبَتْ زَادَتْ سَعِيراً بِالوَقُودِ الثَّانِي
جَاؤوا فُرَادَى مِثْل مَا خُلِقُوا بِلاَ مَالٍ وَلاَ أَهْلٍ وَلاَ إخْوَانِ
مَا مَعْهُمُ شَيءٌ سِوَى الأعْمَالِ فَهْـ ـيَ مَتَاجِرٌ لِلنَّارِ أَوْ لِجِنَانِ
تَسْعَى بِهِمْ أعْمَالُهُمْ سَوْقاً إلَى الدْ دَارَيْنِ سَوْقَ الخَيْلِ بالرُّكْبَانِ

صَبَرُوا قَلِيلاً فَاسْتَرَاحُوا دَائِماً ... يَا عِزَّةَ التَّوْفِيقِ لِلإِنْسَانِ
حَمَدُوا التُّقَى عِنْدَ المَمَاتِ كَذَا السُّرَى ... عِنْدَ الصَّبَاحِ فَحَبَّذَا الحَمْدَانِ
وَحَدَتْ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ العُلَى ... وَسَرَوْا فَمَا نَزَلُوا إِلَى نُعْمَانِ
بَاعُوا الَّذِي يَفْنَى مِنَ الخَزَفِ الْخَسِيـ ... ـسِ بِدَائِمٍ مِنْ خَالِصِ العِقْيَانِ
رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلاَمُ السَّعَا ... دَةِ وَالهُدَى يَا ذِلَّةَ الحَيْرَانِ
فَتَسَابَقَ الأَقْوَامُ وابْتَدَرُوا لَهَا ... كَتَسَابُقِ الفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ
وَأَخُو الهُوَيْنَى فِي الدِّيَارِ مُخَلَّفٌ ... مَعَ شَكْلِهِ يَا خَيْبَةَ الكَسْلاَنِ

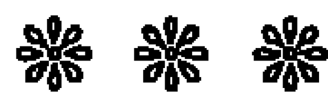


فصلٌ

في رغبةِ قائِلها إلى مَنْ يقفُ عليها منْ أهل العلم والإيمان أن يتجرد لله ويحكم عليها بما يوجِبهُ الدليلُ والبرهانُ فإنْ رأى حقّاً قبِلَهُ وحمدَ الله عليهِ وإنْ رأى باطلاً عرفَ بهِ وأرت إليه

يَأَيُّهَا القَارِي لَهَا اجْلِسْ مَجْلِسَ الْـ ... حَكَمِ الأَمِينِ أَتَى لَهُ الخَصْمَانِ
واحْكُمْ هَدَاكَ اللَّهُ حُكْماً يَشْهَدُ الْـ ... عَقْلُ الصَّرِيحُ بِهِ مَعَ القُرْآنِ
وَاحْبِسْ لِسَانَكَ بُرْهَةً عَنْ كُفْرِهِ ... حَتَّى تُعَارِضَهَا بِلاَ عُدْوَانِ
فَإِذَا فَعَلْتَ فَعِنْدَهُ أَمْثَالُهَا ... فَنَزَالِ آخِرَ دَعْوَةِ الفُرْسَانِ
فَالكُفْرُ لَيْسَ سِوَى العِنَادِ وَرَدِّ مَا ... جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ لِقَوْلِ فُلاَنِ
فَانْظُرْ لَعَلَّكَ هَكَذَا دُونَ الَّذِي ... قَدْ قَالَهَا فَتَفُوزَ بِالخُسْرَانِ
فَالحَقُّ شَمْسٌ وَالعُيُونُ نَوَاظِرٌ ... لاَ تَخْتَفِي إِلاَّ عَلَى العُمْيَانِ
وَالقَلْبُ يَعْمَى عَنْ هُدَاهُ مِثْلَ مَا ... تَعْمَى وأَعْظَمُ هَذِهِ العَيْنَانِ
هَذَا وإِنِّي بَعْدُ مُمْتَحَنٌ بِأَرْ ... بَعَةٍ وكُلُّهُمُ ذَوُو أَضْغَانِ
فَظٌّ غَلِيظٌ جَاهِلٌ مُتَمَعْلِمٌ ... ضَخْمُ العِمَامَةِ وَاسِعُ الأَرْدَانِ
مُتَفَيْهِقٌ مُتَضَلِّعٌ بِالجَهْلِ ذُو ... ضَلَعٍ وَذُو جَلَحٍ مِنَ العِرْفَانِ

مُزْجى البِضَاعَةِ فِي العُلُومِ وإنَّهُ ... زَاجٍ مِنَ الإِيهَامِ والهَذَيَانِ
يَشْكُو إِلَى اللَّهِ الحُقُوقَ تَظَلُّماً ... مِنْ جَهْلِهِ كَشِكَايَةِ الأَبْدَانِ
مِن جَاهِلٍ مُتَطبِّبٍ يُفْتِي الوَرَى ... وَيُحِيلُ ذَاكَ عَلَى قَضَا الرَّحْمٰنِ
عَجَّتْ فُرُوجُ الخَلْقِ ثُمَّ دِمَاؤُهُمْ ... وَحُقُوقُهُمْ مِنْهُ إِلَى الدَّيَّانِ
مَا عِنْدَهُ عِلْمٌ سِوَى التَّكْفِيرِ والتَّـ ... ـبْدِيعِ والتَّضْلِيلِ وَالبُهْتَانِ
فَإِذَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ المَغْلُوبُ عِنْـ ... ـدَ تَقَابُلِ الفُرْسَانِ فِي المَيْدَانِ
قَالَ اشْتَكُوهُ إِلَى القُضَاةِ فَإِنَّهُمْ ... حَكَمُوا وَإِلاَّ اشْكُوهُ لِلسُّلْطَانِ
قُولُوا لَهُ هَذَا يَحِلُّ المُلْكَ بَلْ ... هَذَا يُزِيلُ المُلْكَ مِثْلَ فُلاَنِ
فَاعْقِرْهُ مِنْ قَبْلِ اشْتِدَادِ الأَمْرِ مِنْـ ... ـهُ بِقُوَّةِ الأَتْبَاعِ والأَعْوَانِ
وَإِذَا دَعَاكُمْ لِلرَّسُولِ وَحُكْمِهِ ... فَادْعُوهُ كُلُّكُمُ لِرَأْيِ فُلاَنِ
وَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فِي المَجَالِسِ فَالْغُبُوا ... وَالْغَوْا إِذَا مَا احْتَجَّ بِالقُرآنِ
وَاسْتَنْصِرُوا بِمَحَاضِرٍ وَشَهَادَةٍ ... قَدْ أُصْلِحَتْ بِالرِّفْقِ والإِتْقَانِ
لاَ تَسْأَلُوا الشُّهَدَاءَ كَيْفَ تَحَمَّلُوا ... وَبِأَيِّ وَقْتٍ بَلْ بِأَيِّ مَكَانِ
وَارْفُوا شَهَادَتَهُمْ وَمَشُّوا حَالَهَا ... بَلْ أَصْلِحُوهَا غَايَةَ الإِمْكَانِ
وَإِذَا هُمُ شَهِدُوا فَزَكُّوهُمْ وَلاَ ... تُصْغُوا لِقَوْلِ الجَارِحِ الطَّعَّانِ
قُولُوا العَدَالَةُ مِنْهُمُ قَطْعِيَّةٌ ... لَسْنَا نُعَارِضُهَا بِقَوْلِ فُلاَنِ
ثَبَتَتْ عَلَى الحُكَّامِ بَلْ حَكَمُوا بِهَا ... فَالطَّعْنُ فِيهَا لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ
مَنْ جَاءَ يَقْدَحُ فِيهِمُ فَلْيَتَّخِذْ ... ظَهْراً كَمِثْلِ حِجَارَةِ الصَّوَّانِ
وإِذَا هُوَ اسْتَعْدَاهُمُ فَجَوَابُكُمْ ... أَتُرُدُّهَا بِعَدَاوَةِ الدَّيَّانِ



فصلٌ

في حالِ العدوِّ الثَّانِي

أَوْ حَاسِدٍ قَدْ بَاتَ يَغْلِي صَدْرُهُ ... بِعَدَاوَتِي كَالمِرْجَلِ المَلآنِ
لَوْ قُلْتُ هَذا البَحْرُ قَالَ مُكَذِّباً ... هَذَا السَّرَابُ يَكُونُ بِالقِيعَانِ

أَوْ قُلْتُ هَذِي الشَّمْسُ قَالَ مُبَاهِتاً ... الشَّمْسُ لَمْ تَطْلُعْ إِلَى ذَا الآنِ
أَوْ قُلْتُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ ... غَضِبَ الْخَبِيْثُ وَجَاءَ بِالْكِتْمَانِ
أَوْ حَرَّفَ الْقُرْآنَ عَنْ مَوْضُوعِهِ ... تَحْرِيْفَ كَذَّابٍ عَلَى الْقُرآنِ
صَالَ النُّصُوص عَلَيْهِ فَهْوَ بِدَفْعِهَا ... مُتَوكِّلٌ بِالدَّأْبِ والدِّيدَانِ
فَكَلامُهُ فِي النَّصِّ عِنْدَ خِلافِهِ ... مِنْ بَابِ دَفْعِ الصَّائِلِ الطَّغَّانِ
فَالقَصْدُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَدْلُولِهِ ... كَيْلاَ يَصُولَ إِذَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ

❋ ❋ ❋

فصلٌ

في حالِ العدوِّ الثَّالثِ

وَالثَّالِثُ الأَعْمَى المقَلِّدُ ذَيْنِكَ الرَّ ... ـرَجُلَيْنِ قَائِدُ زُمْرَةِ العُمْيَانِ
فَاللَّعْنُ والتَّكْفِيرُ والتَّبْدِيعُ والتَّـ ... ـتَضْلِيلُ والتَّفْسِيقُ بِالعُدْوانِ
فَإِذا هُمُ سَأَلُوهُ مُسْتَنَداً لَهُ ... قَالَ اسْمَعُوا مَا قَالَهُ الرَّجُلاَنِ

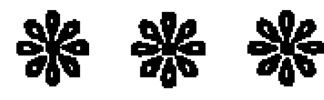
❋ ❋ ❋

فصلٌ

في حالِ العدوِّ الرَّابعِ

هَذَا وَرَابِعُهُمْ وَلَيْسَ بِكَلْبِهِمْ ... حَاشَا الكِلاَبَ الآكِلي الأَنْتَانِ
خِنْزِيرُ طَبْعٍ فِي خَلِيقَةِ نَاطِقٍ ... مُتَسَوِّفٍ بِالكِذْبِ والبُهْتَانِ
كَالكَلْبِ يَتْبَعُهُمْ يُمَشْمِشُ أَعْظُماً ... يَرْمُونَهَا وَالقَوْمُ لِلُحْمَانِ
يَتَفَكَّهُونَ بِهَا رَخِيصاً سِعْرُهَا ... مَيْتاً بِلاَ عِوَضٍ وَلاَ أَثْمَانِ
هُوَ فَضْلَةٌ فِي النَّاس لاَ عِلْمٌ وَلاَ ... دِينٌ وَلاَ تَمْكِينُ ذِي سُلْطَانِ
فَإِذَا رَأى شَرّاً تَحَرَّكَ يَبْتَغِي ... ذِكْراً كَمِثْلِ تَحَرُّكِ الثُّعْبَانِ
لِيَزُولَ مِنْهُ أَذَى الكَسَادِ فَيَنْفَقُ الْـ ... كَلْبُ العَقُورُ عَلَى ذُكُورِ الضَّانِ
فَبَقَاؤُهُ فِي النَّاسِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ ... مِنْ عَسْكَرٍ يُغْزَى إِلَى غَازَانِ

هَـذِي بِضَاعَةُ ضَارِبٍ فِي الأرْضِ يَبْـ … ـغِـي تَـاجِـراً يَـبْـتَـاعُ بـالأَثْـمَـانِ
وَجَـدَ التُّجَارَ جَمِيعَهُمْ قَدْ سَافروا … عَـنْ هَـذِهِ الـبُـلْـدَانِ والأَوْطَـانِ
إلاَّ الـصَّـعَـافِـقَـةَ الَّـذِيـنَ تَـكَـلَّـفُـوا … أنْ يَـتْـجَـرُوا فِـيـنَـا بِـلاَ أثْـمَـانِ
فَـهُـمُ الـزُّبُـونُ لَـهَـا فَـبِـالـلَّـهِ ارْحَـمُـوا … مِـنْ بَـيْـعَـةٍ مِـنْ مُـفْـلِـسٍ مُـذْيَـانِ
يَـا رَبُّ فَـارْزُقْـهَـا بِـحَـقِّـكَ تَـاجِـراً … قَـدْ طَـافَ بـالآفَـاقِ والـبُـلْـدَانِ
مَـا كُـلُّ مَـنْـقُـوشٍ لَـدَيْـهِ أصْـفَـرٍ … ذَهَـبـاً يَـرَاهُ خَـالِـص الـعِـقْـيَـانِ
وَكَـذا الـزُّجَـاجُ وَدُرَّةُ الـغَـوَّاصِ فِـي … تَـمْـيِـيـزِهِ مَـا إنْ هُـمَـا مَـثَـلاَنِ



فصلٌ

في توجُّهِ أهلِ السنةِ إلى ربِّ العالمينَ أنْ ينصرَ دينَه وكتابَهُ ورسولَهُ وعبادَهُ المؤمنينَ

هَـذَا وَنَـصْـرُ الـدِّيـنِ فَـرْضٌ لاَزِمٌ … لاَ لِـلْـكِـفَـايَـةِ بَـلْ عَـلَـى الأَعْـيَـانِ
بِـيَـدٍ وإمَّـا بِـالـلِّـسَـانِ فَـإنْ عَـجَـزْ … تَ فَـبِـالـتَّـوَجُّـهِ والـدُّعَـا بِـجَـنَـانِ
مَـا بَـعْـدَ ذَا وَالـلَّـهِ لـلإيـمَـانِ حبْـ … ـبَـةُ خَـرْدَلٍ يَـا نَـاصِـرَ الإيـمَـانِ
بِـحَـيَـاةِ وَجْـهِـكَ خَـيْـرِ مَـسْـؤُولٍ بِـهِ … وَبِـنُـورِ وَجْـهِـكَ يَـا عَـظِـيـمَ الـشَّـانِ
وبِـحَـقِّ نِـعْـمَـتِـكَ الَّـتِـي أوْلَـيْـتَـهَـا … مِـنْ غَـيْـرِ مَـا عِـوَضٍ وَلاَ أثْـمَـانِ
وَبِـحَـقِّ رَحْـمَـتِـكَ الـتِي وَسِعَتْ جَـمِـيـ … ـعَ الـخَـلْـقِ مُـحْـسِـنَـهُـمْ كَـذَاكَ الـجَـانِـي
وبِـحَـقِّ أسْـمَـاءٍ لَـكَ الْـحُـسْـنَـى مَـعَـا … نِـيـهَـا نُـعُـوتُ الْـمَـدْحِ لِـلـرَّحْـمٰـنِ
وَبِـحَـقِّ حَـمْـدِكَ وَهْـوَ حَـمْـدٌ وَاسِـعُ الْـ … أكْـوَانِ بَـلْ أَضْـعَـافُ ذِي الأكْـوَانِ
وبِـأنَّـكَ الـلَّـهُ الإلٰـهُ الـحَـقُّ مَـعْـ … ـبُـودُ الـوَرَى مُـتَـقَـدِّسٌ عَـنْ ثَـانِ
بَـلْ كُـلُّ مَـعْـبُـودٍ سِـوَاكَ فَـبَـاطِـلٌ … مِـنْ دُونِ عَـرْشِـكَ لِـلـثَّـرَى الـتَّـحْـتَـانِـي
وَبِـكَ الـمَـعَـاذُ وَلاَ مَـلاَذَ سِـوَاكَ أنْـ … ـتَ غِـيَـاثُ كُـلِّ مُـلَـدَّدٍ لَـهْـفَـانِ
مَـنْ ذَاكَ لِـلْـمُـضْـطَـرِّ يَـسْـمَـعُـهُ سِـوَا … كَ يُـجِـيـبُ دَعْـوَتَـهُ مَـعَ الـعِـصْـيَـانِ
إنَّ تَـوَجُّـهْـنَـا إلَـيْـكَ لِـحَـاجَـةٍ … تُـرْضِـيـكَ طَـالِـبُـهَـا أحَـقُّ مَـعَـانِ

فاجْعَلْ قَضَاهَا بَعْض أَنْعُمِكَ الَّتِي   سَبَغَتْ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانِ
انْصُرْ كِتَابَكَ والرَّسُولَ وَدِينَكَ الْـ   ـعَالِي الَّذِي أَنْزَلْتَ بِالْبُرْهَانِ
وَاخْتَرْتَهُ دِيناً لِنَفْسِكَ واصْطَفَيْـ   ـتَ مُقِيمَهُ مِنْ أُمَّةِ الإِنْسَانِ
وَرَضِيْتَهُ دِيناً لِمَنْ تَرْضَاهُ مِنْ   هَذَا الوَرَى هُوَ قَيِّمُ الأَدْيَانِ
وَأَقِرَّ عَيْنَ رَسُولِكَ المبْعُوثِ بِالدْ   ـدِينِ الحَنِيفِ بِنَصْرِهِ المُتَدانِ
وانْصُرْهُ بِالنَّصْرِ العَزِيزِ كَمِثْلِ مَا   قَدْ كُنْتَ تَنْصُرُهُ بِكُلِّ زَمَانِ
يَا رَبِّ وانصرْ خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلَى   حِزْبِ الضَّلالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ
يَا رَبِّ وَاجْعَلْ شَرَّ حِزْبَيْنَا فِدىً   لِخِيَارِهِمْ ولِعَسْكَرِ القُرْآنِ
يَا رَبِّ وَاجْعَلْ حِزْبَكَ المنْصُورَ أَهْـ   ـلَ تَرَاحُمٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَدَانِ
يَا رَبِّ وارْحَمْهُمْ مِنَ الْبِدَعِ الَّتي   قَدْ أُحْدِثَتْ فِي الدِّينِ كُلَّ زَمَانِ
يَا رَبِّ جَنِّبْهُمْ طَرائِقَهَا الَّتِي   تُفْضِي بِسَالِكِهَا إِلَى النِّيرَانِ
يَا رَبِّ وَاهْدِهِمُ بِنُورِ الوَحْيِ كَيْ   يَصِلُوا إِلَيْكَ فَيظْفَرُوا بِجِنَانِ
يَا رَبِّ كُنْ لَهُمُ وَلِيّاً نَاصِراً   وَاحْفَظْهُمُ مِنْ فِتْنَةِ الفَتَّانِ
وَانْصُرْهُمُ يَا رَبِّ بِالحَقِّ الَّذِي   أَنْزَلْتَهُ يَا مُنْزِلَ القُرْآنِ
يَا رَبِّ إِنَّهُمُ هُمُ الغُرَبَاءُ قَدْ   لَجَئُوا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الإِحْسَانِ
يَا رَبِّ قَدْ عَادَوْا لأَجْلِكَ كُلَّ هَـ   ـذَا الخَلْقِ إِلاَّ صَادِقَ الإِيمَانِ
قَدْ فَارَقُوهمْ فِيكَ أَحْوَجَ مَا هُمُ   دُنْيَا إِلَيْهِمْ فِي رِضَا الرَّحْمٰنِ
وَرَضُوْا وِلاَيَتَكَ الَّتِي مَنْ نَالَهَا   نَالَ الأَمَانَ وَنَالَ كُلَّ أَمَانِي
وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ وَمَا ارْتَضَوْا   بِسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الهَذَيَانِ
يَا رَبِّ ثَبِّتْهُمْ عَلَى الإِيمَانِ وَاجْـ   ـعَلْهُمْ هُدَاةَ التَّائِهِ الحَيْرَانِ
وَانْصُرْ عَلَى حِزْبِ النُّفَاةِ عَسَاكِرَ الْـ   إِثْبَاتِ أَهْلَ الحَقِّ والعِرْفَانِ
وَأَقِمْ لأَهْلِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْـ   أَنْصَارَ وَانْصُرْهُمْ بِكُلِّ زَمَانِ
وَاجْعَلْهُمُ لِلْمُتَّقِينَ أَئِمَّةً   وَارْزُقْهُمُ صَبْراً مَعَ الإِيقَانِ
تَهْدِي بِأَمْرِكَ لاَ بِمَا قَدْ أَحْدَثُوا   وَدَعَوْا إِلَيْهِ النَّاسَ بِالعُدْوَانِ
وَأَعِزَّهُمْ بِالحَقِّ وَانْصُرْهُمْ بِهِ   نَصْراً عَزِيزاً أَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ

وَاغْـفِـرْ ذُنُـوبَـهُـمُ وَأَصْـلِـحْ شَـأْنَـهُـمْ فَـلأَنْـتَ أَهْـلُ الْـعَـفْـوِ وَالْـغُـفْـرَانِ
وَلَـكَ الـمَـحَـامِـدُ كُـلُّـهَـا حَـمْـداً كَـمَـا يُـرْضِـيـكَ لاَ يَـفْـنَـى عَـلَـى الأَزْمَـانِ
مِـلْءَ الـسَّـمْـوَاتِ الـعُـلَـى والأَرْضِ والْـ ـمَـوْجُـودِ بَـعْـدُ وَمُـنْـتَـهَـى الإِمْـكَـانِ
مِـمَّـا تَـشَـاءُ وَرَاءَ ذَلِـكَ كُـلِّـهِ حَـمْـداً بِـغَـيْـرِ نِـهَـايَـةٍ بِـزَمَـانِ
وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ والتَّـ ـسْـلِـيم مِـنْـكَ وأَكْـمَـلُ الرِّضْـوَانِ
وَعَـلَـى صَـحَـابَـتِـهِ جَـمِـيـعـاً والأُلَـى تَـبِـعُـوهُـمُ مِـنْ بَـعْـدُ بِـالإِحْـسَـانِ

تمت



شرح
القصيدة الميمية

للإمَام ابْن القيِّم
رحمَهُ اللّه

شرح
سعد المزعل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

أما بعد:

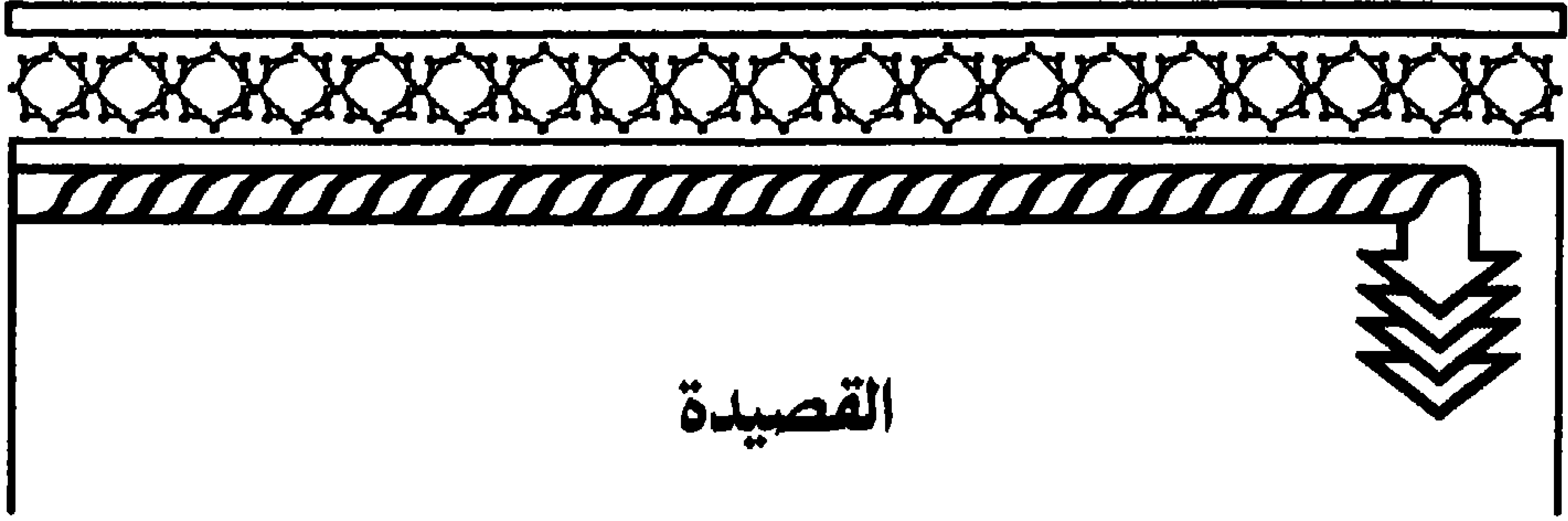
هذه هي القصيدة الميمية للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، وهي مطبوعة مع مجموعة قصائد بعنوان: مجموعة القصائد المفيدة، قمت بوضع شرح يسير مختصر لها، وذكرت معاني بعض المفردات التي تحتاج إلى بيان.

وبعد الشروع بالعمل وقفت على كتاب بعنوان: (الرحلة إلى بلاد الأشواق شرح القصيدة الميمية)، عرض وتحليل مصطفى عراقي. وقد جاء في هذا الكتاب

أبيات زائدة على ما في الكتاب المطبوع الذي اعتمدته، ولكي تكمل الفائدة ويعم النفع رأيت أن أذكر الأبيات الزائدة وأدمجها مع القصيدة.

وأسأل الله العلي القدير أن يوفقني للصواب، وأن يجنبني الزلل، وأن يجعل جميع أعمالي خالصة لوجهه، وأن يتقبلها إنه أكرم من سُئِل.





القصيدة

١ ـ إذا طلعت شمس النهار فإنها أمارة تسليمي عليكم فسلموا[١]

يقول رحمه الله تعالى: في بداية كل يوم، وفي وقت الصباح، فإني أسلم عليكم، وعلامة هذا التسليم هو شروق الشمس. فعليكم أنتم أن تردوا عليّ السلام، لأن وقت شروق الشمس هو وقت تسليمي عليكم.

٢ ـ سَلامٌ مِنَ الرَّحمنِ في كُلِّ سَاعَةٍ وَرَوْحٌ وَرَيحَانٌ وَفَضلٌ وَأنعُمُ[٢]

وهذا السلام هو من الله سبحانه عليكم في كل وقت، ومع هذا السلام: ريح رائحة الريحان. أو يكون معه الراحة من تعب الدنيا ونصبها مع الريحان ورائحته الطيبة. ومع هذا السلام كذلك زيادة فرح ومسرة.

٣ ـ عَلى الصَّحْبِ وَالإِخوَانِ والوِلْدِ والأُلىٰ رَعَوهُم بِإِحْسَانٍ فَجَادُوا وَأَنعَمُوا[٣]

الصاحب أخص من الأخ، والأخُ أعَمّ. وقد يكون لك أخ ولم تره بعينك. ولكن الصاحب لا بد له من أن يصحبك.

---

(١) أمارة: الموعد أو الوقت (القاموس المحيط).

(٢) رَوح: نسيم الريح.

(٣) الألى: الذين (المعجم الوسيط).
جادوا: أجاد: أتى بالجيد. والجواد: السخي (القاموس المحيط).
رعوهم: أحاطوهم وحفظوهم (لسان العرب).

يقول المولى جل ذكره: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وعندما قال النبي ﷺ: «**وددت أنا قد رأينا إخواننا**»، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**» رواه مسلم: (٢٤٩)، والبخاري: (١٣٦) مختصراً.

وقد تعارف أن القائل إذا أطلق لفظ: الصحابة، فالمقصود بهم صحابة رسول الله ﷺ إلا إذا قيدها؛ كأن يقول أصحابي، أو أصحابنا، أو أصحاب فلان.

أما الوِلد بالكسر: جمع وَلد. فهو يزف هذا السلام من الله إلى الجميع: الأصحاب، والإخوان، والأولاد، وإلى الذين أحاطوهم وحفظوهم، وأحسنوا إليهم وأتوهم بالجيد من القول والفعل وزادوا عليهم من الإنعام.

٤ ـ وَسَائِرِ مَنْ لِلسُّنَّةِ المَحْضَةِ اقْتَفَى وَمَا زَاغَ عَنْهَا فَهُوَ حَقٌّ مُقَدَّمُ[1]

وكذلك سلامه على جميع من تتبع واقتفى بالسنة الخالصة، وهي طريقة النبي ﷺ وأصحابه، ومن تبعهم وسار على نهجهم ولم يعدل عنها إلى غيرها؛ فهذا الصنف من الناس هو المقدم على غيره في كل شيء حتى في إلقاء التحية.

٥ ـ أُولَئِكَ أَتْبَاعُ النَّبِيِّ وَحِزْبُهُ وَلَوْلاهُمُ مَا كَانَ فِي الأَرْضِ مُسْلِمُ

الذين ساروا على السنة الخالصة هم أتباع النبي ﷺ في الدنيا، وهم الذين يحشرون تحت لوائه يوم القيامة، وهم حزب الله وحزب رسوله ﷺ، الذين أثبت الله سبحانه لهم الغلبة في الدنيا والفلاح يوم القيامة. فهم الذين أخذوا العلم، وجدّوا في تعلمه وإتقانه، وتعليمه إلى مَن بعدهم، فلولاهم؛ لذهب العلم ودرس، وضاع الدين، واختلط الحق بالباطل، وارتد الناس عن الإسلام.

---

(١) المحضة: الخالصة التي لم يخالطها غيرها.

زاغ: مال (مختار الصحاح).

٦ ـ وَلَوْلاهُمُ كَادَتْ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا   وَلَكِنْ رَوَاسِيهَاوَأَوْتَادُهَا هُمُ(١)

إن هؤلاء الذين تمسكوا بالسنة الخالصة هم الذين بينوا للناس أمور دينهم، حتى لا يلتبس عليهم الحلال من الحرام، فتضطرب أمورهم، ولكن وجودهم بين الناس كالجبال للأرض؛ فهم يتصدون لكل حادثة، ويقدمون للناس من الكتاب والسنة ما يصلح لهم معاشهم وحياتهم.

٧ ـ وَلَوْلاَهُمُ كَانَتْ ظَلاَمَاً بِأَهْلِهَا   وَلَكِنْ هُمُ فِيهَا بُدُورٌ وأَنْجُمُ

يشبِّه أهل العلم المتبعين للسنة بالقمر الذي اكتمل كيف يزيح الظلام الدامس. وهم أيضاً كالنجوم يستدل بهم إلى معرفة أحكام الشرع، كالذي يسترشد بالنجوم إلى موضعه. فالناس يستنيرون طريقهم ويسترشدون بتوجيهاتهم ونصائحهم.

٨ ـ أُولَئِكَ أَصْحَابِي فَحَيَّ هَلا بِهِمْ   وَحَيَّ هَلا بِالطَّيِّبِينَ وَأَنْعِمُ(٢)

أولئك الصنف من الناس الذين ذكرهم سابقاً، وهم أتباع السنة المحضة، هم أصحابه فابدأ بهم بالترحيب والسلام، وعجل بهم، ثم ابدأ وعجل بذكر الطيبين بالفرح والمسرة.

٩ ـ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ سَلامٌ يَخُصُّهُ   يُبَلِّغُهُ الأَدْنَىٰ إِلَيْهِ وَيَنْعَمُ

لكل واحد من هؤلاء السابقين سلام من المصنف ـ رحمه الله ـ يخصه بنفسه، وهذا السلام يبلغه له الأدنى منه، أي إن الذي سمع تسليم المصنف يبلغه إلى الأدنى منه، والثاني يبلغه إلى الأدنى منه، وهكذا.

وهذا السلام مصحوب بالترفه والفرح والمسرة.

---

(١) كادت: كاد: فعل ناقص يدل على قرب وقوع الخبر (معجم الشوارد النحوية).
تميد: تتحرك وتضطرب. رواسي: الجبال الثوابت الرواسخ.
أوتادها: الوتد: ما غزَّ في الأرض أو الحائط من خشب.

(٢) حي هلا: هلم أو أقبل وعجل. حيّ: بمعنى أعجل، وهلا: معناه حث واستعجال (معجم الشوارد النحوية).

١٠ ـ فَيَا مُحْسِناً بَلِّغْ سَلامِي وَقُلْ لَهُمْ مُحِبُّكُمُ يَدْعُو لَكُمْ وَيُسَلِّمُ

فيا كل من يريد أن يفعل الفعل الجميل والفعل الحسن، بلغ سلامي إلى أولئك الذين سبقت الإشارة إليهم، وأخبرهم بأن المصنف من الذين يحبكم في الله، ويدعو لكم الله سبحانه بالتوفيق والثبات، ويتمنى لكم كل خير، وهو يسلم عليكم.

١١ ـ وَيَا لائِمِي فِي حُبِّهِمْ وَوَلائِهِمْ تَأَمَّلْ هَدَاكَ اللَّهُ مَنْ هُوَ أَلْوَمُ(١)

يخاطب من يلومه ويعاتبه وينكر عليه لأنه أحب أتباع السنة (المحضة)؛ فيقول له: لو تريثت قليلاً وتمهلت ثم بحثت عن الحق، سوف يتبين لك بعد التحري أن الذي يقع عليه اللوم هو أنت لا أنا، لأنني اتبعت سنة النبي ﷺ القائل: (**المتحابون في الله على منابر من نور**)(٢).

فهل يلام من يتبع السنة أم الذي يخالفها هو أحق باللوم؟ وإذا كانت محبة الصالحين والأخيار ذنباً يُلام عليه؛ إذن تكون محبة الأشرار والفجار خيراً يُسعى إليه. وهذا فاسد لا يخفى على أحد.

١٢ ـ بِأَيِّ دَلِيلٍ أَمْ بِأَيَّةِ حُجَّةٍ تَرَىٰ حُبَّهُمْ عَاراً عَلَيَّ وَتَنْقِمُ(٣)

يقول: أنت الذي تنقم عليَّ وتكثر في لومي على حب أحبابي، وتظن أن حبهم ارتكاب معصية.

هل فعلك هذا لك فيه برهان أو نص من قرآن أو سنة؟.

١٣ ـ وَمَا العَارُ إلاَّ بُغْضُهُمْ وَاجْتِنَابُهُمْ وحُبُّ عِدَاهُمْ ذَاكَ عَارٌ وَمَأْثَمُ(٤)

العيب كل العيب هو مقتهم واجتنابهم، وتركهم وحب غيرهم ممن ناصبهم العداء؛ لا لشيء إلا لأنهم تمسكوا بدين الله، فحبُ غيرهم هو العار والوقوع في الإثم.

---

(١) لائمي. اللوم: العذل.
(٢) رواه أحمد ٥/٢٣٧ وهو صحيح.
(٣) تنقم. نقم عليه. انتقم الله منه: عاقبه (مختار الصحاح).
(٤) عداهم: عدا: جمع أعداء.

١٤ ـ أَمَا وَالَّذِي شَقَّ القُلُوبَ وأَوْدَعَ الْـ ـمَحَبَّةَ فِيهَا حَيْثُ لا تَتَصَرَّمُ[(١)]

يقسم بالخالق سبحانه الذي فطر القلوب على المحبة، حيث أودع هذه الغريزة داخل القلوب الضعيفة، ثم جعلها قادرة على التحمل وعدم التقطع.

١٥ ـ وَحَمَّلَهَا قَلْبَ المُحِبِّ وإِنَّهُ لَيَضْعُفُ عن حِمْلِ القَمِيصِ وَيَأْلَمُ

١٦ ـ وَذَلَّلَهَا حَتَّىٰ اسْتكانَتْ لِصَوْلَةِ الْـ ـمَحَبَّةِ لا تَلْوِىٰ وَلا تَتَلَعْثَمُ[(٢)]

جعل الله سبحانه المحبة في قلب المحب، وجعله قادراً على حملها مع ثقلها، بينما هو يستثقل حمل القميص أو الرداء الذي عليه ولا يقوى على حمله ويستثقل منه.

ومع هذا فهي خاضعة ذليلة قادرة على تحمل تطاول المحبة، فلم تتردد ولم تباطىء في الاستجابة لندائها.

١٧ ـ وَذَلَّلَ فِيهَا أَنْفُساً دُونَ ذُلِّهَا حِيَاضُ المَنَايَا فوْقَهَا وَهِيَ حُوَّمُ[(٣)]

وجعل سبحانه وتعالى النفوس التي تحمل هذه القلوب ذليلة خاضعة أكثر من خضوعها المعتاد، لأن النفوس التي تحمل القلوب المجروحة التي أصابتها سهام المحبة تكون دائماً مستكينة ليس لها همّ إلا لقاء المحبوب. والموت فوقها وهي تدور تحته.

١٨ ـ لأَنْتُمْ عَلَىٰ قُرْبِ الدِّيارِ وبُعْدِهَا أَحِبَّتُنَا إِنْ غِبْتُمُ أَوْ حَضَرْتُمُ

الذي يكون ذكره في القلب ومحبته في الفؤاد فهذا هو الحبيب الذي يُذكر

---

(١) تتصرم: تصرم: تجلد وتقطع.

(٢) وذللها: ذلّ: من اللين وهو ضد الصعوبة. تذلل: خضع.
استكان: خضع (نهاية).
لصولة. صال: استطال أو وثب، تلوى. لوى عن الأمر: تثاقل.
تلعثم: تمكث وتوقف وتأنى (القاموس المحيط).

(٣) حياض المنايا. حياض: جمع حوض. المنايا: جمع منية وهي الموت.

دائماً ولا يُنسى، سواء أكان قريب المنزل أم لم يكن، وسواء أكان حاضراً أم غائباً فإن طيفه لا يكاد يفارق الخيال.

١٩ ـ سَلُوا نَسَمَاتِ الرِّيحِ كَمْ قَدْ تَحَمَّلتْ مَحَبَّةَ صَبٍّ شَوْقُهُ لَيسَ يُكْتَمُ[١]
٢٠ ـ وَشَاهِدُ هَذا أَنَّها فِي هُبُوبِها تَكادُ تَبُثُّ الوَجْدَ لَوْ تَتَكَلَّمُ[٢]

يعبر ـ رحمه الله تعالى ـ عن شدّة حبّه، ويريد أن يبرهن على صدق ادّعائه فيقول: سلوا نسمات الريح. أي كأن الهواء الذي يمرّ عليكم فإنه مشبَّع بالحبّ الذي يكنه قلبي. حبّ عاشق، حبّهُ وشوقه ظاهر يشعر به الجميع، ولا يُكتم عن أحد. وعلامة ذلك أن الريح التي تمرّ بكم فإنها تحمل معها شدة حبي وعظيم شوقي، فهي تريد أن تنشر هذا لكم، إلا أنها لا تتكلم.

٢١ ـ وَكُنْتُ إذا مَا اشْتَدَّ بِيَ الشَّوْقُ والجَوَىٰ وَكَادَتْ عُرَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَفصَّمُ[٣]
٢٢ ـ أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالتَّلاقِي وَقُرْبِهِ وَأُوهِمُهَا لَكِنَّهَا تَتَوَهَّمُ[٤]
٢٣ ـ وَأُتْبِعُ طَرْفِي وِجْهَةً أَنْتُمُ بِها فَلِي بِحِمَاهَا مَرْبَعٌ وَمُخَيَّمُ[٥]

وكنت إذا اشتد بي ألم الهوى وشدة نزاع النفس إلى رؤياكم، وأصابني الحزن العميق على فراقكم، وأوشك أن تتقطع وتتكسر مقابض الصبر التي أتشبث بها؛ فإذا أصابني هذا الشعور (أعلل نفسي بالتلاقي).

وبعد أن يستحكم بي الشوق وألم الفراق فإني أشاغل نفسي وأحدثها بأن

---

(١) صب. الصبابة: الشوق، أو رقته، أو رقة الهوى.
شوقه. الشوق: نزاع النفس، وحركة الهوى.

(٢) تبث: تظهر وتنشر.
الوجد: الهوى والحب الشديد (تاج العروس).

(٣) الجوى: هوى باطن، أو الحزن، أو شدة الوجد (القاموس المحيط).
عرى: جمع عروة. والعروة من الدلو والكوز: المقبض. تفصم: تتكسر.

(٤) أعلل: أشاغل. وأوهمها: الوهْم: من خطرات القلب. تتوهم: تظن.

(٥) طرفي: الطرف العين، أو البصر (القاموس المحيط).
حماها: حمى: المكان الذي لا يُقرب. مربع: منزل القوم في الربيع خاصة. الرَّبع: الدار بعينها حيث كانت. مخيم: خيّم بالمكان: أقام به. تخيم: ضرب خيمة.

وقت اللقاء قد قرب، وأنا أعلم أنه وَهمٌ لا حقيقة له، ولكني أجلب هذا الظن لنفسي لكي تستقر وتسكن، وأجعل عيني دائماً في ترقب إلى الجهة التي تسكنونها، وقلبي متوجه إليكم لعلي أفوز منكم بنظرة، لأن نفسي دائماً تحدثني بقدومكم كلما غفلت؛ فتراني دائم التطلع إلى جهتكم لأن لي بها دياراً ومنازلاً.

٢٤ ـ وأَذْكُرُ بَيتاً قالهُ بَعضُ مَنْ خَلاَ ... وَقَدْ ضَلَّ عَنْهُ صَبْرُهُ فَهوَ مُغرَمُ[١]

٢٥ ـ أُسَائِلُ عَنكُمْ كُلَّ غَادٍ وَرَائِحٍ ... وَأُومِي إِلىٰ أَوْطانِكُمْ وَأُسَلِّمُ[٢]

بعد أن يتجه إلى الجهة التي هم فيها بقلبه قبل بصره، فإن هذا لا يخفف من لوعته ولا يسكن شيئاً من آلامه، فيتذكر ذلك البيت الذي قاله أحد الشعراء القدماء عندما اشتد عليه شوقه وضاع منه صبره فقال: «أسائل عنكم. . .» أي بعد أن انقطعت أسباب الوصال، ولا أمل في التلاقي، فإني أسأل عنكم الذاهب والقادم، وأتقصى أخباركم، وأحرك رأسي إيماءً إلى جهتكم، ومع هذه الحركة ألقي عليكم السلام.

٢٦ ـ وَكَمْ يَصْبِرِ المُشتاقُ عَمَّنْ يُحِبُّهُ ... وَفِي قَلْبِهِ نارُ الأَسَىٰ تَتَضَرَّمُ[٣]

إن المحب الذي حرق الشوق قلبه، وألم الفراق يعصر فؤاده، فإنه يصبر على فراق محبوبه صبراً مرغماً عليه؛ فهو صابر، ولكن نار الحزن مشتعلة في قلبه ولا تكاد تهدأ.

٢٧ ـ أَمَا وَالذِي حَجَّ المُحِبُّونَ بَيتَهُ ... وَلَبُّوا لَهُ عِندَ المُهَلِّ وَأَحْرَمُوا[٤]

يقسم بالله سبحانه، الذي جاءه الناس من كل فج عميق، قاصدين ذلك

---

(١) خلا: مضى. ضل: الضلال ضد الهدى، يعني ضاع عنه صبره ولم يهتد إليه. مغرم: أسير الحب، أو المولع بالشيء.

(٢) غاد: الغدو: السير أول النهار. رائح: الرواح: السير آخر النهار.

(٣) الأسى: الحزن. تتضرم: تشتعل.

(٤) لبوا: تلفظوا بالتلبية، وهي صيغة حددها الشرع، وستأتي.
المهل: المكان الذي يهل فيه الحاج أو المعتمر.
أحرموا: دخلوا في الإحرام، وهو التقيد بأمور حددها الشرع.

المكان الذي اختاره ليجعل فيه بيته الحرام، الذي جعله قبلة للناس، فهم يتوجهون إليه بقلوبهم ووجوههم. وقد فرض الله سبحانه الحج على الناس في العمر مرة واحدة للمستطيع، ثم جعل التكرار سنة، ورغب فيه، كما روى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب**»(١).

يقول: (ولبوا له...) أي إنهم عندما وصلوا إلى الميقات، وهو المكان الذي لا يتجاوزه أي إنسان يريد الحج أو العمرة إلا وهو قد لبس لباس الإحرام. فعند وصولهم ذلك المكان رفعوا أصواتهم مهلين له سبحانه وتعالى.

٢٨ ـ وَقَدْ كَشَفُوا تِلْكَ الرُّؤُوسَ تَواضُعاً لِعِزَّةِ مَنْ تَعْنُو الوُجُوهُ وَتُسلِمُ(٢)

بعد أن يصل الحاج أو المعتمر إلى الميقات يستحب له أن يغتسل ويتنظف، وإذا احتاج إلى تقليم الأظافر أو حلق الشعر فعل ذلك، ثم يسرح شعره ويتطيب، ثم يتجرد من الملابس المخيطة ويلبس رداء وإزاراً. أما النساء فيحرمن في ملابسهن.

ذكر المصنف أنهم كشفوا رؤوسهم تواضعاً لعظمة الله الذي تخضع الوجوه له وتذلُّ وتُسلِّم.

وهذا من باب ذكر الحِكمة من ورود الحُكم، وهو أمر جيد أن يعرف الإنسان بعض الحِكَم من ورود الأحكام، ولكن الأصل أن يأخذ الإنسانُ الحُكمَ على أنَّه حُكمٌ حَكَمَ الله به وقدّره، ثم بعد ذلك يستنبط بعض الحِكَم إن استطاع، لا أن يُعلّق الحُكمَ على معرفة الحِكمة.

---

(١) رواه أحمد: ٣٨٧/١، والترمذي: ٨١٠، والنسائي: ١١٥/٥، وابن خزيمة: ٢٥١٢. انظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٢٠٠).

(٢) تعنو: قال الحق سبحانه: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ قال الفراء: عنت الوجوه: نصبت له وعملت له، (لسان العرب).

قال ابن الأثير في النهاية عن حديث (إنه دخل مكة عنوة): وهو من (عنا يعنو) إذا ذل وخضع..

٢٩ ـ يُهِلُّونَ بِالْبَيْدَاءِ لَبَّيْكَ رَبَّنَا لكَ المُلْكُ وَالحَمْدُ الذِي أنْتَ تَعْلَمُ[١]

بعد أن تجاوزوا الأماكن التي أحرموا من عندها وساروا في تلك الصحراء، فإن أصواتهم لا تفتر عن الذكر الذي سنه لهم رسول الله ﷺ؛ ألا وهو رفع الصوت بالتلبية وهي: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. فهم يلهجون بهذا الذكر ولا تفتر ألسنتهم عنه.

٣٠ ـ دَعَاهُمْ فَلَبَّوْهُ رِضاً وَمَحَبَّةً فَلَمَّا دَعَوْهُ كَانَ أقْرَبَ مِنْهُمُ[٢]

دعا ربُّنا سبحانه وتعالى عباده لزيارة بيته الحرام، حيث يقول مخاطباً الخليل، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾﴾[٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾[٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **«أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»**[٥].

هذه دعوة من الله سبحانه وتعالى لعباده كي يزوروا بيته، فتقاعس من خذله الله، وانبرى لاستجابة هذه الدعوة من وفقه الله لطاعته. استجابوا له وقلوبهم يعصرها الشوق الذي تولد من الحب والرضا؛ فهم راضون عنه، ويسألونه أن يرضى عنهم؛ فلما سألوه وألحوا عليه بالمسألة والإكثار من ذكره وتمجيده وتحميده، كانت استجابته لهم أسرع من استجابتهم له.

---

(١) يهلون: أهلّ الملبي: رفع صوته بالتلبية.
البيداء: الصحراء.
لبيك: أي أنا مقيم على طاعتك إلباباً بعد إلباب وإجابة بعد إجابة (القاموس).
(٢) لبّوه: أجابوا الدعوة.
(٣) الحج: ٢٧.
(٤) آل عمران: ٩٧.
(٥) رواه مسلم: ١٣٣٧.

٣١ ـ تَرَاهُمْ عَلى الأَنْضَاءِ شُعْثاً رُؤُوسُهُمْ وَغُبْراً وَهُمْ فِيهَا أَسَرُّ وَأَنْعَمُ[(١)]

تراهم قد ركبوا تلك الدواب التي أهزلتها الأسفار، وأذهبت لحمها، وهم عليها في الصحراء المترامية الأطراف، وقد غبر التراب وجوههم، وأشعث رؤوسهم المكشوفة. ومع ما هم فيه من ضنك العيش وشدته؛ إلا أنهم في غاية الفرح والسرور، وكأنهم في رغد العيش ونعيمه؛ لأنهم يأملون من مولاهم سبحانه أن يجازيهم على ما لاقوه من نصب في سبيله؛ بأن يمنحهم رضوانه وأن يدخلهم جنته.

٣٢ ـ وَقَدْ فَارَقُوا الأَوْطَانَ وَالأَهْلَ رَغْبَةً وَلَمْ يُثْنِهِمْ لَذَّاتُهُمْ والتَّنَعُّمُ[(٢)]

٣٣ ـ يَسِيرُونَ مِنْ أَقْطَارِهَا وَفِجَاجِهَا رِجَالاً وَرُكْبَاناً وَلِلَّهِ أَسْلَمُوا[(٣)]

لقد تركوا الأهل وتحملوا ألم فراقهم، وتغربوا عن الأوطان وتحملوا ألم الحنين إليها. تركوا كل هذا رغبة بما عند الله سبحانه من النعيم المقيم، وتحملوا مشقة السفر وما به من مخاطر وعذاب، وآثروه على الملذات والنعيم والعيش الرغيد بين الأهل والإخوان، ولم يمنعهم هذا من تحمل تلك المخاطر.

فجاؤوا ملبين لدعوة الخالق سبحانه من جميع بقاع الأرض، منهم الماشي على رجليه، ومنهم الراكب على راحلته، والجميع قد أسلم وجهه وقلبه إلى المولى جل في علاه.

٣٤ ـ وَلَمَّا رَأَتْ أَبْصَارُهُمْ بَيْتَهُ الَّذِي قُلُوبُ الوَرَىٰ شَوْقاً إِلَيْهِ تَضَرَّمُ[(٤)]

---

(١) الأنضاء: جمع نضو ونضوة وهو المهزول من الإبل (القاموس).
شعثاً: الأشعث: المغبر الرأس وكذلك الملبد الشعر.
غبرا: ترى عليهم الغبار.

(٢) رغبة: رغب فيه رغبة: أراده. لم يثنهم: لم يكفهم ولم يصرفهم.

(٣) أقطارها: القطر: الناحية والجانب، وجمعه: أقطار.
فجاجها: الفج: الطريق الواسع بين الجبلين، والجمع فجاج.
رجالاً: الراجل ضد الفارس، أي الذي يمشي على رجليه.
ركباناً: الذين يركبون الدواب وغيرها.

(٤) الورى: الخلق. تضرم: تشتعل.

٣٥ ـ كأنَّهُمُ لَمْ يَنْصَبُوا قَطُّ قَبْلَهُ لأنَّ شَقَاهُمْ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُمُ(١)

ولما وصلوا إلى البيت الحرام، ومتّعوا أبصارهم برؤيته؛ هذا البيت الذي طالما اشتاقت إليه قلوب العباد، واحترقت من شدة الوجد لرؤيته.

وبعد الوصول والتمتع بالرؤية اطمأنت القلوب، واستقرت الأفئدة، واستراحت الأبدان، وذهب الألم؛ وكأن جميع ما لاقوه من وعثاء السفر وشدته ونصبه ومشقته قد ذهب كله عنهم؛ لأن السعادة التي غمرتهم قد أنستهم ذلك كله.

٣٦ ـ فَلِلَّهِ كَمْ مِنْ عَبْرةٍ مُهْرَاقَةٍ وَأُخْرىٰ عَلى آثَارِهَا لا تَقَدَّمُ(٢)
٣٧ ـ وَقَدْ شَرِقَتْ عَيْنُ المُحِبِّ بِدَمْعِهَا فَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدُّمُوعِ وَيُسْجِمُ(٣)

يتعجب من كثرة ما تذرفه العيون من الدموع السائلة على الخدود، وكلما خرجت دمعة تبعتها أخرى بعدها، مباشرة ودون انقطاع، وقد امتلأت عيونهم بالدموع، فأصبحوا لا يستطيعون مشاهدة البيت بوضوح، وإنما أصبح الدمع حاجزاً بين عيونهم وبين البيت؛ فهم ينظرون إليه من خلف الدموع التي قد ملأت العيون، ومع هذا فإن العيون مستمرة في ذرف المزيد من الدموع.

٣٨ ـ إذا عَايَنَتْهُ العَيْنُ زَالَ ظَلامُهَا وَزَالَ عَنِ القَلْبِ الكَئِيبِ التَّأَلُّمُ(٤)

إن بيت الله الحرام، جعل الله فيه خاصيّة جذب القلوب إليه، فهو يأسِرُ قلوب المحبين.

---

(١) ينصب: يتعب. ترحل: ذهب.
(٢) عبرة: الدمعة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء في الصدر.
مهراقة: أهراقه يهريقه فهو مهريق ومهراق: يعني صبه (القاموس).
على آثارها: تأتي بعدها، كأنها تمشي على أثرها.
(٣) شرقت: امتلأت حتى غصّت، لأن الشَرَق: الغصة، والغصة: ما اعترض في الحلق فأشرق.
يسجم: يسيل.
(٤) الكئيب: الحزين.

وكذلك لا تمل الأبصار من النظر إليه، فإذا أمعن فيه الناظر زال الظلام عن عينيه، وكذلك ينشرح صدره، ويطمئن قلبه، ويزول عنه همه وغمه.

٣٩ ـ وَلا يَغرِفُ الطَّرْفُ المُعَايِنُ حُسْنَهُ إِلىٰ أَنْ يَعُودَ الطرْفُ وَالشَّوْقُ أَعْظَمُ[١]
٤٠ ـ وَلا عَجَبٌ مِنْ ذَا فَحِينَ أَضَافَهُ إِلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمنُ فَهوَ المُعَظَّمُ

إذا أبصر الإنسان الناظر إلى البيت وإلى مهابته وشرفه وحسنه وجماله فإنه يتعلق به، بحيث إذا صرف بصره عنه فإنه يعود لينظر إليه مرة أخرى؛ لما يصيبه من الشوق إليه ولا يستطيع أن يصبر على عدم النظر إليه.

وليس في هذا عجب، ولا هو بالأمر الغريب؛ وذلك لأن الله سبحانه هو الذي شرفه وأضافه إلى نفسه العلية؛ حيث قال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾[٣]. . . فيقال: بيت الله.

٤١ ـ كَسَاهُ مِنَ الإجْلالِ أَعْظَمَ حُلَّةٍ عَلَيْهَا طِرازٌ بِالمُلاحةِ مَعْلَمُ[٤]
٤٢ ـ فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلُّ القُلُوبِ تُحِبُّهُ وَتَخْضَعُ إجْلالاً لَهُ وتُعَظِّمُ

إن الله سبحانه وتعالى ألبس هذا البيت لباس تعظيم وإكرام، ومزجه بحسن لا نظير له، وجعل هذا علامة له؛ فلأجل هذا إن العيون إذا رأته انخلعت القلوب شوقاً له وانقياداً إليه وتعظيماً، ولا تصبر على فراقه.

٤٣ ـ وَرَاحُوا إلىٰ التَّعْرِيفِ يَرْجُونَ رَحْمَةً وَمَغْفِرةً مِمَّنْ يَجُودُ وَيُكْرِمُ[٥]

بعد ما وصف لنا حال المحبين حينما وصلوا إلى البيت الذي طالما

---

(١) يعرف: يصبر (لسان العرب). الطرف: العين.
(٢) الحج: ٢٦.
(٣) البقرة: ١٢٥.
(٤) الإجلال: التعظيم. حلة: إزار ورداء، ولا تكون إلا من ثوبين.
الطراز: الهيئة. الملاحة: ملح الشيء فهو مليح أي حسن.
مَعْلم: ما يستدل به. وقد تكون: مُعْلِمْ: هو الذي يخبر بذلك.
(٥) التعريف: عرفات، وهو موقف الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة.
يجود: جاد وأجاد: أتى بالجَيِّد فهو مجواد.

منَّوا أنفسهم بمشاهدته والصلاة فيه. وها هو يصف لنا ذهابهم إلى عرفات حيث الاجتماع الكبير، وسؤال الجواد الكريم أن يمن عليهم بالرحمة والمغفرة.

٤٤ ـ فَلِلَّهِ ذاكَ المَوْقِفُ الأَعْظَمُ الذِي كَمَوْقِفِ يَوْمِ العَرْضِ بَلْ ذَاكَ أَعْظَمُ[١]

تعجب من ذلك الموقف العظيم الذي يضم الناس من جميع أشكالهم وأجناسهم، وهو في بعض جوانبه قد يشبه يوم القيامة، إذ إن الناس على اختلاف مراتبهم في الدنيا قد اجتمعوا في مكان واحد، وفي زمن واحد، وكذلك لباسهم واحد، ولا يستطيع الناظر أن يميز بين الغني والفقير، ولا بين الشريف والوضيع، ولا شك في أنه يشبهه في بعض الجوانب لا في جميعها، حيث إن يوم القيامة أعظم وأعظم.

٤٥ ـ وَيَدْنُو بِهِ الجَبَّارُ جَلَّ جَلالُهُ يُبَاهِي بِهِمْ أَمْلاكَهُ فَهوَ أَكْرَمُ[٢]

يشير رحمه الله تعالى إلى حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يُعتِقَ الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة. وإنه ليدنو ثم يُباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟**»[٣].

والمعنى: ليس يوم أكثر إعتاقاً فيه من يوم عرفة[٤].

٤٦ ـ يَقُولُ عِبَادِي قَدْ أَتَوْنِي مَحَبَّةً وَإِنِّي بِهِمْ بَرٌّ أَجُودُ وَأَرْحَمُ
٤٧ ـ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ ذُنُوبَهُمْ وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا أَمَّلُوهُ وأَنْعَمُ[٥]

يشير إلى حديث جابر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم**

---

(١) يوم العرض: يوم القيامة.
(٢) يدنو: ينزل ويقرب، مع أنه قريب بعلمه في كل مكان وزمان.
ياهي: يفاخر.
(٣) رواه مسلم (١٣٤٨) والنسائي (٣٠٠٣) ٢٥١/٥ وابن ماجه (٣٠١٤).
(٤) أفاده: محمد فؤاد عبدالباقي ٩٨٣/٢ على صحيح مسلم.
(٥) أملوه: الأمل: الرجاء، يعني ما كانوا يرجونه ويتطلعون إليه.
أنعَم: فعل كذا، وأنعم: أي زاد (مختار الصحاح).

عرفة فإن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: . . . أشهدكم أني قد غفرت لهم. . .» الحديث[(١)].

والحديث في سنده مقال، وانظر ابن حبان: **٣٨٥٣**، والسلسلة الضعيفة للألباني: **٦٧٩**؛ ويشهد لبعض فقراته الحديث المتقدم تحت البيت رقم: **٤٥**.

والحديث يشير إلى أن الله سبحانه يشهد الملائكة على أنه غفر ذنوب جميع أهل الموقف، وأعطاهم جميع ما كانوا يطلبون ويرجون ويتمنون، وزادهم زيادة من فضله على طلباتهم.

٤٨ ـ فَبُشْرَاكُمُ يَا أَهْلَ ذَا الْمَوقِفِ الذِي ... بِهِ يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ وَيَرْحَمُ

المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ يزفّ البشرى العظيمة الحارة إلى أهل الموقف في عرفات، بأن الله تعالى غفر ذنوبهم وأدخلهم في واسع رحمته.

٤٩ ـ فَكَمْ مِنْ عَتِيقٍ فِيهِ كُمِّلَ عِتْقُهُ ... وَآخَرُ يَسْتَسْعَىٰ وَرَبُّكَ أَرْحَمُ[(٢)]

أناس كثيرون حررهم الله سبحانه في هذا اليوم من أسرْ الذنوب والخطايا، وتجاوز عنهم وغفر لهم زلاتهم؛ لأنه جواد كريم رحيم بعباده.

وهناك آخرون لا يزالون يلحّون على ربهم بالدعاء ويطلبون منه أن يغفر لهم ويتجاوز عن سيئاتهم. وهو سبحانه أرحم بعباده من أنفسهم على أنفسهم.

٥٠ ـ وَمَا رُئِيَ الشَّيطَانُ أَغْيَظَ فِي الوَرَىٰ ... وَأَحْقَرَ مِنْهُ عِنْدَهَا وَهوَ أَلْأَمُ[(٣)]

٥١ ـ وَذَاكَ لأَمْرٍ قَدْ رَآهُ فَغَاظَهُ ... فَأَقْبَلَ يَحْثُو التُّرْبَ غيظاً وَيَلْطِمُ[(٤)]

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه: **٢٨٤٠**، والبغوي في شرح السنة: **١٩٣١**.

(٢) عتيق: العتق: الحرية، يعني قد فكّ أسره من ذنوبه.
يستسعىٰ: استسعى العبدَ يعني كلفه من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا أعتق بعضه ليعتق به ما بقي (القاموس المحيط).

(٣) أغيظ: الغيظ شدة الغضب. الورى: الخلق.
ألأم: اللئيم: الدنيء الأصل الشحيح النفس.

(٤) يحثو التراب: يرمي التراب على نفسه (النهاية في غريب الحديث).
لطم: اللطم: الضرب على الوجه بباطن الراحة.

٥٢ ـ لِمَا عَايَنَتْ عَيْنَاهُ مِنْ رَحْمَةٍ أَتَتْ وَمَغْفِرَةٍ مِنْ عِنْدِ ذِي العَرْشِ تُقْسَمُ(١)

لم يمر على الشيطان يوم هو أكثر وأشد غضباً ولا أعمق حزناًمن يوم عرفة؛ فإنه ـ مع حزنه وغضبه ـ فهو حقير ذليل لئيم. وذلك لما يرى من إقبال العباد على ربهم، وكثرة دعائهم، وشدة تضرعهم؛ وكذلك ما يرى من تنزل رحمات الله على عباده.

عن طلحة بن عبيد الله بن كرز أن رسول الله ﷺ قال: «**ما رئي الشيطان يوماً هو أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام...**» الحديث(٢).

٥٣ ـ بَنَى مَا بَنَى حَتَّى إذَا ظَنَّ أَنَّهُ تَمَكَّنَ مِنْ بُنْيَانِهِ فَهوَ مُحْكَمُ(٣)

٥٤ ـ أَتَى اللَّهُ بُنْيَاناً لهُ مِنْ أَسَاسِهِ فَخَرَّ عَلَيْهِ سَاقِطاً يَتَهدَّمُ

٥٥ ـ وَكَمْ قَدْرُ مَا يعْلُو البِنَاءُ وَيَنْتَهِي إذا كَانَ يَبْنِيهِ وَذُو العَرْشِ يَهْدِمُ

إن الشيطان أفرغ كل ما يستطيع من طاقة في إضلال الناس، واستخدم جميع جنده، حتى ظن أن الناس قد هلكوا جميعهم؛ لما يرى من ارتكاب الفواحش، وإتيان المنكرات، وفرح بذلك، لكنه رأى رجوعهم إلى الله وكثرة دعائهم وتضرعهم إلى بارئهم؛ وكذلك ما يرى من رحمة الله بعباده، وقبولهم عنده، وغفرانه لذنوبهم جميعاً، وإرجاعهم كيوم ولدتهم أمهاتهم.

وبهذا يكون كل ما بناه الشيطان قد تهدم ولم يبق له أثر، وكيف للبنيان أن يرتفع إذا كان الشيطان يبني والله يهدم؛ فمهما سعى الشيطان في الإفساد بين

---

(١) تقسم: تجزأ وتوزع.

(٢) رواه مالك في الموطأ، كتاب الحج حديث: ٢٤٥، ٤٢٢/١، وهو مرسل.
قال الزرقاني في شرح الموطأ: ٣٩٥/٢: وصله الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء.
قال ابن عبدالبر في التمهيد: ١١٦/١: هذا حديث حسن في فضل شهود ذلك الموقف المبارك، وفيه دليل على الترغيب في الحج، ومعنى هذا الحديث محفوظ من وجوه كثيرة، وفيه دليل على أن كل من شهد تلك المشاهد يغفر الله له، إن شاء الله.

(٣) محكم: متقن البناء.

عباد الله المؤمنين، فإن الله سبحانه جعل لهم مواسم ينزل عليهم فيها رحمته، فإذا تعرض الإنسان إلى نفحات الله فلا يبقى عليه من الذنوب شيء.

٥٦ ـ وَرَاحُوا إلىٰ جَمْعٍ فبَاتُوا بِمَشْعَرِ الْـ ـحَرَامِ وَصَلُّوا الْفَجْرَ ثُمَّ تَقَدَّمُوا[١]
٥٧ ـ إلىٰ الْجَمْرَةِ الكُبْرىٰ يُرِيدُونَ رَمْيَها لِوَقْتِ صَلاةِ العِيدِ ثُمَّ تيمَّمُوا[٢]
٥٨ ـ مَنَازِلَهُمْ لِلنَّحْرِ يَبْغُونَ فَضْلَهُ وإِحْيَاءَ نُسْكٍ مِنْ أَبِيهِمْ يُعَظَّمُ[٣]

ثم يتابع الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ رحلة الحجاج بعد وقوفهم في عرفات، وبعد تحقق غروب الشمس، فإنهم ينفرون من عرفات إلى المزدلفة ويبيتون بها ويصلون صلاة الصبح، ثم الدعاء عند المشعر الحرام، والمزدلفة هي المشعر الحرام، قال عمرو بن ميمون: سألت عبدالله بن عمرو عن المشعر الحرام فسكت حتى هبطت أيدي رواحلنا بالمزدلفة قال: أين السائل عن المشعر الحرام؟ هذا المشعر الحرام. وقال ابن عمر: المشعر الحرام المزدلفة كلها[٤].

فيبقى يدعو ويتضرع إلى العلي القدير حتى يسفر جداً وقبل شروق الشمس يتوجهون إلى الجمرة الكبرى.

وأشار المصنف ـ رحمه الله ـ إلى أن وقت رمي الجمرة هو وقت صلاة العيد الذي لا يُصلى [فيه] إلا إذا ارتفعت الشمس، وهذا هو الصحيح في رمي الجمرة على خلاف ما يفعله كثير من الناس؛ فإنهم يمكثون في المزدلفة إلى بعد نصف الليل ثم يذهبون إلى الجمرة فيومونها قبل الفجر، وهذا خلاف السنة.

ويحتج بعضهم بأن النبي ﷺ رخص للضعفة من الناس أن يتقدموا من

---

(١) جمع: مزدلفة: سميت به لاجتماع الناس بها.
المشعر الحرام: كل مزدلفة مشعر.
(٢) الجمرة الكبرى: هي التي تكون الأولى من جهة الكعبة، والأخيرة من جهة مزدلفة.
رميها: ترمى بسبع حصيات مثل حصى الخذف. تيمموا: قصدوا.
(٣) نسك: العبادة أو الذبح، وهوالمقصود هنا.
أبيهم: أبو الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.
(٤) تفسير ابن كثير ٢٤١/١ ـ ٢٤٢.

مزدلفة إلى الجمرة بليل[١]، وهذا صحيح، إلا أنه ﷺ لم يأمرهم أن يرموا قبل الشروق. وإنما الصحيح أن يمكث الحاج في المزدلفة يدعو، وقبيل الشروق يتوجه إلى الجمرة الكبرى فيرميها بسبع حصيات التقطها من المزدلفة. وبعد الرمي يذهبون إلى منازلهم التي هي في منى، فينحرون هديهم، راجين من الله سبحانه أن يتقبل منهم وأن يمن عليهم من فضله العميم؛ فإنه سبحانه جواد كريم.

وهي (**عملية النحر**) إحياء وتعظيمٌ لنسك الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٥٩ ـ فَلَوْ كانَ يُرْضِي اللَّهَ نَحْرُ نُفُوسِهِمْ   لَدَانُوا بِهِ طَوْعاً وَلِلأَمْرِ سَلَّمُوا[٢]
٦٠ ـ كَما بَذلُوا عِنْدَ الجِهَادِ نُحُورَهُمْ   لأَعْدَائِهِ حَتَى جَرَىٰ مِنْهُمُ الدَّمُ[٣]
٦١ ـ وَلَكِنَّهُمْ دَانُوا بِوَضْعِ رُؤُوسِهِمْ   وَذَلِكَ ذُلٌّ لِلْعَبِيدِ وَمِيسَمُ[٤]

أمرهم الله سبحانه وتعالى بنحر الهدي فاستجابوا له ابتغاء مرضاته، ولو علموا أن مرضاته عنهم تكون بذبح أنفسهم لفعلوا ذلك طائعين مسرعين في التنفيذ، ومسلمين الأمر إليه سبحانه، ولم يكن هذا مجرد ظن أو كلام لا واقع له، بل هو حقيقة؛ وأدل دليل عليه أنهم بذلوا دماءهم وأرواحهم وأموالهم رخيصة في سبيله وفي قتال أعدائه من الكفار.

كما أطاعوه في القتل والقتال في المعركة، فإنهم أطاعوه هنا بحلق الرؤوس، وهذا هو غاية في الخضوع وعلامة على ذل العبد بين يدي سيده ومولاه.

إذا حملنا معنى كلمة (ميسم) على الجَمَال فإن المعنى: إن عملية حلق الرؤوس تزيد الحاج جمالاً وبهاءً. أما إذا كان المعنى لكلمة (ميسم) هو المكواة.

---

(١) انظر صحيح مسلم من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم.
(٢) نحر: ذبح. دانوا: ذلوا. طوعاً: انقياداً.
(٣) بذلوا: أعطوا وجادوا. نحورهم: النحر هو موضع القلادة من الصدر. وهو المكان الذي منه تذبح الذبيحة.
(٤) ميسم: الجمال وكذلك المكواة.

كان المعنى: إن عملية حلق الرؤوس هي الطريقة التي يبرهن العبد بها على ذله وخضوعه لربه سبحانه وتعالى.

٦٢ ـ وَلَمَّا تَقَضَّوْا ذَلِكَ التَّفَثَ الَّذِي عَلَيهِمْ وَأَوْفَوْا نَذْرَهُمْ ثُمَّ تَمَّمُوا[1]

بعد أن فعلوا الأمور التي على الحاج أن يقوم بها في ذلك اليوم من رمي الجمرة الكبرى ونحر الهدي وحلق الرؤوس. وفيه إشارة إلى قول الله سبحانه: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[2].

٦٣ ـ دَعَاهُمْ إِلىٰ البَيْتِ العَتِيقِ زِيارَةً فَيَا مَرْحَباً بِالزَّائِرِينَ وَأَكْرِمُ

٦٤ ـ فَلِلَّهِ مَا أَبْهَىٰ زِيَارَتَهُمْ لَهُ وَقَدْ حُصِّلَتْ تِلْكَ الجَوائِزُ تُقْسَمُ[3]

٦٥ ـ وَلِلَّهِ أَفْضَالٌ هُنَاكَ وَنِعْمَةٌ وَبِرٌّ وَإِحْسَانٌ وَجُودٌ وَمَرْحَمُ[4]

إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[5]؛ وقوله جل في علاه: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[6].

يقول المصنف، رحمه الله: هي دعوة من الله سبحانه لعباده بزيارة بيته العتيق.

---

(١) تقضوا: قاموا بما عليهم من الأعمال حتى فرغوا منها.
التفث: إما أن يكون وضع الإحرام عن حلق الرأس وفعل الأمور التي كانت محظورة حال الإحرام، وإما أن يكون هو المناسك نفسها، كما ذكر ابن كثير في تفسيره: ٢١٧/٣.
النذر: إما أن يكون النذر الذي أوجبه الإنسان على نفسه، أو ذبائح الهدي، أو جميع أعمال الحج.
تمموا: أتوا بجميع الأعمال التي عليهم في ذلك اليوم تامة من غير نقصان.

(٢) الحج: ٢٩.

(٣) أبهى: البهاء: الحسن.

(٤) إفضال: إحسان، وأفضال: زيادة في العطاء والفضل.
نعمة: منة. بر: إحسان. جود: السخاء والكرم. مرحم: الرحمة: الرقة والمغفرة والتعطف.

(٥) الحج: ٢٩.

(٦) الحج: ٣٣.

وسُمِّي البيتُ بالعتيق: إما لقدمه، حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾(١).

وإما لأن الله سبحانه وتعالى أعتقه من الجبابرة أن يُسَلَّطوا عليه. لأنه لم يُرده أحد بسوء إلا هلك؛ وإما لأنه أعتق يوم الغرق زمان نوح(٢).

فلما دعاهم لزيارة بيته استجابوا له. فيا مرحباً بهم من زوار، وأكرم بها من زيارة، وأعظم به من مزور.

(فلله ما أبهى) يتعجب من شدة حسن وجمال هذه الزيارة، وقد فازوا بالجوائز القيمة من المولى جل في علاه؛ فهو يقسمها عليهم كل بحسب ما قدم من إخلاص نية وحسن عمل وشدة تضرع وطول قيام وكثرة بكاء.

٦٦ ـ وَعادُوا إِلىٰ تِلْكَ المَنَازِلِ مِنْ مِنىً ... وَنالُوا مُناهُمْ عِنْدَها وَتَنَعَّمُوا(٣)

٦٧ ـ أَقامُوا بِها يَوماً ويوماً وثالِثاً ... وَأُذِّنَ فِيهِمْ بِالرَّحِيلِ وأُعْلِمُوا

٦٨ ـ وَرَاحُوا إِلىٰ رَمْيِ الجِمَارِ عَشِيَّةً ... شِعَارُهُمُ التَّكْبِيرُ وَاللَّهُ مَعْهُمُ(٤)

يقول، رحمه الله تعالى: إنهم أقاموا بمنى ثلاثة أيام، وبعدها أعلموا بالذهاب من منى؛ وفيه إشارة إلى قول الحق سبحانه: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾(٥).

ويصف حالهم ـ وهم ذاهبون ـ بأن ألسنتهم لا تفتر من التكبير، مع استشعارهم معية الله سبحانه.

٦٩ ـ فَلَوْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ مَوْقِفَهُمْ بِها ... وَقَدْ بَسَطُوا تِلْكَ الأَكُفَّ لِيُرْحَمُوا

---

(١) آل عمران: ٩٦.

(٢) انظر تفسير ابن كثير: ٢١٨/٣.

(٣) منى: قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: ١٩٨/٥: منى: في دَرَج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم. سمي بذلك لما يمنى به من الدماء، أي يراق. وقيل لأن آدم عليه السلام تمنى فيها الجنة. وقال ابن شميل: سمي منى لأن الكبش مني به، أي ذبح. اهـ.

(٤) عشية: العشي: يبدأ بعد الزوال إلى المغرب (النهاية في غريب الحديث).

(٥) البقرة: ٢٠٣.

٧٠ ـ يُنَادُونَهُ يَا رَبُّ يَا رَبُّ إِنَّنَا عَبِيدُكَ لا نَدْعُو سِوَاكَ وَتَعْلَمُ
٧١ ـ وَهَا نَحْنُ نَرْجُو مِنْكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَأَنْتَ الَّذِي تُعْطِي الْجَزِيلَ وَتُنْعِمُ[١]

لو رأيتهم بعد رمي كل جمرة قياماً رافعي أيديهم، ووجوههم نحو القبلة، وقلوبهم نحو خالقهم يلحّون عليه بالمسألة ويتضرعون إليه بخشوع وتمسكن عساهم ينالوا رحمته ورضاه.

وألسنتهم تنطق ببعض ما في قلوبهم، لأن اللسان في كثير من الأحيان لا يستطيع أن يعبر بكل ما في القلب. ينادونه بالاعتراف بتقصيرهم في حقه، وذكر الضعف والحاجة؛ فهم عبيد وهو ربهم وهو أعلم بهم من أنفسهم. ويقولون ـ بلسان الحال قبل المقال ـ إنهم يعبدونه ولا يشركون معه أحداً.

ويطلبون من مولاهم سبحانه أن يتفضل عليهم ويعاملهم بما هو أهله، فإنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

٧٢ ـ وَلَمَّا تَقَضَّوا مِنْ مِنىً كُلَّ حَاجَةٍ وَسَالَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْبِطَاحُ تَقَدَّمُوا[٢]
٧٣ ـ إِلَى الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَشِيَّةً وَطَافُوا بِهَا سَبْعاً وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا

لما أتموا كل ما عليهم من الأعمال التي يقوم بها الحاج في أيام منى ارتحلوا منها متجهين إلى البيت الحرام، وذلك بعد الزوال، أي بعد رميهم الجمار؛ سواء أكان ذلك في اليوم الثاني من أيام التشريق لمن أراد أن يتعجل، أم في اليوم الثالث لمن أراد أن يتأخر، وهو الأفضل؛ لأنه فعل النبي ﷺ.

وقد تؤخذ الأفضلية أيضاً من قول الله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[٣].

وعندما وصلوا إلى الكعبة ـ شرفها الله ـ طافوا بها طواف الوداع، وصلوا في المسجد الحرام ما كتب الله لهم.

(١) الجزيل: العظيم الكثير.
(٢) تقضوا: قاموا بماعليهم من الأعمال حتى فرغوا منها. البطاح: جمع أبطح، والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى (القاموس المحيط).
(٣) البقرة: ٢٠٣.

٧٤ ـ وَلَمَّا دَنا التَّوديعُ مِنهُمْ وَأَيقَنُوا بِأنَّ التَّدَانِي حَبْلَهُ مُتَصَرِّمُ[1]

٧٥ ـ وَلَمْ يَبْقَ إلا وَقْفَةٌ لِمُوَدِّعٍ فَلِلَّهِ أَجْفَانٌ هُنَاكَ تُسَجَّمُ[2]

وبعد أن تيقنوا أنهم عن قريب سوف يغادرون هذا المكان الطاهر الذي تعلقت به قلوبهم، واشتد إليه شوقهم، وأن القرب الذي يعيشونه هذه اللحظات لم يدم لأن حبله قد تقطع، ولم يبق بينهم وبين أن يغادروا إلا وقفة يقفها المحب، لينظر إلى البيت النظرة الأخيرة كي يودعه؛ ففي هذه اللحظات سالت الأجفان بالدموع المتتابعة التي لا انقطاع لها.

٧٦ ـ وَلِلَّهِ أَكْبَادٌ هُنَالِكَ أُودِعَ الْـ ـغَرَامُ بِهَا فَالنَّارُ فِيهَا تَضَرَّمُ[3]

٧٧ ـ وَلِلَّهِ أَنْفَاسٌ يَكَادُ بِحَرِّهَا يَذُوبُ الْمُحِبُّ الْمُسْتَهَامُ الْمُتَيَّمُ[4]

٧٨ ـ فَلَمْ تَرَ إلاَّ بَاهِتاً مُتَحَيِّراً وَآخَرَ يُبْدِي شَجْوَهُ يَتَرَنَّمُ[5]

يتعجب من هذه الأكباد التي جُعل فيها الغرام وديعة. والغرام هو شدة الألم الذي يجده المحب إذا فارق محبوبه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[6].

فهذه الأكباد تتعذب عذاباً لا يطاق إذ النار تشتعل فيها على فراق الأحبة.

ويتعجب كذلك من تلك الأنفاس التي تزفر الهواء الساخن، بسبب نار الفراق المستعرة في جوف المحبين الذين استولى عليهم الحب وشدة الوجد؛ فهذا حالهم بعد ما همّوا بالرحيل: أن يكون أحدهم متحيراً لا يدري كيف يتحمل ألم الفراق، وفريق آخر يبدي أحزانه بصوت حزين قد حسَّنه ليتلو به آيات من كتاب ربه أو كلمات يتضرع بها إلى سيده ومولاه. يفعل هذا كي يخفف ما به من ألم الفراق.

---

(١) التداني: القرب. متصرم: متقطع.

(٢) تسجم: سال دمعها.

(٣) أودع: جُعل الغرام فيها وديعة. تضرم: تشتعل.

(٤) المستهام: هائم: الذي لا يدري أين يذهب. المتيم: الذي صيره الحب عبداً ذليلاً.

(٥) باهتاً: بَهِت: دهش وتحير. شجوه: همه وحزنه. يترنم: يُرجِّع صوته.

(٦) الفرقان: ٦٥.

٧٩ ـ رَحَلْتُ وَأَشْوَاقِي إِلَيْكُمْ مُقِيمَةٌ وَنَارُ الأَسَىٰ مِنِّي تَشِبُّ وَتَضْرِمُ[١]
٨٠ ـ أُوَدِّعُكُمْ وَالشَّوْقُ يَثْنِي أَعِنَّتِي وَقَلْبِيَ أَمْسَىٰ فِي حِمَاكُمْ مُخَيِّمُ[٢]
٨١ ـ هُنَالِكَ لا تَثْرِيبَ يَوْماً عَلَىٰ امْرِئٍ إِذَا مَا بَدَا مِنْهُ الَّذِي كَانَ يَكْتُمُ[٣]

نعم، أنا انتقلت من تلك الديار بجسدي، أما قلبي وأشواقي ومشاعري فهي لا زالت مقيمة هناك في دار المحبين. أما الجسد، فهو وحده الذي غادر وارتحل. ارتحل والنار الملتهبة من شدة الحزن تشتعل وتوقد في داخله.

أريد أن أفارقكم، ولكن الاشتياق إليكم هو الذي يمنعني من الذهاب، ويحاول أن يرجعني إليكم؛ وكذلك قلبي لا يريد أن يفارق المكان الذي أنتم به؛ لأنه حل وأقام في أرضكم.

أما في ساعة التوديع والفراق، فليس على الإنسان لوم ولا تأنيب إذا أعلن عن الذي في داخله من الشوق، لأنه لا يستطيع أن يكتمه.

٨٢ ـ فَيَا سَائِقِينَ العِيسَ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ قِفُوا لِي عَلَىٰ تِلْكَ الرُّبُوعِ وَسَلِّمُوا[٤]
٨٣ ـ وَقُولُوا مُحِبٌّ قَادَهُ الشَّوْقُ نَحْوَكُمْ قَضَىٰ نَحْبَهُ فِيكُمْ تَعِيشُوا وَتَسْلَمُوا[٥]

يناشد الذين يقومون على قيادة القافلة، ويستحلفهم أن يقفوا قليلاً في ديار الأحبة؛ كي يسلموا على أهلها، ويخبروهم أن في القافلة من أسرهُ الشوق فيكم، وساقهُ إليكم، ثم قضى فيكم ما كان يتمنى. فها هو جاء إليكم، وحل في دياركم؛ وهذه كانت أمنيته، ثم ارتحل بعد ما قضى فيكم نحبه.

٨٤ ـ قَضَىٰ اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ فِيمَا قَضَىٰ بِهِ بِأَنَّ الهَوَىٰ يُعْمِي القُلُوبَ وَيُبْكِمُ[٦]

---

(١) الأسى: الحزن. تشب: توقد. تضرم: تُشعل.
(٢) يثني: ثناه كفه وصرفه عن حاجته. أعنة: جمع عنان وهو لجام الفرس.
(٣) تثريب: التعيير والاستقصاء في اللوم والتوبيخ.
(٤) العيس: الإبل البيض مع شقرة يسيرة (النهاية).
(٥) قضى نحبه: أدرك ما تمنى، أو قضى نذره، أو هو الموت، (لسان العرب). .
(٦) الهوى: الميل والعشق، ويكون في الخير والشر.
يبكم: البكم: الخرس، أو أن يولد ولا ينطق ولا يسمع ولا يبصر (القاموس).

٨٥ ـ وَحُبُّكُمُ أَصْلُ الهَوَىٰ وَمَدَارُهُ عَلَيْهِ وَفَوْزٌ لِلْمُحِبِّ وَمَغْنَمُ

إن الله سبحانه وتعالى قدر وكتب أن من أحب أحداً فإن قلبه يتعلق به، فلا يستطيع أن يرى شيئاً إلا عن طريقه، ولا يعقل إلا بوساطته؛ فما أحبه الحبيب فهو الحسن، وهو الحق، والصواب؛ وما خالفه فلا سبيل في الوصول إليه.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن حبي وأشواقي فيكم؛ فلا سبيل إلى قلبي إلا من قِبَلِكم.

قال الحق سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1]. ومن كان على هذه الشاكلة فهو الفائز الرابح في الدنيا والآخرة.

٨٦ ـ وَتفْنَى عِظَامُ الصَّبِّ بَعْدَ مَمَاتِهِ وأَشْواقُهُ وَقْفٌ عَلَيْهِ مُحَرَّمُ[2]

كل ميت سوف تبلى عظامه وتصبح رميماً، وكذلك المحب أيضاً، لكن أشواقه باقية لم تذهب كبقاء الوقف؛ فإنه لا يجوز لأحد أن يبيعه أو يفسده.

٨٧ ـ فَيَا أَيُّهَا القَلْبُ الَّذِي مَلَكَ الهَوَىٰ أَزِمَّتَهُ حَتَّىٰ مَتَىٰ ذَا التَّلَوُّمُ[3]

٨٨ ـ وَحَتَّامَ لا تَصْحُو وَقَدْ قَرُبَ المَدَى وَدَنَّتْ كُؤُوسُ السَّيْرِ والنَّاسُ نُوَّمُ[4]

٨٩ ـ بَلَىٰ سَوْفَ تصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ الغِطَا وَيَبْدو لَكَ الأَمْرُ الذي أَنْتَ تَكْتُمُ

يخاطب قلوب المؤمنين الذين أسرت في حب الله، واستولى عليها الشوق إلى لقائه.

يقول لهم: لِمَ أنتم غافلون؟ وإلى متى هذه الغفلة؟ ألم يأن لكم أن تفيقوا؟ ألم تعلموا أن الحياة قصيرة؟ بل هي ساعات تُعَدّ، وقد قرب وقت الرحيل، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

---

(١) البقرة: ١٦٥.

(٢) تفنى: تعدم وتبلى. الصب: المحب.

(٣) أزمة: جمع زمام وهو ما يشد به. زم البعير: خطمه. التلوم: الانتظار والتمكث.

(٤) حتام: مكونة من (حتى) الجارة و(ما) الاستفهامية. المدى: الغاية.
دنت كؤوس السير: حان وقت الرحيل.

نعم، سوف تعلم الحقيقة بعد أن تتضح لك الأمور، ولكن في وقت لا ينفع فيه الندم؛ كما يذكر عن علي رضي الله عنه: (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)[١]. .

فسوف ترى في ذلك اليوم ما لم تره في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾[٢].

٩٠ ـ وَيَا مُوقِداً نَاراً لِغَيْرِكَ ضَوْءُهَا ... وَحَرُّ لَظَاهَا بَيْنَ جَنْبَيْكَ يَضْرِمُ[٣]

٩١ ـ أَهذا جَنَىٰ العِلْمِ الَّذِي قَدْ غَرسْتَهُ ... وَهَذا الّذِي قَدْ كُنْتَ تَرجُوهُ يُطْعِمُ[٤]

٩٢ ـ وَهَذا هُوَ الحَظُّ الَّذي قَدْ رَضِيتَهُ ... لِنَفْسِكَ فِي الدَّارَيْنِ جَاهٌ وَدِرْهَمُ[٥]

٩٣ ـ وَهَذا هُوَ الرِّبْحُ الَّذي قَدْ كَسِبْتَهُ ... لَعَمْرُكَ لا رِبْحٌ وَلا الأَصْلُ يَسْلَمُ[٦]

يضرب مثلاً لكل من يقدم للناس ما ينفعهم، سواء أكان ذلك في أمور الدين أم الدنيا، فإن كل إنسان قبل أن يفكر بنجاة غيره عليه أن يفكر بنجاة نفسه، لا أنْ يُنير للناس طريقهم ويمشي هو في الظلام.

إن العلمَ الذي تعلمته، وأتعبت نفسك في تحصيله، وضيعت الكثير من الوقت من أجله؛ هل أخلصت فيه النية لله؟

وهل كل ما رجوته من تعلمك للعلم هو أن تحصل على بعض المال؟ أو أن تكون لك الوجاهة عند الناس؟ أو أن تتصدر المجالس؟ أهذا هو حظك من العلم في الدنيا والآخرة؟

---

(١) انظر المقاصد الحسنة: ١٢٤٠، والسلسلة الضعيفة: ١٠٢.
(٢) ق: ٢٢.
(٣) لظاها: لهبها. يضرم: يشتعل.
(٤) جنى: ما يلتقط من الثمر.
(٥) الحظ: النصيب. الدارين: الدنيا والآخرة.
جاه: القدر والمنزلة.
(٦) لعمرك: مكونة من (لام الابتداء) ولفظ القسم الصريح (عمرك) ويعرب مبتدأ محذوف الخبر وجوباً تقديره (قسمي). انظر معجم الشوارد النحوية، وإعراب القرآن لمحيي الدين الدرويش.

فإن هذا المكسب الذي حصلت عليه شيءٌ فانٍ سرعان ما يزول عنك بمجرد موتك، ولكن تبقى عليك تبعاته.

فلا شك في أن من تعلم العلم الشرعي لغير وجه الله فإنه سوف ينال العقاب الأليم من الله تبارك وتعالى. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا؛ لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»(١)؛ يعني ريحها.

قوله: (لا ربح ولا الأصل يسلم): يعني الذي تعلم لغير الله لا يؤجر يوم القيامة، ولا يسلم بنفسه من العذاب.

٩٤ - بَخِلْتَ بِشَيءٍ لا يَضُرُّكَ بَذْلُهُ ... وَجُدْتَ بِشَيءٍ مِثْلُهُ لا يُقَوَّمُ(٢)
٩٥ - بَخِلْتَ بِذا الحَظِّ الخَسِيسِ دَناءَةً ... وَجُدْتَ بِدَارِ الخُلْدِ لَو كُنْتَ تَفْهَمُ(٣)
٩٦ - وَبِعْتَ نَعِيماً لا انقِضاءَ لَهُ ولا ... نَظِيرَ بِبَخْسٍ عَنْ قَلِيلٍ سَيُعْدَمُ(٤)
٩٧ - فَهَلاَّ عَكَسْتَ الأَمْرَ إنْ كُنْتَ حَازِماً ... وَلكِنْ أَضَعْتَ الحَزْمَ لَوْ كُنتَ تَعْلَمُ(٥)

المال الفاني الذي حرصت على جمعه وتخزينه ومنعت إنفاقه في وجوه الخير؛ لو أنفقته فلا يضرك إنفاقه، بل حبسه هو الذي يضرك، وهو من تزيين الشيطان؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾(٦). عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**ما نقصت صدقة من مال...**»(٧).

ومقابل هذا البخل والحرص قد جدت وبذلت وزهدت بالجنة والنعيم الدائم، وما هذا إلا من قلة فهم وسوء تصرف؛ لأن نعيم الجنة ليس له شبيه ولا

---

(١) رواه أحمد: ٣٣٨/٢، وأبو داود: ٣٦٦٤، وابن ماجه: ٢٥٢)، وابن عبدالبر، وهو صحيح.
(٢) بَذْله: جاد به وأعطاه. وجدت: الجواد: السخي. لا يُقوَّم: لا تحدد قيمته.
(٣) الخسيس: الدنيء الحقير. الدنيء: الخبيث.
(٤) نظير: المثل. ببخس: بنقص. سيعدم: سيفقد.
(٥) الحزم: ضبط الأمر، أو ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة.
(٦) البقرة: ٢٦٨.
(٧) رواه مسلم: ٢٥٨٨.

نظير، لأنه لا ينفد: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾[١]. فكيف يستبدل الإنسان الخسيس الحقير الفاني بالنفيس الباقي.

هذه عروض الدنيا التي فضلتها على نعيم الآخرة لا قيمة لها، ولا تنفع صاحبها بعد موته، بل تصبح ملكاً لغيره.

فإن كل ذي رأي صائب لا يتردد في أن يعكس الأمر؛ بأن يحتفظ بالنفيس الباقي، ويزهد ويترك الحقير الفاني.

٩٨ ـ وَتَهْدِمُ مَا تَبْنِي بِكَفِّكَ جَاهِداً فَأَنْتَ مَدَى الأَيَّامِ تَبْنِي وَتَهْدِمُ

هذا النوع من الناس، وإن فعل بعض الطاعات وأتى ببعض القربات والأعمال الصالحة، فإنه سرعان ما يفسد عمله؛ إما بعدم إخلاص النّية، وإما بالمنّ والأذى.

قال الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[٢]، وإما أن يكون العمل على خلاف السنة.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٣]؛ فإن أمثال هؤلاء يعلمون، ولكنهم ينقضون أعمالهم بأيديهم بل هي وبال عليهم يوم القيامة.

٩٩ ـ وَعِنْدَ مُرَادِ اللهِ تُفْنَىٰ كَمَيِّتٍ وَعِنْدَ مُرَادِ النَّفْسِ تُسْدِي وَتُلْحِمُ[٤]

إذا جاءك أمر الله بأن تفعل كذا أو أن تجتنب كذا يصيبك الذوبان، وتصبح كالميت تماماً؛ لا تسمع ولا تعقل. أما إذا جاءت الشهوة ومراد النفس الأمارة بالسوء، فإنك تقبل عليها بشدة حتى لا تستطيع أن تميز بين الخير والشر.

---

(١) الواقعة: ٣٣.

(٢) البقرة: ٢٦٤.

(٣) رواه مسلم: ١٧١٨. أما رواية: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» فقد رواها البخاري ومسلم وغيرهما.

(٤) مراد: المشيئة والطلب. تفنى: تعدم. تسدي: سدا: مدَّ يدهُ نحو الشيء.
تلحم: لحَم الأمر: أحكمه. ورجل لحِم: أكول للحم. ورجل ملحم: إذا كثر عنده اللحم.

١٠٠ ـ وَعِنْدَ خِلافِ الأَمْرِ تَحْتَجُّ بِالْقَضا ظَهِيراً عَلىٰ الرَّحْمٰنِ لِلْجَبرِ تَزْعُمُ[(١)]

إذا خالفت أوامر الشرع، وفعلت المحظور، وارتكبت المحرمات، وتركت الواجبات؛ فإنك تزعم أن هذا قد كتبه الله عليك في الأزل، وأنك لا تستطيع أن تفعل غيره لأنك مسيّر لا إرادة لك، فأنت تعين بهذا أهل الباطل المخالفين لأوامر الله، وتنحاز إليهم، وتتبنى عقيدة الجبرية التي لا تُثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً[(٢)].

أي إن كل ما يقوم به العبد من أعمال الخير والشر، وفعل الطيب والخبيث، وإتيان المباحات والمحرمات، ينسبون كل هذا إلى الله، لأنه الذي كتبه على العبد، والعبدُ لا خيار له، ولا مشيئة، ولا عمل، ولا قدرة على العمل؛ وإنما هو مسيّر تسييراً كاملاً. وهذا باطل واضح البطلان؛ لأن علم الله السابق بأن هذا العبد ماذا يختار فيعمل باختياره، فكتب الله سبحانه عليه أنه شقي أو سعيد وهو في بطن أمه؛ لأنه سبحانه وتعالى يعلم أن هذا العبد بعد ذلك أي الطريقين يسلك فكتبه عليه.

١٠١ ـ تُنَزِّهُ مِنْكَ النَّفْسَ عَنْ سُوءِ فِعْلِهَا وَتَعْتِبُ أَقْدارَ الإِلٰهِ وَتَظْلِمُ[(٣)]

إذا طلبت منك نفسك فعل القبيح وارتكاب ما حرم الله، فإنك تلتمس الأعذار من هنا وهناك؛ لكي تجد لنفسك مساغاً لفعلها، وأنها لم تفعل إلا ما فيه الخير والصلاح. وإذا وقعت في مكروه، فإن اللوم كل اللوم على القدر الذي كتبه الله عليك، ظلماً لك، وهضماً لحقوقك، واختصك أنت بالمكروه من دون العباد.

---

(١) خلاف الأمر: فعل ما يخالف الأوامر الشرعية.
ظهير: معين.

(٢) قال الشهرستاني في الملل والنحل: ٨٥/١، والجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى؛ فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

(٣) تنزه: تباعدها عن كل مكروه.
تعتب: تنتقص (النهاية في غريب الحديث).

١٠٢ ـ تُحِلُّ أُموراً أَحْكَمَ الشَّرْعُ عَقْدَهَا وتَقْصِدُ مَا قَدْ حَلَّهُ الشَّرْعُ تُبْرِمُ(١)
١٠٣ ـ وتَفْهَمُ مِنْ قَوْلِ الرَّسولِ خِلافَ مَا أَرادَ لأَنَّ القَلْبَ مِنْكَ مُعَجَّمُ(٢)

كثير من القضايا والأمور حكمها واضح في الإسلام، من حل وتحريم. فينبري أناس طمست بصائرهم، فيضعون أنفسهم في مقام الله جل في علاه، فيحلون للناس ويحرمون عليهم؛ متبعين أهواءهم وشهواتهم. ولا شك في أن الذي ينصب نفسه للتحليل والتحريم إما أن يكون من الكاذبين؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾(٣).

وإما أن يكون قد نصّب نفسه للألوهية، لأن التشريع من اختصاص الإله؛ قال الحق تبارك وتعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ﴾(٤).

فإن صاحب القلب المعجّم، الذي لا يفقه ولا يقدر على تمييز الأمور، يأتي إلى أحاديث رسول الله ﷺ فيفهمها على خلاف مرادها؛ فتجده يتخبط في أمور الشرع.

١٠٤ ـ مُطِيعٌ لِداعِي الغَيِّ عاصٍ لِرُشْدِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ يَوْماً يُرَدُّ وَيَعْلَمُ(٥)

تجده مطيعاً لكل ناعق شر، متخذاً دعاة الباطل قدوة له. أما طريق الهداية والنور، طريق الخير والفلاح، فهو معرض عنه ولا يلتفت إليه. ومع هذا؛ فهو لا بد وأن يأتي اليوم الذي يموت فيه، ثم يرد إلى ربه؛ وسوف يعلم بعد ذلك أنه كان مخطئاً، ولكن لا فائدة حينئذ.

---

(١) تحل: حل العقدة: فتحها. تبرم: أبرم الشيء: أحكمه (مختار الصحاح).
(٢) معجم: العجماء: البهيمة، سميت به لأنها لا تتكلم؛ وكل ما لا يقدر على الكلام فهو أعجم (النهاية في غريب الحديث).
(٣) النحل: ١١٦.
(٤) الشورى: ٢١.
(٥) الغي: الضلال والانهماك بالباطل (النهاية).
الرشد: ضد الغي.

١٠٥ ـ مُضِيعٌ لأمْرِ اللَّهِ قدْ غَشَّ نَفسَهُ مُهِينٌ لَهَا أنَّى يُحَبُّ وَيُكْرَمُ(١)

لقد تركت أوامر الله سبحانه ولم تعمل بها، وكنت السبب في هلاك نفسك؛ لأنك لم تزجرها وتمنعها عن هواها، وإنما أطلقت لها العنان؛ وهذا هو الغش لها؛ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾(٢).

والذي يفعل كل ما تشتهي نفسه فإنه ـ ولا شك ـ سوف ينقاد لها، ويوردها موارد الرذيلة، ويكون عبداً لهواه، فيكون قد أهان نفسه وسقط من أعين الناس؛ فلا يحبه تقي، ولا يكرمه مؤمن.

١٠٦ ـ بَطِيءٌ عَنِ الطَّاعَاتِ أسْرَعُ للخَنَا مِنَ السَّيلِ في مَجْرَاهُ لا يَتَقَسَّمُ(٣)

مقصر في فعل الطاعات، متكاسل في أدائها. أما للفواحش فهو مقدام أسرع من السيل إذاكان متجمعاً ولم يتشعب.

١٠٧ ـ وَتَزْعُمُ مَعْ هذا بِأنَّكَ عَارِفٌ كَذَبْتَ يَقِيناً في الذي أنْتَ تَزعُمُ

١٠٨ ـ وَمَا أنتَ إلا جَاهِلٌ ثُمَّ ظَالِمٌ وإنَّكَ بَينَ الجَاهِلِينَ مُقَدَّمُ

ومع ما أنت عليه من ترك الواجبات، وفعل المحرمات، والبطء بفعل الخيرات، والإسراع للفواحش، وما أنت عليه من الفهم السقيم لأحكام الشرع. مع هذا كله، تزعم أنك تعرف حقائق الأمور ومقاصد الشرع.

لا شك في أنك كاذب فيما ادعيت، وإنما هو زعم منك. وإنما الحقيقة الواضحة أنك تجهل الأمور التي يعلمها العامّي من الناس، فضلاً عن الأمور التي تحتاج إلى بحث ودراسة. وما ذاك إلا لأنك لست من الجاهلين فحسب، وإنما من أجهل الجاهلين.

---

(١) مضيع: مهمل. غش: غشه: لم يَمْحَضْهُ النصح، أو أظهر له خلاف ما أضمر. مهين: مُذِل.

(٢) النازعات: ٤٠، ٤١.

(٣) للخنا. خنا خنوا: أفحش.

١٠٩ ـ إذا كَانَ هـذا نُـصْـحَ عَـبْـدٍ لِـنَـفْـسِـهِ   فَـمَـنِ الـذي مِـنْـهُ الـهُـدَى يُـتَـعَـلَّـمُ

من الأمور البديهية أن الإنسان يقدم ما فيه مصلحة نفسه على مصلحة غيره. ومن هذا الباب؛ أن الذي يسعى في مصالح الناس وقضاء حوائجهم ويجهد نفسه في هذا ـ ولو على حساب مصالحه ـ أنه لو لم يعلم أن الله سبحانه سوف يعظم له الجزاء ـ سواء في الدنيا أو في الآخرة ـ لما عمل شيئاً من ذلك.

أما الظالم لنفسه، والغاش لها، إذا كان هذا تصرفه مع نفسه، فكيف يرجى منه النفع لغيره؟ وفاقد الشيء لا يعطيه.

١١٠ ـ وفِي مِثْلِ هذَا الحالِ قدْ قال مَنْ مَضَىٰ   وأَحْـسَـنَ فِـيـمَـا قـالَـهُ الْـمُـتَـكَـلِّـمُ
١١١ ـ فإِنْ كُـنْـتَ لا تَـدْرِي فَتِلْـكَ مُـصِـيبَـةٌ   وإِنْ كُـنْـتَ تَـدْرِي فـالْـمُـصِـيـبَـةُ أَعْـظَـمُ

إن هذا الغاش لنفسه؛ ويظن أنه ناصح لها. والجاهل بالأمور؛ ويظن أنه عالم بها. عن مثل هذا الصنف من الناس قد قال الأولون هذه المقالة: (إن كنت لا تدري...) يعني: إن كنت جاهلاً بأمور الشرع وأمور الحياة فهي مصيبة؛ لأن الجاهل عدو نفسه، والجهل ظلمات. هذا بالنسبة للجاهل الذي يعلم أنه لا يعلم، ويترك العمل لأنه لا يستطيع أن يعمل بغير علم.

أما الذي يعلم أنه لا يعلم، ويعمل بعد ذلك بغير علم، ويتخبط بجهله؛ فهذه أعظم من تلك. وأعظم مما سبق: هو الذي لا يعلم، ولا يعلم أنه لا يعلم.

١١٢ ـ وَلَـوْ تُـبْـصِـرُ الـدُّنْـيَـا وَرَاءَ سُـتُـورِهَـا   رَأَيْـتَ خَـيَـالاً فِـي مَـنَـامٍ سَـيُـصْـرَمُ(١)
١١٣ ـ كَحُلْمٍ بِطَيْفٍ زارَ في النَّومِ وانْقَضَىٰ الـ   ـمَـنـامُ وراحَ الـطَّـيْـفُ والـصَّـبُّ مُـغْـرَمُ(٢)

(١) ستورها: ستور جمع ستر، وهو ما يستر به ويغطى ويحجب (القاموس).
خيالاً: الخيال: الطيف، وهو من التخييل والوهم. سيصرم: سيُقطع.
(٢) بطيف: الطيف: الخيال مجيئه في النوم.
صب: مشتاق، والصبابة: رقة الشوق وحرارته.
مغرم: أسير الحب، أو المولع.

١١٤ ـ وَظِلٌّ أَرَتْهُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا سَيُقْلَصُ في وَقْتِ الزَّوَالِ وَيُفْصَمُ[١]
١١٥ ـ وَمُزْنَةِ صَيْفٍ طابَ مِنْهَا مَقِيلُهَا فَوَلَّتْ سَرِيعاً والحَرُورُ تَضَرَّمُ[٢]
١١٦ ـ وَمَطْعَمِ ضَيْفٍ لَذَّ مِنْهُ مَسَاغُهُ وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَالُهُ تِلْكَ تُعْلَمُ[٣]

الناظر الحقيقي لهذه الحياة، والذي ينظر بعين البصيرة، سوف يعلم أنها زائلة، بل هي مثل الخيال الذي يأتي للنائم ثم يذهب بعد ذلك.

ويذكر المصنف ـ رحمه الله ـ بعض الأمور ليمثل بها عن حقارة الدنيا وزوالها حيث يقول:

(كحلم بطيف. . .) مَثَلها كمثل عاشق محب مشتاق إلى محبوبه وفي أثناء نومه رأى محبوبه في المنام، ومن شدة فرحه فزع لذلك اللقاء، ومن فزعه استيقظ من نومه فلم ير شيئاً. هكذا الحياة، يعيش فيها الإنسان عمره، وعندما يحين وقت الوفاة كأنه لم يعش فيها إلا سويعات.

وقوله: (وظل أرته الشمس. . .) أي إن الدنيا كمثل الظل الذي تشاهده عندما تشرق الشمس، فإذا زالت زال الظل وذهب.

وقوله: «ومزنة صيف. . .» ومثل الدنيا ـ كذلك ـ كمثل سحابة في وقت الصيف، جاءت فحجبت الشمس، فانخفضت الحرارة وارتاح الناس في وقت الظهيرة وناموا، وما هي إلا لحظات حتى ذهبت السحابة وطلعت الشمس بحرارتها الملتهبة.

وقوله: (ومطعم ضيف. . .) أيضاً، مثل الدنيا كمثل الطعام الطيب اللذيذ في طعمه الشهي في رائحته، وبعد الأكل بفترة قصيرة سوف يتغير ويصبح نتن الرائحة قبيح المنظر تعافه النفس.

---

(١) سيقلص: سينقبض ثم يذهب. الزوال: زالت الشمس: مالت عن كبد السماء.
يفصم: يقلع.

(٢) مزنة: سحابة. مقيلها: المقيل: النوم في نصف النهار.
الحرور: الريح الحارة. تضرم: تلتهب.

(٣) مساغه: ساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق (مختار الصحاح).

١١٧ ـ كَذا هذِهِ الدُّنيا كَأَحْلامِ نائِمٍ وَمِنْ بَعْدِهَا دَارُ البَقَاءِ سَتَقْدِمُ[(١)]

١١٨ ـ فَجُزْهَا مُمِرّاً لا مُقِرّاً وكُنْ بِهَا غَريباً تعِشْ فيهَا حَميداً وَتسْلَمُ[(٢)]

١١٩ ـ أَوِ ابْنَ سَبِيلٍ قَالَ في ظِلِّ دَوْحَةٍ وَرَاحَ وَخَلَّىٰ ظِلَّهَا يَتَقَسَّمُ[(٣)]

١٢٠ ـ أَخَا سَفَرٍ لا يَسْتَقِرُّ قَرارُهُ إِلَىٰ أَنْ يَرَى أَوْطَانَهُ وَيُسَلِّمُ

بعد أن ذكر المصنف ـ رحمه الله ـ أمثلة على تفاهة الدنيا وحقارتها وقصر مدتها، أردف ذلك بقوله: (كذا هذه الدنيا كأحلام. . .) أي إن بقاء الدنيا واستمتاع أهلها بها، كالنائم عندما يرى في نومه أحلاماً فيرتاح لها ويأنس بها، ولكنه بمجرد أن يستيقظ من نومه يذهب كل شيء؛ كذلك الدنيا، فإنها تزول وتذهب بمجرد أن يموت. ولكن بعد زوال الدنيا فإن الآخرة سوف تأتي، ويُسأل العبد عن كل صغيرة وكبيرة.

فاستمع إلى المصنف حيث يقول: (فجزها ممراً. . .) أي اعبرها، كأنما هناك جسر وضع على حافتي نهر، وجاء الناس لكي يعبروا هذا النهر من على متن ذلك الجسر. وكذلك على الإنسان أن يتخفف منها ما استطاع، ولا يثقل نفسه بها، ويجعل نفسه فيها كالغريب الذي لا يعرف أحداً.

وأن يكون فيها كمثل المسافر الذي مر على شجرة عظيمة الظل، فأقام تحتها ليستريح من عناء السفر، ثم تركها ليواصل سيره؛ وفيه إشارة إلى قول ابن عمر رضي الله عنهما حيث قال: (أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: **«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»**؛ وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك)[(٤)].

---

(١) دار البقاء: يوم القيامة.

(٢) فجزها: جاز الموضع: سلكه وسار فيه وخلفه.
مقراً: القرار: المستقر من الأرض.

(٣) ابن سبيل: المسافر الكثير السفر، سُمِّيَ ابناً لها لملازمته إياها (النهاية).
قال: نام في الظهيرة. دوحة: الشجرة العظيمة المتسعة من أي الشجر كانت.
يتقسم: يتجزأ.

(٤) رواه البخاري: ٦٤١٦، ١١/٢٣٣.

والمسافر لا يهدأ باله ولا تستقر نفسه حتى يرجع إلى وطنه، ويسلم على أهله ومعارفه ويطمئن على أحواله.

١٢١ ـ فَيا عَجَباً كَمْ مَصْرَعٍ وَعَظَتْ بِهِ بَنِيها وَلكِنْ عَنْ مَصارِعِها عَمُوا[(١)]

يتعجب رحمه الله من كثرة ما يرى الناسُ أمامهم من نهايات غيرهم، ولكن لا يتعظ إلا القليل منهم؛ لأنهم يملكون الأبصار ولا بصائر لهم؛ كما رُوي عن بعض الصحابة: (كفى بالموت واعظاً)[(٢)]، وروى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات: الموت**»[(٣)].

١٢٢ ـ سَقَتْهُمْ كُؤوسَ الحُبِّ حَتىٰ إذا نَشَوْا سَقَتْهُمْ كُؤُوسَ السُّمِّ والقَوْمُ نُوَّمُ[(٤)]

أرضعتهم الدنيا حبها فتنافسوا فيها وفي جمعها، فلا هَمَّ لهم إلا الإكثار من حطامها. حتى إذا جمعوا ما استطاعوا جمعه أتاهم الموت وهم غافلون.

عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه، في حديثه عن النبي ﷺ وفيه: «**... فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**»[(٥)].

١٢٣ ـ وَأَعْجَبُ مَا في العَبْدِ رُؤيَةُ هذِه الْـ ـعَظائِم والمَغْمُورُ فيهَا مُتَيَّمُ[(٦)]

١٢٤ ـ وَمَا ذاكَ إلا أنَّ خَمْرَةَ حُبِّهَا لَتَسْلُبُ عَقْلَ المَرْءِ مِنْهُ وَتَصْلِمُ[(٧)]

---

(١) مصرع: صرعه صرعاً: طرحه على الأرض، ويقال: صرعته المنية.
بنيها: أبنائها.

(٢) رواه أحمد في الزهد: ص١٧٦، عن عمار بن ياسر. انظر السلسلة الضعيفة للألباني رقم: ٥٠٢.

(٣) رواه الترمذي: ٢٣٠٧، والنسائي: ٤/٤، وابن ماجه: ٤٢٥٨ .وهو صحيح.

(٤) نشوا: سكروا.

(٥) رواه البخاري: ٢٦٢٥، ومسلم: ٢٩٦٠، واللفظ له.

(٦) المغمور: غمره الماء أي علاه، والانغمار: الانغماس.
متيم: ذليل. يقال: تامته المرأة أو العشق والحب تيماً ويتمته: عبّدته وذللته (القاموس).

(٧) تسلب: تختلس، أو تأخذ خلسة. تصلم: تستأصل قطعاً.

١٢٥ ـ وأَعْجَبُ مِنْ ذا أنَّ أحْبَابَهَا الأُولىٰ   تُـهِـيـنُ وَلِـلأعْـدا تُـراعِـي وَتُـكْـرِمُ[1]

والعجب كل العجب أن الإنسان يرى ويستشعر الأمور العظيمة والمخاطر الجسيمة، ثم إن حب الدنيا قد أذهب عقله وسيطر على أحاسيسه؛ فانغمس فيها ولا يفكر في غيرها.

وسبب ذلك أن حلاوتها وزخارفها وجمالها (الظاهر فقط) قد ذهب بعقول من افتتن بها، فجلبتهم إليها وقطعتهم فيها تقطيعاً.

وأكثر عجباً مماتقدم! أن الدنيا تهين من تعلق بها وتُذل من أكرمها.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له. ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[2].

فهذه الدنيا من جعلها همه لازمه الهم طوال حياته، ومن تركها وأشغل نفسه بالآخرة، أتته الدنيا رغم أنفها؛ فهي كما قال المصنف: ترعى وتكرم من عاداها، وتذل وتهين من كان من أحبابها.

١٢٦ ـ وَذلِـكَ بُـرْهَـانٌ عَـلـىٰ أنَّ قَـدْرَهَـا   جَـنَـاحُ بَـعُـوضٍ أوْ أدَقُّ وَألأَمُ[3]

إن فعل الدنيا بالناس ـ كما مر بنا ـ دليل واضح بيّن على أن قدرها هو تركها، والزهد فيها، وعدم تعظيمها والاهتمام بها؛ لأنها حقيرة لا تساوي شيئاً. عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»[4].

---

(١) تراعي: تحسن، وراعيته: لاحظته محسناً إليه.

(٢) رواه أحمد: ١٨٣/٥، وابن ماجه: ٤١٠٥، وغيرهما. قال البوصيري في الزوائد ٣٧١/٣: إسناده صحيح رجاله ثقات، وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه الترمذي وابن ماجه.

(٣) برهان: حجة. قدرها: قدر الشيء: مبلغه. أدق: أقل، يقال أخذ جله ودقه: أي كثيره وقليله. ألأم: أظهر خصال اللؤم (لسان العرب).

(٤) رواه الترمذي: ٢٣٢٠، ٥٦٠/٤ .انظر السلسلة الصحيحة للألباني: ٩٤٣.

١٢٧ ـ وَحَسْبُكَ مَا قَالَ الرَّسُولُ مُمَثِّلاً لَهَا وَلِدَارِ الخُلْدِ وَالحَقُّ يُفْهَمُ[(١)]
١٢٨ ـ كَمَا يُدْلِيَ الإِنْسَانُ فِي اليَمِّ إِصْبَعاً وَيَنْزِعُهَا مِنْهُ فَمَا ذَاكَ يَغْنَمُ[(٢)]

يكفيك تمثيلاً للدنيا وحقارتها أمام الآخرة ما قاله الرسول ﷺ مفاضلاً بينهما وممثلاً لهما؛ كما روى المستورد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه** (وأشار يحيى بالسبابة) **في اليم فلينظر بم يرجع**»[(٣)].

قال النووي[(٤)]: ومعنى الحديث: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة ـ في قِصَر مدتها وفناء لذاتها، ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها ـ إلا كنسبة الماء يعلق بالإصبع إلى باقي البحر.

١٢٩ ـ أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً عَلَى حَذَرٍ مِنْهَا وَأَمْرِيَ مُبْرَمُ[(٥)]

يتمنى أن تمر عليه ليلة واحدة وهو آمن من تقلبات الدنيا، ويكون حاله فيها محكماً مستقراً لا يخاف أن ينفرط عليه أمره.

١٣٠ ـ وَهَلْ أَرِدَنْ مَاءَ الحَيَاةِ وَأَرْتَوِي عَلَىٰ ظَمَأٍ مِنْ حَوْضِهِ وَهْوَ مُفْعَمُ[(٦)]

(ماء الحياة): هذه العبارة لها أكثر من معنى؛ منها: الوحي الذي أنزله الله سبحانه على نبيه ﷺ؛ لأنه حياة القلوب والأرواح؛ فيكون المعنى: إنه يريد أن يتزود من العلم ويكثر منه، لأن الوحي ممتلىء حكمة وعلماً؛ وبهذا يكون الضمير في حوضه عائداً على الوحي.

---

(١) حسبك: يكفيك. دار الخلد: الجنة.
(٢) يدلي: دلا الدلو: نزعها، وأدلاها: أرسلها في البئر.
اليم: البحر. ينزعها: يخرجها. يغنم: يفوز ويظفر.
(٣) رواه مسلم: ٢٨٥٨، والترمذي: ٢٣٢٣، وابن ماجه: ٤١٠٨، وأحمد: ٢٢٩/٤.
(٤) في شرح مسلم: ١٩٢/١٧.
(٥) ليت شعري: ليتني أعلم. مبرم: أبرم الأمر وبرمه: أحكمه.
(٦) أردن: نون التوكيد الخفيفة دخلت على الفعل المضارع (أرد) ومعناه: أبلغ.
مفعم: ممتلىء.

ومنها: الدار الآخرة؛ لقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾(١)؛ فيتمنى أن يكون من السعداء يوم القيامة، ويعيش الحياة الحقيقية، ويتزود من الأحواض التي في الجنة ويرتوي منها.

ومنها: الماء الذي يكون في حوض النبي ﷺ الذي وصفه لهم. حيث يشتد العطش بالناس ثم ينعم الله على من يشاء من هذه الأمة فيشرب من الحوض؛ ومن شرب منه فإنه لا يظمأ أبداً.

١٣١ ـ وَهَلْ تَبْدُوَنْ أَعْلامُهَا بَعْدَمَا سَفَتْ عَلىٰ رَبْعِهَا تِلْكَ السَّوَافِي فتُعْلَمُ(٢)

الديار التي هبت عليها الرياح المحملة بالغبار والأتربة فطمست معالمها. هل ستزول الأتربة بعد ذلك وتظهر المعالم من جديد؟

وربما يريد المصنف، رحمه الله تعالى، أن يقول: إن السنة الخالصة، والاتباع الكامل لما جاء به النبي ﷺ، والتجرد الحقيقي لاتباع نهجه، قد هبت عليه رياح البدع والتقليد الأعمى لأشخاص بعينهم ـ وإن خالفوا الهدى الثابت بالأسانيد الصحيحة. يقول: فهل تزول هذه السوافي وتظهر معالم السنة ويرجع الناس إلى العمل بما صح عن نبيهم ﷺ؟

١٣٢ ـ وَهَلْ أَفْرِشَنْ خَدِّي ثَرىٰ عَتَبَاتِهِم خُضُوعاً لَهُمْ كَيمَا يَرِقُّوا وَيَرْحَمُوا(٣)

وهل يتمكن من وضع خده على تراب عتبات الله سبحانه، في خضوع وتذلل، لعله ينال رحمة الله وعطفه؟

١٣٣ ـ وَهَلْ أَرْمِيَنْ نَفْسي طَرِيحاً بِبَابِهِمْ وَطَيرُ مَنَايَا الحُبِّ فَوْقِي تُحَوِّمُ(٤)

(١) العنكبوت: ٦٤.

(٢) تبدون: بدأ بَدْواً وبُدُوّا: ظهر. سفت: سفت الريح التراب: ذَرَتْه أو حملته.
الربع: الدار بعينها، حيث كانت، والمحلة والمنزل (القاموس).

(٣) أفرشن: فرش الشيء يفرشه: بسطه. ثرى: تراب. خضوعاً: تواضعاً.
كيما: لفظ مركب من (كي) الجارة التعليلية و(ما).
يرقوا: الرقيق ضد الغليظ.

(٤) طريحاً: طرح الشيء: رماه. منايا: جمع منية وهي الموت.
تحوم: حام الطير على الشيء حوماً وحوماناً: دوّم (القاموس).

وهل أتمكن من أن ألقي بنفسي ببابكم؟ أما حبي العظيم فيكم، وشدة الشوق إليكم، ربما يكون سبباً في هلاكي.

١٣٤ - فيَا أسَفيْ تُفنَىٰ الحَياةُ وَتنقَضي وَذا الْعَتْبُ باقٍ مَا بقِيتُمْ وعِشْتُمُ(١)

يتأسف على انقضاء الحياة وذهابها، وهو ما يزال يجد اللوم والعتاب؛ لأنه مولع بحب ربه، وقد ألزم نفسه بطاعته وعدم مخالفة أمره؛ فهو لا يَسلم من عتاب المخالفين.

١٣٥ - فَمَا مِنكُمُ بُدٌّ وَلا عَنكُمُ غِنىً وَمَا لِيَ مِنْ صَبْرٍ فَأَسْلُوَ عَنكُمُ(٢)

إن قلبي قد تعلق بكم؛ فلا حب لي إلا أنتم. فلا محالة إنني باق على هذا، ولا أستطيع أن أستغني بغيركم، ولا أن أصبر عنكم، ولا أنساكم أبداً.

١٣٦ - وَمَنْ شَاءَ فَلْيَغضَبْ سِوَاكُمْ فَلا أذىً إذا كُنتُمُ عَنْ عَبْدِكُمْ قَدْ رَضِيتُمُ(٣)

يا رب إن كنت قد رضيت عني فلا عليّ بعد ذلك؛ فإن الخلق بأسرهم لو غضبوا لم أكترث لغضبهم، لأن الأصل عندي هو رضاك.

١٣٧ - وَعُقْبَىٰ اصطبَاري فِي هَوَاكُمْ حَمِيدَةٌ وَلكِنَّهَا عَنكُمْ عِقَابٌ وَمَأْثَمُ(٤)

إن عاقبة شدة صبري، وتحمل آلام شوقي في حبكم، نهايته التوصل إلى رضاكم؛ فهي محمودة، وأكرم بها من نهاية؛ لأنكم سوف تجزونني أحسن الجزاء. أما الذي يصبر عنكم ويتحمل الأذى بمخالفة أمركم، ويتعب نفسه بالسعي وراء المنكرات وفعل المحرمات؛ فإنه سوف يجني لنفسه الآثام، وينال

---

(١) العتب: اللوم.
(٢) بد: لا فراق أو لا عوض أو لا محالة. أسلو: أنسى.
(٣) أذىً: مكروه.
(٤) عقبى: جزاء الأمور.
اصطباري: يقال صبر من خصمه واصطبر: أي اقتص منه (نهاية)، أو شدة الصبر.
قال في القاموس: صبر يصبر فهو صابر وتصبر واصطبر.

أشد العذاب. قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾[1].

١٣٨ ـ وَمَا أَنَا بِالشَّاكِي لِمَا تَرْتَضُونَهُ وَلٰكِنَّنِي أَرْضَى بِهِ وَأُسَلِّمُ[2]

١٣٩ ـ وَحَسْبِي انْتِسَابِي مِنْ بَعِيدٍ إِلَيْكُمُ أَلا إِنَّهُ حَظٌّ عَظِيمٌ مُفَخَّمُ[3]

١٤٠ ـ إِذا قِيلَ هَذا عَبْدُهُمْ وَمُحِبُّهُمْ تَهَلَّلَ بِشْراً وَجْهُهُ يَتَبَسَّمُ[4]

أنا لست من الذين يتشكون من أمور التشريع التي أنتم تحبونها وفرضتموها على عبيدكم، ولكنني في غاية السعادة وكمال الرضا بفعل كل ما يرضيكم؛ فأنا أفعله وأسلم أمري إليكم. ويكفيني فخراً وعزة أن أنتسب ـ ولو من بعيد ـ إليكم فيقال عني: عبدالله، فهذه النسبة هي عندي عظيمة الشأن عالية القدر، وإذا ما سمعتها أَسَرُّ بها كثيراً، وتبدو آثار الفرح واضحة على وجهي.

١٤١ ـ وَهَا هُوَ قَدْ أَبْدَى الضَّرَاعَةَ سَائِلاً لَكُمْ بِلِسَانِ الحَالِ والقَالُ مُعْلِمُ[5]

١٤٢ ـ أَحِبَّتَهُ عَطْفاً عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمُظْمٍ وَإِنَّ المَوْرِدَ العَذْبَ أَنْتُمُ[6]

هذا العبد المحب قد أظهر لكم فقره وشدة حاجته إليكم، فهو يرفع إليكم ذله وخضوعه، ويطلب إليكم بلسان حاله؛ فإن حركاته وسكناته تعبر لكم عن مدى حبه لكم والتصاقه بكم؛ ودليل ذلك أن قوله يصدق فعله. هذا إذا كان ضبط الكلمة (معلِم) بكسر اللام. أما إذا كان بفتح اللام (معلَم) فيكون المعنى: إن هذا فعله، أما قوله فقد عرفه الجميع فلا يخفى على أحد.

فها هو يناجي ربه سبحانه وتعالى ويطلب إليه أن يعطف عليه؛ لأنه في

---

(١) الغاشية: ٢ ـ ٤.

(٢) الشاكي: شكا فلاناً: أخبر بإساءته إليه.

(٣) حسبي: يكفيني. الحظ: النصيب.
مفخم: التفخيم: التعظيم. وفخم: عظيم.

(٤) تهلل: تهلل الوجه: تلألأ.

(٥) أبدى: أظهر. الضراعة: الذل والخضوع.
لسان الحال: هيئته وأفعاله. لسان المقال: ما يصدر منه من أقوال.

(٦) لمظم: رجل مظماء يعني معطاش.

عطش شديد؛ فلا يرويه ويُذهب عنه غليله إلا أنتم، فهو سعيد بقربكم، ويستوحش بفراقكم والبعد عنكم.

١٤٣ ـ فَيَا سَاهِياً فِي غَمْرَةِ الجَهْلِ والهَوَىٰ صَرِيعَ الأَمَانِي عَنْ قَرِيبٍ سَتَنْدَمُ[١]
١٤٤ ـ أَفِقْ قَدْ دَنا الوَقْتُ الذي لَيْسَ بَعْدَهُ سِوىٰ جَنَّةٍ أَوْ حَرُّ نَارٍ تَضَرَّمُ[٢]

يا من غلب عليه هواه وهو ساهٍ يتخبط في جهل عميق، وكل بضاعته هي التمني على الله من غير أن يبذل أي عمل في تحقيقها، فإن العمر قصير، وسوف تعلم بعد ذلك أين أنت وماذا كنت تعمل.

ثم: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾[٣] لا ينفع الندم يومئذ؛ ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾.

فإن هذا الساهي الذي طالت غفلته، يقول له المصنف: ألم يأن لك أن ترجع إلى صوابك وتنتبه إلى نفسك؟ ألم تخش أن يفاجئك الموت في أي ساعة من أيام عمرك؟ فمهما طال فإن له نهاية، وأنت لا تعلمها، فإذا حان وقتها وانتقلت من هذه الدار إلى دار القرار؛ فإما الجنة وإما النار.

إما أن تكون ممن دخل في رحمة الله ورضوانه، فهو قرير العين في جنات ونهر، وإما الأخرى فهي نار مؤصدة.

١٤٥ ـ وبِالسُّنَّةِ الغَرَّاءِ كُنْ مُتَمَسِّكاً هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَىٰ الَّتي لَيْسَ تُفْصَمُ[٤]
١٤٦ ـ تَمَسَّكْ بِهَا مَسْكَ البَخيلِ بِمَالِهِ وَعَضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ تَسْلَمُ[٥]

---

(١) ساهياً: غافلاً، والسهو: الغفلة. غمرة: شدة.
صريع: صرعه صرعاً: ألقاه على الأرض. والمعنى: إن الأماني غلبته فلا يستطيع مقاومتها. والأماني: جمع أمنية، وهي البغية.
(٢) أفق: ارجع إلى صوابك. أفاق: إذا رجع إلى ما كان قد شغل عنه، وعاد إلى نفسه. تضرم: تشتعل.
(٣) الفرقان: ٢٧.
(٤) الغراء: البيضاء. متمكساً: معتصماً. تفصم: تنكسر.
(٥) عض عليها بالنواجذ: أي تمسك بها كما يتمسك العاض بجميع أضراسه (النهاية).

بالسنة البيضاء الصافية النقية، كن متمسكاً تمسكاً شديداً، لأنها هي التي تنجيك من السقوط في الهاوية؛ لأنها العروة الوثقى التي لا تنفصم.

فالذي يعمل بما دلت عليه السنة، ولا يحيد عنها، فإنه على الصراط المستقيم، وإنه متمسك بالأسباب القوية التي قد أحكمت من لدن حكيم خبير، فهي محكمة، ولا يخاف أن تنقطع به.

أما العروة الوثقى؛ فقيل هي: (**لا إله إلا الله**)؛ وقيل هي: القرآن؛ وقيل هي: كلمة الإخلاص؛ وقيل: (أبو بكر وعمر)؛ وقيل: إذا وحد الله وآمن بالقدر، فهي العروة الوثقى[(١)].

وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ، رأيت كأني في روضة خضراء وسطها عمود من حديد، أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة؛ فقيل لي: ارقه. فرقيت حتى كنت في أعلى العمود فأخذت بالعروة، فقيل لي: استمسك، فاستيقظت وإنها لفي يدي، فقصصتها على رسول الله ﷺ، فقال: «**تلك الروضة: الإسلام، وذلك العمود: عمود الإسلام، وتلك العروة: عروة الوثقى، وأنت على الإسلام حتى تموت**»[(٢)].

فالعروة الوثقى هي الإسلام كله، فمن تمسك بكل ما جاء به النبي ﷺ فهو المتمسِّك الذي لا يخاف على نفسه السقوط.

أما قوله: (تمسك بها مسك البخيل)؛ فإنه يوصي أن تتمسك بالسنة ولا تفارقها في جميع شؤونك، لأن البخيل لا تسمح له نفسه أن يفرط بشيء من ماله، ولو كان يسيراً، وإنما همه الأعظم أن يضيف إليه حتى يزداد.

وقوله: (وعض عليها)؛ إذا أردت السلامة والنجاة والفوز في الدنيا والآخرة، فما عليك إلا أن تتمسك بالسنة، وكأنك تعض عليها بأسنانك الداخلية زيادة في التمسك. وفيه إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وفيه:

---

(١) ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور: ٥٨٤/١.

(٢) رواه البخاري: ٣٨١٣، ومسلم: ٢٤٨٤.

«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ. . .»[(١)]. الحديث.

١٤٧ ـ وَدَعْ عَنْكَ مَا قدْ أحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا فَمَرْتَعُ هَاتِيكَ الحَوادِثِ أوْخَمُ[(٢)]

يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[(٣)].

وكذلك حديث العرباض الذي تقدم قبل هذا وفي آخره: **«وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**.

اترك جميع هذه البدع، فإن مصادرها ومواضعها رديئة العاقبة لا خير فيها.

١٤٨ ـ وَهيِّىءْ جَوَاباً عِنْدَما تَسْمَعُ النِّدا مِنَ اللَّهِ يَوْمَ العَرْضِ مَاذا أجَبْتُمُ
١٤٩ ـ بِهِ رُسُلِي لَمَّا أتَوْكُمْ فَمَنْ يَكُنْ أجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يَخْزَىٰ وَيَنْدَمُ[(٤)]

يشير إلى قول الله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾[(٥)]؛ عندما يسأل الله تبارك وتعالى العباد هذا السؤال يريد منهم جواباً. فهل أعددت له جواباً؟

فلا شك في أن من اتبع رسوله سيكون جوابه حاضراً، ويستطيع أن يجيب عن نفسه بأنه آمن وصدق واتبع.

وأما من كذب وتولى؛ فما جوابه؟ وما حجته؟ بل لو أراد أن يعد جواباً ما

---

(١) رواه أحمد: ١٢٦/٤، وأبو داود: ٤٦٠٧، والترمذي: ٢٦٧٦، وابن ماجه: ٤٢. وهو صحيح.

(٢) مرتع: موضع الرتع، ورتع رتعاً: أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة.
أوخم: كثير الوخم، والوخم: الوباء (القاموس).
قال في النهاية: وَخُمَ الطعام، إذا ثقل فلم يستمرأ فهو وخيم، وقد تكون الوخامة في المعاني. يقال: هذا الأمر وخيم العاقبة: أي ثقل رديء.

(٣) رواه البخاري: ٢٦٩٧، ٣٠١/٥، ومسلم: ١٧١٨.

(٤) يخزى: يذل ويهان.

(٥) القصص: ٦٥.

استطاع؛ لأن الله سبحانه يقول: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦﴾[1]؛ لا يستطيع أن يدلي بحجة، فما له إلا السكوت، فعندها سوف يجاوب عنهم غيرُهم، ومن كانت هذه حاله فلا شك في أنه من الهالكين.

نسأل الله السلامة. وهذا هو قول المصنف: (فمن يكن أجاب سواهم).

١٥٠ ـ وَخُذْ مِنْ تُقَىٰ الرَّحمَنِ أَعظَمَ جُنَّةٍ   لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عَيَاناً جَهَنَّمُ[2]

عليك أيها العبد أن تتخذ لنفسك وقاية وجُنة تجعلها بينك وبين النار، وهذه الوقاية هي تقوى الله سبحانه؛ باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، ومراقبته في السر والعلن.

١٥١ ـ وَيُنْصَبُ ذاكَ الجِسْرُ مِنْ فَوْقِ مَتْنِها   فَهَاوٍ وَمَخْدُوشٌ وَنَاجٍ مُسَلَّمُ[3]

يوم القيامة يؤتى بجهنم تسحبها الملائكة، لها سبعون ألف زمام، لكل زمام سبعون ألف ملك[4]، ثم يوضع عليها جسر هو الصراط.

لما روى أبو هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **«يجمع الله تبارك وتعالى الناس... وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق، ثم كمرِّ الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال؛ تجري بهم أعمالهم. ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلّم سلّم حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به؛ فمخدوش ناج، ومكدوس في النار»**[5].

فالذي كان يتقي ربه ويعمل بما أمره الشرع واتبع الرسول ﷺ فإنه سوف

---

(١) القصص: ٦٦.

(٢) جنة: وقاية. عِياناً: رآه عياناً: لم يشك في رؤيته، ورأيت فلاناً عياناً: أي مواجهة.

(٣) متنها: ظهرها. هاو: سقط إلى أسفل. مخدوش: خدشه: خمشه، وخدش الجلد: مزقه.

(٤) الحديث رواه مسلم: ٢٨٤٢.

(٥) رواه مسلم: ١٩٥ .والحديث معناه عند البخاري: ٨٠٦، وأحمد: ٥٣٤/٢.

يعبر، ولكن العبور هذا على حسب العمل؛ فمنهم من ينجو سليماً، ومنهم من تخدشه هذه الكلاليب وينجو، ومنهم من يهوي في جهنم.

١٥٢ ـ وَيَأْتِي إِلٰهُ العَالَمِينَ لِوَعْدِهِ فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ العِبَادِ وَيَحْكُمُ[١]

(ويأتي إله العالمين) المجيء صفة من صفات الله تبارك وتعالى أثبتها لنفسه في كتابه؛ مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[٢]؛ وقوله سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[٣].

وأثبتها له رسوله ﷺ[٤] في سنته؛ فنقول: هو إتيان يليق به سبحانه لا يشبه إتيان المخلوقين لأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٥].

وإتماماً للفائدة أنقل لك بعض ما قال العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله[٦]:

«وهذه الآية، وما أشبهها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة المثبتين للصفات الاختيارية؛ كالاستواء، والنزول، والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه، وأخبر بها عنه رسوله ﷺ.

فيثبتونها لمعانيها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل. خلافاً للمعطلة على اختلاف أنواعهم؛ من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، ونحوهم، ممن ينفي هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات، بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان؛ بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب». إلى آخر ما قال، رحمه الله تعالى.

قول المصنف (لوعده): يعني الذي ذكره في كتابه في آيات عدة؛ أن الخلق

---

(١) يفصل: يقضي بينهم.
(٢) البقرة: ٢١٠.
(٣) الفجر: ٢٢.
(٤) انظر تفسير ابن كثير: ٢٤٨/١، تحت تفسير آية: ٢١٠، من سورة البقرة.
(٥) الشورى: ١١.
(٦) تفسير ابن سعدي الذي اسمه: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١٨٧/١.

سوف يبعثون يوم القيامة، وتنصب لهم الموازين، وتوضع الكتب، وتتطاير الصحف.

١٥٣ ـ وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبُّكَ حَقَّهُ فَيَا بُؤسَ عَبْدٍ لِلْخَلائِقِ يَظْلِمُ(١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته؛ فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»**(٢).

الله سبحانه هو أعدل من عدل، وأحكم من حكم، ومن عدله سبحانه أن يحكم بين البهائم. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»**(٣).

١٥٤ ـ وَيُنْشَرُ دِيوَانُ الحِسَابِ وَتُوضَعُ الْـ مَوَازِينُ بِالْقِسْطِ الذي لَيسَ يَظْلِمُ(٤)

يشير إلى قوله الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾(٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«يد الله ملأى لا تغيضها نفقة... ثم قال: وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع»** يقول سبحانه: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(٦)(٧).

---

(١) بؤس: بئس بؤساً: اشتدت حاجته (القاموس).

(٢) رواه البخاري: ٦٥٣٤، ١١/٣٩٥، وأحمد: ٢/٥٠٦.

(٣) رواه مسلم: ٢٥٨٢، والترمذي: ٢٤٢٠، وأحمد: ٢/٢٣٥.

(٤) ينشر: يبسط، وهو خلاف الطي. القسط: العدل.

(٥) الأنبياء: ٤٧.

(٦) الكهف: ٤٩.

(٧) الحديث رواه البخاري: ٤٦٨٤، ٨/٣٥٢.

١٥٥ ـ فَلا مُجْرِمٌ يَخْشىٰ ظَلامَةَ ذَرَّةٍ وَلا مُحْسِنٌ مِنْ أَجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ[(١)]

المجرم الذي فعل المنكرات، وأتى بالطامات، فإنه سوف يعاقب على قدر جرمه؛ فليس لأنه أجرم تصب عليه التهم، ويرمى بما لم يفعل. كلا فإن هذا ليس من عدل الله سبحانه، بل كلٌ يعاقب بقدر ما اقترفت يداه؛ يقول سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[(٢)].

وكذلك الذي عمل الصالحات، وأشغل نفسه بالقربات، فإن الله جل في علاه لا يضيع له شيئاً من عمله، وإنما يضاعفه وينميه[(٣)] له، لأنه جواد.

١٥٦ ـ وَتَشْهَدُ أَعْضاءُ الْمُسِيءِ بِمَا جَنَىٰ كَذَاكَ عَلىٰ فِيهِ الْمُهَيْمِنُ يَخْتِمُ[(٤)]

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾[(٥)].

إن العاصي المجرم إذا أراد أن يكذب على نفسه كما تعود في الدنيا أن يكذب على عباد الله، فإنه يوم القيامة يُغلق الفم ولا ينطق اللسان؛ وإنما الكلام يومئذ لبقية الجوارح والأعضاء التي كانت صامتة في الدنيا. قال الحق تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾[(٦)]، أما اللسان الذي كان لا يتحرك بذكر الله، وإنما كانت حركته بالفاحش من القول؛ فإنه ليس له دور يذكر يوم القيامة.

---

(١) ظلامة: ما تطلبه عند الظالم، وهو اسم ما أخذه منك (مختار الصحاح).
ذرة: أصغر النمل. يهضم: ينقص من حقه.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) انظر الحديث تحت البيت رقم: ١٥٩.

(٤) جنى: جنى الذنب عليه يجنيه جناية: جره إليه.
المهيمن: من أسماء الله تعالى في معنى المؤمن مَن آمن غيره من الخوف (القاموس).
يختم: يطبع عليه فلا يستطيع الكلام.

(٥) يس: ٦٥.

(٦) فصلت: ٢٠.

١٥٧ ـ فَيَا لَيتَ شِعْري كَيفَ حَالُكَ عِنْدَمَا تَطَايَرُ كُتْبُ العَالَمِينَ وَتُقْسَمُ

١٥٨ ـ أَتَأْخُذُ بالـيُمْنَىٰ كِتَابَكَ أَمْ تَكُنْ بِالاخْرَىٰ وَرَاءَ الظَّهْرِ مِنْكَ تُسَلَّمُ

تمنٍّ ممزوج بإشفاق على هيئة استفسار عن حالك أيها العبد، يوم القيامة عندما تتطاير الكتب يوم العرض الأكبر وتوزع عليهم. هل أنت ممن عمل في الدنيا بطاعة الله سبحانه، واقتفى أثر الرسول ﷺ، ووحد الله وأخلص له في كل شيء؟ فهذا سوف يأخذ كتابه بيمينه، ويكون فرحه هو الفرح الحقيقي الذي لا يوصف، بل ينادي على رؤوس الأشهاد: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ﴾(١).

أما الفريق الآخر الذي لم يرفع لهذا الأمر رأساً، بل كان همه أن يأكل ويتمتع وينام مثل البهائم، بل هو أضل؛ لأن البهائم خلقت لهذا، وهو خلق لشيء أعظم فضيعه. فهذا يُعطى كتابه بشماله من وراء ظهره؛ زيادة له في الإهانة والتنكيل: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١﴾(٢).

ويقول سبحانه عن أولئك يوم القيامة: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ۝٢٥﴾(٣).

١٥٩ ـ وَتَقْرأُ فِيهِ كُلَّ شَيءٍ عَمِلْتَهُ فَيُشْرِقُ مِنْكَ الوَجْهُ أَوْ هُوَ يُظْلِمُ

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾(٤).

الذي عمل الصالحات سوف يرى أن الله سبحانه قد ضاعفها له أضعافاً كثيرة، ولم يتوقع أن له مثل هذه الحسنات، ولا أقل منها بكثير، فيسر عندئذ ويشرق وجهه فرحاً وبهجة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما تصدق أحد بصدقة من طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ إلا أخذها الرحمن بيمينه ـ وإن**

---

(١) الحاقة: ١٩.

(٢) الانشقاق: ١٠، ١١.

(٣) الحاقة: ٢٥.

(٤) الجاثية: ٢٩.

كانت تمرة ـ فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوَّه أو فصيله»[(١)].

وأما المكذب العاصي فلا يرى في صفحاته إلا الأعمال القبيحة التي اقترفها في الدنيا، عندها يحزن حزناً عميقاً، وتأخذه الكآبة، ويظلم وجهه شفقة منه على نفسه من العذاب، وندماً على ما صدر منه.

١٦٠ ـ تَقُولُ كِتَابِي فَاقْرَؤوهُ فَإِنَّهُ يُبَشِّرُ بِالفَوزِ العَظِيمِ وَيُعْلِمُ[(٢)]
١٦١ ـ فَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَىٰ فَإِنَّكَ قَائِلٌ أَلا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَهُ فَهْوَ مُغْرَمُ[(٣)]

يشير إلى قول الحق سبحانه في كتابه العزيز عن أصناف الخلق يوم القيامة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾[(٤)]؛ ويقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾[(٥)].

الذين يكرمهم الله، يوم القيامة، ويدخلهم في رحمته، فإنهم يستلمون الكتاب باليمين ويفرحون به أشد الفرح؛ كيف لا؟ وهو يبشرهم بالفوز العظيم، ويخبرهم أنهم من السعداء.

أما الذين خذلهم الله، فإنهم يستلمون الكتاب بالشمال، ويحزنون به أبلغ الحزن، ويتمنون أنهم لم يستلموه ولم يروه؛ لأنه يخبرهم بمصيرهم المشؤوم في دركات الجحيم. ويحاولون أن يبتعدوا عنه، لكنه ملازم لهم لا يفارقهم، حتى يدخلهم النار.

١٦٢ ـ فَبَادِرْ إذاً مَا دَامَ فِي العُمْرِ فُسْحَةٌ وَعَدْلُكَ مَقْبُولٌ وَصَرْفُكَ قَيِّمُ[(٦)]

---

(١) رواه البخاري: ١٤١٠، ومسلم: ١٠١٤.
(٢) يعلم: يخبر.
(٣) مغرم: قال في لسان العرب: وفي حديث معاذ: ضربهم الله بذل مغرم أي لازم دائم، يقال فلان مغرم بكذا: أي لازم له مولع به.
(٤) الحاقة: ١٩.
(٥) الحاقة: ٢٥.
(٦) فبادر: أسرع. فسحة: سعة. عدلك: رجل عدل: أي رضا وَمَقْنَع. صرفك: الصرف: التوبة.

بعد أن عرفت أن الحياة جسر عبور للآخرة، وهي لحظات سوف تنقضي ثم ترد إلى الديّان سبحانه لترى أمامك كل ما قدمت. وعرفت أن المقصر هنا كيف يندم هناك، ويتمنى أنه لو يُرد إلى الدنيا فيعمل من الطاعات كي ينال رضا الله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[١].

إذا عرفت هذا وعقلته؛ تصور نفسك أنك من يقول هذا. فها أنت قد عدت إلى الدنيا، فبادر إلى مرضات الله سبحانه. وبادر إلى فعل ما أُمرت به، واجتنب كل ما نُهيت عنه، ولا تحاول أن تلتمس لنفسك الأعذار من هنا وهناك، فلربما قبل منك العذر في الدنيا ويكون مردوداً يوم القيامة؛ لأن المؤاخذة في الدنياعلى الظاهر، بينما في الآخرة يخبرك الله سبحانه بما يجول في خاطرك.

قوله: (وعدلك مقبول...) يعني: لو تبت ورجعت إلى الله سبحانه فسوف يقبلك ويتوب عليك.

١٦٣ ـ وَجِدَّ وَسَارِعْ وَاغْتَنِمْ زَمَنَ الصِّبَا فَفِي زَمَنِ الإِمْكَانِ تَسْعَىٰ وَتَغْنَمُ

أكثر من الطاعات ما دمت تستطيع أن تفعلها، لأنك سوف تهرم ويصعب العمل؛ فتندم في شيخوختك وتقول: ليتني عملت قبل أن يضعف حالي وتذهب قوتي، وفيه إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[٢].

١٦٤ ـ وَسِرْ مُسْرِعاً فَالموتُ خَلفَكَ مُسْرِعٌ وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ ومَهْزَمُ

أسرع أنت في عمل الطاعات والإكثار منها، لأن الموت خلفك يطلبك، ولا محالة أنه لاحق بك، فلم ينجُ أحد قبلك، وهو شيء كتبه الله على الخلق؛ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[٣].

---

(١) المؤمنون: ٩٩، ١٠٠.

(٢) رواه الحاكم: ٣٠٦/٤، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٣) الزمر: ٣٠.

١٦٥ ـ فَهُنَّ المَنَايَا أيَّ وَادٍ نَزَلْتَهُ عَلَيها القُدُومُ أَوْ عَلَيكَ سَتُقْدِمُ

يقول المولى جل في علاه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾(١).

فالموت لا بد منه لكل حي، إلا الحي القيوم، فلِمَ يجبن الإنسان ويترك الصدع بالحق؟ أو يخاف الموت ولا يذهب إلى الجهاد في سبيل الله؟ فما دام الموت حالّ بك إن قدمت عليه. وإن تقاعست وجلست فإنه هو سوف يَقْدمُ عليك؛ يقول سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾(٢).

١٦٦ ـ وَمَا ذاكَ إلاَّ غَيرَةً أنْ يَنالَهَا سِوىٰ كُفْئِها والرَّبُّ بِالخَلقِ أعْلَمُ(٣)

١٦٧ ـ وإنْ حُجِبَتْ عَنَّا بكُلِّ كَريهَةٍ وَحُفَّتْ بِما يُؤذي النُّفُوسَ وَيُؤْلِمُ(٤)

إن الله سبحانه حف الجنة بالمكاره، وجعل ثمنها التضحية بالنفس، والمال، والوقت، وسهر الليل بالقيام، وظمأ الهواجر بالصوم؛ كل هذا حتى يدخلها من طلبها بصدق لا طلب ادعاء فقط، فكل يدعي وصلاً بليلى.

١٦٨ ـ فَلِلَّهِ مَا في حَشوِهَا مِنْ مَسَرَّةٍ وأَصْنافِ لَذَّاتٍ بِها يُتَنَعَّمُ(٥)

يتعجب المصنف ـ رحمه الله ـ مما أعد الله سبحانه بداخل الجنة من النعيم، ووسائل الراحة والبهجة.

١٦٩ ـ وَلِلَّهِ بَرْدُ العَيشِ بَينَ خِيامِهَا وَرَوْضَاتِها والثَّغْرُ في الرَّوْضِ يَبْسِمُ(٦)

---

(١) النساء: ٧٨.
(٢) آل عمران: ١٥٤.
(٣) غيرة: الغيرة: الحمية والأنفة (النهاية في غريب الحديث).
الكفء: المساوي، يعني: لا يحصل عليها غير الذي يستحقها.
(٤) حجبت: سترت. كريهة: الكره: المشقة، يعني جُعل بين الإنسان وبين الجنة سواتر من الأشياء التي لا ترغب النفس أن تفعلها.
(٥) فللّه: للتعجب. حشوها: الحشو: مليء الوسادة، يعني: ما بداخلها (ترتيب القاموس).
(٦) الثغر: الفم (ترتيب القاموس).
برد العيش: عيش بارد: هنيء (ترتيب القاموس).

ويتعجب كذلك من العيش الرغيد في خيامها وبساتينها، ومن الابتسامة التي تتولد من النظر إلى ما يريح النفس وينعشها.

١٧٠ ـ وَلِلَّهِ وَادِيهَا الذي هُوَ مَوْعِدُ الـ ... مَزِيدِ لِوَفْدِ الحُبِّ لَوْ كُنْتَ مِنْهُمُ[١]

١٧١ ـ بِذَيَّالِكَ الوادي يَهِيمُ صَبَابَةً ... مُحِبٌّ يَرَىٰ أَنَّ الصَّبَابَةَ مَغْنَمُ[٢]

ويتعجب من الوادي الذي يجعله الله سبحانه المكان الذي يجتمع فيه أهل الجنة، ليوم المزيد، عندما يدعوهم الحق جل في علاه لزيارته.

فكل مسلم تتوق نفسه، ويتقطع شوقاً إلى ذلك الوادي، ويرى أن الشوق إليه والحب فيه غنيمة وفوز.

١٧٢ ـ وَلِلَّهِ أَفْرَاحُ المُحِبِّينَ عِنْدَمَا ... يُخَاطِبُهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيُسَلِّمُ[٣]

ما أشد فرحة المؤمنين وأعظمها بعد دخولهم الجنة؛ إذ يكلمهم ربهم سبحانه وتعالى ويسلم عليهم.

١٧٣ ـ وَلِلَّهِ أَبْصَارٌ تَرَىٰ اللهَ جَهْرَةً ... فَلا الضَّيْمُ يَغْشَاهَا ولا هِيَ تَسْأَمُ[٤]

يتعجب من تلك الأبصار التي تنظر إلى الله سبحانه وتعالى. بالإضافة إلى ما لها من النعيم الذي لا يوصف ولا يتطرق إليه النقص ولا الفناء، وهم في العيش الرغيد الذي لا سآمة معه أبداً.

اعلم أن هذا البيت والذي قبله يثبت فيهما المصنف بعض صفات الله

(١) موعد المزيد: يأتي شرحه تحت البيت رقم: ٢٠٢.

(٢) بذيالك: ذيال: تصغير (ذا) اسم الإشارة والكاف حرف خطاب، ويعرب اسم الإشارة (معجم الشوارد النحوية).
الصبابة: الشوق.

(٣) مخاطبة الله لأهل الجنة: انظر شرح البيت رقم: ٢٠٢ ـ ٢٠٧، أما التسليم: انظر شرح البيت رقم: ٢١٠.

(٤) الضيم: النقص أو الظلم (ترتيب القاموس).
يغشاها: يأتيها (النهاية في غريب الحديث). تسأم: تمل.

سبحانه؛ كأن يراه المؤمنون بأبصارهم يوم القيامة، وتكليم أهل الجنة وغيرها من الصفات الثابتة التي لم يتطرق إليها المصنف، هي على حقيقتها؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة[(١)].

١٧٤ ـ فَيا نَظْرَةً أَهْدَتْ إِلَىٰ الوَجْهِ نَضْرَةً أَمِنْ بَعْدِها يَسْلو المُحِبُّ المُتَيَّمُ[(٢)]

وهذه النظرة التي ينظرها العبد إلى ربه ـ تبارك وتعالى ـ تجعله يزداد حسناً وبهاءً، ويزداد حبه لربه سبحانه؛ فلا يغفل عنه ولا ينساه.

١٧٥ ـ وَلِلَّهِ كَمْ مِنْ خَيْرَةٍ إِنْ تَبَسَّمَتْ أَضَاءَ لَهَا نُورٌ مِنَ الفَجْرِ أَعْظَمُ[(٣)]

يتعجب من الحور العين التي إذا تبسمت خرج منها نور أعظم من نور الفجر. وفيه إشارة إلى ما روى ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«سطع نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها»**[(٤)].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً»**[(٥)].

١٧٦ ـ فَيا لَذَّةَ الأَبْصارِ إِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ وَيا لَذَّةَ الأَسْماعِ حِينَ تَكَلَّمُ

---

(١) انظر شرح البيت رقم: (١٥٢).

(٢) نظرة: من النظر بالأبصار. نضرة: النعمة والحُسْن (ترتيب القاموس).
يسلو: ينسى. المتيّم: استعبده الهوى حتى ذهب بعقله. لسان العرب.

(٣) خيرة: كثيرة الخير، يعني من الحور العين.
تبسمت: التبسم أقل الضحك وأحسنه.

(٤) رواه الخطيب في تاريخ بغداد: ٢٥٣/٨، و: ١٦٣.
وذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى الحاكم في الكنى، والخطيب في التاريخ ورمز له بالضعف.
قال المناوي في فيض القدير: ١٠٥/٤: وفيه حلس بن محمد، قال الذهبي في الضعفاء: مجهول، وقال في الميزان: إن الحديث باطل.
قال الألباني في ضعيف الجامع: موضوع.

(٥) رواه البخاري؛ ٢٧٩٦، ورواه مسلم: ١٨٨٠ مختصراً.

الذي ينظر إليها يستمتع ويجد لذة، وكذلك يتلذذ بالحديث معها؛ فهي خيّرة، وكلها خير.

١٧٧ ـ وَيا خَجلَةَ الغُصْنِ الرَّطِيبِ إذا انْثَنَتْ   ويَـا خَـجـلَـةَ الـفَـجْـرَيْـن حِـيـنَ تَـبَـسَّـمُ(١)

إنها جميلة وطويلة، وإذا مشت تمايلت باسترخاء، وعندما تتبسم يسطع النور من وجهها كأنه نور الفجر.

١٧٨ ـ فَإنْ كُـنْـتَ ذَا قَـلْـبٍ عَـلِـيـلٍ بـحُـبِّـهـا   فَـلَـمْ يَـبْـقَ إلاَّ وَصْـلُـهـا لَـكَ مَـرْهَـمُ(٢)

فإذا كان قلبك قد تعلق بها ومرض من شدة الشوق إليها، فليس لك دواء ولا حيلة إلا أن تسعى وتجد وتجتهد لكي تؤهل نفسك لنيلها والحصول عليها.

١٧٩ ـ وَلا سِيَّـمـا فِي لَـثْـمِـها عِـنْـدَ ضَـمِّـهـا   وَقَدْ صَارَ مِنْهَا تَحْتَ جِيدِكَ مِعْصَمُ(٣)

وأفضل من ذلك عندما تضمها إليك وتقبل فمها، وقد وضعت يدها أو ساعد يدها تحت عنقك.

١٨٠ ـ تَـراهُ إذا أبْـدَتْ لـهُ حُـسْـنَ وَجْـهِـهَـا   يَـلَـذُّ بـهَـا قَـبْـلَ الـوِصَـالِ وَيَـنْـعَـمُ(٤)
١٨١ ـ تَـفَـكَّـهُ مـنْـهـا الـعَـيْـنُ عِـنْـدَ اجْـتِـلائِـهـا   فَـواكِـه شَـتَّـى طَـلْـعُـهـا لَـيـسَ يُـعْـدَمُ(٥)

---

(١) خجلة الغصن: خجل النبت: طال والتف.
والخَجَلُ: الاسترخاء من الحياء.
الغصن الرطيب: ناعم (لسان العرب).

(٢) عليل: مريض (المعجم الوسيط).
مرهم: دواء مركب للجراحات. (ترتيب القاموس).

(٣) سيّما: سي: بمعنى مثل و(لا سيما) نستخدمه عند التعبير عن أن شيئاً يفضُل الآخر في قدره (معجم الشوارد النحوية). لثمها: لثم فاها: قبلها.
الجيد: العنق. المعصم: اليد، أو موضع السوار من اليد (ترتيب القاموس).

(٤) أبدت: أظهرت. الوصل: ضد الهجران، ويكون في عفاف الحب ودعارته. (لسان العرب).

(٥) تفكه: تتمتع. اجتلائها: عرضها عليه مجلوة، يعني واضحة.
المجلي: الواضح.

تجده بمجرد أن تبدو له وتظهر، فإنه يتلذذ ويستمتع بالنظر إليها قبل أن تصل إليه، أما إذا تغشاها فتلك لذة أخرى.

١٨٢ ـ عَنَاقِيدَ مِنْ كَرْمٍ وتُفَّاحَ جَنَّةٍ وَرُمَّانَ أَغْصَانٍ بِهَا القَلْبُ مُغْرَمُ(١)

١٨٣ ـ وَلِلْوَرْدِ مَا قَدْ أَلْبَسَتْهُ خُدُودها وللخَمْرِ ما قَدْ ضَمَّهُ الرِّيقُ والفَمُ

١٨٤ ـ تَقَسَّمَ مِنْها الحُسْنُ في جَمْعِ واحِدِ فيا عَجَباً مِنْ واحِدٍ يَتَقَسَّمُ

١٨٥ ـ لَها فِرَقٌ شَتَّىٰ مِنَ الحُسْنِ أَجْمَعَتْ بِجُمْلَتِها أَنَّ السُّلُوَّ مُحَرَّمُ(٢)

ذكر المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ شيئاً يسيراً من صفات نساء الجنة، ولا شك في أن حقيقة الأمر أكبر من ذلك بكثير، فمهما بالغ الإنسان في وصف الحور العين، فإنه لا يستطيع أن يعطي صورة كاملة عنهن، وإنما يقرب إلى الأذهان بعض صفاتهن.

روى البخاري: (٣٢٤٥)، ومسلم: (٢٨٣٤) (١٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول زمرة يدخلون الجنة.. ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن»**.

كيف تستطيع أن تصف مخلوقة من شدة حسنها يُرى مخ ساقها؟ وهذا مصداق لما أخرج البخاري: (٣٢٤٤)، ومسلم: (٢٨٢٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«قال الله عزَّ وجلَّ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»**.

١٨٦ ـ تُذَكِّرُ بالرَّحْمٰنِ مَنْ هُو ناظِرٌ فَيَنْطِقُ بالتَّسْبيحِ لا يَتَلَعْثَمُ(٣)

من المعتاد عند أي إنسان أنه إذا رأى شيئاً فوق المعتاد، وقد أعجبه منظره، أن يقول: سبحان الله. وهذه العبارة تخرج منه تلقائياً من غير تكلف ولا إعداد. فالذي يرى الحورية وما هي عليه من حسن وجمال، بمجرد أن يقع عليها بصره

---

(١) عناقيد: جمع عنقود العنب (مختار الصحاح).
مغرم: أسير الحب (ترتيب القاموس).

(٢) السلو: سلاه: هجره ونسيه.

(٣) يتلعثم: تلعثم: تمكَّث وتوقف وتأنى (ترتيب القاموس).

تجده يقول: سبحان الله! منبهراً مما يرى من عظمة ذلك الجمال.

١٨٧ ـ إذا قَابَلَتْ جَيْشَ الهُمُومِ بِوَجْهِهَا تَوَلَّىٰ علىٰ أعْقَابِهِ الجَيْشُ يُهْزَمُ(١)

يقول المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ بإن الذي يجالس الحورية ويضاجعها، لو أنه هجمت عليه الهموم والأحزان كهجوم الجيش، فإن الهموم تنهزم وتذهب ولا يبقى لها أثر.

١٨٨ ـ وَلَمَّا جَرَىٰ مَاءُالشَّبابِ بغُصْنِها تَيَقَّنَ حَقّاً أَنَّهُ لَيْسَ يَهْرَمُ(٢)

لما خلقها الخالق سبحانه وتعالى، وأصبحت في ريعان شبابها، فإنها سوف تبقى على هذه الحالة أبد الدهر، ولا يعتريها الكِبَر ولا الشيخوخة.

١٨٩ ـ فَيَا خَاطِبَ الحَسْنَاءِ إنْ كُنتَ رَاغِباً فَهٰذا زَمانُ المَهْرِ فَهْوَ المُقَدَّمُ

الذي يرغب بأن يكون من خطّاب أولئك الكواعب الأتراب والحور العين، فلا بد له من تقديم المهر، والمهر لا بد أن يكون مقدماً **(عاجلاً)** هنا في الحياة الدنيا؛ فيجعل له رصيداً عند الله سبحانه، فيكثر من عمل الصالحات، وتقديم القربات؛ فإنه وقت تقديم المهر.

١٩٠ ـ وَكُنْ مُبْغِضاً لِلْخَائِنَاتِ لِحُبِّهَا فَتَحْظَىٰ بِهَا مِنْ دُونِهِنَّ وَتَنْعَمُ(٣)

يحذرك من الوقوع في الزنى ويأمرك أن لا تحب التي تخون حبيبها وتأتيك، فعليك أن تبغضها وتبتعد عنها وعن كل ما يبعدك عن الله سبحانه؛ عسى أن تحظى بالحور الجميلات اللاتي لا يعرفن الخيانة؛ إذ هن: **(قاصرات الطرف)**.

١٩١ ـ وَكُنْ أَيِّماً مِمَّنْ سِوَاهَا فَإنَّها لِمِثْلِكَ في جَنَّاتِ عَدْنٍ تَأَيَّمُ(٤)

---

(١) تولى على أعقابه: رجع خاسراً إلى الوراء.

(٢) الهرم: أقصى الكبر (ترتيب القاموس).

(٣) لحبها. الحِب بكسر الحاء: الحبيب. فتحظى: حظيت المرأة عند زوجها: سعدت ودنت من قلبه وأحبها (لسان العرب).

(٤) الأيم: الذي لا زوج له؛ رجلاً كان أو امرأة..

هذا البيت، والذي قبله، فيهما إشارة ولو من بعيد إلى الترغيب عن الزواج، وإذا حملناهما على هذا المحمل، ولا شك في أنه مخالف لمبادىء الإسلام الذي يحث على الزواج، وعلى كثرة الإنجاب؛ ولكن من الممكن حمل المعنى على ترك ذلك في الحرام، والإقبال عليه في الحلال. أي إن الذي لا يستطيع الحصول عليه من الحلال فلا بد له أن يتأيم، لعل الله أن يرزقه من تأيمت له في الجنة.

١٩٢ ـ وَصُمْ يَوْمَكَ ٱلأَدْنَىٰ لعَلَّكَ فِي غَدٍ   تَفُوزُ بِعِيدِ الفِطْرِ والنَّاسُ صُوَّمُ

أكثر من صيام التطوع في الدنيا، فإنك اليوم تستطيع أن تقدم عملاً صالحاً، أما يوم غدٍ فإنك لا تدري ما الله صانع به؛ قد يأتي وأنت من أصحاب القبور، فاغتنم يومك هذا، واظمأ في نهاره بالصوم، واسهر ليله بالقيام، لعلك تفوز يوم القيامة؛ حين يعطش الناس وأنت تتنعم في جنات ونهر، وغيرك يتحسر على قطرة ماء وما هو بمحصلها.

١٩٣ ـ وأَقْدِمْ وَلا تَقْنَعْ بِعَيْشٍ مُنَغَّصٍ   فَما فَازَ بِاللَّذَّاتِ مَنْ لَيسَ يُقْدِمُ(١)

كن شجاعاً في الإقدام على عمل الخير، وأكثر من فعل الطاعات والقربات، ولا تركن إلى الدنيا التي كل ما فيها منغص ممزوج بالأكدار والأحزان. وشمر عن ساعد الجد، واجعل الآخرة همك؛ لعلك إن فعلت هذا تنل رضوان الله سبحانه. أما القاعد المتكاسل المتخاذل فلم يكن من الفائزين، وإنما هو من النادمين.

١٩٤ ـ وَإِنْ ضَاقَتِ الدُّنيا عَلَيكَ بِأَسْرِها   وَلَمْ يَكُ فِيهَا مَنْزِلٌ لَكَ يُعْلَمُ
١٩٥ ـ فَحَيِّ عَلىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ فإِنَّها   مَنَازِلُكَ الأُولىٰ وَفِيهَا المُخَيَّمُ

روى مسلم (٢٩٥٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»**.

المؤمن في الحياة الدنيا مكلف بأوامر الشرع، لا يستطيع أن يخرج عنها؛

---

(١) أقدم: الإقدام: الشجاعة. منغَّص: مكدَّر.

فلا يستطيع أن يفعل ما نهاه الشرع عن فعله، ولا يستطيع ألاّ يفعل ما أمره الشرع بفعله؛ فكأنه مقيد بحدود وضعها الشارع له لا يجوز له أن يتخطاها، فإنه في سجن؛ فإذا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وضاقت عليه نفسه، ما عليه إلا أن يتذكر أنه مخلوق له خالق، وأنه عبد له رب يأمره وينهاه، وجعل جزاء المطيع الفوز بالجنات وجزاء العاصي جهنم. فإنه يسلي نفسه بما أعد الله سبحانه لأهل طاعته، ويسلي نفسه بالمنزل الأول حينما أخرجه الله من صلب آدم وأشهده على نفسه.

ويأمرك المصنف أن تقبل على الجنات؛ والإقبال عليها يعني الإقبال على الأعمال التي يحبها الله سبحانه، لكي يقبلها منك، ثم يثيبك بعد ذلك الجنات التي وعدك إياها؛ وهي المنازل الحقيقية للإنسان، لأنها المكان الدائم الذي لا يزول.

١٩٦ ـ وَلٰكِنَّنَا سَبْيُ العَدوِّ فَهَلْ تَرىٰ نَعُودُ إلىٰ أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ(١)

يمثل الناس في الدنيا كمثل شخص أخذه العدو أسيراً وحبسوه عندهم، فهو يترقب الساعة التي يؤْذَن له فيها بالذهاب إلى وطنه والسلام على أهله؛ فالإنسان في الدنيا هكذا: وطنه الجنة، وأهله الحور العين. فهو يواصل عمل الليل بالنهار حتى يؤهل نفسه لكي يذهب إلى وطنه وأهله.

١٩٧ ـ وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الغَرِيبَ إذا نَأَىٰ وَشَطَّتْ بِهِ أَوْطانُهُ فَهوَ مُؤْلَمُ(٢)
١٩٨ ـ وأَيُّ اغْتِرابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنا التي لَها أَضْحَتِ الأَعْداءُ فِينَا تَحَكَّمُ(٣)

قالوا إن الإنسان إذا بعد عن وطنه وأهله، وأصبح غريباً بين أناس لا يعرفهم، فإنه لا تطمئن نفسه، ولا يشعر بالراحة والاستئناس، بل إن فكره دائماً مشغول في الرجوع إلى أهله.

---

(١) السبي: الأسر.
(٢) نأى: بعد. شطت: بعدت (ترتيب القاموس).
التألم: التوجع. الإيلام: الإيجاع (لسان العرب).
(٣) أضحت: ظلت (مختار الصحاح).

إذا كان هذا حال الغريب، فأي غربة أعظم من غربة الإنسان في الدنيا التي ليس له فيها خلود، وهو فيها غريب؛ لأن أوطانه بعيدة عنه - ألا وهي الجنة - بالإضافة إلى أن من يتحكم فيه ويسيطر على كثير من تصرفاته هم الأعداء؛ ويقصد بهم: النفس، والشيطان؛ فهما قريبان منه؛ مع أنهما من ألدِّ أعدائه الذين تجب مخالفتهم لكي ينجو ويفوز: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾[1] أما إذا أطاعهم فإن مصيره الهلاك.

١٩٩ - وَحَيَّ عَلَىٰ رَوْضَاتِهَا وَخِيَامِهَا وَحَيَّ عَلَىٰ عَيْشٍ بِهَا لَيْسَ يُسْأَمُ[2]

أقبلوا على العمل الذي إن قبله الله منكم فسوف يدخلكم - برحمته - جنات فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ قال الحق سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥﴾[4].

وفيها من الخيام ما يعجز الوصف عنه؛ قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾[5].

روى البخاري: (٤٨٧٩) ٨/٦٢٤، ومسلم: (٢٨٣٨)، عن عبدالله بن قيس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عَرضُها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهلٌ ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن**».

والعيش في الجنة لا يمل؛ روى مسلم: (٢٨٣٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس**»؛ أي لا يصيبه بؤس، وإنما يعيش في نعيم مقيم دائم لا ينقطع.

---

(١) النازعات: ٤٠، ٤١.

(٢) يسأم: يمل.

(٣) الشورى: ٢٢.

(٤) الروم: ١٥.

(٥) الرحمن: ٧٢.

٢٠٠ ـ وَحَيِّ علىٰ السُّوقِ الذي فيهِ يَلتَقي الـ ـمُحِبُونَ، ذاكَ السُّوق لِلقوم يُعلَمُ
٢٠١ ـ فَما شِئتَ خُذْ مِنهُ بلا ثَمَنٍ لهُ فَقَدْ أَسلَفَ التُّجَّارُ فيه وَأَسلَمُوا[1]

روى مسلم في صحيحه: (٢٨٣٣)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً... الحديث**».

ذكر المصنف ـ رحمه الله ـ في كتابه (**حادي الأرواح**) باباً في ذكر سوق الجنة. وذكر فيه هذا الحديث الذي رواه مسلم، وذكر أحاديث غيره، منها:

حديث طويل يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ وفيه: «**فيأتون سوقاً قد حفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا؛ ليس يباع ولا يشترى. وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً.. الحديث**»؛ رواه الترمذي: (٢٥٤٩)، وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه: (٤٣٣٦)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: (١٧٢٢).

وذكر حديثاً آخر عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصُّوَرَ من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها**»؛ رواه الترمذي: (٢٥٥٠)، وقال: هذا حديث غريب، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: (١٩٨٢).

يحث المصنف، رحمه الله في هذين البيتين، على الإقبال إلى ذلك السوق الذي يقام في الجنة، حيث يلتقي فيه الأحباب، ويتزودون من نعم الله وعطاياه التي لا تنفد. أما البضاعة التي فيها فليست للبيع بل هي للعرض وفيه كل ما يشتهي الإنسان، وله أن يأخذ ما أراد لأنه قد دفع الثمن مقدماً في الدنيا.

٢٠٢ ـ وَحَيِّ عَلىٰ يَومِ المَزِيدِ الذي بِهِ زِيارَةُ رَبِّ العَرْشِ فاليَومُ مَوسِمُ[2]

---

(١) أسلف: السَّلَفُ: السَّلمُ، اسم من الإسلاف، والقرض الذي لا منفعة فيه للمقرض، وعلى المقترض ردّه كما أخذه، وكل عمل صالح قدمته. (القاموس).

(٢) موسم: مجتمع. موسم الحج: مجتمعه (القاموس المحيط).

٢٠٣ ـ وَحَيَّ عَلىٰ وادٍ هُنَالِكَ أَفْيَحٍ وَتُرْبَتُهُ مِنْ أذْفَرِ المِسْكِ أَعْظَمُ[١]
٢٠٤ ـ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ هُنَاكَ وَفِضَّةٍ وَمِنْ خالِصِ العِقْيانِ لا تَتَقَصَّمُ[٢]
٢٠٥ ـ وَمِنْ حَولِها كُثْبانُ مِسْكٍ مَقاعِدٌ لِمَنْ دُونِهِمْ، هذا العَطاءُ المُفَخَّمُ[٣][٤]
٢٠٦ ـ يَرَوْنَ بِهِ الرَّحْمٰنَ جلَّ جلالُهُ كَرُؤْيَةِ بَدْرِ التَّمِّ لا يُتَوَهَّمُ[٥]
٢٠٧ ـ أَوِ الشَّمْسَ صَحْواً لَيسَ مِنْ دُونِ أُفْقِها سَحَابٌ ولا غَيمٌ هُناكَ يُغَيِّمُ

ذكر المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ يوم المزيد الذي يزور فيه أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى، حيث يجمعهم في ذلك الوادي الذي تفوح منه رائحة المسك، تلك الرائحة الزكية العطرة، ويجلسهم على حسب أعمالهم؛ بعضهم على منابر من نور، وبعضهم على كثبان المسك. ثم يتجلى لهم ربهم سبحانه وتعالى فيرونه بأبصارهم رؤية واضحة لا لبس فيها ولا غموض.

روى الإمام الشافعي في المسند: ص٧٠، وابن أبي شيبة في المصنف: ٢/١٥٠، وأبو يعلى في المسند: (٤٢٢٨)، عن أنس[٦] رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل وفي يده كالمرآة البيضاء فيها كالنكتة السوداء، فقلت: يا جبريل، ما هذه؟ قال: الجمعة، قال: قلت: وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير، قال: قلت: وما لنا فيها؟ قال: يكون عيداً لك ولقومك من بعدك... ثم قال: ونحن ندعوه يوم القيامة ويوم المزيد، قال: قلت: مم ذاك؟ قال: لأن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الجنة وادياً من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة**

---

(١) أفيح: واسع. الأفيح والفياح: كل موضع واسع (لسان العرب). ويمكن أن يكون: ذو رائحة طيبة. فهو وادٍ تفوح منه رائحة المسك.
(٢) العقيان: ذهب ينبت. تتقصم: تتكسر. (القاموس).
(٣) هذا البيت جاء في حادي الأرواح هكذا:
(وكثبان مسك قد جعلن مقاعداً لمن دون أصحاب المنابر يعلم)
(٤) كثبان: تلال. لمن دونهم: لمن تحتهم منزلة وأقل منهم درجة.
المفخَّم: الفخم: العظيم القدر. التفخيم: التعظيم.
(٥) بدر التَّمِّ: القمر إذا امتلأ فبهر، فهو بدر تام ـ (القاموس).
(٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٤/٢: ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني وهو ثقة. بعد أن عزاه للطبراني في المعجم الأوسط.

هبط من عليين على كرسيه، تبارك وتعالى، ثم حف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء النبيون حتى يجلسوا عليها، وينزل أهل الغرف حتى يجلسوا على ذلك الكثيب. ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى، ثم يقول: سلوني...» الحديث.

أما رؤية الله جل وعلا؛ ففي هذا الحديث، وكذلك في قوله سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[1]. وروى البخاري: (٤٨٧٨)، ومسلم: (١٨٠)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداءُ الكبرياء على وجهه في جنة عدن»**.

وروى البخاري: (٨٠٦)، ومسلم: (١٨٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، الطويل الذي أوله: إن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيمة؟ فقال رسول الله ﷺ: **«هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟... فإنكم ترونه كذلك»**.

وروى مسلم: (١٨١)، عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: «يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟» قال: «فيكشِفُ الحجابَ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزّ وجلّ»**.

قال ابن القيم في حادي الأرواح ص**٢٢٧**: وإن سألت عن يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه؛ كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر. إلى آخر ما قال من الكلام، فراجعه فإنه نفيس.

٢٠٨ - فَبَيْنا هُمُ في عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ وأَرْزاقُهم تُجْرَىٰ عَلَيْهِمْ وَتُقْسَمُ[2]
٢٠٩ - إِذا هُمْ بِنُورٍ سَاطِعٍ قَدْ بَدا لَهُمْ وَقَدْ رَفَعُوا أَبْصارَهُمْ فَإِذا هُمُ[3]

---

(١) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٢) فبينا: بينا: مؤلفة من (بين) الظرفية الزمانية والألف الزائدة، وتختص بالزمان (معجم الشوارد النحوية).

(٣) ساطع: سطع ارتفع. بدا: ظهر (القاموس المحيط).
هذا البيت - والبيتان بعده - جاء في كتاب حادي الأرواح هكذا: =

٢١٠ ـ بِرَبِّهِمُ مِنْ فَوْقِهِمْ قَائِلٌ لَهُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمُ وَنَعِمْتُمُ[(١)]
٢١١ ـ يَقولُ: سَلُونِي ما اشْتَهَيْتُم فَكُلُّ ما تُرِيدُون عِنْدِي إِنَّنِي أَنا أَرْحَمُ
٢١٢ ـ فَقالوا جَميعاً نَحْنُ نَسْأَلُكَ الرِّضا فَأَنْتَ الذي تُولي الْجَمِيلَ وَتَرْحَمُ[(٢)]
٢١٣ ـ فَيُعْطِيهُمُ هذا وَيُشْهِدُ جَمْعَهُمْ عَلَيْهِ تَعالىٰ اللَّهُ فاللَّهُ أَكْرَمُ

يشير إلى ما أخرج ابن ماجه: (١٨٤)، عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، قال: وذلك قول الله:** ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾[(٣)]، قال: **فينظر إليهم وينظرون إليه...**».

قال البوصيري في مصباح الزجاجة: (٨٦/١): هذا إسناد ضعيف، لضعف الفضل بن عيسى. قال الألباني في المشكاة: (٥٦٦٤): إسناده ضعيف. وذكره في ضعيف الجامع: (٢٣٦٣). وذكره المنذري في الترغيب وعزاه إلى ابن أبي الدنيا. والحديث ذكره ابن كثير في تفسيره: (٥٧٥/٣)، من رواية ابن أبي حاتم، وقال عنه: وفي إسناده نظر.

أما قوله: (يقول سلوني...) إنه يشير إلى الحديث المتقدم تحت البيت رقم: (٢٠٧)، والذي يرويه ابن أبي شيبة، وفي الحديث: «**ثم يتجلى لهم ربهم تبارك تعالى، ثم يقول: سلوني أعطكم، قال فيسألونه الرضا، فيقول: رضائي أحلكم داري... قال: فيشهدهم أنه قد رضي عنهم...**».

٢١٤ ـ فَبِاللَّهِ مَا عُذْرُ امْرِىءٍ هُوَ مؤْمِنٌ بِهذا ولا يَسْعَىٰ لَهُ وَيُقَدِّمُ
٢١٥ ـ وَلٰكِنَّما التَّوْفِيقُ بِاللَّهِ إِنَّهُ يَخُصُّ بِهِ مَنْ شَاءَ فَضْلاً وَيُنْعِمُ

= إذا هم بنور ساطع أشرقت له بأقطارها الجنات لا يتوهم
تجلى لهم رب السماوات جهرة فيضحك فوق العرش ثم يكلم
سلام عليكم يسمعون جميعهم بآذانهم تسليمه إذ يسلم

(١) طبتم: طهرتم. نعمتم: من المسرة والفرح والترفه (النهاية في غريب الحديث).
(٢) تولي تحب، أي تحب أن تعطي العطاء الكثير.
(٣) يس: ٥٨.

بعد أن سمعت ما أعد الله سبحانه لأهل طاعته وأهل محبته، من النعيم المقيم الذي يعجز الوصف عنه، كيف لا؟ وهو الذي لم تره العيون، ولم تسمع به الآذان، ولم يخطر على القلوب، أعده الله سبحانه؛ جزاءً، وتفضلاً، ومنَّة منهُ وتكرماً، لمن أحب لقاء الله، وعمل في دار العمل ليُجزى به في دار الجزاء.

ثم يستدرك المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ فيقول: (ولكنما التوفيق...) أي إن الله سبحانه يتكرم على عباده ويتفضل عليهم، حيث يهيء الأسباب التي تساعد العبد على طاعة الله. وتهيئة الأسباب هذه تأتي من الله سبحانه إذا بذل العبد أولاً من نفسه ما يؤهله لذلك؛ فالله يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1]. فذكر سبحانه المجاهدة من العبد أولاً، ثم ذكر هدايته له بعد ذلك.

٢١٦ ـ فَيا بَائِعاً هذا بِبَخْسٍ مُعَجَّلٍ كأَنَّكَ لا تَدْري، بَلىٰ سَوْفَ تَعْلَمُ[2]

مر بك ـ فيما سبق ـ ما أعد الله سبحانه لأهل طاعته من النعيم في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وفيها من الطيبات والثمرات والحور الحسناوات، وغير ذلك من الملذات، وفوق ذلك كله رؤية الخالق جل وعلا، وسلامه وكلامه ورضوانه الأبدي.

فتجد الكثير من الناس من يبيع هذا كله، ويزهد فيه، ليشتري مكانه لذة فانية، ونعيماً كاذباً يزول بعد لحظات قلائل، فتذهب اللذة وتبقى التبعات؛ فالذي يفعل هذا كأنه لا يعلم حقيقة الأمر، ولكنه حتى لو تغافل في هذه الحياة الدنيا، فإنه سوف يأتيه علم اليقين، وتنكشف له الحقائق، ويعرف بعد ذلك أنه قد خدع نفسه.

٢١٧ ـ فَقَدِّمْ فَدَتْكَ النَّفْسُ نَفْسَكَ إِنَّها هِيَ الثَّمَنُ المَبْذُولُ حِينَ تُسَلِّمُ

هذا الأجر العظيم الذي أعده الله لعباده، الذي يتمناه كل مخلوق، لا بدّ له من ثمن؛ وثمنه هو طاعة الله سبحانه، وطاعة رسوله ﷺ.

بعد أن عرفت أن الله سبحانه أعد لعباده الطائعين ذلك النعيم العميم

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) بخس: الناقص القليل. معجل: العاجل نقيض الآجل (القاموس).

المقيم، وعرفت أن التوفيق إلى العمل لا بد له من بذل جهد منك، وأن نفسك هي أغلى شيء عندك في الحياة؛ فابذلها رخيصة في سبيل مرضاة الله، عسى أن يتقبلها منك، ويجعلها ثمناً لذلك النعيم؛ يقول المولى جل في علاه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1].

٢١٨ ـ وَخُضْ غَمَراتِ المَوْتِ وَارْقَ مَعارِجَ الْـ ـمَحَبَّةِ فـي مَرْضاتِهِمْ تَتَسَنَّمُ[2]

إذا أراد الإنسان أن يجود بنفسه في سبيل الله، فإن الشيطان يقعد له في طريقه يثبطه ويثنيه عن عزمه، ليخذله ويصده عن طريق الخير.

فينصحك المصنف بأن تقتحم الموت؛ أي تدخل عليه بكل قوتك. فإنّ فعلك هذا هو السلم الذي تصعد به وترتقي إلى محبة الله سبحانه، وإلى مرضاته.

٢١٩ ـ وَسَلِّمْ لَهُمْ مَا عَاقَدُوكَ عَلَيهِ إنْ تُرِدْ مِنْهُمْ أنْ يَبْذُلُوا وَيُسَلِّمُوا[3]

إذا أردت أن يبذلوا لك ذلك النعيم، والعيش الرغيد في جنات النعيم، إذا أحببت أن يسلموا لك هذا فسلم أنت لهم أولاً؛ كما أخبر المولى جل في علاه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[4]؛ ويقول سبحانه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾[5].

٢٢٠ ـ فَمَا ظَفِرَتْ بِالوَصْلِ نَفْسٌ مَهِينَةٌ وَلا فَازَ عَبْدٌ بِالبَطَالَةِ يَنْعَمُ[6]

---

(١) التوبة: ١١١.

(٢) خض: اقتحم. غمرات الموت: شدته ومزدحمه. رقى: صعد.
معارج: المعراج: السلم والمصعد. تتسنم: ترتفع (القاموس المحيط).

(٣) عاقدوك. العقد: الضمان والعهد.

(٤) التوبة: ١١١.

(٥) الرحمن: ٦٠.

(٦) ظفرت: فازت بالمطلوب. الوصل: ضد الهجران (القاموس)..
مهينة: ذليلة. البطالة: التّبطل: فعل البطالة، وهو اتباع اللهو والجهالة (لسان العرب).
ينعم: التنعّم: الترفه.

الذي يريد الفوز والفلاح فلا بد أن يجد ويعمل لكي يحصد ما زرع.

يقول الحق سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]؛ ويقول جل في علاه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[2].

فهل يصح أن يتساوى إنسان طائع لله، قد ألزم نفسه بعبادة الله في حركاته وسكناته، همه إرضاء ربه، يفعل ما أُمِر وينزجر عمّا نُهي عنه وحذِّر - هل يستوي هو ومن أطلق لنفسه العنان، فهو غارق في شهواته وملذاته لا يردعه شيء؟

بقدر الجد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن رام العلا من غير كد ... أضاع العمر في طلب المحال[3]

٢٢١ - وَإِنْ تَكُ قَدْ عَاقَتْكَ سُعْدَىٰ فَقَلْبُكَ الْـ ... ـمُعَنَّى رَهِينٌ في يَدَيْهَا مُسَلَّمُ[4]
٢٢٢ - وَقَدْ سَاعَدَتْ بِالوَصْلِ غَيْرَكَ فَالهَوَىٰ ... لَهَا مِنْكَ وَالوَاشِي بِهَا يَتَنَعَّمُ

يعبر المصنف - رحمه الله - عن الدنيا بكلمة (سعدى) فيقول: إذا كانت الدنيا قد وقفت حجر عثرة في طريقك إلى الله، وأعاقت سيرك، ومنعتك من العمل ومن التقرب إليه سبحانه. وقد أسرَ قلبك حبها والعمل لها، فتركت الآخرة ونسيتها؛ فأنت تعمل فيها وقلبك معلق بها، ولا همَّ لك إلا هي، بينما غيرك هو الذي يتنعم بها، لأن من خصائص الدنيا أن تذل من أكرمها، وترفع

---

(١) الزمر: ٩.
(٢) ص: ٢٨.
(٣) انظر ديوان الإمام الشافعي. تحقيق د. محمد عبدالمنعم خفاجي.
(٤) عاقتك: العَوْق: الحبس والصرف والتثبيط (القاموس).
المعنّى: العاني: الأسير. عان: خاضع ومطيع (لسان العرب).
رهين: الرهن: ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك، يعني: أن قلبك عندها موضوع مقابل ما تحصل عليه من ملذاتها.

من أعرض عنها وتركها؛ فأنت تكدح وتتعب ولا يأتيك منها إلا ما كتب الله لك من الرزق.

وكلما كثر مال الإنسان زاد همه وكثر تعبه وأشغل نفسه بالتفكير فيه، وكيف يحفظه وينميه. وربما يفتتن الإنسان ببهارج الدنيا وزخارفها، فيجد نفسه أسيراً عندها. فالمصنف ـ رحمه الله ـ يعرض لك حلاً مناسباً فيقول:

٢٢٣ ـ فَدَعْهَا وَسَلِّ النَّفسَ عَنهَا بِجَنَّةٍ مِنَ العِلْمِ في رَوْضَاتها الحَقُّ يَبْسُمُ(١)

اترك الدنيا وزينتها، وحاول أن تنساها وصبِّر نفسك عنها بغيرها. يعني: أوجد لنفسك بديلاً. والبديل واضح وجليّ؛ ذكره من يقول الحق: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾(٢)؛ ألا وهي الجنة.

نعم الجنة، التي مر بك النزر اليسير من وصفها، والتي يشتاق إليها المحبون؛ فإنهم في ضنك من العيش دونها، لا يقر لهم قرار حتى يدخلهم الله ـ برحمته ـ فيها؛ حيث النعيم السرمدي: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾(٣)؛ بالإضافة إلى رؤية العزيز الرحيم وهو يضحك.

٢٢٤ ـ وَقَدْ ذُلِّلَتْ فِيها القُطُوفُ فَمَنْ يُرِدْ جَنَاهَا يَنَلْهُ كَيفَ شاءَ وَيُطْعَمُ(٤)

الجنة دار قرار لا نصب فيها: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾(٥)؛ فإذا أراد الإنسان أن يقطف ثمرة فإنه يقطفها وهو على هيئته؛ قائماً، أو جالساً، أو مستلقياً على سريره، من غير أن يبذل أي جهد؛ قال سبحانه: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾(٦).

٢٢٥ ـ وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوابُهَا وَتَزَيَّنَتْ لِخُطَّابِها فَالحُسْنُ فِيها مُقَسَّمُ

---

(١) سلّ النفس: سلاه وسلا عنه: نسيه (لسان العرب).
(٢) الأحزاب: ٤.
(٣) الحجر: ٤٨.
(٤) ذللت: دليت أو سويت. قطوف: القطف: العنقود.
جناها: التقط الثمر أو قطفه من الشجر (القاموس).
(٥) الحجر: ٤٨.
(٦) الحاقة: ٢٣.

٢٢٦ ـ وَقَدْ طَابَ مِنْهَا نُزْلُها وَنَزِيلُها فَطُوبىٰ لِمَنْ حَلُّوا بِها وتَنَعَّمُوا[(١)]

قال الحق سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾[(٢)].

الجنة خلقها الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الخلق، فهي الآن موجودة، وقد دخلها النبي ﷺ، ورأى قصر عمر، وسمع صوت مشي بلال، ورأى الرميصاء (أم سليم)، وغيرهم رضي الله عنهم. فهي جاهزة ومعدة لمن يدفع مهرها. ومع أن مهرها يسير لأنه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[(٣)]، فمن الممكن لكل إنسان أن يعمل لها، لكنها حفت بالمكاره.

أما المشمرون؛ فإنهم جعلوها غايتهم، فلا يصرفهم عنها صارف. فهي طيبة وأعدت لكل طيب، فمن طيب نفسه في الدنيا وأكرمها وطهرها من الرذائل، فطوبى له، وهو فيها طيب مطيب.

٢٢٧ ـ أَقَامَ عَلَىٰ أَبْوابِها دَاعِيَ الهُدىٰ هَلُمُّوا إلىٰ دارِ السَّعادَةِ تَغْنَمُوا[(٤)]

الله سبحانه وتعالى عندما خلق الخلق لم يتركهم، وإنما أرسل لهم الرسل؛ يدلونهم على الخير، ويرشدونهم إلى الحق، ويحذرونهم طرق الضلال. فكل رسول هو داعي هدى إلى قومه؛ فمن أطاعه فاز وغنم ونال السعادة الأبدية، وأما من كذبه وأعرض عنه فمآله إلى دار الشقاء.

روى البخاري: (٦٤٨٣)، ومسلم: (٢٢٨٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنما مثلي ومثل الناس كمثل**

---

(١) طاب: لذَّ وزكى. نزلها: النزل: ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه. نزيلها: النزيل: الضيف (مختار الصحاح).
طوبى: الطيب، وجمع الطيبة، والحسنى، وشجرة في الجنة (القاموس).
حلوا: حل نزل.

(٢) الزمر: ٧٣.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

(٤) أقام: أقام الشيء أي أدامه (مختار الصحاح)، يعني أنه جعل منادياً دائماً يدعو إليها.
داعي الهدى: النبي. هلموا: تعالوا.

رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدوابّ التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل الرجل يَزَعُهنّ ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقحمون فيها».

٢٢٨ ـ وَقَدْ غَرَسَ الرَّحْمٰنُ فِيهَا غِرَاسَةً مِنَ النَّاسِ والرَّحمٰنُ بِالخَلْقِ أَعْلَمُ[١]

٢٢٩ ـ وَمَنْ يَغرِسِ الرَّحْمٰنُ فِيهَا فَإنَّهُ سَعِيدٌ وإلاَّ فَالشَّقَاءُ مُحَتَّمُ[٢]

روى البخاري: (٤٨٥٠) ومسلم: (٢٨٤٦) (٣٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ:

«تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟

قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما[٣] ملؤها؛ فأما النار تمتلىء حتى يضع رجله، فتقول: قط، قط، قط؛ فهنالك تمتلىء ويزوي بعضها إلى بعض. ولا يظلم الله عز وجلّ من خلقه أحداً. وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشىء لها خلقاً».

والشاهد من الحديث هو قوله عليه الصلاة والسلام: **«وأما الجنة فإن الله ينشىء لها خلقاً»**؛ فالذي يكتب الله له أنه من أهل الجنة فإن السعادة الأبدية تلازمه؛ وأما من كان من أصحاب النار فإنه سوف يشقى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[٤].



تمَّ بعون الله سبحانه وتعالى الشرح الموجز للقصيدة الميمية للإمام ابن القيم رحمه الله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

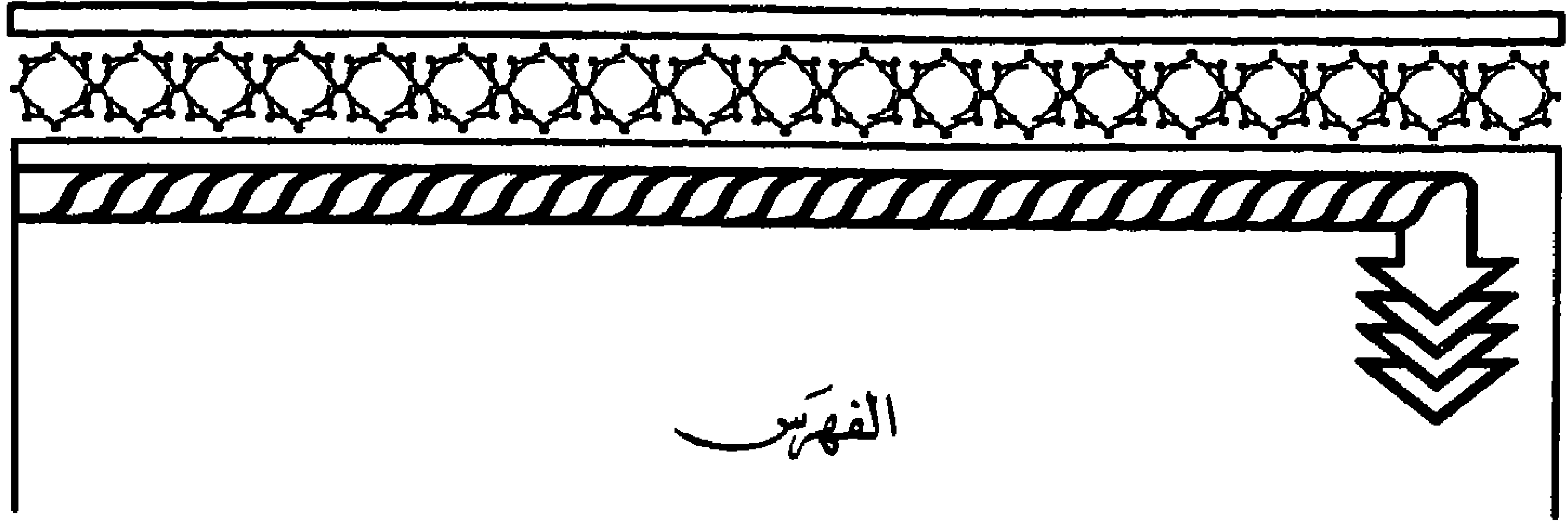
---

(١) غِراسه: ما يغرس من الشجر. والمراد هنا: الذين خلقهم الله للجنة.

(٢) محتم: واجب ولازم، قضاء.

(٣) هذه رواية البخاري، أما رواية مسلم (منكما).

(٤) فاطر: ٣٦.



الموضوع	الصفحة

فهرس متن القصيدة النونية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

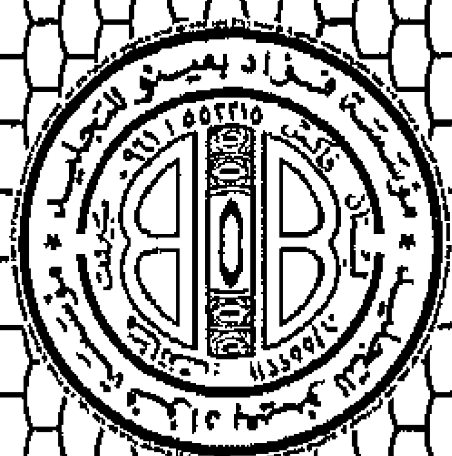
الموضوع	الصفحة

فهرس شرح القصيدة الميمية





فؤاد بعينو للتجليد


فؤاد بعينو للتجليد

مَتْنُ القَصِيدَةِ النُّونِيَّةِ

ويليها

شرحُ القَصِيدَةِ الميميَّة

